مَنهَجُ

أُمّهاتِ المؤمنينَ

في الدّعوة إلى الله

تأليف

الدّكتور. خالد بن محمّد الحافظ العلمي



المدينة المنورة

ح مكتبة دار الزمان للنشر و التوزيع ، ١٤٢٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحافظ ، خالد محمد

منهج امهات المؤمنين في الدعوة الى الله .- المدينة المنورة .

٨٢٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٥- ١- ٩٣٧٦- ٩٩٦٠

١- الدعوة الاسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٣/ ١٦٧٣

رقم الإيداع : ٢٣/١٦٧٣

ردمـك : ٥- ١- ٩٣٧٦- ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

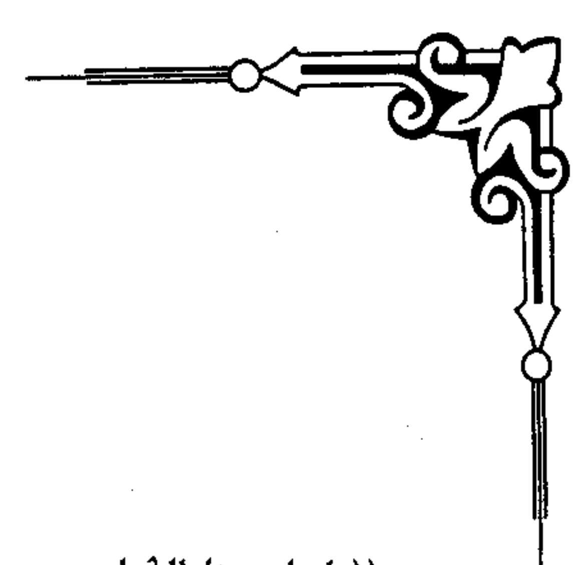


المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ١٥٥٦

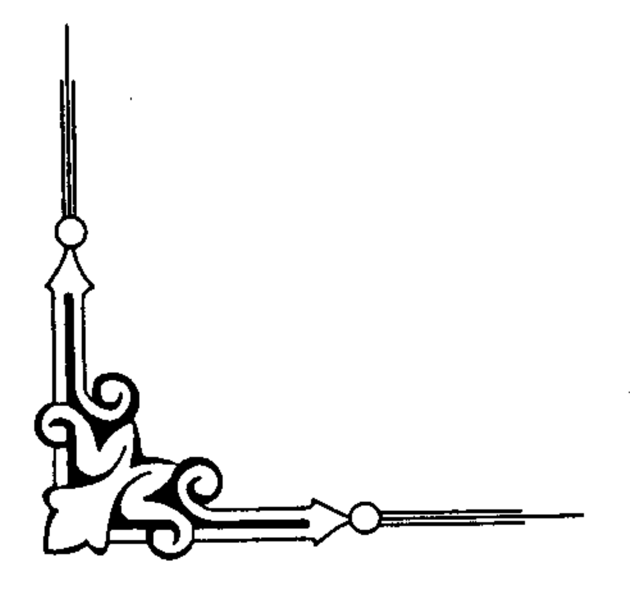
هاتف ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس ٨٣٨٣٢٢٦

المملكة العربية السعودية

Medina Monawara - Al-Sittin Road - P.O. Box 1556
TEL 8366666 - FAX 8383226
Kingdom of Saudi Arabia



((اصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه تقدم بها المؤلف الى قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة بالمدينة المنورة . فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وقد نوقشت بتاريخ ١٤٢٣/١/٦هـ))



بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله تعالى على توفيقه وامتنانه، وأشكره على عونه وتيسيره، وأصلّي وأسلّم على خاتم أنبيائه ورسله نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فانطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"(1)، وقوله ﷺ: "ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه"(2).

فإني أتقدم بشكري وتقديري، للقائمين على كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة، على فتح أبواب العلم والتعلم للدارسين، فنالني من ذلك أوفر نصيب، ولا أملك إلا الدعاء لهم أن ييسر الله لهم السير في رسالتهم المثلى، وهي الدعوة إلى الله، والإفادة من كل الجهود والطاقات في سبيل ذلك الهدف السامي، الذي من أجله أرسل الله الرسل مبشرين

---

(1) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٨١١) (٤/٢٥٥)، كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٨٢/٣)، ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(2) المصدر السابق، جزء من الحديث رقم (١٦٧٢) (١٢٨/٢)، كتاب الزكاة، باب: عطية من سأل بالله. والحديث صححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- (٤٦٤/١).

ومنذرين وداعين إلى الله بإذنه، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى.

وفي مقامي هذا أتقدم بشكري الخالص الجزيل لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: **محمد عبد العليم العدوي**، الأستاذ بالكلية والمشرف على هذه الرسالة، الذي لم يأل جهداً في إعانتي وإقالة عثرتي، وإبداء ملاحظاته القيمة، وتوجيهاته السديدة، وإعطائي الكثير من وقته. وإنني إذ أشكره لأعترف بتقصيري في حقه، ولا أملك له إلا الدعاء بالتوفيق وأن يجزيه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بشكري العميق لكل من مشايخي وأساتذتي وزملائي وأصدقائي وأهل بيتي الذين ساعدوني في القيام بإنجاز هذا العمل بأفكارهم ومكتباتهم وأوقاتهم.

سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يجزي الجميع عني خيراً، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة. إنه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد ا لله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا ا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا ا لله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا ا لله الذي تساءلون به والأرحام إن ا لله كان عليكم رقيباً﴾[2]، **﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا ا لله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع ا لله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيما﴾**[3].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في ا لله حق جهاده حتى فتح

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيات (٧٠-٧١).

ا لله به قلوباً غلفاً، وأعينا عمياً، وآذانا صماً، وعلى آله وصحبه الذين تولـوا أمانة البلاغ من بعده، أما بعد:

فلما كانت أحوال البشر لا تستقيم ولا تصلح إلا بوجود دعاة وداعيات، يُقوِّمُون ما اعوج من الأخلاق، ويصلحون ما فسد من المبادئ والمثل، وكان لا بد لهؤلاء الدعاة والداعيات من منهج واضح ومسلك قويم يسيرون عليه ويقتفون هديه، رغبت في أن يكون لي الشرف ببيان "منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى ا لله" ودراسته دراسة تبرزه بصورة واضحة جلية للداعية المسلم رجلاً كان أم امرأة، مستلهماً إياه من كتاب ا لله تعالى وسنة رسولهﷺ وسيرة أمهات المؤمنين رضوان ا لله تعالى عنهن.

وإني على قصر علمي، وضعف موهبتي، حاولت على حسب طاقتي، وقدر استطاعتي أن أقتفي أثر من سبقني في هذا الميدان من الدعاة الأعلام سلفاً وخلفاً، عسى ولعل أن أنال ما نالوه من خير وهدى ورفعة لدين ا لله.

هذا وسوف أتناول في هذه المقدمة بعض الأمور المتعلقة بالدراسة، مثل سبب اختيار موضوعها وأهميته، ومكان هذه الدراسة مما سبقها من دراسات، والمنهج المتبع فيها، وموضوعات البحث.

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

(أ) أهمية الموضوع:

تبرز أهمية بحث هذا الموضوع مما اشتمل عليه البحث من تحقيق الأهداف التالية:

١- إظهار المنزلة التي اختص ا لله بها أمهات المؤمنين دون غيرهن،

كـل داعٍ وداعيـة إلى الله، ويسـتحق أن نسـتلهم منـه النتـائج والدروس لأنه أُخذ من مصدر ثمين، ومنبـع ثـر، هـو منهـج أمهـات المؤمنين في الدعوة إلى الله.

٣- إن في إظهار مثل هذا العمل على الساحة -وبـالذات في هـذا الزمـان- الأثر النافع والقدوة الحسنة للمرأة المسلمة إن شاء الله متمثلة في أمهات المؤمنـين رضـوان الله تعـالى عنهـن، وأملـي هـو مـلء الفـراغ بـالقدوة الصالحة والأسوة الحسنة للمرأة المسـلمة بهـذا الجهـد المتواضـع في مجـال الدعوة إلى الله، وبخاصة أنها تتعرض في هذه الفترة لهجمة شرسة عليهـا وعلى أخلاقها ودينها من لـدن أعـداء الإسـلام وخصومـه. ومـن جهـة أخرى أود توضيح المسـار الصحيـح والمنهـج القويـم في أصـول الدعـوة ومناهجها لأمهـات المؤمنـين وإثبـات دورهـن الرائـد وسـبقهن في هـذا المجال، مؤيداً ذلك وموثقاً له بالحجج والبراهين والشـواهد مـن الكتـاب والسنة وسيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

٤- وأخيراً فإن الميل لهذا الموضوع دفعني لاختياره دون غـيره، لأن العاطفـة لا يمكن أن تغفل في مثل هذا الأمر، ولعلمي التام بأني سأعيش سـنوات مع هذا الموضوع، لهذا يجب أن يكون لاختيار الموضوع محبة تمتزج بـدم الباحث وروحه، بل وتزداد تلك المحبة كُلّمـا ازدادت مـدة الكتابـة فيـه بزيادة الإقبال عليه.

ثانياً: الدراسات السابقة:

لقد أصبحت عملية استعراض الدراسات السابقة ضرورية جداً نظراً لنمو المعرفة نمواً سريعاً، فهي تعنى بكل ما يتصل بالموضوع مما تم نشره في رسائل علميَّة مُحكَّمة إن وجدت، وفيما تم نشره عنهن بأي شكل من الأشكال شريطة أن تكون المساهمة ذات قيمة علمية.

وبالنسبة لموضوع هذا البحث فقد كانت الدراسات السابقة له تعنى بما يلي:

١- عبارة عن أسلوب قصصي لتوضيح سيرة أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن.

٢- رواية لبعض الأحاديث الواردة في فضلهن أو التي روينها، ودراسة تلك الروايات والأحاديث دراسة حديثية.

٣- رواية لبعض الآراء الفقهية التي اخترنها وكان لهن اجتهاد خاص فيها.

٤- ذكر وسرد لقصص زواجه ﷺ بهن.

لذلك فإن جانب الدعوة في حياتهن وبيان مناهجهن وأساليبهن وجهودهن في الدعوة إلى الله لم يكن موضوع بحث من قبل، وإن وُجدَ بعض ذلك فقد كان مقتصراً على واحدة أو اثنتين منهن، ولم أجد حسب علمي من تناول جوانب مناهج الدعوة لهن جميعاً.

وقد كانت مصادر الدراسات السابقة لهذا الموضوع مرجعها إلى ثلاثة أمور هي:

١- الكتب القديمة التي تخصصت في دراسة سيرة أمهات المؤمنين،

مثل كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زباله، وأزواج النبي ﷺ للصالحي، والسمط الثمين للطبري، وأزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيده.

٢- الكتب القديمة التي تناولت أمهات المؤمنين ضمن التراجم والسير. مثل أسد الغابة لابن الأثير والإصابة لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها.

٣- المراجع الحديثة التي تناولت أمهات المؤمنين على وجه الخصوص، مثل أمهات المؤمنين (دراسة حديثية) للدكتور عبد العزيز بن محمد إبراهيم العبد اللطيف، والسيدة خديجة، لعبد الحميد طهماز، والسيدة عائشة، لعبد الحميد طهماز، والسيده أم سلمة والسيدة زينب، لأمينة خراط، وأزواج النبي ﷺ للدكتور موسى شاهين لاشين وغيرها.

تبعاً لذلك فقد استفاد الباحث من هذه الدراسات بأن أوجدت له قاعدة كبيرة من المعلومات عن أمهات المؤمنين وحياتهن الخاصة والعامة من قبل وبعد زواجهن بالنبي ﷺ، وهذه القاعدة لها دورها الفعال في دراسة هذا الموضوع والإلمام بجوانبه المتعددة والمتناثرة، وكان مصدر هذه الفائدة هو دراسة الكتب التي تُعنى بالتراجم والسير والأخبار، كما أفادت الدراسات السابقة في توضيح الغث من السمين، والجيد من الرديء، والصحيح من الضعيف، للروايات التي تعلقت بموضوع البحث، وهذا لا يخفى أثره وفائدته وثمرته في نجاح البحث ومصداقيته وتوثيقه.

هذا وقد أسهمت هذه الدراسات في إيضاح بعض الشبهات والمكايد التي بثها بعض أعداء الإسلام وذلك بالطعن في بعض أمهات المؤمنين، وهنا لا يخفى مقدار الفائدة من مثل هذه الدراسات التي أوضحت الحق وأزالت

الشكوك والشبهات عن أمهات المؤمنين، كما أوضحت هذه الدراسات بعضاً من جوانب هذا البحث المختص في المجال الدعوي لأمهات المؤمنين، حيث أفردت بعض تلك الدراسات الحديث عن بعض أمهات المؤمنين في هذا المجال، وهذا لا يخفى نفعه وفائدته في توضيح ورسم الطريقة التي يراد السير عليها في مثل هذا البحث.

ثالثاً: منهج الدراسة:

وأما منهجي في البحث، فقد استخدمت أولاً المنهج الوصفي، إذ عرضت لوصف لمناهج الدعوة، وما يتبعها تكون توطئة لما سأعرض له من تعريف بأمهات المؤمنين وعرض مفصّل لجهودهن في الدعوة إلى الله وذلك في أثناء حياتهن مع رسول الله ﷺ وبعد موته مع بيان أثر ذلك على الدعوة ونجاحها.

استخدمت المنهج التاريخي الذي يُعنى بتمحيص الروايات التاريخية التي وردت في أمهات المؤمنين، واختيار الثابت من هذه الروايات واستبعاد الروايات المشبوهة التي تعرض لها العلماء بالنقد، والاعتماد على ما صح في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات، والاعتماد في التصحيح على ما حكم عليه علماء الحديث من المتقدمين والمتأخرين بالصحة والثبوت عن رسول الله ﷺ.

استخدمت المنهج الاستنباطي، فعمدت إلى استنباط منهج أمهات المؤمنين وأساليبهن ووسائلهن في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بذكر الحديث الذي روينه عن رسول الله ﷺ، أو الموقف الذي مررن به،

حيث اصطفاهن الله عز وجل أزواجاً لأفضل أنبيائه ورسله عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لبيان خيريتهن وتأكيد فضلهن، وذكر الأدلة والشواهد على ذلك المبثوثة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- إبراز أهمية العمل الذي قمن به رضوان الله تعالى عنهن، في نقل السنة القولية والفعلية لحياته عليه الصلاة والسلام داخل حجراته مع أهله، إضافة إلى التزامهن بتنفيذ قول الحق تبارك وتعالى:﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة....**﴾[1]. ولهذا كان أزواجه اللائي شاركنه حياته الخاصة وشاهدنها عن قرب، لا يكتمن شيئاً منها ولا يخفينه، فإذا ما سئلن عن أي جانب من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، أجبن السائل كائنا من كان، وبكل صراحة ووضوح، مما يدل على تقديرهن للمسؤولية التي فرضها الله عليهن، فحياتهن مع رسول الله ﷺ، ليست ملكاً لهن، وهذا دليل عظم العمل الذي قمن به وبلغنه للمسلمين.

٣- بيان الأثر المهم الذي قامت به المرأة المسلمة في صدر الإسلام لنشر دين الله في الأرض مع كل ما يكتنف هذا الطريق من أخطار وعقبات، يتضح ذلك في حياة بعض أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن، وعلى رأسهن أم المؤمنين خديجة -رضى الله عنها-.

٤- أهمية لفت الأنظار إلى القدوة الصالحة والمثل الأعلى للمرأة المسلمة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه الفتن والمغريات بل والإضلال باسم

(١) سورة الأحزاب، آية (٣٤).

الدين أحياناً، لذلك فإن المرأة المسلمة حين تجد نبراساً لها ومثلاً أعلى في طريق الخير والدعوة إلى الله متمثلاً في دراسة حياة أمهات المؤمنين وعفتهن وحياتهن وحسن معاملتهن لزوجهن، بل وحملهن لواء الخير والعلم والدعوة، وحثهن على كل فضيلة، عند ذلك تكون الفائدة قد تحققت إن شاء الله وحصل المراد من عَرْض مثل هذه الموضوعات لمعالجة ما ذكر.

٥- لأن الحاجة ماسّة لإيضاح المنهج الصحيح والطريق القويم، لتوضيح مسار الدعوة إلى الله للدعاة وللداعيات المسلمات، وذلك من خلال دراسة مثل هذا الموضوع.

(ب) سبب الاختيار:

١- تعلق هذا الموضوع واتصاله بتخصص الدعوة إلى الله، وأن الحاجة إليه قائمة، حيث إنه لم يظهر -حسب علمي- في الساحة الدعوية إلى الآن مرجع علمي متخصص في منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله. بل إن المكتوب تناول مناحي أخرى لا تعلق لها بدعوتهن إلى الله وفق مناهج الدعوة، ولم يبن مناهجهن وأساليبهن في ذلك، إضافة إلى أن ما كُتب في هذا المجال لم يزد على ذكر عدد يسير من أمهات المؤمنين، وهذا البحث سيتناول بإذن الله جميع أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن مع التركيز على جهدهن وبيان مناهجهن وأساليبهن في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- مثل هذا الموضوع الذي بين يدي يستحق ما سيبذل فيه من جهد ويصرف فيه من وقت، لأنه يخدم مجالاً في الدعوة إلى الله يحتاجه

ثم استنباط الفوائد والدروس الدعوية المستفادة منه، مع محاولة التقنين والسير على ما تعارف عليه المختصون في ميدان الدعوة متمثلاً في بيان المنهج والأسلوب والوسيلة المستفادة من ذلك.

هذا، وسأعتمد في تحديد منهج كل واحدة من أمهات المؤمنين على الرواية عنها، سواءٌ كانت تلك الرواية قولاً لها، أو فعلاً، أو تصرفاً، أو حديثاً ترويه عن رسول الله ﷺ مستدلةً به، أو مطبقة إياه؛ وذلك أنها حينما تروي الحديث في مقامٍ ما عن رسول الله ﷺ إنما ترويه للأخذ به وتطبيقه واعتمادها عليه منهجياً.

ولاشك أن الأمر في بعض الأحيان يكون مجرد رواية للحديث لتبليغه، لكن القاعدة العامة المطّردة أن إحداهن إذا روت الحديث للاستدلال أو للاحتجاج به، أو لبيان وجه رأيها أو فعلها، فإن رواية الحديث عندئذٍ تكون تحديداً لمنهجها في ذلك الأمر، ومن ثمَّ يتبيَّن السر في استنباطي لمنهج أمهات المؤمنين من خلال مروياتهن للأحاديث في كثير من الأحيان.

حدود دراسة البحث:

١- الالتزام ببيان المنهج الدعوي لأمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن- وعدم التعرض للآراء والاجتهادات والاختيارات الفقهية لأمهات المؤمنين إلا بالقدر الذي يخدم البحث.

٢- إن هذا البحث يتناول أمهات المؤمنين المتفق على دخول رسول الله ﷺ بهن وثبت ذلك بما لا يقبل مجالاً للشك، أما من عقد عليهن و لم يدخل

بهن، سواء بطلاقه لهن قبل الدخول، أم بموته عليه الصلاة والسلام قبل الدخول بهن، فمثل هؤلاء لسن مقصودات بالدراسة في هذا البحث.

٣- إن هذا البحث لا يتعرض لسراري النبي ﷺ وجهدهن في الدعوة، لأنه لا يصدق عليهن اسم أمهات المؤمنين.

٤- إن هذا البحث يُعنى بجميع أمهات المؤمنين اللاتي توفي عنهن رسول الله ﷺ وهن في عصمته وتحت ولايته ويلحق بهن كذلك من توفين قبله عليه الصلاة والسلام وهن في عصمته.

٥- إن هذا البحث يُعنى بمنهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله سواء ما كان منها في فترة حياته عليه الصلاة والسلام أم بعد وفاته، أي أنه سيشمل حياتهن -رضوان الله تعالى عنهن- إلى موتهن.

٦- يُعنى هذا البحث بذكر الآيات التي نزلت في شأن بعض أزواج النبي ﷺ وتوضيح منزلتهن وفضلهن.

٧- توضيح منهج أمهات المؤمنين في الدعوة، ويوضح من خلال ذلك الأسلوب والمنهج الذي سلكته كل واحدة منهن في دعوتها، وقد يكون هناك تفاوت في العرض، وهذا يعود إلى تميز وعلو درجة بعضهن على بعض في العلم والفضل.

٨- توضيح منزلة أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن- وردّ شبهات الحاقدين والمغرضين وأصحاب الأهواء والفرق الضالة، ولكن مع تجنب الإطالة والإسهاب في هذه الردود، وذلك حتى لا يخرج البحث عن مضمونه وعنوانه وهدفه.

٩- لا يوغل الباحث في سرد الأحداث التاريخية إلا بقدر ما يقتضيه البحث.

هذا وقد التزمت بالرجوع إلى المصدرين الرئيسين: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وذكر الآية الكريمة، والحديث الشريف كاملاً أحياناً، والاقتصار على الشاهد فقط في أحيان أخرى، ورجعت في بيان معنى الآيات ووجه الدلالة منها إلى كتب التفسير المعتبرة.

وتوضيحاً لعملي في التخريج، فإن الصحيح عندي هو ما ورد في الصحيحين أو أحدهما، وتوافرت فيه شروط القبول عند المحدِّثين، وسأعتمد في التصحيح والتضعيف لما كان خارج الصحيحين على أقوال الأئمة المختصين، وسأوثق الأحاديث التي أوردها في البحث بعزوها إلى مصادرها، وبيان درجتها، وأذكر في ذلك حكم بعض أهل العلم كالترمذي والحاكم وغيرهما إن خالفهما الشيخ الألباني، ولا يعني هذا ترجيح حكم أحدهما على الآخر، وإنما هو من باب الأمانة العلمية، كما رجعت في بيان معنى الأحاديث ووجه الدلالة إلى كتب شروح الحديث المعتمدة مع ذكر أقوال العلماء الثقات عند الحاجة، واعتمدت في تخريج الأمثال والأشعار والأقوال المأثورة من مصادرها الأصلية والتعريف بالبلدان والأماكن، هذا وقد تقتضي ضرورة البحث الحاجة لتكرار الآية أو الحديث أو الحادثة عن بعض أمهات المؤمنين حسب ما يقتضيه الموقف وعنوان المبحث الذي أكون بصدده وذلك لما يلي:

(أ) إمكانية الاستدلال بالحديث أو الرواية الواردة عن بعض أمهات المؤمنين في أكثر من مبحث، ومن ذلك على سبيل المثال، مشورة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- على النبي ﷺ يوم الحديبية، فهذا الموقف يمكن

إدراجه ضمن الحديث عن المنهج العقلي في الدعوة، وفي أسلوب الحكمة في الدعوة وغيره، وكذلك موقف أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- من رسول الله ﷺ عندما نزل عليه الوحي وتثبيتها له ﷺ بتلك الكلمات المشرقة المثبتة والمبشرة له عليه الصلاة والسلام، فهذا الموقف من أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- يمكن إدراجه ضمن الحديث عن المنهج العقلي في الدعوة والمنهج العاطفي في الدعوة وضمن أسلوب الحكمة وأسلوب الموعظة وأسلوب القدوة الحسنة في الدعوة، وهكذا في بعض الروايات والمواقف الواردة عن بعض أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

(ب) قلة المادة العلمية التخصصية في مجال الدعوة إلى الله الخاصة بأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- الأمر الذي يفرض الحاجة إلى استنباط الأسلوب أو الوسيلة من دعوة أمهات المؤمنين من خلال حديث واحد أو موقف واحد والذي قد لا يوجد غيره لبعض أمهات المؤمنين فتنحصر الحاجة للاستنباط منه دون غيره، وبالتالي يتكرر ورود الحديث أو الموقف لهن لهذا السبب.

يلتزم الباحث عند الحديث عن الباب الثاني الموسوم بمنهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله بذكر أمهات المؤمنين على حسب ترتيب دخولهن إلى البيت النبوي، بدءاً من أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- وختاماً بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-؛ وذلك لاتساع دائرة الحديث عن المناهج الدعوية وما يندرج تحتها من وسائل وأساليب في الدعوة لجميع أمهات المؤمنين وسهولة الاستنباط من المواقف الواردة في

ذلك، كما يتعذر تحقيق ذكرهن مرتباتٍ حسب دخولهن للبيت النبوي عند الحديث عن الباب الأول الموسوم بمنهج أمهات المؤمنين في خدمة مصادر الدعوة وذلك للتالي:

(أ) الالتزام بمعطيات معينة من خلال المباحث المدونة في ذلك والتي يتمثل بعضها في سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن في القرآن وفي السنة وفي العقيدة، إذ يتعلق بذلك ضرورة توافر الروايات التي تخدم هذا المجال المحدد في مثل هذه المباحث لدى جميع أمهات المؤمنين، الأمر الذي لا يتيسر وجوده لدى الكل من مثل أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة وأم المؤمنين جويرية وأم المؤمنين صفية -رضوان الله تعالى عنهن-، فبالتالي يتعين الخروج عن الالتزام بذكرهن مرتبات حسب دخولهن للبيت النبوي، وكذلك عدم ورودهن جميعاً ضمن مباحث هذا الباب.

(ب) تفاوت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في العلم وكثرة الرواية يستلزم البدء بمن تتوافر لها الروايات والأحاديث في المجال المراد الحديث عنه، وذلك مثل أم المؤمنين عائشة وأم سلمة وميمونة -رضوان الله تعالى عنهن- وهذا يُحَتِّم إغفال الحديث عمن لا يتوفر لهن ذلك.

رابعاً: موضوعات البحث:

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

أما المقدّمة فقد تضمنت التنبيه على أهمية الموضوع، والباعث لي على اختياره، والإشارة إلى الدراسات السابقة وعن منهج البحث وحدوده.

أما التمهيد فقد اشتمل على:

١- التعريف بمناهج الدعوة وأنواعها وأساليبها.

٢- بيان أهمية دراسة الصدر الأول من هذه الأمة.

٣- التعريف بأمهات المؤمنين وبيان فضلهن.

٤- الردّ على شبهات ألحقت بأمهات المؤمنين.

الباب الأول: منهج أمهات المؤمنين في خدمة مصادر الدعوة:

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: منهج أمهات المؤمنين في خدمة القرآن وعلومه.

ويحتوي على أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول : التعريف بالقرآن الكريم ومكانته.

المبحث الثاني : سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن.

المبحث الثالث : أوجه عنايتهن بالقرآن الكريم.

المبحث الرابع : نماذج من مروياتهن في خدمة القرآن الكريم.

الفصل الثاني: منهج أمهات المؤمنين في خدمة السنة وعلومها:

ويحتوي على أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول : التعريف بالسنة ومكانتها.

المبحث الثاني : سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن في السنة.

المبحث الثالث : جهودهن في العناية بالسنة المطهرة.

المبحث الرابع : نماذج من مروياتهن في خدمة السنة.

الفصل الثالث: منهج أمهات المؤمنين في خدمة العقيدة.

ويحتوي على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول : التعريف بالعقيدة وبيان مكانتها.

المبحث الثاني : اهتمامهن بالعقيدة تعلماً وتعليماً.

المبحث الثالث : نماذج من مروياتهن في العقيدة.

الباب الثاني: مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها عند أمهات المؤمنين:

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: المنهج العقلي وطرق استخدامه عند أمهات المؤمنين.

ويحتوي على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول : المنهج العقلي في الدعوة عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : المنهج العقلي في التربية عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

الفصل الثاني: المنهج العاطفي وطرق استخدامه عند أمهات المؤمنين.

ويحتوي على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول : المنهج العاطفي في الدعوة عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

الفصل الثالث: أساليب الدعوة عند أمهات المؤمنين.

ويحتوي على أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول : أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الرابع : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

الفصل الرابع: وسائل الدعوة عند أمهات المؤمنين.

ويحتوي على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول : الوسائل المعنوية في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : الوسائل الحسية في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

ولخصت في الخاتمة نتائج البحث.

وفي ختام هذه المقدمة أقول ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- في مفتتح كتابه القيم "مفتاح دار السعادة": (...وإنما أودع من المعاني والنفائس رهن متأمله ومطالعه، له غُنْمه وعلى مؤلفه غُرْمه، وله ثمرته ومنفعته، ولصاحبه كَلُّه ومشقته، مع تعرضه لطعن الطاعنين ولاعتراض المناقشين، وهذه بضاعته المُزْجاة وعقله المكدود يعرض على عقول العالمين، فلك أيها القارئ صفوه، ولمؤلفه كدَرُه، وهو الذي تجشم غراسه وتعبه ولك ثمره، وهاهو قد استُهدف لسهام الراشقين، وأستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين)[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (١/٤٧).

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا صواباً ولوجهه خالصاً، وأن ينفعني به يوم يقوم الأشهاد، ويجزي عني مشايخي ووالديَّ خير الجزاء، وصلّى الله وسلّم وبارك على إمام الدعاة وخاتم المرسلين نبيِّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربِّ العالمين.

خالد بن محمد الحافظ بن عبد المالك العلمي

لإحدى عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول

لعام ١٤٢٢هـ

التمهيد

ويشتمِل على:

أولاً : التعريف بمناهج الدعوة وأنواعها وأساليبها.

ثانياً : بيان أهمية دراسة الصدر الأوّل من هذه الأمّة.

ثالثاً : التعريف بأمهات المؤمنين وبيان فضلهنّ.

رابعاً : الردّ على شبهات أُلحِقَتْ بأمّهات المؤمنين.

أوّلاً: التعريف بمناهج الدعوة وأنواعها:

تعرض كثير من الباحثين لتعريف مناهج الدعوة وأنواعها وأساليبها خاصّةً من يُعنى بعلم الدعوة من علماء الدعوة المختصّين، والذي سيذكر في هذا المجال ليس بالجديد الذي لم أسبقْ إليه؛ ذلك لأنَّ هذه التعريفات ومعانيها الدالّة عليها أضحت بينة الدلالة والمفهوم، تبعاً لانتشار العلم والمعرفة وكثرة المختصين ووفرة الدراسات العلمية الدعوية التي وضعت معالم وأسساً في تقنين وإرساء المعنى المراد لكثير من المصطلحات الدعوية. فأقول وبالله التوفيق:

أ- التعريف بمناهج الدعوة وأنواعها:

نَهَجَ الطريقَ: وضَّحه، ونهجتُ الطريقَ: أبنْتُه وأوضحته. يقال: اعمل على ما نهجته لك. وفلان يستنهج سبيل فلان: أي يسلك مسلكه. والنهج: الطريق المستقيم[١].

والمناهج: جمع منهج، والمنهاج: الطريق الواضح. وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جعلْنَا مِنكمْ شِرعَةً ومِنْهاجاً﴾[٢]. والمنهج: الخطّة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما[٣].

الدعوة:

تعدَّدت المعاني اللغوية الواردة للفظ الدعوة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

النداء: يقال: دعا فلان فلاناً، إذا ناداه. ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته[٤].

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمَّد بن منظور الأفريقي المصري (ت:٧٧٠هـ) مادة (نهج) ٣٨٣/٢. ط. دار صادر، بيروت-لبنان.

(٢) سورة المائدة، آية (٤٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة (نهج) ٩٥٧/٢. ط. دار الفكر، بيروت-لبنان.

(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة (دعا) ٢٥٨/١٤.

والطلب: فيكون بمعنى الطلب إلى الطعام والدعوة إليه. فيقال: دعيت إلى وليمة فلان[1].

والابتهال والسؤال: يقال: دعوت الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير[2].

والدعوة إلى قضية: وذلك إذا أراد إثباتها بحق أم بباطل. فمن الدعوة إلى الباطل ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجنُ أَحبُّ إِليَّ مِمَّا يدعُونَنِي إِليه**﴾[3]. ومن الحق قوله تعالى: ﴿**لهُ دعوةُ الحَقِّ**﴾[4]. والاسم: الدعوة. والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ، ورجل داعية أدخلت الهاء للمبالغة[5].

ويقال: دعا إلى الشيء: حثّه على قصده. يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاةِ، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حَثّه على اعتقاده[6].

وعلى هذا المعنى اللغوي الواسع لكلمة «دعا» وما تصرف منها، فإنّ لفظ الداعية يشمل من يدعو إلى الهدى وإلى الضلال. و يؤكّد هذا قوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[7].

---

(١) المصباح المنير للفيومي، مادة (دعا) ٢٠٨/١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة يوسف، آية (٣٣).

(٤) سورة الرعد، آية (١٤).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٢٥٩/١٤.

(٦) المعجم الوسيط ٢٨٦/٢.

(٧) صحيح مسلم، حديث رقم (٢٦٧٤) ص١٠٧٤، كتاب العلم، باب: من سنّ سنةً حسنةً أو سيئةً ومن دعا إلى هدىً أو ضلالة. ط. بيت الأفكار الدولية. الرياض.

وتبعاً لذلك فإنّ كل داعٍ يوصف بما يدعو إليه في دعوته، إنْ خيراً فخير وإنْ شرّاً فشر. ويظهر جلياً أن المعاني الواردة لمادة «دعا» متعددة وكثيرة، وما ذكر إنما هو انتقاء للمعنى المراد المتعلّق بمصطلح الدعوة عند علماء الدعوة.

ب- أنواع المناهج الدعوية:

للمناهج الدعوية سمة خاصة عند أهل الدعوة المختصين. فهي الطرق والخطط الواضحة البينة الموضوعة على أساس راسخ متين مستمدّ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي ترسَّم خطاها، وسلك سبيلها، ونهج نهجها السلف الصالح. فنشروا دين الله في الأرض. وبلغوا دعوة الله للناس أجمعين. وبهذا يُعلَم أنّ الرسل وحدهم الذين يستطيعون أن ينيروا للناس طريقهم لأنهم يستمدون هذا النور من الوحي الإلهي. فهم يذكِّرون ويبصِّرون ويحاولون إنقاذ البشر وتحرير عقولهم من الأوحال والشهوات والشبهات، وأتباع الرسل من العلماء والمصلحين هم هداة الناس بعد الأنبياء والمرسلين لأنهم يستمدون هذا التأثير من الوحي الإلهي المتّصل برسل الله. والعقل وحده ليس كافياً للهداية والرشاد، إن لم يستنر بنور الوحي. وفي هذا يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل. ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم. ولا يُنالُ رضا اللهِ ألبتّه إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميَّز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. فأيّ ضرورةٍ وحاجةٍ فُرِضَتْ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"(١).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت (٧٥١هـ)، (٦٩/١) الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

وبين يدي ما ذُكـر يتضـح أنّ كـل منهـج مـن المنـاهج ليـس مصـدره الكتـاب والسنة، فهو مُعرَّض للخطأ والصواب، بـل هـو إلى الخطـأ أقـرب منـه إلى الصـواب إن لم يكن كلّه خطأ.

لذلك عمد المختصون في فقه الدعوة إلى ا لله إلى تقنـين هـذه المنـاهج الدعويـة. مصدرهم في ذلك الكتاب والسنة. فجاءت المناهج الدعويـة المستمدّة مـن الكتـاب والسّنة على النحو التالي:

١- المنهج الفطري:

الدعوة إلى ا لله بالمنهج الفطري تكون مع من لم تتلوَّث فطرته بمبـدأ هـابط أو مذهب باطل أو بفلسفات زائفة. فهـي المنظـار الـذي تبـدو منـه حقـائق الأشـياء في غير لبس ولا خفاء.

(فالنظرة الفطرية هي سهم نافذ من سهام الحق، يمزق بنصله أغلفة البـاطل الـتي ترين على ظواهر الأشياء أو ظواهر القلوب)[١].

ومن الحقائق الثابتةِ أنّ كلّ مولودٍ يولد على الفطرة. وهذا ما صرّح به المصطفى ﷺ بقوله: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانـه ويمجسـانه، كما تنتج[٢] البهيمة بهيمة جمعاء[٣]، هل تحسون[٤] فيها مـن جدعـاء[٥]). ثـم يقـول أبـو هريـرة: واقـرؤوا إن شـئتم: **﴿فطـرةَ ا للهِ التِي فطَـرَ النـاسَ عليهَـا لا تبديـلَ**

---

(١) تذكرة الدعاة، للبهي الخولي، ص١٨٨، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م. ط. دار القلم، بيروت-لبنان.

(٢) نتجت الناقة ونتجت السخلة: أي ولدت. القاموس المنير للفيومي ٢٥٩/٢. مادة (نتج).

(٣) جمعاء: أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثـير ٢٩٦/١، مادة (جمع)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

(٤) أصل (الإحساس) الإبصار، ومنه قوله تعالى: **﴿هلْ تُحسُّ منهم منْ أحدٍ﴾** أي: هـل تـرى، والمعنـى: هل ترون. انظر: المصباح المنير للفيومي مادة (حسس) ١٤٧/١.

(٥) (جدعاء) أي مقطوعة الأطراف. والمعنى: لولا تعرض الناس لهـا لبقيـت كمـا ولـدت سـليمة. انظـر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٤٧/١.

خلقِ الله﴾[1][2].

والفِطرة هي الخِلْقَةُ التي خُلق عليها المولود في رحم أمه[3]. والمعنى: أنّ المولود يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين. فلو تُرِكَ عليها لاستمرّ على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها. وإنما يعدل عنها من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد. وفي هذا يقول النوويّ -رحمه الله-: "معناه أنّ كلّ مولود يولَد متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمرّ على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا. وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا. وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي: يحكم له بحكمهما في الدنيا. فإن بلغ استمرّ عليه حكم الكفر ودينهما. فإن كانت سبقت له سعادة أسلم وإلا مات على كفره"[4].

وقد سلك القرآن هذا المنهج في دعوة بعض الناس. فدلّهم وأرشدهم ولفت أنظارهم إلى ما هو مشاهد ومحسوس. قال تعالى: ﴿**وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسِكمْ أفلا تُبْصِرون**﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿**أفَلا ينظرُونَ إلى الإبلِ كيفَ خُلقتْ، وإلى السماءِ كيفَ رُفعتْ، وإلى الجبالِ كيفَ نُصبتْ، وإلى الأرضِ كيفَ سُطحتْ**﴾[6].

٢- المنهج العاطفي:

لقد عُني القرآن الكريم والسنّة المطهرة عناية بالغة بخطاب النفوس على أساس المنهج العاطفي وتحريك المشاعر والأحاسيس الكامنة في أعماقها دفعاً إلى الخير

---

(١) سورة الروم، آية (٣٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (١٣٥٨)، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟. وصحيح مسلم، حديث رقم (٢٦٥٨) ص١٠٦٦. كتاب القدر. باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة. ط. بيت الأفكار الدولية. الرياض.

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (فطر) ١١٤/٢، ط. دار الجيل، بيروت- لبنان.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٨/١٦، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

(٥) سورة الذاريات، الآيات (٢٠-٢١).

(٦) سورة الغاشية، الآيات (١٧-٢٠).

والعمل به وإبعاداً عن الشر والوقوع فيه.

فالعاطفة: هي ذلك الشيء الموجود في داخل النفس الإنسانية والتي تظهر واضحة جلية إذا عرض للإنسان موقف ما أثار فيه هذه النزعة.

لذلك نجد بعض الكتاب يعرِّف العواطف بقوله: "العواطف: هي الانفعالات النفسية المنظمة الموجهة إلى مؤثر خاص، وتنشأ عن الوجدان الفردي أو الاجتماعي، فتكون عواطف فردية أو اجتماعية"[(١)].

فالمنهج العاطفي: هو المنهج الذي يعتمد على تحريك الشعور والإحساس وعلى التأثير والانفعال وإثارة كوامن الحسّ وخبايا النفس من غضب ورضى ورحمة وشفقة وغلظة ولين وسرور وأحزان. لذلك يتطلّب من الداعية أن يعرف طبيعة الشخص الذي يدعوه، وأن يعرف أمثل أساليب الترغيب والترهيب. ويقصد بالترغيب: كلّ ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. ويقصد بالترهيب: كلّ ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته، والترهيب في التخويف من غضب الله وأليم عقابه"[(٢)].

لذلك نلاحظ أنّه "إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه بالترهيب في لواحقه أو سوابقه أو أقرانه وبالعكس. وكذلك الترجية مع الخوف وما يرجع إلى هذا المعنى مثله. ومنه ذكر أهل الجنة ويقارنه ذكر أهل النار وبالعكس؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجيةً، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً. فهو راجع إلى الترجية والتخويف"[(٣)].

---

(١) الأصول الفنية للأدب، لعبد الحميد حسن ص٦٨، الطبعة الثانية.

(٢) من محاضرات الدكتور: محمَّد بن عبد العليم العدوي في مادة مناهج الدعوة، ١٤٠٢هـ.

(٣) الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، ٢١٠/٣، تعليق محمَّد حسنين مخلوف، ط. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت–لبنان.

٣- المنهج العقلي:

العقل: ضد الحمق. والجمع عقول. وجمع عاقل: عقلاء. وعقل الشيء فهمه، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن. ورجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه[١]. وهو: القوة الحافظة المتهيئة لقبول العلم[٢].

ومن المعلوم لدى الناس جميعاً أن العقل هو مناط الاقتناع في الإنسان، ولهذا تسقط التكاليف والمسؤوليات عن غير العقلاء، وهذا أمر متفق عليه، لا يختلف فيه اثنان. ومن أجل هذا كان لابد من المنهج العقلي لإقناع الناس بالدعوة الجديدة التي يجهلونها، أو يجهلون كثيراً من مبادئها وتعاليمهما.

(والعقل الذي يخاطبه الإسلام، هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر، ويحسن الإدراك والدراية)[٣].

والعقل هو تشريف وتكليف لبني الإنسان ميزه الله به على سائر المخلوقات، ورفع القرآن الكريم والسنّة المطهرة من شأنه. قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزلَ الله قالوا بل نتّبعُ ما ألفينا عليه آباءَنا أوَلَوْ كان آباؤُهم لا يعقِلونَ شيئاً ولا يهتَدُونَ**﴾[٤].

وفي توضيح المقصود بالمنهج العقلي في الدعوة قيل: (إنه هو المنهج الذي يعتمد على مخاطبة العقل والتفكير بهدف الإقناع وإزالة الشبهات)[٥].

وهذا سيد الخلق وإمام الدعاة إلى الله نبينا محمَّد ﷺ يسجّل له القرآن الكريم

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (عقل) ٤٥٨/١١.

(٢) انظر: التعريفات، لعلي بن محمَّد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) ص١٩٧. تحقيق د. عبد الرحمن عميرة. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. ط. عالم الكتب، بيروت-لبنان.

(٣) التفكير فريضة إسلامية، لعباس محمود العقاد، ص١٧، ط. المكتبة العصرية، بيروت-لبنان.

(٤) سورة البقرة، آية (١٧٠).

(٥) من محاضرات في مادة مناهج الدعوة للدكتور محمَّد بن عبد العليم العدوي، ١٤٠٢هـ.

مشاهد من دعوته بالمنهج العقلي. فقد واجه عليه الصلاة والسلام انحرافاً في العقيدة، فعلّمه الله كيف يخاطب المشركين ويثبت لهم وحدانية الله في الخلق والرزق والعبادة والتدبير وأن لهذا الكون إلهاً واحداً وربّاً واحداً هو وحده المستحقّ للعبادة. قال تعالى: **﴿قل منْ يرزقكم من السماءِ والأرضِ أمَّنْ يملكُ السمعَ والأبصارَ ومنْ يخرجُ الحيَّ منَ الميتِ ويخرجُ الميتَ منَ الحيِّ ومنْ يدبرُ الأمرَ فسيقولونَ الله فَقُلْ أفلا تتقُونَ﴾**[1].

(فالعقل دواء القلوب ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب)[2].

لهذا حرص الإسلام على تبني المنهج العقلي، والاهتمام به منهجاً مهماً في الدعوة إلى الله، لينشأ المسلمون وهم يحملون عقولاً واعيةً قادرةً على البحث والتأمل، ويذللون ما يواجههم من الصعوبات.

٤- المنهج العلمي:

لقد كرم الإسلامُ العلمَ وأهله في كثير من آيات القرآن الكريم والسنّة المطهرة. وهل أدلُّ على تشريف القرآن الكريم للعلم من هذه الآية التي جعلت العلم من صفاته جلّ وعلا. قال تعالى: **﴿وإنّك لتلقّى القرآنَ من لدُنْ حكيمٍ عليمٍ﴾**[3].

فالمنهج العلمي يعتبر من أهم مناهج الدعوة خاصة في هذا العصر الذي تقدم فيه العلم وعلا شأنه وانتشر بين الناس، وليحصل كل منهم نصيبه منه. وهذا المنهج يستخدم مع أناس حصلوا على جانب من العلم والمعرفة، لأنه يعتمد على النظر والملاحظة والتجربة، وبذلك تتّسم الدعوة بالصبغة العلمية التجريبية، وتسير على

---

(١) سورة يونس، آية (٣١).

(٢) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمَّد بن حبيب البصري الماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠هـ، ص١٩، تحقيق: مصطفى السقا. ط. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٣) سورة النمل، آية (٧).

النهج العلمي الذي يتناسب وحال المخاطبين[1].

لقد تضمّن القرآن حقائق علمية ثابتة لا يزال العلم الحديث يسعى وراء اكتشافها ومعرفة كنهها. قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[2]. وحقائق القرآن تمتاز بالصدق والثبات، فالعلم مهما تقدم خاضع لحقائق القرآن الثابتة، لأن العلم لا تتأكد نظرياته إلا بعد طول عناء وتجربة واستقراء.

والسنّة المطهرة حافلة باستخدامه ﷺ للمنهج العلمي في الدعوة، فقد أسلم البعض لمجرد سماعه من النبي ﷺ كلاماً أو جواباً عن سؤال علمي، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أوّل أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرني بهن آنفاً جبريل، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة[3] كبد حوت. وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها»، قال: أشهد أنك رسول الله...)[4]، الحديث.

وهكذا فإن الدعوة إلى الله من طريق المنهج العلمي لا تقتصر على علم دون علم، بل كلّ ما يدخل في مجال العلم إذا كان مما يفهمه المدعوون فهو من الدعوة

---

(١) من محاضرات في مادة مناهج الدعوة للدكتور محمّد بن عبد العليم العدوي، ١٤٠٢هـ.

(٢) سورة فصلت، آية (٥٣).

(٣) الزيادة: هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة. فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢٧٣/٧.

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٣٢٩) ص٦٩٩، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾.

بالمنهج العلمي الذي ينبغي علـى الدعـاة إلى ا لله العلـم والعمـل بـه في مجـال الدعـوة إلى ا لله.

٥- منهج القوة:

من الضروري أن تكون للدين قوة تحميـه، وسـياج يصونـه، ولـولا هـذه القـوة وهذا السياج ما بقيت كلمة ا لله ولذهبت معالم الهداية للناس. قال تعـالى: ﴿**ولـولا دفع ا للهِ الناسَ بعضهمْ ببعضٍ لهدمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم ا للهِ كثيراً ولينصرنَّ ا للهُ من ينصره إنّ ا للهَ لقويٌّ عزيزٌ**﴾[١].

«والإسلام مع توجيه أتباعه إلى الأخذ بالقوة فإنـه قـد زودهـم بعناصرهـا حتـى يبقى كيانهم مصوناً وكي يستطيعوا أن يقوموا برسالتهم الإنسانية الـتي انتدبهـم ا لله لهـا ليكونـوا جديريـن بشـرف الوراثـة للرسـول الكريـم، وأحقـاء بالاسـتخلاف في الأرض وتبليغ كلمة ا لله وهدايته إلى الناس»[٢].

والجهر بالحق من أعظم الفضائل لأنــه لا قيـام للبـاطل إلا في غفلـة أهـل الحـق، فما دام الدعاة إلى ا لله يجهرون بالحق، ويدعون إليه ويعملـون علـى نشـره، فسـوف يتوارى الباطل وينكمش، ولهذا كان الجهر بالحق من أهـم الواجبـات الدعويـة. قـال تعالى: ﴿**الذينَ يبلّغونَ رسالاتِ ا للهِ ويخشونَهُ ولا يخشـونَ أحـداً إلا ا للهَ وكفـى با للهِ حسيباً**﴾[٣].

وإنّ القوة في الإسلام ليس معناها الحرب والقتل والضرب، فإن القوة قد تكـون بكلمة قوية ونظرة حادة وخطبة مؤثرة، وموقف صلب، وقوة في الحجة، وروعـة في البيان وغير ذلك. وحتى الحرب التي هي آخر الدواء، فهي ليست هدفاً في ذاتها، بل هي علاج لمـا يسـتعصي علـى الدعـوة. فالقـاعدة في الإسـلام: السـلام. أمـا القتـال

---

(١) سورة الحج، آية (٤٠).

(٢) عناصر القوة في الإسلام للشيخ السيد سابق، ص٢٢٩، ط. دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

(٣) سورة الأحزاب، آية (٣٩).

والحرب فهما خروج عن القـاعدة للضـرورة مـن دفـاعٍ عـن النفـس، وردٍ للعـدوان وصدٍ للظلم، ونصرة للمظلوم[1]، قال تعالى: **﴿وما لكـم لا تقـاتلونَ في سـبيلِ ا للهِ والمستضعفينَ من الرجالِ والنساءِ والولدانِ الذينَ يقولونَ ربَّنا أخرجْنـا مـن هـذه القريةِ الظالمِ أهلُها واجعلْ لنا منْ لدُنْكَ ولياً واجعَلْ لنا منْ لَدُنْكَ نصيراً﴾**[2].

إن لمنهج القوة في الإسلام حدوداً وضوابط يجب الالتزام بها، فهـذا رسـول ا لله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سريةٍ أوصاه بقوله: (اغزوا باسم ا لله، في سـبيل ا لله، قاتلوا من كفر بـا لله، اغـزوا ولا تغلـوا ولا تغـدروا ولا تمثلـوا ولا تقتلـوا وليـداً...) الحديث[3].

وبهذا يظهر منهج القوة في الإسلام عالياً مشرفاً لا تشوبه شائبة ولا تقـدح فيـه شبهة ولا يعتريه وهن ولا يوسم بالبغي والظلم.

((فقد حرم الإسلام قتل النساء والصبيـان والمرضـى والشـيوخ والرهبـان والعبـاد والأجراء إذا لم يقاتلوا المسلمين))[4].

فعن عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قال: (وُجِـدتْ امـرأة مقتولـة في بعـض مغازي رسول ا لله ﷺ، فنهى رسول ا لله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)[5].

وهكذا تكون القوة في منهج الدعوة محمودة ونافعة يعيش الناس في ظلها آمنين.

ثانياً: التعريف بأساليب الدعوة وأنواعها:

الأساليب في اللغة: جمع أسلوب، وهو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فـلان في كذا أي طريقته ومذهبه. وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته[6].

---

(١) من محاضرات في مادة مناهج الدعوة، للدكتور محمَّد بن عبد العليم العدوي.

(٢) سورة النساء، آية (٧٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٧٣١) ص٧٢٠، كتـاب: الجهاد والسـير، بـاب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهمْ بآداب الغزو وغيرها.

(٤) المغني لابن قدامة ٥٤١/١٠، كتاب الجهاد. ط. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٠١٥) ص٦٣٤، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب.

(٦) المعجم الوسيط، مادة (سلب) ٤٤١/١.

يقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه[1].

وتفسيراً لهذه الكلمة وربطها بعلم الدعوة يكون معناها هو: الأداء القولي الذي يستخدمه الداعي في دعوته، سواء ظهرت فيه حكمة القول أو غلب عليه جانب الموعظة والإرشاد أو أدرج فيه أسلوب الجدل والمناظرة إلى غير ذلك مما هو معلوم عند أهل هذا العلم.

وبهذا يُعلم أن حصر الأساليب الدعوية وادعاء استيفائها تحكُّم لا وجه له، وذلك نظراً لتجدد وجودها بحسب الحالة الدعوية الحادثة، والقرآن العظيم الذي هو منبع الحكمة والعلم أشار إلى كثير من هذه الأساليب الدعوية، وسأتناول الأساليب التي نصَّ عليها القرآن الكريم مكتفياً بالتعريف اللغوي والاصطلاحي لهذه الأساليب، تاركاً التفصيل في أهميتها وخصائصها وأنواعها وغير ذلك لما سيرد من أبواب وفصول تُعنى بذلك في مكانها.

١- أسلوب الحكمة:

قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة...**﴾[2].

الحكمة في اللغة تطلق على عدة معان، فمنها:

(العدل، والعلم، والحلم، والمنع)[3] وغير ذلك.

وعرفها العلماء في الاصطلاح بتعريفات كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي السابق فمن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر قولهم:

هي: إصابة الحق بالعلم والعقل[4].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (سلب) ٤٧٣/١.

(٢) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (حكم) ١٤٣/١٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ص١٢٧، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها[1].

وقيل: هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[2].

٢- أسلوب الموعظة الحسنة:

قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة...**﴾[3].

الموعظة في اللغة: مشتقة من وعظه يعظه وعظاً: وعظَه ونصحه وذكره بالعواقب وأمره بالطاعة ووصّاه بها[4].

وقيل: الوعظ زجر مقترن بتخويف، وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[5].

والحسنة: يعبّر بها عن كلّ ما يسر من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادّها[6]. لكن إذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها، انصرفت إلى الحسنة. قال تعالى: ﴿**فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجعِ**﴾[7].

والموعظة الحسنة في الاصطلاح:

هي: القول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذّبة إيماناً وهدايةً[8].

٣- أسلوب المجادلة:

الجدل في اللغة: هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها.

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي (ت: ٣٢٨هـ) ٣٩٣/١، ط. مطبعة السعادة.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (٤٩٩/٢)، الطبعة الأولى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (وعظ) ٤٦٦/٧، ط. دار صادر.

(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص٥٢٧.

(٦) المصدر السابق، ص١١٨.

(٧) سورة النساء، آية (٣٤).

(٨) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ (ص٧١)، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان.

وجادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدِلٌ، ومجدَّل ومجدال: شديد الجدل. يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً: أي غلبته.

والاسم الجدَل: وهو شدة الخصومة[(١)].

والجدل: مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة[(٢)].

وفي الاصطلاح تعريفات عدة منها:

قولهم هو: «ما استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها»[(٣)].

وقيل: هو (المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)[(٤)].

وقيل: هو (مقابلة الحجة بالحجة)[(٥)].

ومنه المحمود وهو المأمور به في قوله تعالى: ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[(٦)].

ومنه المذموم المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿**وجادَلوا بالباطل ليدحضوا به الحقَّ...**﴾[(٧)].

٤- أسلوب القدوة الحسنة:

القُدوة والقِدوة في اللغة: الأسوة.

يقال: فلان قدوة يقتدى به[(٨)].

والقِدة: المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل[(٩)].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (جدل) ١١/١٠٥.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (جدل) ١/١١١، ط.

(٣) المصباح المنير للفيومي، مادة (جدل) ١/١٠٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٨٩، ط. دار المعرفة، بيروت-لبنان.

(٥) لسان العرب لابن منظور ١١/١٠٥.

(٦) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٧) سورة غافر، آية (٥).

(٨) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مادة (قدو) ٥/٦٦، ط. دار الجيل، بيروت-لبنان.

(٩) المعجم الوسيط، مادة (قدو) ٢/٧٢٧.

وفي تقييدها بالحسنة إخراج للقدوة السيئة. قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أسوة حسنةٌ**﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة**﴾[2].

وكما جاء في الحديث: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء)[3].

وفي توضيح معنى القدوة قال صاحب المفردات -رحمه الله-: «القِدْوة والقُدْوة هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضارّاً. لهذا قال تعالى: ﴿**لقدْ كانَ لكمْ في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسنةٌ**﴾ فوصفها بالحسنة»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٢١).

(٢) سورة الممتحنة، آية (٤-٦).

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (١٠١٧) (ص١٠٧٤)، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٢٨.

ثانياً: بيان أهمية دراسة الصدر الأول من هذه الأمة:

إن لدعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- معالم يجب إبرازها، ومناهج يحسن الاستفادة منها، وتاريخ ينبغي شرحه ودراسته لتتضح المعالم الهامة التي تميزنَ بها في دعوتهن.

وتعظم الفائدة من دراسة تاريخهن من نواحٍ متعددة وأهداف سامية، تكون نبراساً ومشعلاً للسائرين في طريق الدعوة إلى الله، كما تشتمل على الردِّ المفحم، والمقنع لكل من أراد أو حاول الطعن فيهن أو في بعض ظروف حياتهن.

لذلك كله تأكدت أهمية هذه الدراسة للصدر الأول من الأمة، وأعني بها الدراسة التاريخية للدعوة في عهد النبي ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين والصدر الأول من العهد الأموي، لأن هذه هي العهود الثلاثة التي ضمَّت الفترة التي عاشت فيها أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

العهد الأول: الدعوة في العهدين المكي والمدني :

(أ) العهد المكي :

أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من أمر النبوة: الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[1]. ثم حبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء[2].

ولما أراد الله تعالى رحمة العباد بإرساله ﷺ إلى العالمين، بدأه الوحي بنزول جبريل عليه السلام في الغار بصدر سورة العلق[3] وكان له من العمر أربعون سنة.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣) ص١١، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) حراء: بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل، وفيه أتاه جبرائيل عليه السلام. (معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٣/٢، ط. دار صادر ودار بيروت - لبنان. وانظر: سفر السعادة للفيروزآبادي ص٤، ونصه: "ولما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والانفراد، فكان يختلي في جبل حراء، وهو على ثلاثة أميال من الكعبة، وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلث في بعض المواضع وفي بعضها أقل". ط. إدارة الشئون الدينية في دولة قطر).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم (٣) ص١١، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

وحدث هذا في رمضان[1].

وهكذا بدأت الدعوة ولكن بصفة سرية، لأن مكة كانت مركـز ديـن العـرب، وكانت الأصنام محيطة بالكعبة، فالأمر يحتاج إلى عزيمة قويـة وحكمـة بالغـة لنجـاح الدعوة. وإن كانت المنة والفضل لله وحده في نجـاح الدعـوة، ولكـن هـذه أسـباب وأسس وضعت لتكون نبراساً لكل السائرين في سلك الدعوة إلى الله تعالى.

ومرت ثلاث سنين وبلغ عدد المسلمين أربعين رجلاً والدعوة لم تزل سرية[2].

ثم دخل الناس في دين الله حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس ونـزل قوله تعالى: ﴿فاصدعْ بما تُؤمرُ وأَعرضْ عَنِ المشرِكينَ﴾[3].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (لما نزلت ﴿وأَنْـذرْ عشـيرَتَك الأقربـينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عـدي -لبطـون قريـش- حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكـم أكنتم مُصدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي

---

(١) انظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير ص٩٦، الطبعة السابعة: ١٤١٦هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
وانظر: سيرة ابن هشام ١/٢٧، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان. وانظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله ١/٢٧، ونصه: "وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وبه جزم ابن إسحاق، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر. وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان".
وانظر: دعوة الرسل، للشيخ محمَّد العدوي ص٣٧٠، ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/٢٧٤، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ١/٨٦، الطبعة الثامنة: ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
والرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص٨٦-٨٩، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، مكة المكرمة.

(٣) سورة الحجر، الآية: (٩٤).

عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يدا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ﴾[1].

وكان ردُّ الفعل من قريش أمام جهره بالدعوة أن أدبروا عنه وتنكروا لدعوته وبدأت مرحلة جديدة في الدعوة هي مرحلة الابتلاء والصبر، فلقي عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين من عداوة قريش الشيء الكثير، وازداد الاضطهاد والأذى حتى ضاقت مكة على أهل الإيمان، عند ذلك أمَر ﷺ من استطاع من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن[2].

و لم يهن ذلك في عزمه ﷺ بل استمرَّ في دعوته وعرضه الإسلام على القبائل والأفراد مستفيداً من فترة موسم الحج، وتمَّ بالفعل ما أراد الله له من استجابة بعض النفر من المدينة لدعوته ﷺ، وهكذا تمت بيعة العقبة الأولى ثم الثانية[3].

أثر أمهات المؤمنين في الدعوة خلال العهد المكي:

لقد ظهر أثر أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في نصرة الدعوة إبان العهد المكي ممثلاً في **السيدة خديجة** -رضي الله عنها-، والتي اختصَّها الله بشرف صحبتها للنبي ﷺ من قبل البعثة وبعدها، حيث تحملت وبذلت في سبيل ذلك الغالي والرخيص ابتغاء مرضاة الله أولاً ورضىً لزوجها رسول الله ﷺ ثانياً، وقد تمثَّل هذا الأثر الطيب فيما يلي:

١- المؤازرة التامة والكاملة له ﷺ قبل بعثته، حيث كانت نِعم الزوجة لزوجها في الطاعة والبر والإحسان.

٢- الإعانة التامة بالنفس والمال له ﷺ حيث كانت توفر له كلّ ما يحتاج إليه في

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٧٠)، ص١٠٢٥، كتاب التفسير، باب: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٤٣-٣٥٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٣٩، ٦٣-٦٤).

تعبده وخلوته في غار حراء.

٣- التصديق والتسليم له لما بدأه الله به من الوحي والنور تمثل ذلك في قولها: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم..."الحديث[١].

٤- الثبات والثقة اللذان هيَّأتهما له -رضي الله عنها- حين أخذته إلى ورقة بن نوفل لتوضيح ما رآه وسمعه في الغار.

٥- الاستجابة للدعوة حيث بدأت بنفسها[٢] ثم بمن حولها من أهل بيتها.

٦- الوقوف التام والكامل معه ﷺ في طريق الدعوة مع كل ما يعترض هذا الطريق من عقبات ونكبات خاصة بعد الجهر بالدعوة.

٧- تحمل الأذى والصبر في طريق الدعوة إلى الله ابتغاء مرضاة الله أولاً ثم حباً واتباعاً وانقياداً له ﷺ، حيث دخلت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- معه في شعب أبي طالب وقت المحاصرة والمعاهدة المشؤومة التي دامت ثلاث سنوات[٣].

٨- التخفيف والتهوين عليه ﷺ مما يلقاه من قومه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق محمداً ﷺ فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه أو تكذيب له إلا فرج الله عنه بها، تثبته وتصدقه وتخفف عنه، وتهون عليه ما يلقى من قومه[٤].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١٢)، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) قال ابن عبد البر: "هي أول من آمن بالله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ. وهذا قول قتادة والزهري وعبد الله بن محمَّد ابن عقيل وابن إسحاق وجماعة، قالوا: خديجة أول من آمن بالله عزَّ وجلَّ من الرجال والنساء، ولم يستثنوا أحداً". الاستيعاب لابن عبد البر ١٨٢٠/٤، ط. مطبعة نهضة، مصر - القاهرة.

(٣) قال ابن إسحاق: "وقد كان أبو جهل ابن هشام -فيما يذكرون- لقي حكيم بن حزام بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب". سيرة ابن هشام (٣٧٥/١، ٣٧٦).

(٤) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٠/٢).

(ب) العهد المدني :

١- الخطوات الأولى لبناء المجتمع المسلم في المدينة :

لما اشتدَّ الأمر على رسول الله ﷺ بموت عمه أبي طالب، نالت منه قريش ما لم تكن تناله منه في حياة عمه، ثم ازداد الأمر بموت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- بعده في العام نفسه[١].

بقي عليه الصلاة والسلام مع من تبعه من المسلمين على هذه الحالة من المعاناة والصبر على الأذى في الدعوة حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة وهيَّأ لهم المكان الذي تقوم فيه دولة الإسلام الأولى[٢]. وفعلاً تمت الهجرة وبدأت في المدينة دولة الإسلام الأولى والتي هي ثمرة من ثمرات الهجرة المباركة، حيث كان لها أعظم الأثر في بدء حياة جديدة من النظام والاستقرار وتبع ذلك الأثر الطيب في انتشار الإسلام توطيد أركانه، وأخذ المصطفى عليه الصلاة والسلام في وضع الخطوات الأولى في بناء المجتمع المسلم.

هذا ولقد تحدثت كتب السير والمغازي والتاريخ بتفاصيل الأعمال التي قام بها ﷺ في العهد المدني والتي تمثلت في إرسال الرسل والبعثات لتبليغ دين الله في الأرض[٣]، واستقبال الوفود[٤] إلى تجهيز الجيوش ومراسلة الزعماء والحكام[٥]

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٦). والروض الأنف للسهيلي (٤/١٤) ونصه: "قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهُلك خديجة، وكانت وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبهُلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومَنَعَةً وناصراً على قومه. وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبوطالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً".

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٧٦، ٩٧، ١٠٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/١٥٨-١٨٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤/٢٢١-٢٥٨). ومختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ص٢٣٨-٢٤٤، ط. جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية.

(٥) انظر: الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص١١٤-١١٨. والرحيق المختوم للمباركفوري ص٣٩٢-٤٠٥.

والاهتمام بالعلم والتعليم وتقرير الأحكام الشرعية وتتابعها. وهكذا حتى تمَّ فتح مكة[1] وتجهيزه ﷺ جيش أسامة بن زيد -رضي الله عنه- وتوجيهه إلى أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين[2].

وهكذا حددت معالم العهد المدني بتسييره عليه الصلاة والسلام لموكب الدعوة الإسلامية حتى لقي ربه ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى، وذلك بعد أن بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

٢- أثر أمهات المؤمنين في الدعوة خلال العهد المدني :

اتّسم دور أمهات المؤمنين -رضوان الله عنهن- في العهد المدني بالتلقي والحفظ للسنة المطهرة، القولية منها والفعلية لحياته الخاصة -عليه الصلاة والسلام- تنفيذاً لقوله تعالى: **﴿واذْكُرْنَ ما يُتْلى في بُيوتِكُنَّ منْ آياتِ اللهِ والحكمةِ﴾**[3].

وتمثل ذلك الأثر البارز والمهم في النقاط التالية:

١- حفظهن واعتناؤهن بالسنة القولية والفعلية لحياته ﷺ، لاسيما ما كان منه داخل حجراته مع أهله.

٢- بثّهن العلم الشرعي لكل ما تعلمنه منه ﷺ حيث كن خير مبلغ لذلك الميراث النبوي العظيم للأمة.

٣- كنَّ خير وسيط بينه ﷺ وبين المؤمنات السائلات عن أمور دينهن، خاصة في توضيح بعض الأحكام التفصيلية الخاصة بالنساء[4].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/١٤-٣٧). والفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص١٢٧. ومختصر السيرة للشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ص١٩٤.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢٧٨، ٣١٩). ومختصر سيرة الرسول للشيخ محمَّد بن عبدالوهاب ص٢٤٧، والبلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان. والداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٤٢٤).

(٣) سورة الأحزاب، آية: (٣٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣١٤) (ص٨٢) كتاب الحيض، باب: (دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل...).

٤- كُنَّ قدوة حسنةً ومثلاً أعلى للمرأة المسلمة في طريق الخير والدعوة إلى الله وذلك لِمَا رأينه من عفتهن وحيائهن وحسن تبعلهن له ﷺ.

٥- مشورته لهن عليه الصلاة السلام في بعض الأمور المهمة يدل على عِظَم العمل الذي قمن به -رضوان الله تعالى عنهن-[1].

٦- نزول كثير من الآيات القرآنية والأحكام الشرعية في شأنهن، ولا يخفى أثر ذلك وفائدته على الأمة وذلك مثل نزول آية التيمم التي كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- سبباً فيها[2].

٧- ظهور فضلهن واصطفاء الله لهن حين اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا ومتاعها الزائل، وأثر ذلك واضح في التأييد والنصرة والثبات معه ﷺ على طريق الإيمان والعمل الصالح[3].

٨- ظهور محبتهن لله ورسوله وتقديمهما على كلّ حبيب وقريب[4] له أثره البالغ في ضرب الأمثلة للمرأة المسلمة في طريق الدعوة والهداية، من ذلك موقف

---

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢) ص٥٧١-٥٧٤، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، وفيه مشورة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- على رسول الله ﷺ وما كتب الله فيها من الخير على المسلمين.

(٢) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٥٨٣) ص٩٥٩، كتاب التفسير، باب: ﴿**وإن كنتم مرضى او على سفر...**﴾ الآية.

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٧٨٥، ٤٧٨٦) ص٥١٩، ٥٢٠، كتاب التفسير، باب: ﴿**قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها...**﴾ الآية. وباب: ﴿**وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾.

(٤) انظر: كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق محمَّد إبراهيم الدسوقي ص٧٩ ونصه: "أن النبي ﷺ سبى جويرية بنت الحارث، فجاء أبوها إلى النبي ﷺ فقال: إن ابنتي لا يُسبى مثلها وأنا أكرم من ذلك فخلِّ سبيلها؟ فقال: أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنا؟ قال: بلى وأديت ما عليك، قال: فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيَّرك فلا تفضحينا! قالت: فإني قد اخترت =

أم المؤمنين سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- حين وهبت ليلتها لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- رغبة في البقاء تحت اسم أمهات المؤمنين[1].

٩- ظهور بركتهن وفضلهن على أقوامهن، وهذا له أثره الطيب في قبول الدعوة واستجابة الناس لها، اتضح ذلك عند بنائه ﷺ بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- في غزوة بني المصطلق، فأُعتق بسببها جميع الأسرى حُرمةً لمصاهرته ﷺ لهم[2].

= رسول الله ﷺ قال: قد والله فضحتنا". وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١١٨/٨. وقال ابن حجر في الإصابة: وسنده صحيح. الإصابة ٥٦٦/٧، ط. دار نهضة مصر - القاهرة.

(١) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٢٦٥/٨، ٢٦٦). وانظر: الطبقات لابن سعد (٥٣/٨-٥٤) ط. ١٤٠٥هـ دار بيروت للطباعة والنشر.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣٣٩/٣، ٣٤٠). والإصابة لابن حجر (٥٦٥/٧). والاستيعاب لابن عبدالبر (١٨٠٤/٤-١٨٠٥). وطبقات ابن سعد (١١٧/٨).

العهد الثاني: الدعوة زمن الخلفاء الراشدين

بعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حمل صحابته -رضوان الله تعالى عليهم من بعده أمانة الدعوة وتبليغها وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، حيث امتدت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً من وفاته ﷺ عام ١٠هـ إلى مقتل عليٍّ -رضي الله عنه- عام ٤٠هـ. فقد استخلف الصديق -رضي الله عنه- بعد رسول الله ﷺ، وكانت مدته في الخلافة عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، حيث توفي في ثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة.

وتولَّى من بعده عمر الفاروق -رضي الله عنه- واستمرَّت خلافته عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، وتوفي وله ثلاث وستون سنة.

واستُخلف من بعده عثمان بن عفان -رضي الله عنه- واستمرَّت خلافتُه اثني عشر عاماً كاملةً غير عشرة أيام.

ووَلِيَ الخلافة من بعده علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام[1].

ونظراً لأهمية دراسة هذه الفترة من تاريخ الأمة حيث كانت أزهى فترات الإسلام بعد العهد النبوي، ونظراً لمعاصرة أكثر أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- لهذه الفترة الهامة من تاريخ الأمة، وبياناً لدور أمهات المؤمنين وأثرهن الطيب -رضوان الله تعالى عنهن- في حفظ العلم ونشره بمختلف أساليب الدعوة ووسائلها، تعيَّن الحديث عن هذه الحقبة المباركة من عهد الخلفاء الراشدين -رضوان الله تعالى عنهم أجمعين- مبتدئاً بعهد الخليفة الأول الراشد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

---

(١) انظر: جمل فتوح الإسلام، لابن حزم، الرسالة الرابعة المطبوعة مع كتاب جوامع السيرة ص٣٥٣، ٣٥٥. ط. دار المعارف بمصر.

١- الدعوة في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- :

لم يكدْ الصديق -رضي الله عنه- يتلقى البيعة من المسلمين له بالخلافة ويتولى أمانة الرعية حتى بدأت حركة التمرد الواسعة التي شملت معظم شبه الجزيرة العربية وتمثلت في المرتدين، ومدَّعي النبوّة، ومانعي الزكاة.

هذا وقد ارتدَّت العرب عامة أو خاصةً من كلّ قبيلة، وظهر النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم، وكثرة عدوهم[١].

فأنفذ الصديق -رضي الله عنه- جيش أسامة بن زيد -رضي الله عنه- مع كثرة المعارضين لذلك من كبار الصحابة[٢]. وقضى -رضي الله عنه- على حركة المرتدين والمتنبِّئين وأخضع مانعي الزكاة[٣]، ثم شرع في نشر رسالة الإسلام فوصلت جيوش الإسلام إلى العراق والشام بقيادة خالد بن الوليد -رضي الله عنه- وأبي عبيدة ابن الجراح -رضي الله عنه- والمثنى بن حارثة وغيرهم[٤].

وفي هذه الفترة توفي أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وتولّى الخلافةَ من بعده عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

٢- الدعوة في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- :

تابع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الفتوحات التي كانت قد بدأت في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فأرسل الجيوش إلى العراق والشام حتى وصلوا إلى أسوار بيت المقدس التي طلب أهلها الصلح بحضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٢/٢٢٦)، الطبعة السادسة: ١٤٠٦هـ ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. وانظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير رحمه الله (٦/٣٠٨)، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦/٣٠٨). والكامل لابن الأثير (٢/٢٢٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦/٣١٥-٣٤٥). والكامل لابن الأثير (٢/٢٣٢-٢٦٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/٣٤٧-٣٥٨). والكامل لابن الأثر (٢/٢٦١-٢٨٧).

-رضي الله عنه- وقد كان ذلك، وكتب لهم -رضي الله عنه- كتاباً بذلك أمّنهم فيه على أموالهم وأنفسهم وشعائر دينهم[1].

ثم انتقل -رضي الله عنه- إلى جوار ربه شهيداً، وحقق الله له دعوته التي كان يطلبها من ربه: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ)[2].

٣- الدعوة في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- :

أتمّ الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ما بدأه الخليفتان قبله من نشر الدعوة ونصرة دين الله في الأرض، فشملت الفتوحات أفريقيا وبلاد ماوراء النهر[3].

واستخدم المسلمون في عهده الأساطيل البحرية حتى دخل الإسلام جزيرة قبرص[4]، وهكذا استمرت الفتوحات في عهده -رضي الله عنه- حتى لقي ربّه شهيداً في ثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً[5].

٤- الدعوة في عهد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- :

بويعَ عليٌّ -رضي الله عنه- بالخلافة يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[6] وقيل بعد ذلك بأيام[7].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٥٣/٧-٥٦). والكامل لابن الأثير (٣٤٠/٢-٣٤٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٨٩٠)، ص٣٩٤، كتاب فضائل المدينة.

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٥٨/٣-٦٤). والبداية والنهاية لابن كثير ١٥٥/٧.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٢٦٢/٤) ط. روائع التراث العربي، بيروت - لبنان. والبداية والنهاية لابن كثير (٥٨/٧). وقبرس بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة جزيرة في بحر الروم، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠٥/٤).

(٥) انظر: الكامل لابن الأثير (٩٠/٣). البداية والنهاية لابن كثير (١٩٨/٧-١٩٩).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٧/٧).

(٧) الكامل لابن الأثير (٩٩/٣).

لم يستقرّ الأمر له -رضي الله عنه- نظراً لكثرة الأحداث الداخلية التي حصلت في عهده، وبالتالي شغلت الأمة عن العمل الخارجي لنشر الإسلام، ومن ثَمَّ لم تظهر في هذه الفترة جهود تذكر في الفتوحات في عهده.

٥- أثر أمهات المؤمنين في الدعوة من خلال عهد الخلفاء الراشدين :

كانت هذه الفترة التاريخية من تاريخ الدعوة من أهم الفترات بعد عهد رسول الله ﷺ، لأنها كانت حلقة الوصل بينه وبين العهود التي تليها. وقد ظهر أثر أمهات المؤمنين في الدعوة خلال هذه الفترة فيما يلي:

١- حرصهن -رضوان الله تعالى عنهن- على نشر العلم بين المسلمين، فقد نهل المسلمون منهن كثيراً من تعاليم دينهم وخاصة ما كان من سنن نبيهم ﷺ التي كان لا يطلع عليها إلا من كان في داخل بيته من أهله[١].

٢- كن مرجعاً للرأي والمشورة للخلفاء الراشدين ولكثير من كبار الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم أجمعين-[٢].

---

(١) انظر: الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص٦٨-٧١، ونصه: "عن عبيد بن رفاعة الأنصاري يقول: كنا في مجلس فيه زيد بن ثابت فتذاكروا الغسل من الإنزال قال زيد: ما على أحدكم إذا جامع فلم ينزل إلا أن يغسل فرجه ويتوضأ وضوءه للصلاة فقام رجل من أهل المجلس فأتى عمر فأخبره بذلك فقال عمر للرجل: اذهب أنت بنفسك فأتني به حتى تكون أنت الشاهد عليه، فذهب فجاء به وعند عمر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي بن أبي طالب ومعاذ ابن جبل، فقال له عمر: أي عُدي نفسه تفتي الناس بهذا؟ فقال زيد: أما والله ما ابتدعته ولكن سمعته من أعمامي رفاعة بن رافع ومن أبي أيوب الأنصاري، فقال عمر لمن عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: ما تقولون؟ فاختلفوا عليه فقال عمر: يا عباد الله قد اختلفتم وأنتم أهل بدر الأخيار، فقال له علي: فأرسل إلى أزواج النبي ﷺ فإنه إن كان شيء من ذلك ظهرن عليه، فأرسل إلى حفصة فسألها فقالت: لا علم لي بذلك، ثم أرسل إلى عائشة فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. فقال عمر عند ذلك: لا أعلم أحداً فعله ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالاً". انتهى. وانظر: فتح الباري لابن حجر، باب إذا التقى الختانان (٣٩٥/١).

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير ٢٥١/٣. والإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي تحقيق: سعيد الأفغاني ص٦٤، ٦٧، ٧٥، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٣- ضربن أروع الأمثلة في السير على ما كن عليه في حياته ﷺ من الامتثال لأمر الله وطاعة رسوله ﷺ في حياته وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام[1].

٤- ظهرت مكانتهن -رضوان الله تعالى عنهن- في حفظهن لأعظم ميراث ورّثه ﷺ للأمة. ألا وهو القرآن الكريم، وذلك في حفظ أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- للمصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[2].

٥- كن مرجعاً لكثير من الأحكام الفقهية التي خفيت على كثير من علماء الصحابة -رضوان الله عليهم-[3].

٦- كن مرجعاً لتفسير القرآن الكريم لكل من سألهن في ذلك من كبار الصحابة -رضوان الله عليهم- وغيرهم[4].

---

(١) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام الطبري ص١٦٦، ١٦٧، تحقيق: محمَّد علي قطب، ط. دار الحديث، القاهرة - مصر. وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٢٤/٦)، الطبعة الثانية، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ونصه: "عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: "هذه ثم ظهور الحصر". قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، فكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٥٧/١)، ونصه: "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر"، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨١/٢، ١٨٢) ونصه: "عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق، قال، قلنا له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمَّد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض" أخرجه الدارمي (٣٤٢/٢، ٣٤٣). وابن سعد في الطبقات (٦٦/٨). والحاكم في المستدرك (١١/٤). وانظر: الإجابة للزركشي ص٩١ في استدراك عائشة -رضي الله عنها- على عبد الله بن عمر في عذاب الميت ببكاء أهله، وفي طيب المحرم، وفي عمرة رسول الله ﷺ في رجب وغير ذلك.

(٤) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٧٤) ص٩٥٦، كتاب التفسير، في سورة النساء، وذلك في سؤال عروة بن الزبير لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عند قوله تعالى: ﴿وإن خفتمْ ألاّ تُقسِطوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لكمْ مِنَ النساء...﴾ الآية.

٧- وضحن كثيراً من الأمور التي تمس العقيدة الصحيحة فكن خير مفسر وموضح لها -رضوان ا الله تعالى عنهن-[١].

٨- سطرن أروع الأمثلة في الزهد والتقلل من الدنيا وعدم الركون إليها، وذلك عندما كان يأتيهن العطاء من الخلفاء نظراً لمكانتهن، فكن لا يبقين لأنفسهن من ذلك العطاء إلا القليل، بل إن بعضهن لا يمسي المساء وفي بيوتهن منه شيء[٢].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبد ا الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ص٢٢٢-٢٢٥، الطبعة السادسة. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان. وذلك في رؤية النبي ﷺ لربه، وبعض نصه ما يلي: "واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا محمَّد ﷺ خاصة، منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ. وحكى القاضي عياض اختلاف الصحابة -رضي ا الله عنهم- ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة -رضي ا الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمَّد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه، فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة -رضي ا الله عنها-، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين" انتهى من كتاب الشفاء (١/١٥٢-١٥٦)، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ. ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

قلت: وهذه من المسائل المشتهرة في العقيدة والتي وضحت فيها أم المؤمنين عائشة -رضي ا الله عنها- معتقداً مهماً للأمة من خلالها وقد أسهبت فيها كتب العقيدة والحديث والتفسير، وزيادة في التوضيح انظر: فتح الباري (٨/٦٠٦) الحديث رقم: (٤٨٥٥) والحديث رقم: (٧٣٨٠). والترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٨) و(٣٢٧٨) والإجابة للزركشي ص٨٤ إلى ٨٩. وفيه كلام نفيس جداً للزركشي رحمه ا الله، وانظر معارج القبول للحكمي، تحقيق: عمر بن محمود (٣/١٠٦٨-١٠٧٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٨٦-١٨٧) ونصه: "أن معاوية -رضي ا الله عنه- بعث مرة إلى عائشة -رضي ا الله عنها- بمائة ألف درهم، فوا الله ما أمست حتى فرقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت: ألا قلت لي" وانظر المستدرك للحاكم (٤/١٣) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

العهد الثالث: الدعوة في الصدر الأول من العهد الأموي

كانت هناك حركة علمية في كلّ بلد نزل فيه المسلمون، فكان الجنود المسلمون يفتحون في كلّ يوم أرضاً جديدة، ويعقبهم العلماء بالفقه والتشريع يوضحون للناس، ويشرحون لهم تعاليم دينهم الحنيف، وهكذا تكونت حركة علمية واسعة في العهد الأموي، الذي بلغت فيه قافلة الدعوة إلى غايتها في فتح البلاد، وإنارة قلوب العباد، تمثل ذلك في جانبين مهمين هما:

١- الامتداد الجغرافي وتوسع الفتوحات:

اتسعت الفتوحات الإسلامية في هذا العهد حيث تعمقت في آسيا الصغرى ضد الروم[1]، وفي شمال أفريقيا إلى الأندلس[2]، كما وصلت إلى السند وإلى بلاد ما وراء النهر[3].

٢- الامتداد الفكري والعلمي:

عظمت العناية في هذا العهد بالحديث النبوي، رواية ودراسة وجمعاً وتدويناً، كما انتشرت حلقات العلم والتعلم، ونشطت الحركة اللغوية بسبب الخوف من التأثر باللغات الأخرى.

أثر أمهات المؤمنين في الدعوة من خلال الصدر الأول للعهد الأموي

لقد مَدَّ الله في أعمار بعض أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- حتى أدركن الصدر الأول من العهد الأموي، وكُنَّ كما عُرف عنهن من قبل في حسن السيرة والمكانة الرفيعة عند المؤمنين بل كُنَّ المرجع لكثير من علماء الأمة وأئمتها وأمرائها. وسأجمل أثرهن -رضوان الله تعالى عنهن- في هذا العهد فيما يلي:

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٥٤/٣).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢٥٣/٤). والبداية والنهاية لابن كثير (١٥٧/٧).

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٥٨/٣-٦٤). والبداية والنهاية لابن كثير (١٥٥/٧).

١- نصحهن وإرشادهن لكل من زارهن أو طلب منهن رأياً أو مشورةً سواء من عامة الأمة أم من علمائها وأمرائها[1].

٢- لزومهن بيوتهن واستعدادهن الحثيث للتزود من التقوى والعمل الصالح استعداداً للدار الآخرة[2].

٣- بذلهن وإنفاقهن في وجوه الخير بكل ما تيسر لهن وقسم لهن من عطاء كن يحصلن عليه براً بهن وصلةً وحفظاً لحق رسول الله ﷺ فيهن[3].

٤- استدراكهن على بعض الأقوال والأحكام التي قد تقع في زمانهن وتصل إليهن وتوضيحهن وبيانهن للعلم دون أيّ مجاملة أو وجل[4].

٥- ثباتهن ولزومهن لأمر رسول الله ﷺ في حياته وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، حديث رقم: (٢٤١٤) (٤/٦٠٩-٦١٠) ونصه: "أن معاوية -رضي الله عنه- كتب إلى عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن اكتبي إليّ كتاباً ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة -رضي الله عنها- إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من التمس رضاء الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)، والسلام عليك".

(٢) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي، تحقيق: محمَّد نظام الدين الفتيح، في فضائل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وكثرة تسبيحها ص٢١١. وفضائل أم المؤمنين زينب بنت جحش ص١٨٨، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٨١٢) في صدقة أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- وكرم أم المؤمنين زينب بنت جحش (٤/١٨٥١).

(٤) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٨٢٧)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**والذي قال لوالديه أفٍ لكما...**﴾ الآية، ونصه: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية -رضي الله عنه- فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿**والذي قال لوالديه أفٍّ لكما...**﴾ فقالت عائشة -رضي الله عنها-: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري".

ومحبتهن التقيد بما كن عليه معه ﷺ[1].

٦- نباهتهن وقوة حجتهن وحسن استدلالهن بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام توضيحاً لما خفي من بعض الأحكام الفقهية وتوضيحها للسائل[2].

٧- تركهن أعظم الأثر في نفوس الأمة، ظهر ذلك من خلال أيام رحيلهن الواحدة تلو الأخرى إلى الدار الآخرة، وفزع المدينة بأكملها عند توديعهن ولحوقهن بالرفيق الأعلى ووصيتهن باتباع السنّة ولزومها في جنائزهن -رضوان الله تعالى عنهن-[3].

---

(١) راجع حاشية (١) ص٢٩.

(٢) انظر: الإجابة للزركشي ص١٢٨، ونصه: "عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أماه إن جابر بن عبد الله يقول: "الماء من الماء"، فقالت: "أخطأ، جابر أعلم مني برسول الله ﷺ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل" أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل؟".

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (٧٧/٨، ٧٨) ونصه: "أوصت عائشة -رضي الله عنها- أن لا تتبعوا سريري بنار ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء". "وأمرت أن تدفن من ليلتها فاجتمع الناس وحفروا فلم نر ليلة أكثر ناساً منها. نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع".

ثالثاً: التعريف بأمهات المؤمنين وبيان فضلهن

إن التعريف بأمهات المؤمنين وبيان فضلهن -رضوان الله تعالى عنهن- من أهم الأمور، ذلك أن الحديث عنهن حديث عن بيت النبوة الذي عشن فيه، حيث كان لكل منهن أثرها الطيب في حياة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكانتها في تاريخه العظيم وسيرته الخالدة وقد بذلن النفس والنفيس في سبيل الذود عن بيضة الدين حتى كنَّ في ميدان السلم والحرب يضربن أروع الأمثلة في التضحية والفداء والحفظ لدين الله وحسن التبعل لرسوله ﷺ فقد كن طاهرات القلوب، عفيفات الأنفس، مبرآت من المشاين، بريئات من أرجاس الهوى.

هذا وقد أفردت الحديث في هذه النقطة للتعريف بكل واحدة منهن على حدة مقتصراً على الزوجات الإحدى عشرة اللاتي دخل بهن وكنَّ تحت عصمته سواءً مَنْ مُتْنَ وهنَّ عنده أو من مات عنهن عليه الصلاة والسلام. ولا خلاف في دخوله بهن وصدقت عليهن تسمية أمهات المؤمنين.

هذا وقد جاءت دراستي لهذا الموضوع في ضوء النقاط التالية:

أولاً: في عددهن.

ثانياً: في ترتيبهن.

ثالثاً: في التعريف بكل واحدة منهن وما ورد في فضلها.

أولاً: في عددهن:

روى البخاري في صحيحه في كتاب الغسل عن أنس[1] بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة.

---

(١) هو أنس بن مالك بن ضمضم بن زيد بن حرام من بني النجار، الإمام المفتي، خادم رسول الله ﷺ، توفي سنة اثنتين وتسعين، وقد بلغ مائة وسبع سنين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٣٩٥). وطبقات ابن سعد (١٧/٧). والمستدرك للحاكم (٣/٥٧٣).

قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. وقال سعيد[1] عن قتادة[2] أن أنساً حدثهم: تسع نسوة[3]. وروى البخاري أيضاً في كتاب النكاح عن أنس بن مالك حدثهم: "أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة"[4].

وقد جمع ابن حجر -رحمه الله- بين الحديثين بقوله: "فرجحت رواية سعيد، لكن تحمل رواية هشام[5] على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليباً"[6].

---

(١) هو سعيد بن أبي عروبة، واسمه مهران العدوي مولى بني عدي، روى عن قتادة والحسن وغيرهم، مات سنة ١٥٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦٣/٤).

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، حافظ العصر وقدوة المفسرين، ولد سنة ٦٠هـ، توفي سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٩/٥). وطبقات ابن سعد (٢٢٩/٧). والجرح والتعديل للرازي (١٣٣/٧).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٨)، كتاب الغسل، باب: إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد.

(٤) المصدر السابق، حديث رقم: (٥٢١٥)، كتاب النكاح، باب: من طاف على نسائه في غسل واحد.
قلت: لا يلزم من طوافه ﷺ على نسائه في كل يوم، تحقق وقوع الجماع كلما طاف عليهن، وفي ثبوت فعله ﷺ لذلك، فإنما كان لبيان الحكم الشرعي المتعلق بذلك في إجزاء الغسل الواحد لأكثر من وطء، يدل على ذلك ما أورده أبوداود -رحمه الله- في سننه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: (قالت عائشة يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القَسْم من مكثه عندنا، وكان قَلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها...) الحديث. انظر: سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب: في القسم بين النساء. قال عنه الألباني -رحمه الله-: حديث حسن صحيح. انظر: سنن أبي داود (ص٢٤٣) ط. بيت الأفكار الدولية، عمان - الأردن. وقد وضع في أول كل حديث حكم الألباني عليه.

(٥) هو الإمام الحافظ أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر البصري الرَّبعي، توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٩/٧). وطبقات ابن سعد (١٧٩/٧-١٨٠). والجرح والتعديل (٥٩/٩-٦١). وحلية الأولياء (٢٧٨/٦-٢٨٦).

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٧٨/١).

ولا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام توفي عن تسع وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، وحفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية، وزينب بنت جحش الأسدية، وأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وسودة بنت زمعة العامرية، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية الهارونية -رضي الله تعالى عنهن أجمعين-، وكانت له سريتان وهما: مارية بنت شمعون القبطية المصرية وهي أم ولده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وريحانة بنت شمعون القرظية[1].

هذا وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير والتراجم أسماء أخرى غير ما ذُكر من المختلف فيهن، وكل تلك الروايات تثبت أن المتفق على دخوله بهن ومات عنهن أو مُتْنَ قبله هن ما ذُكر من قبل[2].

وقد أفرد لهن بعض العلماء أبواباً مستقلةً جُمعت فيها أسماء اللاتي عقد عليهن ودخل بهن وطلّقهن دون أن يمسهن، واللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن، واللاتي خطبهن ولم يعقد عليهن، واللاتي عرضن أنفسهن أو عُرضن عليه ﷺ[3]، وأما المشهورات المتفق عليهن واللاتي سبق ذكرهن فستّ منهن قرشيات، وأربع عربيات من غير قريش، وواحدة غير عربية وهي من بني إسرائيل. فأما الست القرشيات فهن:

١- خديجة بنت خويلد.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) انظر: كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، تحقيق: محمَّد إبراهيم دسوقي ص٢٦.

(٣) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي، تحقيق: محمَّد نظام الدين الفتيح. الباب الرابع عشر في ذكر من عقد عليها ولم يدخل بها ﷺ من ص٢٣٥ إلى ص٢٦٠، حيث بلغ عددهن أربعاً وعشرين، والباب الخامس عشر في ذكر من خطبها ﷺ ولم يعقد عليها أو عرضت نفسها أو عُرضت عليه وقد بلغ عددهن ست عشرة من ص٢٦٣ إلى ص٢٧٣. وانظر: طبقات ابن سعد (٨/١٤٠-١٦٠).

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق.

٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٤- أم حبيبة بنت أبي سفيان.

٥- أم سلمة بنت أبي أمية.

٦- سودة بنت زمعة بن قيس.

وأما الأربع العربيات من غير قريش فهن:

١- زينب بنت جحش.

٢- ميمونة بنت الحارث.

٣- زينب بنت خزيمة.

٤- جويرية بنت الحارث.

وأما التي لم تكن عربية فهي:

صفية بنت حيي بن أخطب[1].

وهؤلاء هن المعنيات بالترجمة والتعريف في هذه الدراسة.

ثانياً: في ترتيبهن:

لقد اجتهد كثير من العلماء في ذكر ترتيب زواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين وتناولوا ذلك في كتب السير والتراجم والتاريخ، والذي لا مرية فيه هو أن أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكانت هي أم أولاده وبناته. واختلف في ترتيب البواقي. وسأسوق بعض هذه الأقوال، ونظراً لكثرتها سأقتصر على المشتهر منها، علماً بأني سأورد ذكر أسماء الإحدى عشرة زوجة له ﷺ المتفق عليهن. لأني أجد في بعض الأقوال ورود ذكر أسماء بعض المختلف فيهن مثل ريحانة وفاطمة بنت الضحاك، وغيرهن فأكتفي بذكر ترتيب الإحدى عشرة المتفق عليهن وأسقط ما سواهن. وهذه الأقوال هي:

---

(١) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي ص٢٧-٣٠.

القول الأول[1]:

خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم أم سلمة هند بنت أبي أمية، ثم جويرية بنت الحارث، ثم زينب بنت جحش، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم صفية بنت حيي بن أخطب، ثم ميمونة بنت الحارث.

القول الثاني[2]:

أنه ﷺ تزوج بخديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم أم سلمة، ثم حفصة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية، ثم أم حبيبة، ثم صفية، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت خزيمة.

القول الثالث[3]:

خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم جويرية ثم زينب بنت جحش ثم زينب بنت خزيمة ثم أم حبيبة ثم صفية ثم ميمونة.

هذا ولقد تعددت الأقوال وكثرت في هذه المسألة، و لم أورد كلّ ما ذُكر خشية الإطالة والتكرار.

التوفيق بين هذه الأقوال:

قال ابن حجر -رحمه الله-: "لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة، ثم دخل على عائشة بالمدينة، ثم تزوج أم سلمة، وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الثالثة والرابعة، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة، ثم جويرية في السادسة، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة، وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور"[4].

---

(١) هو قول ابن عساكر -رحمه الله- في كتابه الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، تحقيق: محمَّد أحمد عبد العزيز، ص٥٠، ٧٧.

(٢) هو قول أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتابه: أزواج النبي ﷺ وأولاده، تحقيق: كمال يوسف الحوت من ص٤٦ إلى ص٦٩.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٢١٦/٨-٢١٩).

(٤) فتح الباري، (٣٧٨/١).

ردَّ الآلوسي -رحمه الله- أسباب هذه التباين في الأقوال إلى عدة أمور منها:

١- كان القوم أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، والبديل عن ذلك هي الذاكرة، وهي مدعاة الاختلاف بين الأفراد وأحياناً تشكك المرء بينه وبين نفسه فيما يحفظ.

٢- القوم لم يكن لهم مرجع ومبدأ تاريخي يؤرخون به ما يهمهم من الأمور، فكانوا يعتمدون على الحوادث الشهيرة فيؤرخون بها، مرة بعام الفيل، ومرة بحرب الفجار، ومرة ببناء الكعبة. وهكذا حتى اتفق المسلمون على جعل الهجرة مبدأ لتاريخهم في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بل كانوا يختلفون في أول شهور العام أهو المحرم أم رجب.

٣- يضاف إلى ذلك أن الأمور الهامة لا تولد هامة في الغالب، ولا يشعر الناس بأهميتها إلى التاريخ إلا بعد مرور زمن قد يطول عليها. لذلك كله كان القوم ربما زادوا في شهور السنّة وبعضهم ينقصها، فكان الاختلاف في الأيام، وكثيراً في الشهور، وواقعاً في السنين. إذاً فلا عجب أن يختلف المؤرخون والكاتبون عن سير أمهات المؤمنين، فقد يعتمد أحدهم على عقد تاريخ النكاح والآخر على تاريخ الدخول، وتبعاً لذلك تختلف وجهات النظر في تحديد الترتيب الزمني لدخوله ﷺ بهن فوق ما ورد من أسباب الاختلاف[1] السابقة:

١- فخديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وإن لم يختلف قط في أنها أولى زوجاته ﷺ وأنه لم يجمع عليها أخرى، فإنهم يختلفون في تاريخ ميلادها وفي سنها عند زواجها منه ﷺ وعند وفاتها.

٢، ٣- وأما أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين سودة -رضي الله عنهما- فإنه لم يختلف اثنان بأنهما هما اللتان تلتا خديجة، فإن بعض المحدثين يقدم عائشة على سودة، والبعض يقدم سودة على عائشة، والخلاف مورده العقد لا الدخول. وإلا فمن المجمع عليه أن رسول الله ﷺ دخل بسودة في مكة قبل الهجرة ودخل بعائشة بالمدينة.

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي (١٠/٩٠-٩١).

٤- وأم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- تزوجها ﷺ بعد أن مات زوجها خنيس بن حذافة من جروح أصابته ببدر على الصحيح. فدخلت وعنده ﷺ سودة وعائشة.

٥- وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة استشهد زوجها عبد الله بن جحش بأحد، تزوجها ﷺ وفي بيوته سودة وعائشة وحفصة. ولم تمكث عنده سوى أشهر وماتت -رضي الله عنها-.

٦- وأم المؤمنين أم سلمة توفي زوجها متأثراً بجراحه من يوم أحد بعد أن برئ منها وقاد سرية ناجحة سنة أربع من الهجرة. دخل بها ﷺ وعنده سودة وعائشة وحفصة بعد وفاة أم المساكين زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها-.

٧- وأم المؤمنين زينب بنت جحش، وقد طلقها زوجها زيد بن حارثة، زوجها الله لنبيه ﷺ سنة خمس من الهجرة وعنده سودة وعائشة وحفصة وأم سلمة.

٨- وأم المؤمنين جويرية بنت الحارث قد سُبيت في غزوة بني المصطلق، فكاتبت على نفسها فأدى الرسول ﷺ عنها كتابتها وأعتقها. تزوجها على الصحيح وعنده سودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش.

٩- وأم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب سُبيت في فتح خيبر أعتقها ﷺ وتزوجها ﷺ في مرجعه منها وقبل وصوله إلى المدينة.

١٠- وأم المؤمنين أم حبيبة تنصر زوجها بالحبشة فوكّل ﷺ النجاشي في أن يعقد له عليها، رجعت إلى المدينة مع رجوع النبي ﷺ من خيبر، فدخل بها، فمن قَدَّمها على صفية نظر إلى العقد، ومن أخرها نظر إلى الدخول.

١١- وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث عقد عليها ﷺ بمكة في عمرة القضاء ودخل بها في طريق عودته بمكان قريب من مكة يدعى "سرف" وهذه آخر من تزوجها ﷺ ودخل بها وعنده: سودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وجويرية وصفية وأم حبيبة -رضوان الله تعالى عنهن-[1].

---

(١) بتصرف من كتاب أزواج النبي ﷺ، د. موسى شاهين لاشين ص٢١-٢٣.

ثالثاً: في التعريف بأمهات المؤمنين وبيان فضلهن:

١- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمها فاطمة بنت زائدة العامرية[١].

(ب) زواجها قبل النبي ﷺ:

كانت خديجة -رضي الله عنها- تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي ﷺ فبنى بها وله خمس وعشرون سنة، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة[٢].

وقد تزوجها عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وقيل أكثر من ذلك[٣].

---

(١) انظر ترجمتها -رضي الله عنها- في: منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة من ص٢١ إلى ص٣٦. وكتاب: تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة، تحقيق: كمال الحوت ص٤٦. وطبقات ابن سعد (٨/١٤-١٩). وسيرة ابن هشام (٤/٣٢١). والإصابة (٧/٦٠٠-٦٠٥). والاستيعاب (٤/١٨١٧-١٨٢٥). والسمط الثمين للطبري ص٢٣-٤٨. وكتاب الأربعين لابن عساكر، تحقيق: محمَّد أحمد عبد العزيز، ص٥٠-٥٢. وأزواج النبي ﷺ للصالحي، تحقيق: محمَّد نظام الدين الفتيح ص٥٣-٦٥. والكامل لابن الأثير (٢/٢٠٩). والروض الأنف للسهيلي (٧/٥٣٣). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٠. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٠٩-١١٧). والمستدرك للحاكم (٣/١٨٢-١٨٦). وأعلام النساء لعمر رضا كحالة (١/٣٢٦-٣٣١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١١١). وهذا هو رأي ابن عبد البر وابن سعد في الطبقات وخالفهما أبو عبيدة في: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، وتابعه الصالحي في: أزواج النبي ﷺ كذلك. ووجه المخالفة أنهما قدما عتيق بن عابد على أبي هالة التميمي. انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ص٤٦-٤٧. وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص٥٣-٥٤.

(٣) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي ص٥٧. وتسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيدة ص٤٦.

(ج) إسلامها:

كانت -رضي الله عنها- أول من آمن بالنبي ﷺ وصدقته قبل كلّ أحد، وثبتت جأشه[1]. وقال ابن عبد البر: "اتفقوا على أن خديجة أول من آمن"[2]. وفي سيرة ابن هشام: "فخفف الله تعالى بذلك على رسوله ﷺ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من الرد عليه، فيرجع إليها، إلا تثبته وتهون عليه أمر الناس"[3].

(د) أم أولاده:

ذكر أهل السير والتراجم أن خديجة -رضي الله عنها- هي أم أولاده -سوى إبراهيم فإن أمه مارية القبطية-، فولدت له ﷺ من الذكور القاسم وبه كان يكنى وعبد الله وقيل هو الطاهر والطيب سمي بذلك لأنه ولد في الإسلام. وقيل غير ذلك. وولدت له من البنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة -رضي الله عنهن أجمعين-[4].

(هـ) مناقبها:

لقد ورد في مناقبها -رضي الله عنها- الكثير من الأحاديث والآثار ويكفيها شرفاً وفخراً وعزاً أنها كانت أسبق السابقين إلى الإسلام، وأنها تحملت من تكاليف وأعباء نشر هذا الدين، وبذلت في ذلك كلّ غالٍ ورخيص، وكانت المعين الأول بعد الله عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ في تبليغه رسالة ربه، ولو أردت حصر كلّ ما ورد في فضلها لطال المقام ولكن سأورد بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضلها -رضي الله عنها- فقد عقد البخاري -رحمه الله في صحيحه- باباً خاصاً قال فيه: باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها-، وساق فيه عدة أحاديث منها:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٩/٢).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١٨١٩/٤).

(٣) سيرة ابن هشام (٢٥٩/١).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (١٦/٨). وانظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيدة ص٤٨. وانظر: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، تحقيق: محمَّد أحمد عبد العزيز، ص٥١.

عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة)[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، -هلكت قبل أن يتزوجني- لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن)[2].

وفي رواية: "ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت، وكان ولي منها ولد"[3].

وعن يحيى، عن إسماعيل قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنهما- بشر النبي ﷺ خديجة؟ قال: نعم، ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب[4].

(و) وفاتها:

تعددت الأقوال في زمن وفاتها -رضي الله عنها- فمنهم من ذكر أنها توفيت قبل الهجرة بخمس سنين[5]، وقيل بأربع[6]، وقيل قبل الإسراء بثلاث سنين[7]، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين[8]، وهي يومئذٍ بنت خمس وستين سنة.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٨١٥). ص٧٩٩، كتاب المناقب، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها-.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٣٨١٦).

(٣) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٣٨١٨) ص٧٩٩، كتاب المناقب، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها-.

(٤) المصدر السابق، الحديث رقم: (٣٨١٩).

(٥) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، لأبي عبيدة ص٥٠.

(٦) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص٦٥.

(٧) المصدر السابق ص٦٦.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٢/٢). وانظر: الطبقات لابن سعد (١٨/٨). والأربعين لابن عساكر، ص٥٢. والسمط الثمين للطبري ص٤٦.

ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم يكن يومئذٍ شرعت الصلاة على الجنائز[1].

٢- أم المؤمنين سودة بنت زمعة -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب.

وأمها: الشموس بنت عيسى بن عمرو بن زيد بن لبيد من بني النجار من الأنصار[2].

(ب) زواجه ﷺ بها:

أكرم الله أم المؤمنين سودة بالإسلام قديماً وبايعت، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ بابن عمٍّ لها يقال له: السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلم زوجها وهاجرا إلى الحبشة في الهجرة الثانية. وتوفي عنها زوجها بعد عودتهما من الحبشة في مكة. فلما حلّت أرسل إليها رسول الله ﷺ فخطبها وتزوج بها في مكة، وهاجر بها إلى المدينة، فكانت أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام بعد خديجة[3].

(ج) فضائلها:

لقد أكرمها الله عزَّ وجلَّ بطول صحبة رسول الله ﷺ، وذلك لم يتم لكثير من زوجاته عليه الصلاة والسلام ما خلا خديجة -رضي الله عنها-. وكان لطول

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦٤/١٤) من حديث حكيم بن حزام، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦٠٥/٧). وعندهما أنها دفنت بالحجون. وانظر: طبقات ابن سعد (١٨/٨).

(٢) انظر ترجمتها في: الطبقات لابن سعد (٥٢/٨). وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ص٥٣. والسمط الثمين للطبري ص١٥٩. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٥/٢). والإصابة لابن حجر (٧٢٠/٧). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٦٧/٤). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢. وسيرة ابن هشام (٣٢٢/٤). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص١٧٣. والروض الأنف للسهيلي (٥٣٤/٧). والأربعين لابن عساكر، ص٥٣.

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (٥٣/٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٧/٢). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص١٧٤، ١٧٥.

الصحبة أثر بالغ في كثرة مناقبها -رضي الله عنها-، فإن نظرت إلى شدة اتباعها لأمره ﷺ في حياته وبعد وفاته وجدتها من السابقين[1]. وإن أردت كرمها وزهدها فقد ضربت في ذلك أروع المثل[2]. وإن نظرت إلى حرصها على بقائها تحت مسمى أمهات المؤمنين فقد كانت من المبرزين[3]. وقد قامت -رضي الله عنها- بنقل ميراث النبوة إلى الأمة، فروت عدداً من الأحاديث[4]. فجزاها الله عَنّا وعن المسلمين خير الجزاء.

(د) وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- بالمدينة آخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-[5].

وقيل: توفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية -رضي الله عنه-[6].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (٣٢٤/٦) وفيه رواية عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: "هذه ثم ظهور الحصر". قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، فكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا ذلك منه ﷺ.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٩/٢) ونصه: ((عن ابن سيرين أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت في الغرارة مثل التمر؛ يا جارية: بلغيني القُنع، ففرقتها)) والقِنْع: الطبق.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥٦٢/١) عند قوله تعالى: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي..**﴾.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٩/٢). ونصه: ((يُروى لسودة خمسة أحاديث: منها في الصحيحين حديث واحد عن البخاري)).

(٥) هذا القول ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٦٧/٤).

(٦) انظر: الطبقات لابن سعد (٥٧/٨).

٣- أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأمها: أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة[(١)].

ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس[(٢)].

روي عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله إن لكل صواحبي كنى، فلو كنيتني؟ قال: (اكتني بابنك عبد الله بن الزبير). فكانت تكنى بأم عبد الله حتى ماتت[(٣)].

(ب) في إتيان جبريلُ النبيَ ﷺ بصورتها وخطبتها وتزويجه ﷺ بها:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "أُريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين -وفي لفظ: ثلاث ليال- جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت، فأقول، إن يك من عند الله يمضه[(٤)].

---

(١) انظر في اسمها وترجمتها الطبقات لابن سعد (٥٨/٨). والسمط الثمين للطبري ص٤٩. وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ص٥٤. والمنتخب لابن زبالة ص٣٧. والإصابة لابن حجر (١٦/٨). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٨١/٤). والروض الأنف للسهيلي (٥٣٤/٧). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢. وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص٧٧. وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٥/٢). والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٥٦. وأعلام النساء لعمر رضا كحالة (٩/٣).

(٢) الإصابة لابن حجر (١٦/٨). وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص٧٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٦، ٢٦٠). وأبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب: في المرأة تكنى، الحديث رقم: (٤٩٧٠)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢٧٨/٤). وكذا صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود.

(٤) أخرجه الإمامأحمد (٤١/٦، ١٢٨، ١٦١). والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار باب: تزويج النبي ﷺ عائشة...، الحديث رقم: (٣٨٩٥)، والسرقة: قطعة الحرير والجمع (السَّرَقُ). والواحدة: سَرَقَة، المعجم الوسيط (٤٢٨/١).

وعنها قالت: جاء بي جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ في خرقة حرير، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[1].

وروى البخاري ومسلم عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فوفى جُمَيْمَة، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج، حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء، فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحىً فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين[2].

(ج) ذكر شيء من فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد حظيت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عند رسول الله ﷺ بمكانة ومحبة[3] لم تبلغها امرأة من نسائه في وقتها، فحبه لها عليه الصلاة والسلام كان

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٦/١٦)، وهذا لفظه. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب في فضائل عائشة -رضي الله عنها- (٧٠٤/٥) حديث رقم: (٣٨٨٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ عائشة، حديث رقم: (٣٨٩٤) (ص٨١٤)، وهذا لفظه، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٤٢٢). ومعنى وعكت: حممت، المعجم الوسيط (١٠٤٤/٢)، وتمزق شعري: أي تقطع، ويروى: تمرق بالراء، يقال: مرق شعره، وتَمَرَّقَ وامَّرَقَ، إذا انتثر وتساقط من مرض أو غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٢٠/٤، ٣٢١)، ووفى جميمة: الجمة من الإنسان مجتمع شعر ناصيته وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين، والمعنى: أنه كثر حتى سقط على المنكبين وهذا هو معنى الجمة، المعجم الوسيط (١٣٧/١). أما إذا كان إلى شحمة الأذنين فيسمى: وفرة، المعجم الوسيط (١٠٤٦/٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٦٦٢) ونصه: (عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً).

مستفيضاً حتى إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة -رضي الله عنها- طلباً لرضى رسول الله ﷺ لما يعلمون من حبه لها[1].

وقد كانت قسمة عائشة -رضي الله عنها- ليلتين ولسائر نسائه ﷺ ليلة ليلة[2].

وبلغ من حبه لها وخوفه عليها أنه كان يأمرها ﷺ أن تسترقي من العين[3]. ولم يكتف بذلك عليه الصلاة والسلام حتى كان يحث على حبها[4] وأحياناً

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٧٧٥) (ص٧٩١)، باب: فضل عائشة -رضي الله عنها-، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤١)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. ونص البخاري: (قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فَمُري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس بأن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢١٢) (ص١١٤٦) كتاب النكاح، باب: المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك، ونصه: "عن عائشة -رضي الله عنها-: "أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة"، وكذا صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣)، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٣٨)، كتاب الطب، باب رقية العين، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٩٥) ص٩٠٣، كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، ونصه: "عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين.

(٤) انظر: المصدر السابق حديث رقم: (٢٤٤٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة -رضي الله عنها- ونصه: "أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ أي بنيه ألست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأحبي هذه..." الحديث.

لا يكره أن تنتصر لنفسها[1]. وربما يأتي الحديث عنها من بعض ضرائرها فلا يرضى أن تنال منها -رضي الله عنها- ويمدحها بأنه لم ينزل عليه الوحي إلا في لحافها[2].

بل ومن حبه لها أنه كان يقبلها وهو صائم[3]. وأحياناً كان يسترضيها إذا غضبت ويعلمها بعلامة رضاها عليه من غضبها[4]. ومن تلطفه معها عليه الصلاة والسلام أنه كان يسابقها[5] ويخصها بالمسايرة في السفر، ومما يدل على مكانتها عند رسول الله ﷺ ابتداؤه عليه الصلاة والسلام بها حين أنزلت آية التخيير وحسن

---

(١) المصدر السابق، نفس الحديث، وفيه ((...فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت ثم وقعت بي فاستطالت عليَّ وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر...))الحديث.

(٢) انظر الحاشية (١) الصفحة السابقة.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٩٢٨)، كتاب الصوم، باب القبلة للصائم، وصحيح مسلم، حديث رقم: (١١٠٦) ص٤٢٨، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ولفظ مسلم: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه).

(٤) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢٢٨) (ص١١٤٩) ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليَّ غضبى، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم، قالت قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك). وأخرجه مسلم أيضاً، رقم الحديث: (٢٤٣٩)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد (٣٩/٦، ٢٦٤) ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فلما حملت اللحم، سابقني فسبقني، فقال: يا عائشة هذه بتلك). ورواه أبوداود في سننه، كتاب الجهاد باب: في السبق على الرجل (٣٠/٣) حديث رقم: (٢٥٧٨).

جوابها في ذلك[1]، ويكفيها من علو المنزلة والرفعة هذا الميراث النبوي العظيم الذي نقلته للأمة حتى طبَّقت روايتها للأحاديث معظم كتب السنة إن لم يكن كلها[2]. وأخذ منها العلم كبار الصحابة والتابعين، وتسابق الناس قديماً وحديثاً في الكتابة عن علمها، وأفردها البعض بمؤلفات خاصة في الفقه وروايتها للحديث وتفسير القرآن العظيم، وفي أشعار العرب وأيامهم، علاوة على ما خُصت به من خصائص دون غيرها من أمهات المؤمنين وصلت إلى أربعين خصلة[3]. ويكفيها شرفاً اختياره ﷺ الإقامة عندها أيام مرضه واجتماع ريقه بريقها واختصاصها بمباشرة خدمته، ووفاته عليه الصلاة والسلام وهو مستند إلى صدرها فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

(د) وفاتها:

كانت وفاتها -رضي الله عنها- في رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثرين بعد الوتر سنة ثمان وخمسين[4]. وقيل سنة سبع وخمسين[5]. وكان لها من العمر ثلاث وستون سنة وأشهر[6]. فاجتمع الأنصار

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٧٥)، باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، وصحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: يا أيها النبي قل لأزواجك...، قلت: وكون التخيير يدل على فضلها على بقية الأزواج -رضي الله تعالى عنهن- حيث بدأ بها قبلهم وذكر النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث ما نصه: "وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة -رضي الله عنها- ثم لسائر أمهات المؤمنين". شرح النووي على صحيح مسلم (٧٩/١٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) ونصه: "مسند عائشة -رضي الله عنها- يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين".

(٣) انظر: الإجابة لما استدركته عائشة -رضي الله عنها- على الصحابة للزركشي، تحقيق: سعيد الأفغاني من ص٣٨ إلى ص٦٣، الفصل الثاني، في خصائصها الأربعين.

(٤) هذا القول لأبي عبيدة معمر بن المثنى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٢/٢)، وطبقات ابن سعد (٨٠/٨).

(٥) روي هذا القول عن هشام بن عروة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٢/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (١٩٢/٢).

وحضروها فلم يُر ليلة أكثر ناساً منها، نزل أهل العوالي، فدفنت بالبقيع -رضي ا لله عنها-. وصلى عليها أبو هريرة -رضي ا لله عنه- وكان مروان بن الحكم أميراً على المدينة(١). فرضي ا لله عنها وعن أمهات المؤمنين.

٤- أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها-:

أولاً: مولدها ونسبها:

ولدت -رضي ا لله عنها- وقريش تبني الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين.

وهي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد ا لله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخت عثمان بن مظعون -رضي ا لله عنه- وهي أخت عبد ا لله بن عمر لأبيه وأمه -رضي ا لله عنهم أجمعين-(٢).

ثانياً: فيمن كانت تحته وزواج النبي ﷺ بها -رضي ا لله عنها-:

عن عمر -رضي ا لله عنه- قال: "تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي -وكان من أصحاب رسول ا لله ﷺ ممن شهد بدراً وتوفي بالمدينة- قال عمر -رضي ا لله عنه-: فلقيت عثمان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك

---

(١) انظر: كتاب أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٣٥.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٨١/٨)، وانظر: في ترجمتها: منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة ص٤٣-٤٥. والسيرة لابن هشام (٣٢٣/٤)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥١/٥٠/٢). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٣. وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة، ص٥٩-٦١. والسمط الثمين للطبري ص١٢٣-١٣٠. وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٣٧-١٤٥. والإصابة لابن حجر (٥٨١/٧-٥٨٣). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨١١/٤-١٨١٢). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٧/٢-٢٣١). وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥٣/١). والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، تحقيق: محمَّد مطيع الحافظ، وغزوة بدر ص٤١.

حفصة ابنة عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج في يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه.

فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً، فقلت: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها"[1].

وروي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

«تزوجها رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة بالمدينة»[2].

ثالثاً: في ذكر فضائلها:

لقد خصَّ الله عزَّ وجلَّ أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- بمنقبة تغني عن كلّ المناقب، فيكفيها شرفاً وعزاً وفخراً أنها زوجة رسول الله ﷺ وأماً للمؤمنين، فإن هذا ما كان ليحدث لولا اختيار من الله سبق بهذا الفضل وهذه المنزلة.

وقد كانت -رضي الله عنها- ذات منزلة عالية بين أمهات المؤمنين، كيف لا وهي ابنة الفاروق صاحب رسول الله ﷺ.

وكذلك أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بمراجعتها لما طلقها، وشهادة جبريل عليه السلام

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٢٢) ص١١٢٦، كتاب النكاح، باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، وأخرجه النسائي في النكاح، باب: عرض الرجل ابنته على من يرضى (٦/٧٧-٧٨). وكذلك في باب إنكاح الرجل ابنته الكبيرة (٦/٨٣-٨٤).

(٢) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة معمر بن المثنى ص٥٩. وذكره عنه في الاستيعاب ابن عبد البر (٤/١٨١١). وفي الإصابة ابن حجر (٧/٥٨٢).

لها بالصيام والقيام وأنها زوجته عليه الصلاة والسلام في الجنة[1]. ومكانتها عند رسول ا لله ﷺ حين استرضاها بتحريم سريته مارية القبطية عندما خلا بها في بيت حفصة[2]، ولم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى ربه إلا وهو راضٍ عن زوجاته جميعاً، ومنهن حفصة، وقد لزمت -رضي ا لله عنها- ما كانت عليه في حياته ﷺ من الدين والتقوى والورع والزهد والإنفاق في سبيل ا لله[3]. ولقد اختصها ا لله عزَّ وجلَّ دون غيرها من أمهات المؤمنين بأن حفظت نسخة من كتاب ا لله عزَّ وجلَّ عندها في بيتها[4]. وزادت شرفاً على ذلك أن كانت كغيرها من أمهات المؤمنين في الحرص على نقل ميراث السنة المطهرة وبثها للمسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿**واذكرنَ ما يُتْلى في بُيوتِكن منْ آياتِ ا للهِ والحكمةِ إنَّ ا للهَ كان لطيفاً خبيراً**﴾[5].

فقد رُوي لها عدد من الأحاديث ليست قليلة[6]، فقد اتفق الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث[7]، فرضي ا لله عنها وعن أمهات المؤمنين.

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٢٨٣) (٢/٢٨٥). وسنن ابن ماجة (٢٠١٦) (١/٦٥٠). وسنن النسائي (٦/٢١٣) من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، وفي المستدرك للحاكم (٤/١٥) ونصه: (...قال لي جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة). وأخرجه الحاكم أيضاً من حديث أنس مرفوعاً (٤/١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٥١) وحسن ابن حجر بعض طرقه في الفتح (٩/٢٨٦)

(٢) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٨/٦٥٧) شرح الحديث رقم: (٤٩١١).

(٣) انظر: الإصابة للإمام ابن حجر (٧/٥٨٣). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص١٤٤-١٤٥.

(٤) راجع الحاشية رقم (٢) ص٢٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية رقم: (٣٤).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢/٢٣٠)، ونصه: "ومسندها في كتاب بقي بن مخلد ستون حديثاً".

(٧) المصدر السابق (٢/٢٣٠).

رابعاً: وفاتها:

توفيت -رضي الله عنها- في شعبان سنة خمس وأربعين[1]، وقيل سنة إحدى وأربعين[2] عام الجماعة، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة، وحمل سريرها بعض الطريق، ثم حمله أبو هريرة -رضي الله عنه- إلى قبرها، وكان لها من العمر ستون سنة[3].

٥- أم سلمة -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي هند بنت أبي أمية واسمه سهيل زاد الراكب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم.

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة[4].

(ب) هجرتها وزواج النبي ﷺ بها:

هاجرت -رضي الله عنها- إلى الحبشة مرتين، وهي وزوجها أبو سلمة أول من هاجر إلى الحبشة[5]. وروي أن أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة هي

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨٦/٨). والمستدرك للحاكم (١٥/٤).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١٨١٢/٤).

(٣) الطبقات لابن سعد (٨٦/٨).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٨٦/٨). وفي مصادر ترجمتها: السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٢/٤). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣١، ٣٢. والاستيعاب لابن عبد البر (١٩٢٠/٤-١٩٢١). والروض الأنف للسهيلي (٥٣٥/٧). والسمط الثمين للطبري من ص١٣١ إلى ص١٤٨. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠١/٢-٢١٠). والإصابة (٢٢١/٨-٢٢٥). والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٦٢-٦٤. ومنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة ص٤٨-٥٠. وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٤٧-١٦٠.

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٢٠٣/١-٢٠٧).

أم سلمة[1] -رضي الله عنها-، وذلك في قصة معروفة ذكرها أصحاب السير، مفادها أنها فُرق بينها وبين زوجها وولدها بسبب الإسلام والهجرة، ثم رقق الله قلوب قومها عليها فردُّوا لها ولدها وسمحوا لها باللحاق بزوجها وهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم، رآها عثمان بن طلحة فأوصلها إلى المدينة ورجع قافلاً إلى مكة[2].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: (أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسُرِرْتُ به، قال: لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: "اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها: إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت، وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما انقضت عدتي استأذن عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي، فغسلت يديَّ من القَرَظِ[3]، وأذنت له، فوضعت له وسادةَ أدمٍ[4] حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته، قلت: يا رسول الله، ما بي ألا تكون بك الرغبةُ فيَّ، ولكني امرأةٌ فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: أمَّا ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل منك، وأمَّا ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأمَّا ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت: فقد سَلَّمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت أم سلمة: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه، رسول الله ﷺ)[5].

---

(١) انظر: السمط الثمين للطبري ص١٣٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٦/٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٨٨/٥).

(٣) القرظ: هو شجر يستخدم في دباغ الجلد، وقيل: هو ورق السَّلَم، والواحدة سلمة، مثل قصب وقصبة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٣/٤)، ولسان العرب لابن منظور مادة "قرظ" (٤٥٤/٧)، والمصباح المنير للفيومي (٣٠٦/١).

(٤) وسادة أدم: أي وسادة من جلد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٢/١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٩١٨)، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم: (١٦٤٥٥) (ص١١٦١) وهذا لفظه، ط. بيت الأفكار الدولية.

(ح) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد جمع الله عزَّ وجلَّ لأم سلمة من الفضائل الشيء الكثير، ويكفيها شرفاً وفضلاً أنها دخلت في مسمى أمهات المؤمنين، ناهيك عن متابعتها للسنة ومحافظتها على دينها[1]، وتميزها بالرأي الراجح الرشيد يوم الحديبية[2]، ونقلها لميراث النبي ﷺ للأمة، حيث روت عدداً من الأحاديث بلغ فيه مسندها ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر[3].

فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(د) وفاتها -رضي الله عنها-:

ذُكرت عدة أقوال في سنة وفاتها -رضي الله عنها-، فقيل: في ذي القعدة

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٩٢٢) ص٩٢٣، كتاب الجنائز، باب: البكاء على الميت، ونصه: (عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينه بكاءً يُتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: أتريدين أن تُدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه، مرتين، فكففت عن البكاء فلم أبك).

والصعيد هنا: عوالي المدينة وأصل الصعيد: ما كان على وجه الأرض. قولها: "تسعدني" أي تساعدني في البكاء والنوح. وانظر: شرح النووي على مسلم (٢٢٤/٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣١-٢٧٣٢) في الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. والحديث طويل جداً، والشاهد منه نصاً: "فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً".

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٠/٢).

سنة ٥٩هـ[١]، وقيل: سنة ٦٠هـ[٢]، وقيل سنة ٦١هـ[٣].

ودفنت بالبقيع وقد تجاوزت الرابعة والثمانين[٤]، وقيل: بل عمرت إلى تسعين سنة[٥]، وأوصت أن يصلي عليها سعيد بن زيد -رضي الله عنه- لما مرضت، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولكنها عوفيت، ومات سعيد بن زيد -رضي الله عنه- قبلها[٦]، ودفنت -رضي الله عنها- بالبقيع.

٦- أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها[٧]:

كان اسم جويرية: برة، فغيره رسول الله ﷺ، وسماها جويرية، كره أن يقال: خرج من عند بَرَّة[٨].

---

(١) انظر: الطبقات لابن سعد (٨٧/٨).

(٢) انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٥٨.

(٣) المصدر السابق (ص١٥٨).

(٤) الإصابة لابن حجر (٢٢٥/٨).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٢/٢).

(٦) المصدر السابق (٢٠٨/٢).

(٧) انظر ترجمتها -رضي الله عنها- في: الطبقات لابن سعد (١١٦/٨-١٢٠). وتسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ص٦٣-٦٤. ومنتخب من كتاب أزواج النبي لابن زبالة ص٥١-٥٢. والسمط الثمين للطبري من ص١٩٥ إلى ص٢٠٠. والإصابة (٥٦٥/٧-٥٦٧). والاستيعاب (١٨٠٤/٤-١٨٠٥). وسير أعلام النبلاء (٢٦١/٢-٢٦٥). والسيرة النبوية لابن هشام (٣٢٣/٤). والكامل لابن الأثير (١٩٢/٢ و٣٠٨) و (٥١٣/٣). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص٢٠٧. والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٦٥. والفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٢٤٧. ومرويات غزوة بني المصطلق لإبراهيم قريبي ص٤٥-٤٦.

(٨) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٤٠) (ص٨٨٥)، كتاب الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوها. والحديث من رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- ونصه قال: "كانت جويرية اسمها بَرَّة فحوَّل رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال خرج من عند برة".

وهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة[1]، وجذيمة هو: المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء بطن من خزاعة[2].

تزوجها مسافح بن صفوان ذي الشفر بن سرح بن مالك بن جذيمة، فقتل يوم المريسيع[3].

(ب) زواج النبي ﷺ بها:

روى الإمام أحمد وأبوداود عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (لما قسم رسول الله سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها.

قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت، قالت: وخرج الخبر إلى الناس، أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة

(١) الطبقات لابن سعد (١١٦/٨).

(٢) مرويات غزوة بني المصطلق، جمع وتحقيق: إبراهيم بن إبراهيم قريبي ص٤٦.

(٣) الطبقات لابن سعد (١١٦/٨). والمريسيع: هو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١١٨/٥).

أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها)[1].

(ج) **فضائلها -رضي الله عنها-:**

لقد مَنَّ الله على أم المؤمنين جويرية بأن شرفها بدخولها في بيت النبوة وتسميتها بأم المؤمنين، وقد جمع الله لها من الفضائل والبركة ما لم يجمع لغيرها، ويكفيها في ذلك بركتها على قومها التي لم تحصل لامرأة قبلها بشهادة أم المؤمنين عائشة لها في ذلك[2]، ولما ذاقت حلاوة الإيمان وعرفت الحق، يعرض عليها رسول الله ﷺ الرجوع إلى قومها وأهلها وعشيرتها والنبي عليه الصلاة والسلام كما هو بأخلاقه الفاضلة لا يُلزمها بشيء ويترك الأمر لها في الاختيار تطييباً لخاطر والدها، حيث قال للنبي ﷺ: قد أحسنت. لكن الإيمان يعلو ولا يُعلى عليه، ظهر ذلك في اختيارها لله ورسوله وتقديمهما على الأهل والعشيرة[3]. إلى غير ذلك من الفضائل التي تميزت بها أم المؤمنين رضي الله عنها من كثرة الذكر والتسبيح والعبادة[4]. وقيامها بواجب الأمانة العظمى في نقل الشريعة المطهرة من بيت النبوة إلى الأمة لكي تعلمها وتعمل بها. فقد أخذ عنها العلم كبار العلماء من الصحابة والتابعين كابن عباس ومجاهد وغيرهم[5]. وقد روت سبعة أحاديث انفرد البخاري

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٧٧)، وهذا لفظه. وأبو داود في سننه، كتاب العتق، باب: في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة (٤/٢٢) الحديث رقم: (٣٩٣١). وحسنه الألباني -رحمه الله-، كما في طبعة بيت الأفكار الدولية، (ص٤٣١).

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص٢٣.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧٢٦) ص١٠٩١، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم. والإمام أحمد في المسند (٦/٣٢٤-٣٢٥) ولفظه: "عن جويرية -رضي الله عنها- قالت: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أسبح غدوة، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النهار وأنا أسبح، فقال: (ما زلت قاعدة؟ قلت: نعم فقال: ألا أعلمك كلمات، لو عدلن بهن عدلتهن أو لو وُزِنَّ بهن وزنتهن يعني بجميع ما سبحت سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحان الله رضاء نفسه ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦١)، ونصه: "حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن السبَّاق، وكريب، ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي، وآخرون".

بحديث، ومسلم بحديثين[1]، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

(ح) وفاتها -رضي الله عنها-:

توفيت -رضي الله عنها- سنة خمسين من الهجرة[2]. وقيل: سنة ست وخمسين[3]، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، وقد بلغت خمساً وستين سنة[4]، وقيل: أنها بلغت السبعين[5]، ودفنت في البقيع، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

٧- أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن هبرة بن مرة بن كبير ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

وأمها عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[6].

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٦٣).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/١٢٠). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٢٦٣). وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص٢١١. ومرشد المختار لابن طولون الدمشقي، تحقيق: د. بهاء محمَّد شاهد ص٢٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦٣). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص٢١١.

(٤) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٦٧.

(٥) أزواج النبي ﷺ للصالحي ص٢١١.

(٦) طبقات ابن سعد (٨/١٠١). وفي مصادر ترجمتها: تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ص٦١. والسمط الثمين للطبري، تحقيق: محمَّد علي قطب ص١٦٩. ومسند الإمام أحمد (٦/٣٢٤). والمستدرك للحاكم (٤/٢٣-٢٥). والاستيعاب (٤/١٨٤٩-١٨٥٣). والإصابة (٧/٦٦٧-٦٧٠). وصفة الصفوة (١/٣٥٨). وسير أعلام النبلاء (٢/٢١١-٢١٨). وزاد المعاد (١/١٠٨-١١٤). وحلية الأولياء (٢/٥١). والبداية والنهاية (٧/١٠٦). والفصول في سيرة الرسول لابن كثير تحقيق: محمَّد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو ص١٨٣، ٢٣٤، ٣٨٤. وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢. والتاج الجامع للأصول لمنصور علي ناصف (٣/٣٨٤). وأعلام النساء لعمر رضا كحالة (٢/٥٩-٦٣). وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٨١.

وكان اسمها بَرَّة وغيره النبي ﷺ إلى زينب[1].

(ب) زواجها -رضي الله عنها-:

روى ابن جرير في تفسيره بسنده إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: **﴿وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قَضَى الله ورسولُهُ أمراً أن يكونَ لهمُ الخيرةُ من أمرِهمْ ومن يعصِ الله ورسولَه فقدْ ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾**[2]. وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله ﷺ أؤامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله **﴿وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ...﴾** إلى قوله **﴿..ضلالاً مبيناً﴾**. قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: نعم[3]، قالت: إذاً لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي[4].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٥٥/٤). والإصابة (٦٦٨/٧) وهو في الصحيح؛ فقد أخرجه الإمام مسلم في الآداب باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية، انظر: شرح النووي على مسلم (١٢٠/١٤) ونصه: "عن عمرو بن عطاء قال: حدثني زينب بنت أم سلمة قالت: كان اسمي برَّة فسماني رسول الله ﷺ زينب قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برَّة فسماها زينب. وانظر: الأدب المفرد للبخاري، ص١٢١.

(٢) سورة الأحزاب، آية رقم: (٣٦).

(٣) قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في زاد المعاد (١٥٩/٥-١٦٠) "وزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش القرشية من زيد بن حارثة مولاه، وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من أسامة ابنه وتزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف فقد قال تعالى: **﴿الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾** [سورة النور، آية:٢٦]. وقد قال تعالى: **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾** [سورة النساء، آية: ٣]. فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنّة في الكفاءة أمراً وراء ذلك، فإنه حرَّم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسباً ولا صناعة ولا غنىً ولا حرية، فجوَّز للعبد القن نكاح الحرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً، وجوَّز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات، وللفقراء نكاح الموسرات.

(٤) تفسير الطبري (١١/١٢) وذكره بسنده أيضاً إلى مجاهد وإلى قتادة بنحوه.

وبنى زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش القرشية التي كانت تعتز بنسبها، وذلك لتقرير حقيقة المساواة ولحكمة الله السابقة في إبطال ما كان عليه الناس ذلك الوقت من حرمة نكاح الرجل زوجة متبناه.

ولم تستقم الحياة بينهما، فكانت زينب -رضي الله عنها- كارهة للبقاء مع زيد، وكان زيد يكثر الشكوى لرسول الله ﷺ من زينب واستعلائها عليه، ويعرض عليه أن يطلقها، ولكن رسول الله ﷺ يقول له: ﴿**أمسك عليك زوجك**﴾[1]، حتى لم يبق في قوس الصبر منزع، وأصبحت الحياة بينهما لا تطاق، وكان لابد من الطلاق، إلى أن أتى أمر الله عزَّ وجلَّ، وغلب على ذلك كله. فسمح لزيد بطلاقها، بعد أن تعسرت الحياة بينهما كما قال تعالى: ﴿**لكي لا يكون على المؤمنينَ حرج في أزواج أدعيائهمْ إذا قضوا منهن وطراً وكان أمرُ اللهِ مفعولاً**﴾[2].

قيل: تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث[3] من الهجرة بالمدينة. وقيل: سنة أربع[4]، وقيل سنة خمس[5]، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة.

وروى مسلم والنسائي وأحمد عن أنس -رضي الله عنه- قال: (لما انقضت عدة زينب -رضي الله عنها- قال رسول الله ﷺ لزيد: فاذكرها عليَّ، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٧).

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٣٧).

(٣) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ص٦١. ونقله عنه ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٤٩/٤). وأما ابن حجر في الإصابة (٦٦٧/٧) فقد قدمه على القول الثاني.

(٤) انظر: مرشد المحتار في خصائص المختار لابن طولون الدمشقي ص٢٦٤.

(٥) انظر: الطبقات لابن سعد (١١٤/٨). وتفسير القرطبي (١٦٦/١٤). وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥٨/١).

عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن)[1].

وورد في تفسير قوله تعالى: **﴿وتخفي في نفسكَ ما الله مبديهِ وتخشى الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه﴾**[2]. أنها نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة، جاء زيد يشكو، فهمَّ بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ، فقال له ﷺ: **﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾**. قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية[3].

قال ابن حجر -رحمه الله-: "والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو: إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمرٍ لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم"[4].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٢٨) كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش. والنسائي في النكاح: باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها (٧٩/٦). والإمام أحمد (١٩٥/٣). وقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري فوائد لهذا الحديث، ونصه: "وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكّل أمره إلى الله عزَّ وجلَّ يسَّر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى" فتح الباري (٥٢٤/٨).

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: **﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه...﴾** الحديث رقم: (٤٧٨٧). نص الرواية السابقة في كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم الحديث رقم: (٧٤٢٠).

وانظر: الترمذي في التفسير من سورة الأحزاب، الحديث رقم: (٣٢١٢) (٣٥٤/٥). وقال: حديث صحيح.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٥٢٤/٨).

(ح) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد شرف الله أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- بشرف وكرامة لم تكتب لمثيلاتها، حيث كانت تفخر وتصرح في مقام التمدح والتحدث بنعم الله في تزويج الله تبارك وتعالى إياها لرسول الله ﷺ[1]، ونزول آية الحجاب بسببها[2] -رضي الله عنها-، وما حصل من الكرامة في وليمته ﷺ عليها وهدية أم سليم لرسول الله ﷺ ليلة دخوله بها[3].

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٧٤٢٠)، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب (٥/٣٥٥)، الحديث رقم: (٣٢١٣) وهذا لفظه من رواية أنس -رضي الله عنه- قال: (لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش ﴿**فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها**﴾ قال: فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿**لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم**﴾، الحديث رقم: (٤٧٩١)، ص١٠٣٣، ونصه: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي...**﴾ الآية). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، وهو آخر حديث طويل. وأخرجه الترمذي في التفسير، الأحاديث رقم: (٣٢١٧، ٣٢١٨، ٣٢١٩) في (٥/٣٥٦-٣٥٩).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الهدية للعروس، حديث رقم: (٥١٦٣) ص١١٣٥، ونصه: عن أبي عثمان، عن أنس بن مالك قال: (مَرَّ بنا في مسجد بني رفاعة، فسمعته يقول: كان النبي ﷺ إذا مَرَّ بجنبات أم سليم دخل عليها فسلم عليها، ثم قال: كان النبي ﷺ عروساً بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة في برمة فأرسلت بها معي إليه، فانطلقت بها إليه، فقال لي: ضعها، ثم أمرني فقال: أدع لي رجالاً سماهم، وادع لي من لقيت، قال ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله، فرأيت النبي ﷺ وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كلّ رجل مما يليه...) الحديث. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس.

علاوة على ما تمتعت به من علو النسب وتحدثها بذلك لرسول الله ﷺ[1]، إضافة إلى ما حباها الله عزَّ وجلَّ من حسن الهيئة والجمال بحيث كانت مسامية لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في ذلك، وهذا بشهادة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لها بذلك، ناهيك عن كرمها وإنفاقها في سبيل الله[2] وكنيتها بأم المساكين[3]، وقد كانت تعمل بيدها وتتصدق وكانت أول زوجاته ﷺ لحوقاً به بعد موته[4]، هذا وقد قامت -رضي الله عنها- بالواجب الأعلى والأمانة العظمى التي حملهن الله إياها في نقل السنة المطهرة وبيانها للأمة، فقد نقلت للأمة من

---

(١) أخرج ابن جرير عن الشعبي، قال: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلُّ بهن: إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وكان جبريل السفير في أمري. انظر: تفسير الطبري (١٤/١٢). ودلُّ المرأة: تدلُّلها على زوجها.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤٢)، باب: في فضائل أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من رواية عائشة -رضي الله عنها- وبعض نصه: (...فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى...) الحديث.

(٣) الطبقات لابن سعد (١١٤/٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٧/٢).

(٤) أخرج البخاري في كتاب الزكاة، باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح، الحديث رقم: (١٤٢٠)، ص٢٩٩ نصه: "عن مسروق عن عائشة -رضي الله عنها- أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: أطولكن يداً. فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد إنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: هذا الحديث سقط منه ذكر زينب لاتفاق أهل السير على أن زينب أول من مات من أزواج النبي ﷺ، يعني أن الصواب هو: "وكانت زينب أسرعنا..."، والحديث في شرحه كلام طويل جداً تعرض له ابن حجر -رحمه الله- في الفتح ورجح فيه أن القصة كانت في زينب بنت جحش، وأنها هي المقصودة بالحديث لا سودة حيث تعرض لوفاتهن ورجح وفاة زينب قبل سودة وأن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- صلى عليها. قال ابن حجر -رحمه الله-: "والأول هو المعتمد" أي أن زينب هي المقصودة. انظر: فتح الباري (٢٨٨/٣). وأخرجه مسلم -رحمه الله- في صحيحه، كتاب الفضائل، حديث رقم: (٢٤٥٢) ص٩٩٦، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين -رضي الله عنها- وفيه "أسرعكن لحاقاً...".

الميراث النبوي أحد عشر حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين منها[1].

(د) وفاتها -رضي الله عنها-:

توفيت -رضي الله عنها- سنة عشرين[2]، وكان لها من العمر ثلاث وخمسون سنة[3]. ولم تترك -رضي الله عنها- درهماً ولا ديناراً، فكانت تتصدق بكل ما قدرت عليه وكانت مأوى للمساكين[4].

وعن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما توفيت زينب بنت جحش جعلت تبكي وتذكر زينب وترحم عليها، فقيل لعائشة في بعض ذلك، فقالت: كانت امرأة صالحة، قلت: يا خالة أي نساء رسول الله ﷺ كانت آثر عنده؟ فقالت: ما كنت أستكثره ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي[5].

وصلى عليها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ودفنت في البقيع[6].

٨- أم المؤمنين زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة[7].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨).

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/١١٥). والإصابة لابن حجر (٧/٦٦٨).

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/١١٥). وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥٩).

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/١١٤).

(٥) المصدر السابق (٨/١١٤).

(٦) أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٩٠.

(٧) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ص٦٩. والإصابة لابن حجر (٧/٦٧٢). والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٨٥٣). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣١. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨). والطبقات لابن سعد (٨/١١٥). والسمط الثمين للطبري، ص١٨٥. والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٧٠. وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٩٣. وأعلام النساء لعمر رضا كحالة (٢/٦٥).

قيل: ولدت بمكة قبل البعثة بثلاث عشرة سنة[1].

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها[2].

(ب) زواجها -رضي الله عنها-:

قيل: إنها كانت قبله ﷺ تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد[3].

وقيل: كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث، ثم خلفه عليها أخوه الشهيد عبيدة بن الحارث المطلبي[4].

وقيل: لما خطبها النبي ﷺ جعلت أمرها إليه، فتزوجها وأشهد وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا[5].

(ج) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد كانت -رضي الله عنها- من أرحم وأرق النساء للفقراء والمساكين في

---

(١) نساء أهل البيت لأحمد خليل جمعة ص٢١١.

(٢) انظر: الإصابة لابن حجر (٦٧٢/٧). وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص١٩٤. والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٥٣/٤). والسمط الثمين للطبري، تحقيق: محمَّد علي قطب ص١٨٥. قلت: وإن صحت هذه النسبة فتكون أمها هي هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير، لأنها هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، ولا يشكل زواجه ﷺ بأختها ميمونة لأنها لم تجتمع معها عند النبي ﷺ لأن زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها- توفيت على الراجح في السنة الرابعة للهجرة في شهر ربيع الأول، و لم يبن رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث إلا في ذي القعدة سنة سبع بعد فراغه من عمرة القضاء بسرف. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٩/٢).

(٣) هذا القول للزهري، أورده الحاكم في المستدرك (٣٣/٤)، وحكاه عن الزهري أيضاً: ابن حزم في جوامع السيرة ص٣٢. وروى عن ابن عمر في الاستيعاب (١٨٥٣/٤).

(٤) هذا القول لقتادة أورده الحاكم في المستدرك (٣٣/٤-٣٤). وبه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في تسمية أزواج النبي ﷺ ص٦٩. وذكر هذا القول عن ابن الكلبي الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦٧٣/٧). وكذلك ابن طولون في مرشد المحتار إلى خصائص المختار ص٢٦١.

(٥) الطبقات لابن سعد (١١٥/٨). والنش بالفتح: نصف الأوقية وغيرها، قال ابن الأعرابي: ونش الدرهم والرغيف: نصفه، انظر: المصباح المنير، ص٢٧٥.

الجاهلية وفي الإسلام، وازداد هـذا الحنـان والعطـف بعـد أن أنعـم الله عليهـا بنعمـة الإسلام، وبعد أن شـرفها الله بدخـول بيـت النبـي ﷺ الطـاهر لتصبـح مـن أمهـات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

ويكفيها شرفاً وفخراً وعزاً ومكانةً في قلب المصطفـى -عليـه الصـلاة السـلام- ما كانت تتمتع به هذه الوافدة الجديدة في البيت النبوي من عدم الرغبـة في المنافسـة لمن سبقها من أمهات المؤمنين، فقد كـانت تعيـش في عـالم العطـف النبـوي والمـودة والحنان فجعلت وقتها كله في عبادة الله عزَّ وجلَّ.

لم ترو شيئاً عن النبي ﷺ[1]، ولعل هذا يعود إلى قلة مكثها في بيـت رسـول الله ﷺ[2].

(د) وفاتها -رضي الله عنها-:

قيل: مكثت عند رسـول الله ﷺ ثمانيـة أشـهر، وقيـل: شـهرين، وقيـل: ثلاثـة. والصحيح أنها توفيت في ربيع الأول، وقيل: الآخر سنة أربع[3] أي من الهجرة. فإذا كان زواجه بها ﷺ في شهر رمضان وتوفيت في ربيـع الآخـر فيـترجح القـول بأنهـا مكثت عنده ﷺ ثمانية أشهر[4]، ودفنت بالبقيع -رضي الله عنها- وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨)، ونصه: "وما روت شيئاً".

(٢) نساء أهل البيت، لأحمد خليل جمعة ص٢١٩.

(٣) انظر: مرشد المحتار إلى خصائص المختـار لابـن طولـون الدمشـقي، ص٢٦٢. وفي جوامع السيرة لابن حزم ص٣٣. رجح مكثها شهرين عنده ﷺ، ووافقه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١١٥).

(٥) المصدر السابق (٨/١١٦).

٩- أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها: صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-[١].

وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها[٢].

(ب) في زواجها -رضي الله عنها-:

كانت قبل رسول الله ﷺ عند عبيد الله بن جحش، وولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم تنصر هنالك، ومات عنها على النصرانية. وبقيت أم حبيبة -رضي الله عنها- على دين الإسلام[٣]. وأبى الله عزَّ وجلَّ لأم حبيبة إلا أن تُنْصَرَ، فأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة.

وكان الذي زوَّجها، وخطب إليه النجاشي: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، فكان لها يوم قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة[٤].

---

(١) الطبقات لابن سعد (٩٦/٨). ومنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة ص٥٧. وسيرة ابن هشام (٣٢٣/٤). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢-٣٣. وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة، ص٦٤. والسمط الثمين للطبري، ص١٤٩. والاستيعاب لابن عبد البر (١٩٢٩/٤). والإصابة لابن حجر (٦٥١/٧). وسير أعلام النبلاء (٢١٨/٢). والبداية والنهاية (١٤٥/٤). وأخرج الحاكم في المستدرك عن مصعب بن عبد الله الزبيري بأن لها اسمين ونصه: "قال أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب اسمها رملة بنت أبي سفيان، ويقال اسمها هند، والمشهور رملة". المستدرك (٢٠/٤). وذكره كذلك ابن حزم في جوامع السيرة ص٣٥. والصحيح المشهور هو رملة، وبه قال الأكثرون.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٩/٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٠/٢).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٩٩/٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٠/٢).

وعنها -رضي الله عنها- أنها كانت تحت عبيد الله، وأن رسول الله تزوجها بالحبشة، زوَّجها إياه النجاشي، وأمهرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شرحبيل ابن حسنة، وجهازها كله من عند النجاشي[1].

(ج) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد منَّ الله بفضله على أم المؤمنين أم حبيبة بمناقب وفضائل لم تكن لغيرها حيث كانت من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين من أجله، ونالها من المصائب والنوازل ما لو نزل بغيرها لتضعضع جانبه وانكسر جناحه، وثبطت همته وخارت عزيمته، بل وربما تزحزح عن عقيدته. ذلكم هو ارتداد زوجها ووالد ابنتها عن الإسلام في أرض الحبشة[2]. ولكنه الإيمان الذي رسخ في قلب أم المؤمنين جعلها تثبت على دينها وتضحي بزوجها وتفوض أمرها لخالقها ويقينها به أنه لا يضيعها، وعلم رسول الله ﷺ بحالها وثباتها على دينها، فكافأها عليه الصلاة والسلام بأن أدخلها في البيت النبوي أماً للمؤمنين، ومن فضائلها، ضربها أروع الأمثلة في الولاء والبراء، وتقديم محبة الله ورسوله على كلّ أحد وذلك عندما أراد والدها الجلوس على فراش رسول الله ﷺ، فطوت عنه الفراش لأنه كان مشركاً[3]. إلى غير ذلك

(1) أخرجه أبوداود في النكاح، باب: الصداق، حديث رقم: (٢١٠٧) (٢٣٥/٢). قال أبوداود: ((حسنة هي أمه)) أي أم شرحبيل رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني كما في طبعة بيت الأفكار الدولية، (ص٢٤٠). وأخرجه النسائي في النكاح (١١٩/٦)، باب: القسط في الأصدقة، والإمام أحمد في المسند (٤٢٧/٦).

(2) الطبقات لابن سعد (٩٧/٨).

(3) المصدر السابق (٩٩/٨-١٠٠) ونصه: "لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة، جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعد شر. وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥٨/١).

من التزامها الكامل بالسنة وتطبيقها لكل ما يقوله ﷺ[1].

هذا وقد قامت -رضي الله عنها- بحفظ الأمانة في نقل الميراث النبوي إلى المسلمين ليعلموه ويعملوا به، حيث اجتهدت -رضي الله عنها- في نقل السنة النبوية، فقد بلغ مسندها -رضي الله عنها- خمسة وستين حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين[2]، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

(د) وفاتها -رضي الله عنها-:

روى الحاكم وغيره عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله.

فقالت عائشة -رضي الله عنها- سررتني سرَّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك[3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم: (١٢٨٠) ص٢٦٩، باب: إحداد المرأة على غير زوجها ونصه: "عن زينب ابنة أبي سلمة قالت "لما نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة -رضي الله عنها- بصفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيها وذراعيها وقالت: إني كنت عن هذا لغنية لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن با لله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً". وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٤٨٦)، كتاب الطلاق، باب: وجوب الإحداد في عدة الوفاة...، وفي صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٢٨) ص٢٨٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن ونصه: "عن أم حبيبة -رضي الله عنها- قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يصلي لله كلّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلا بُنيَ له بيت في الجنة، قالت: أم حبيبة فما برحت أصليهن بعد". قلت: والحديثان السابقان يدلان دلالة واضحة على تمسكها بالسنة -رضي الله عنها وأرضاها-.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٩).

(٣) المستدرك للحاكم (٤/٢٢-٢٣). وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥٨). والطبقات لابن سعد (٨/١٠٠).

قيل: توفيت سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية -رضي الله عنه-[1]، وقيل: سنة تسع وخمسين قبل موت معاوية -رضي الله عنه- بسنة[2]. وقيل: سنة اثنتين وأربعين[3].

١٠- أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي صفية[4] بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج وكان أبوها سيد بني النضير، وهو من سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام ثم من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران أخي موسى[5] عليه الصلاة والسلام.

وأمها برَّة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير[6].

---

(١) الطبقات لابن سعد (١٠٠/٨). الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٤٥/٤). وصفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥٨/١).

(٢) الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٢٤٩. والمستدرك للحاكم (٢٠/٤).

(٣) الإصابة لابن حجر (٦٥٤/٧).

(٤) المنتخب لابن زبالة ص٥٨، وفيه عن أبي مليكة أن اسم صفية: حبيبة ولكنها سميت صفية لأنها كانت صفية للنبي ﷺ يوم خيبر. زاد ابن حجر في فتح الباري (٢٧٨/٤) في شرح الحديث رقم (٢٠٣٥) بأن كنيتها (أم يحيى)، وانظر في ترجمتها الطبقات لابن سعد (١٢٠/٨-١٢٩). والمستدرك (٢٨/٤-٢٩). والاستيعاب (١٨٧١/٤-١٨٧٣). والإصابة (٧٣٨/٧-٧٤٢). وسير أعلام النبلاء (٢٣١/٢-٢٣٨). والسمط الثمين للطبري ص٢٠١-٢١٠. وصفة الصفوة (٣٦١/١). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٣. والفصول في سيرة الرسول لابن كثير (ص١٨٩، ١٤٧، ٢٥١، ٣٣١). وأعلام النساء لكحاله (٣٣٣/٢-٣٣٦). وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة (ص٦٦-٦٧). وحلية الأولياء (٥٤/٢). وزاد المعاد (١٠٦/١، ١٠٩، ١١٢). والأربعين لابن عساكر، (ص٧٥-٧٦). ومرشد المحتار لابن طولون، (ص٢٧٢-٢٧٣).

(٥) أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص٢١٣.

(٦) الطبقات لابن سعد (١٢٠/٨).

(ب) زواجها -رضي الله عنها-:

كانت عند سلاّم بن مشكم، ففارقها ثم خلف عليها كنانة بن الربيع بن الحقيق النضري، فقتل عنها يوم خيبر في محرم سنة سبع، ولم تلد لأحد منهما شيئاً، وكانت عند بنائه ﷺ بها لم تبلغ سبع عشرة سنة[1].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر، فلما فتح الله تعالى الحصن عليه، صارت صفية بنت حيي لدحية في مقسمه، وكانت عروساً، وقد قتل زوجها، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها. فبعث رسول الله ﷺ إلى دحية، فاشتراها بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها، وتعتد في بيتها.

فخرج بها، أو جعلها خلف ظهره، فلما نزل ضرب عليها الحجاب فتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأقام ثلاثة أيام حتى أعرس بها، وكانت قد ضرب عليها الحجاب.

وفي رواية: حتى إذا بلغنا سد الصهباء[2] حَلّت فبنى بها، ثم صنع حيساً في نطع[3] صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: آذن من حولك"[4].

(ج) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد أكرم الله سبحانه أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها بالإسلام وبأن صارت من أمهات المؤمنين وكفى بذلك شرفاً وفضلاً، وقد حوت إلى جانب ذلك

---

(١) المستدرك للحاكم (٢٩/٤). وقال صحيح الإسناد. وانظر: الطبقات لابن سعد (١٢٩/٨).

(٢) الصهباء: موضع بينه وبين خيبر روحة. انظر: معجم البلدان (٤٣٥/٣).

(٣) النطع: المتخذ من الأديم وهو الجلد، انظر: المصباح المنير مادة "نطع" (٢٨٠/٢).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٢١١) (ص٨٨١)، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر. ومسلم في النكاح، باب: فضيلة إعتاق أمته ثم يتزوجها، حديث رقم (١٣٦٥). والمسند للإمام أحمد (١٢٣/٣ و٢٤٦). وأبوداود في الخراج والإمارة، باب: ما جاء في سهم الصفي (٢٩٩٥-٢٩٩٨) (١٥٢/٣-١٥٣). والنسائي في النكاح، باب: البناء في السفر (١٣١/٦-١٣٤).

فضائل منها: ترضيتها وتطييب خاطرها بعد زواجه بها ﷺ حين عيرتها إحدى المؤمنات بأنها ابنة يهودي، فعلّمها عليه الصلاة والسلام كيف تجيب على من يقول لها ذلك[1]. ويظهر لطفه بها حين هَمَّ عليه الصلاة والسلام باحتباس حملة الحجيج مراعاة لها حين تخوف أن يكون قد أدركها العذر قبل الإفاضة[2]. ويظهر كذلك رفقه بها ﷺ حين خرج من معتكفه مشيعاً لها إلى منزلها[3]، وهجر -عليه الصلاة والسلام-

---

(١) أخرج الترمذي في المناقب في فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: (٣٨٩٤) (٧٠٩/٥) عن أنس -رضي الله عنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصحَّحه الألباني -رحمه الله- كما في طبعة بيت الأفكار الدولية (ص٦٠١)، عمان - الأردن.

(٢) أخرج البخاري في الحج، باب: إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت، الحديث رقم (١٧٥٧). ومسلم في الحج، باب: وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، حديث رقم: (١٣٢٧) ص٥٢٢، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: حاضت صفية بنت حيي بعد ما أفاضت، قالت عائشة: فذكرت حيضتها لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أحابستنا هي؟ قالت، فقلت: يا رسول الله إنها قد كانت أفاضت وطافت بالبيت ثم حاضت بعد الإفاضة، فقال رسول الله ﷺ: فلتنفر)، وأخرجه الترمذي في الحج، حديث رقم (٩٤٣) وأبوداود في المناسك. برقم (٢٠٠٣). والنسائي في الحيض (١٩٤/١). والإمام مالك في الموطأ (ص٣٢٤). والإمام أحمد في المسند (٣٨/٦).

(٣) أخرج البخاري في الاعتكاف، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد برقم (٢٠٣٥) ص٤٢٢. ونصه: (عن علي بن الحسين -رضي الله عنهما- أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مَرَّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما. فقال النبي ﷺ: إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)، وأخرجه مسلم في السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجة.... حديث رقم: (٢١٧٤).

إحدى نسائه بسببها حين انتقصتها -رضي الله عنها-[1]، ولقد ضربت أروع الأمثلة في الردِّ عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- حين حصلت الفتنة وكانت تنقل إليه الطعام والماء[2].

هذا وقد حباها الله عزَّ وجلَّ صفة الحلم. ظهر ذلك حين حلمت على جارية لها وشت بها عند أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- زوراً وبهتاناً[3].

هذا وقد جمعت رضي الله عنها إلى كريم الخصال والفعال حبها للعلم وأدائها للأمانة التي تحملتها في نقل السنة المطهرة للأمة، فقد روت -رضي الله عنها-

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم: (٢٧٤٠٣) (ص١٩٩٧). وبعض نصه: (...فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش، يا زينب أفقري أختك صفية جملاً وكانت من أكثرهن ظهراً، فقالت: أنا أفقر يهوديتك، فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها فهجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر فلم يأتها ولم يقسم لها حتى يئست منه، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها...) الحديث. وقد ضعف بعض أهل العلم هذا الحديث نظراً لجهالة أحد رواته كما في تحقيق مسند أحمد، (٤٤/٤٣٥-٤٣٧) طبعة دار الرسالة، وقال الشيخ البنا -رحمه الله- في تخريجه: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد من حديث صفية وسنده جيد. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٤٤/٢٢) باب: ما ورد في فضل صفية بنت حيي -رضي الله عنها-، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣٧/٢). وابن سعد في الطبقات (١٢٨/٨). وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في الإصابة (٧٤٢/٧) ونصه: "عن كنانة مولى صفية، قال: قُدْتُ بصفية بغلة لترد عن عثمان، فلقينا الأشتر فضرب وجه البغلة، فقالت: ردوني لا يفضحني، قال: ثم وضعت حسنا -هذا تصحيف والصواب: "خشبا" كما في السير والطبقات- بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه الطعام والماء".

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٧٢/٤) ونصه: "أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود فبعث إليها عمر، فسألها، فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً، وأنا أصلها، قال: ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة". وانظر: الإصابة (٧٤١/٧). وسير أعلام النبلاء (٢٣٢/٢). والسمط الثمين للطبري، (ص٢٠٩).

عشرة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها واحد اتفق عليه البخاري ومسلم[1]. فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

(د) وفاتها -رضي الله عنها-:

توفيت -رضي الله عنها- سنة خمسين من الهجرة، في رمضان[2].

وقيل: سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع[3].

وذُكر أنها ماتت في زمن معاوية -رضي الله عنه- وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعَرَض، وأوصت لابن أختها بالثلث، وكان يهودياً[4].

١١- أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-:

(أ) اسمها ونسبها:

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٢٨). ورجح الحافظ ابن حجر هذا التاريخ في فتح الباري (٤/٢٧٨)، ونصه: "والصحيح أنها ماتت سنة خمسين، وقيل بعدها".

(٣) طبقات ابن سعد (٨/١٢٩).

(٤) المصدر السابق (٨/١٢٩). ونقله عنه الذهبي في السير (٢/٢٣٨).

(٥) الطبقات لابن سعد (٨/١٣٢). وانظر في ترجمتها: منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة (ص٦١، ٦٢). والمسند للإمام أحمد (٦/٣٢٩). والمستدرك للحاكم (٤/٣٠-٣٣). والاستيعاب (٤/١٩١٤-١٩١٨). والإصابة (٨/١٢٦-١٢٩). وأعلام النساء لكحالة (٥/١٣٨-١٤٠). وأزواج النبي للصالحي (ص١٩٧-٢٠٠). وتفسير القرطبي (١٤/١٦٧). والسمط الثمين للطبري، (ص١٨٧-١٩٤). وجوامع السيرة لابن حزم (ص٣٣). والفصول لابن كثير (ص٢١، ٢٤، ١٩٢، ٢٤٩، ٢٥٠). وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة (٧٤، ٧٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٨-٢٥٠). والأربعين لابن عساكر، (ص٧٧-٨٠). ومرشد المختار لابن طولون الدمشقي، (ص٢٧٤).

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش[1]. رُوي عن أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما- قالا: "كان اسم ميمونة برة، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة"[2].

وأخواتها: أم الفضل: لبابة الكبرى زوج العباس -رضي الله عنه- ولبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة المخزومي أم خالد بن الوليد، وعصماء بنت الحارث وكانت تحت أبي بن خلف فولدت له أبا أبي، وعزة بنت الحارث وكانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي. فهؤلاء أخواتها لأبيها وأمها.

وأخواتها لأمها: أسماء بنت عميس، كانت تحت جعفر -رضي الله عنه- فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم مات فخلف عليها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فولدت له محمداً، ثم مات فخلف عليها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فولدت له يحيى.

وسلمى بنت عميس كانت تحت حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- فولدت له أمة الله بنت حمزة، ثم خلف عليها شداد بن أسامة بن الهاد الليثي، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن.

وسلامة بنت عميس، وكانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي، وكان يقال: أكرم عجوز في الأرض أصهاراً: هند بنت عوف، أصهارها: رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق، وحمزة بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب، وشداد بن الهاد[3].

(ب) زواجها -رضي الله عنها-:

كانت ميمونة -رضي الله عنها- قبل رسول الله ﷺ تحت أبي رُهْم

---

(١) الطبقات لابن سعد (١٣٢/٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٠/٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٥/٤). وأزواج النبي ﷺ للصالحي، (ص١٩٨).

-بضم الراء وسكون الهاء- ابن عبد العزي العامري القرشي[1].

وقيل: تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها، وتزوجها أبو رهم بن عبد العزي، فمات. فتزوج بها النبي ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع في ذي القعدة، وبنى بها بسرف[2].

ورُوي عن قتادة قال: تزوج رسول الله ﷺ حين اعتمر بمكة: ميمونة بنت الحارث، وهبت نفسها للنبي ﷺ وفيها نزلت: **﴿وامرأةً مؤمنةً إنْ وهبتْ نفسَها للنبيِّ إنْ أرادَ النبيُّ أن يستنكحَهَا خالصةً لكَ من دونِ المؤمنين﴾**[3]. ثم سارت معه إلى المدينة، وكانت قبله عند فروة بن عبد العزى بن غنم بن دودان[4].

(ج) فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد دخلت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- البيت النبوي الذي كانت تحرص عليه أشد الحرص، وسعت بكل ما تستطيع إليه، حتى أسَرَّت بتلك الأمنية الغالية إلى أختها أم الفضل بنت الحارث -رضي الله عنها-، والتي لم تكتم هذا الخبر وأتمَّ الله هذا الأمر بحديث العباس مع رسول الله ﷺ في هذا الزواج المبارك[5] الذي نالت به بنو هلال شرف مصاهرته عليه الصلاة والسلام

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٧/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٩/٢) و(سرف): مكان على بعد ستة أميال من مكة بالقرب من التنعيم. وقيل: سبعة، وتسعة، واثني عشر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢١٢/٣).

(٣) سورة الأحزاب، آية: (٥٠).

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر، من رواية قتادة، (١٩١٧/٤). وأورده الحافظ في الإصابة (١٢٧/٨) عن الزهري وقتادة. وقال الحافظ في تعليقه على ذلك: «الواهبة غيرها، وقيل إنهن تعددن، وهو الأقرب».

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٢٠٨/٤-٢٠٩)، ونصه: "حين خطبها النبي ﷺ فجاء الخاطب وهي على بعيرها فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ". وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٢/٢-٢٤٣). وطبقات ابن سعد (١٣٧/٨). والاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٧/٤).

كما نالته قبلها بنو تيم، وبنو عدي، وبنو أمية، وبنو مخزوم، وبنو أسد، وبنو المصطلق وغيرهم.

ولقد حقق الله لميمونة -رضي الله عنها- ما نوت من الخير، وعكفت -رضي الله عنها- على العبادة والصلاة في البيت النبوي. كلّ ذلك أكسبها الحبّ لدين الله والانتصار له حتى من أقرب الناس لها لو خالف شيئاً من أمور الدين(١). ويكفيها في هذا شهادة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بأنها كانت من أتقاهم لله وأوصلهم للرحم(٢). علاوة على ما شهد لها به عليه الصلاة والسلام من الإيمان هي وبعض أخواتها وكفى بذلك فخراً وشرفاً(٣).

هذا وقد قامت -رضي الله عنها- بواجبها في حفظ ونقل ما استأمنها الله عليه هي وأمهات المؤمنين من الميراث النبوي، فقد حرصت -رضي الله عنها- على العلم

---

(١) طبقات ابن سعد (١٣٩/٨)، ونصه: "عن يزيد بن الأصم أن ذا قرابة لميمونة -رضي الله عنها- دخل عليها فوجدت منه ريح شراب فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك، أو قالت يطهروك، لا تدخل عليَّ بيتي أبداً".

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك (٣٢/٤) عن يزيد بن الأصم قال: تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن لطلحة بن عبيد الله وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه، فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، ثم أقبلت عليَّ فوعظتني موعظة بليغةً ثم قالت: أما علمت أن الله تبارك وتعالى ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه؟ ذهبتْ ميمونة ورمى برسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم". وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه ابن سعد في الطبقات (١٣٨/٨). وصححه ابن حجر في الإصابة (١٢٨/٨)، فقال: هذا سند صحيح.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك (٣٢/٤-٣٣)، باب: ذكر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- ونصه: "عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ الأخوات مؤمنات ميمونة زوج النبي ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن". وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي. ورواه ابن عساكر في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، ص١٦٦.

قدْ خلتْ من قبلُ ولنْ تجدَ لِسنَّةِ ا للهِ تبديلاً﴾[1]، **﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً من المجرمين وكفى بربِّكَ هادياً ونصيراً﴾**[2].

وتتلخص هذه الشبهة في قولهم: "لقد كان رسولكم رجلاً شهوانياً، وإلا لما زاد عدد زوجاته عن عشر نسوة"[3].

ولقد ردَّ العلماء والدعاة على هذه الشبهة، نصرة لله ولرسوله ودفعاً للإيهام الذي قد يترتب عليها، وقبل الحديث عن هذه التفريعات أودُّ تقرير حقيقتين مهمتين تكونان منطلقاً للحديث عن هذه الفرية هما:

١- إقرار بشريته ﷺ قبل النبوة وبعدها، مع كمال خُلقه وسموّ مكانته، وهذا يدفعنا إلى التسليم لما يحتاج إليه البشر من الضرورات في حياتهم من أكل وشرب ونكاح، وصدق ا لله: **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناهُ رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسونَ﴾**[4].

٢- إقرار نبوته ورسالته وأنه لا يخرج عن أمر ا لله وقضائه، بل ولا يُقْدِم على شيء أو يقوله إلا وهو مأمور به من عند ا لله، ومنه زواجه ﷺ وصدق ا لله **﴿وما ينطقُ عنِ الهوَى. إنْ هوَ إلاَّ وحيٌ يُوحَى﴾**[5].

وقوله سبحانه: **﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحدٍ عنهُ حاجِزينَ﴾**[6].

---

(١) سورة الفتح، آية: (٢٣).

(٢) سورة الفرقان، آية: (٣١).

(٣) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجاته ﷺ للشيخ محمَّد علي الصابوني (ص٧)، طبع على نفقة السيد حسن شربتلي وقفاً لله تعالى، عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٤) سورة الأنعام، آية: (٨).

(٥) سورة النجم، آية: (٣-٤).

(٦) سورة الحاقة، آية: (٤٤-٤٧).

فإذا تقرَّرت هاتان الحقيقتان، يكون الرد منطقياً ومعقولاً في إثبات منقبتين له عليه الصلاة والسلام. تُلزم من في قلبه مرض وتدفع عنه ﷺ هما:

١- لم يتزوج -عليه الصلاة والسلام- لا بكراً ولا ثيباً قبل سن الخامسة والعشرين، وهذا معناه أنه تجاوز مرحلة عنفوان الشباب وقوة الشهوة في مرحلة المراهقة. ولم يعاشر النساء حلالاً ولا حراماً قبل ذلك -عليه الصلاة والسلام- وهذا كان قبل النبوة والرسالة وقبل معرفة الحلال والحرام[١].

٢- قضى -عليه الصلاة والسلام- شبابه وبعضاً من كهولته مع امرأة واحدة ثيب كانت تكبره في السن وكانت قبله تحت رجلين، ولم يجمع معها غيرها حتى توفيت، وقد بلغت من العمر سناً لا يكون للرجال فيها حاجة فرضي الله عنها[٢].

ناهيك عن المصالح[٣] التي تقررت بزواجه ﷺ فمنها التشريعية والمصالح الاجتماعية والتعليمية والسياسية والتربوية إلى غير ذلك مما كان سبباً في تعدد زوجاته ﷺ.

٢- زواجه -صلى الله عليه وسلم- بخديجة -رضي الله عنها-:

درج المستشرقون كعادتهم في الطعن في أصول الدين وفروعه بل وفي صاحب الرسالة نفسه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك ما توافروا على نشره وتصحيحه في الشبهة التي أحدثوها وملخصها: أن خديجة -رضي الله عنها- سقت والدها خمراً

(١) انظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها للشيخ محمَّد متولي الشعراوي، جمع وإعداد: عبد القادر أحمد عطا (ص٤٩)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

(٢) انظر: زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، للشيخ محمَّد محمود الصواف (ص١١)، الطبعة الثانية: ١٣٨٣هـ، ط. مطبعة الحرية، عمان - الأردن.

(٣) انظر: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجاته ﷺ للشيخ الصابوني (ص١٣). وكتاب: نساء حول الرسول ﷺ لمحمود الاستانبولي ومصطفى أبو النصر شلبي (ص٣٦١)، الطبعة السادسة: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ط. مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية.

لتنتزع منه الموافقة على زواجها بمحمد ﷺ، ساعدهم على ذلك للأسف الشديد وجود هذه الفرية سهواً وخطأً في بعض كتب السيرة والتاريخ[1].

هذا وقد ردَّ علماء الإسلام على هذه الشبهة التي يترفع الإنسان عن سماعها، فضلاً عن ذكرها وإثباتها في كتب السيرة وغيرها وكأنه مُسَلَّم بصحتها.

والمقام لا يسمح بذكر كلّ ما كتب من ردود على هذه الشبهة وسأكتفي بذكر نقطتين أساسيتين هما:

١- ضعف مثل هذه الروايات لاضطرابها في تحديد من هو المزوج لخديجة -رضي الله عنها-. قال ابن سعد في الطبقات بعد أن ذكر كثيراً من هذه الروايات الباطلة والمنكرة: "فهذا كله غلط ووهل، والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم، أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ"[2].

٢- استحالة تصديق مثل هذه الشبهة وعدم ثبوت نسبتها عقلاً ومنطقاً، خاصة وأنها نسبت لنبينا محمَّد ﷺ الذي عُرف بالعقل والرشد والرأي والعفة والطهارة قبل البعثة وبعدها. وكذلك ما تمتعت به أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- من العقل والعفة قبل الإسلام وبعده ثم مخالفة هذه الواقعة للبيئة والظروف التي حدثت فيها. فبنو هاشم في الذروة من قريش نسباً وشرفاً وأبو طالب، الذي كان هو الخاطب والوكيل لابن أخيه[3] كيف يرضى بمثل هذه السخافة وهي

---

(١) انظر: هذه الروايات في كلّ من: الروض الأنف للسهيلي (٢/٢٣٩-٢٤٠). ومنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري (ص٢٦). وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٢/٢٢٥). وحياة الصحابة للكاندهلوي (٢/٦٥٧) وغيرها.

(٢) الطبقات لابن سعد (١/١٣٣). وانظر: حاشية سيرة ابن هشام، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد (١/٢٠٤)، ونصه: "وقد اختلف في المزوج لها على أقوال كثيرة، والصحيح أن المزوج لها عمها عمرو بن أسد، لأن أباها مات قبل الفجار".

(٣) انظر: حاشية منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، (ص٢٩).

احتمال أن يعقد رجل من أشراف العرب عقد زواج مع رجل سكران.

وأخيراً «فإن أمانة البحث العلمي تحتم على الراوي ألا يقتصر على رواية واحدة غير صحيحة فيتخذونها مادة للشبهة والإرجاف»[1].

٣- زواجه -صلى الله عليه وسلم- بعائشة -رضي الله عنها-:

لم يدع أعداء الإسلام منذ القدم باباً للشر ولا مسلكاً للطعن في النبي ﷺ إلا وبادروا إليه وسلكوه. وملخص شبهتهم هي الزواج الذي كان منه -عليه الصلاة والسلام- بالطفلة العذراء التي هي في مقام بنت من بناته.

والعجب: هو أن هذه الفرية الجديدة من أعداء الإسلام في هذه الفترة المتأخرة، لم تكن جذورها ممتدة لأسلافهم الأوائل من اليهود والمنافقين وغيرهم، ذلك لأنهم عاشوا في ذلك الزمان، ولم يكن هذا الأمر مثار عجب ولا استغراب ولا هو بمطعن في نظرهم، نظراً للبيئة التي كانوا يعيشون فيها والعادات والتقاليد التي درجوا عليها، وإلا فهل يُعقل أن يترك مثل هذه الفرصة أهل الكفر والوقيعة من أهل ذلك الزمان، وما ذاك إلا لعلمهم بأنها ليست هي أول صبية تزف في هذا السن لرجل أسنَّ منها ولن تكون آخرهن[2]. ثم لمَ هذا الإنكار وهي ذاتها كانت مخطوبة قبله ﷺ من جبير ابن مطعم بن عدي[3]. وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تزوج في آخر أيامه بأم كلثوم بنت علي بنت أبي طالب وهو في عمر أسنَّ من عمر أبيها، ويعرض عمر -رضي الله عنه- ابنته حفصة بعد تأيمها على كلّ من أبي بكر وعثمان وهما في سن والدها[4].

---

(١) انظر: الإسلام في الفكر الأوروبي للدكتور محمَّد شامة (ص٤٢-٤٣)، مكتبة وهبه القاهرة - مصر.

(٢) انظر: نساء حول الرسول، لمحمود الإستانبولي ومصطفى شلبي (ص٣٣٧).

(٣) انظر: المسند للإمام أحمد (٦/٢١٠-٢١١). والسنن الكبرى للبيهقي (٧/١٢٩-١٣٠). وطبقات ابن سعد (٨/٥٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٤٩).

(٤) انظر: نساء النبي للدكتورة بنت الشاطئ (ص٧٥)، طبعة عام (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

أخيراً لقد علقت هذه الشبهة في أذهان كثير من المسلمين بقصد وبغير قصد، حتى أصبح عند البعض أن الزواج في السن الذي تم فيه دخوله ﷺ بعائشة -رضي الله عنها- من المستحيل. ولكن -و لله الحمد- فقد ردَّ عليهم من علماء المسلمين بالأدلة النقلية والعقلية وقرروا حقيقة هذا الزواج في هذه السن المبكرة للسيدة عائشة -رضي الله عنها-، وأن هذا هو ديدن الناس في ذلك الزمان[1]، كما أنه من رسول الله ﷺ تشريع وحثّ على الزواج المبكر لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ثم إن عقل المرأة وأهليتها للزواج لا يتوقف على صغر سنها أو كبرها، كما أنه لم يَبْنِ بها ﷺ إلا وهي أهل لذلك.

٤- حادثة الإفك:

حين ارتفعت راية الإسلام، وبدأ عزُّ الإسلام يظهر ورأس الكفر ينكسر، ظهر في صفوف المسلمين عدو لدود مخادع أظهر الإسلام حقناً لدمه وحرصاً على ماله، وأضمر الكفر وجيوش الحقد والحسد والكيد للإسلام والمسلمين. أولئك هم المنافقون الذين كان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي اعتبر أن رسول الله ﷺ قد سلبه الملك والعزّ، وذلك حين كان قومه قد بدأوا ينظمون له تاج الرئاسة والملك عليهم قبل وصول نور الإسلام إلى المدينة ودخول أهلها فيه.

فهذا وأمثاله عقدوا العزم على العمل ضد المسلمين، وأخذوا يعملون فرادى ومجتمعين. بل قد بلغ من خبثهم ومكرهم أنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في الغزوات، وبالذات التي كانوا يتوقعون فيها النصر والغنيمة حتى يعودوا بمتاع الدنيا الزائل، ويثبتوا للمسلمين بأنهم منهم ومعهم، وفي الوقت نفسه يتحينون الفرص التي

---

(١) انظر: كتاب زواج السيدة عائشة ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكري ذلك، للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر. وكتاب الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة للشيخ محمَّد علي الصابوني، ط. دار القلم، دمشق، إضافة لبعض الكتب الأخرى التي تناولت الموضوع ولكن ليس بالتوسع والفائدة الموجودتين في الكتابين السابقين.

تسنح لهم في بثّ شكوكهم وزرع بذور الشقاق بين المسلمين، بـل وإن دعـا الأمـر لأن يصِلُوا بهمزهم ولمزهم لينالوا من رسول الله ﷺ، فـإنهم لـن يـترددوا في ذلـك. وقد كان لهم ما أرادوا حـين خرجـوا مـع رسـول الله ﷺ في غـزوة بـني المصطلق، وأمكنتهم الفرصة من إعطاء نفوسهم شـهواتها الخبيثـة، وذلـك فيمـا عُـرف بحادثـة الإفك[1] التي حفلت بها كتب التفسير والحديث والمغازي والسـير نظـراً لاشـتهارها بنزول آيات من القرآن الكريم فيها.

وملخَّصُها باختصار: هو أن القافلة تركت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لانشغالها بالبحث عن عقدها في المكان الذي قضت فيه حاجتها. ومـن ثَـمَّ عودتهـا ولبثها في مكان القافلة ومجيء صفوان بن المعطل -رضي الله عنه- حيث تخلَّف عـن المعسكر فرآها وعرفها. وذلك لأنه كان يراها قبل أن يُضـرب الحجـاب. فأنـاخ لهـا البعير وانطلق سريعاً يطلب الناس، وافتُقدت -رضي الله عنها- حتى أصبحت ونزل الناس. فلما اطمأنوا طلع صفوان -رضي الله عنه- يقـود البعـير وعليـه أم المؤمنـين، فقال أهل الإفك ما قالوا. عندها تناقل مرضى القلـوب هـذه الفريـة، فكشـفت عـن القلوب المريضة. واشتدَّ وهج الفتنة حتى وقع فيها بعض المسلمين. وزاد الأمر شـدة تأخُّرُ الوحي ليهلك من هلك عن بينـة ويحيـا مـن حـي عـن بينـة. وفعـلاً فقـد نجـح المنافقون في هذه المرة وكانت حرابهم مسـمومة وأيقنـوا أنهـم سـددوها إلى المقتـل، حتى فرَّج الله عزَّ وجلَّ بنزول الوحي من الله المطلع على السر والنجـوى. وبُرئـت الصديقة بنت الصديق من فـوق سـبع سمـاوات بآيـات تتلـى في كتـاب الله يقرؤهـا المسلمون في محاريبهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث الإفـك، حديـث رقـم: (٤١٤١) (ص٨٦٦). وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديـث رقـم: (٢٧٧٠) ص١١١٢.

هذا ولقد تسابق العلماء والمفكرون المسلمون في الردّ على هذه الفرية ودحضها بالنقل والعقل. وحفلت كتب التراجم الحديثة وغيرها بتلك الردود الــتي تقـرب بهـا أصحابها إلى الله في الردّ والذود عن حياض المصطفى ﷺ وأهل بيتـه الطـاهرين مـن أمهات المؤمنـين، والمقـام لا يسـمح بسـرد كـل تلـك الـردود، ولكـن الدليـل الأول والأقوى عند كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، هو نزول الوحي ببراءة الصديقـة -رضي الله عنها- فهذا يكفينا نحن المؤمنين في الردّ على هذه الشبهة.

هذا وإن أهل العلم من أهـل السـنة والجماعـة أجمعـوا علـى أن مـن طعـن فيهـا بما برأها الله منه وبما رماها به المنافقون في السـابق والروافـض في اللاحـق مـن خـبر الإفك، فإنه كافر مكذّب بما ذكـره الله في كتابـه مـن إخبـاره ببراءتهـا وطهارتهـا، بل قالوا: يجب قتله. وسأورد بعض الأدلة على ذلك:

١- قال الحافظ ابـن كثـير -رحمـه الله- في تفسـيره عنـد قولـه تعـالى: ﴿**إِنَّ الذِينَ يَرْمُونَ المحصَنَاتِ الغَافِلاتِ...**﴾[1] الآية. قال: «أجمـع العلمـاء -رحمهـم الله- قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكـر في هـذه الآيـة فإنه كافر لأنه معاند للقرآن»[2].

٢- ذكر العلامـة ابـن القيـم -رحمـه الله- اتفـاق الأمـة علـى كفـر قـاذف عائشـة -رضي الله عنها- حيث قال: «وكانت أحب الخلـق إليـه، ونـزل عذرهـا مـن السماء. واتفقت الأمة على كفر قاذفها»[3].

---

(١) سورة النور، آية: (٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير -رحمه الله- (ت: ٧٧١هـ) (٢٧٦/٣)، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بـابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) (١٠٦/١)، الطبعـة الثانيـة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. مؤسسـة الرسـالة، بيروت - لبنان.

٣- وقال الزركشي -رحمه الله-: «ومن قذفها فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها»[(١)].

٤- رأى الإمام مالك -رحمه الله- قتل من سب عائشة -رضي الله عنها- بالفرية؛ لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، لأنه كذب بما فيه[(٢)].

٥- قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً**﴾[(٣)]، «يعني في عائشة، لما في ذلك من إذاية لرسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفرٌ من فاعله، قال هشام بن عمار سمعت مالكاً يقول: من سب أبا بكر وعُمر أُدب. ومن سبَّ عائشة قتل، لأن الله تعالى يقول: ﴿**يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**﴾ فمن سبَّ عائشة فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل»[(٤)].

٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما من سبَّ أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرَّح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم»[(٥)].

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي (ص٤٥، ٤٦). وأضاف "وعند مالك أن من سبها قتل"، قال أبو الخطاب ابن دحية في أجوبة المسائل: "ويشهد لقول مالك كتاب الله، فإن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه، قال تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ فسبح نفسه في تنزيه عائشة كما سبح نفسه لنفسه في تنزيهه"، حكاه القاضي أبوبكر بن الطيب.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: كمال بسيوني (٢/٢٥١)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥) ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

(٣) سورة النور، آية: (١٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٢/٢٠٥)، ط. دار الشام للتراث، بيروت - لبنان.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٦٦) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧- قال ابن أبي موسى[1]: «ومن رمى عائشة -رضي الله عنها- بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة»[2].

وهذه الأقوال السابقة عن هؤلاء الأئمة قليل من كثير مما حفلت به كتب الفقه والعقائد والتفسير في الردّ على من طعن في السيدة عائشة -رضي الله عنها- من الروافض وأتباعهم والحكم عليه بالكفر لتكذيبه لله عزَّ وجلَّ فيما أخبر به في كتابه الكريم من براءتها وطهارتها -رضي الله عنها-.

هذا وإن مفهوم البراءة للسيدة عائشة -رضي الله عنها- موجود لدى كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر. وهو الذي ذهب إليه الصحابي الجليل أبوأيوب الأنصاري -رضي الله عنه- حين قالت له امرأته أم أيوب، يا أبا أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة -رضي الله عنها- قال: نعم، وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك[3]. رضي الله عن السيدة عائشة وعن أمهات المؤمنين وحشرنا في زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

٥- زواجه ﷺ بزينب بنت جحش:

سلك المستشرقون كعادتهم مسلك الطعن والادعاء الكاذب. وفي هذه المرة استندوا على روايات ضعيفة وموضوعة مبعثرة في ثنايا بعض كتب التاريخ[4]

---

(١) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن جعفر الشريف الهاشمي، إمام الحنابلة ببغداد في عصره ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة، الأعلام للزركلي (٢٩٢/٣).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٦٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢٧٣/٣) في قوله تعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات...**﴾ [سورة النور، آية:١٢]، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/٢٢). وطبقات ابن سعد (١٠١/٨). وتفسير البغوي (٥٣١/٣). والكشاف اللزمخشري (٢٣٧/٣).

وغيرها. وكانت فريتهم هذه المرة حول زواجه ﷺ من زينب بنت جحش -رضي الله عنها- ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، حيث صوَّر أعداء الله هذا الزواج في صورة الحب والغرام الذي يعيشونه في حياتهم ويترفع عنه الفضلاء فضلاً عن الأنبياء بل وأفضل وأشرف الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، حيث أفاضوا في تصور الخيال وأطلقوا لأنفسهم العنان لتنهش أقلامهم من كرامة النبوة ومنزلتها العالية.

ولقد تسابق العلماء[1] والمفكرون المسلمون في الردِّ على هذه الفرية ودحضها بالنقل والعقل، وحفلت كذلك بعض الكتب الحديثة[2] بتلك الردود التي تقرب بها أصحابها إلى الله في الردّ والذود عن حياض المصطفى عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الطاهرين من أمهات المؤمنين، والمقام لا يسمح بسرد كلّ تلك الردود. وسأكتفي بذكر الرواية الصحيحة الواردة في صحيح البخاري وفسرها وشرحها الإمام ابن حجر -رحمه الله- في كتابه القيم فتح الباري. فإن في الصحيح غنى عن الضعيف.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن هذه الآية ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة[3].

قال ابن حجر -رحمه الله-: عند الكلام على هذا الحديث «وأخرجه أحمد عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد بهذا الإسناد بلفظ: "أتى رسول الله ﷺ منزل

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٩/١٤، ١٩٠-١٩١). وتفسير الحافظ ابن كثير (٤٩١/٣). وفتح الباري لابن حجر (٥٢٤/٨).

(٢) انظر: أضواء البيان للشيخ الشنقيطي (٥٨٢/٦-٥٨٣)، ومع المفسرين والمستشرقين د. زاهر الألمعي (ص٢٩). وأباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د. إبراهيم شعوط (ص٧٥-٧٨). وأزواج النبي ﷺ د. موسى شاهين (ص١١٤). والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة د. محمّد أبو شهبة (٣٠٠/٢).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (٤٧٨٧)، (ص١٠٣١) كتاب التفسير، باب: ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه...**﴾ الآية.

زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾. قال: يعني زينب بنت جحش». ثم ساق -رحمه الله- القصة من طريق السدي ولفظها: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه. فكان يستحي أن يأمر بطلاقها. وكان لايزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله. وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنَّى زيداً».

قال ابن حجر -رحمه الله- «وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتدَّ عليَّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال: والنبي ﷺ يحب أن يطلقها ويخشى قالة الناس»، ثم قال -رحمه الله-: «ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد. والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه»[1]، وكان ذلك تشريعاً لِحِكَمٍ جليلةٍ.

٦- موقعة الجمل:

لقد كثرت الروايات الواردة في الحديث عن موقعة الجمل وما سبقها من أحداث ولا يخفى بأن فيها الضعيف والصحيح والموضوع. وهذا يحدث في معظم الحوادث التاريخية، فكيف بمثل هذه الحادثة التي كانت مرتعاً خصباً للطاعنين والمتربصين للمؤمنين وأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

---

(١) فتح الباري للإمام ابن حجر (٥٢٣/٨-٥٢٤).

وقد تركّزت شبهتهم في قولهم أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لم تعمل بقوله تعالى: ﴿وقَرْنَ في بيوتِكنَّ ولا تبرجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليةِ الأولى...﴾ الآية، وذلك بخروجها إلى البصرة، ولمخالفتها لقوله ﷺ عام حجة الوداع: (هذه ثم ظهور الحصر). وقولهم بأنها كانت من المؤلبين على قتل عثمان -رضي الله عنه-، وأن الداعي لخروجها ليس لطلب دم عثمان وإنما هو بغضها لعلي -رضي الله عنه-، واستنادهم على خبر ماء الحوأب[1] وما حصل عنده من شهادة الزور حسب زعمهم، وقولهم بأنها هي سبب إراقة دماء المسلمين يوم الجمل.

هذه هي المحاور التي اعتمدوا فيها في إثارة شبهتهم. وقد رد علماء المسلمين -رحمهم الله- على كلّ جزئية من هذه الشُبه بما لا يدع مجالاً للشك أو الطعن، والمقام لا يسمح باستعراض كلّ ما قيل وذكر من تلك الردود، ولكني سأورد بإيجاز بعض تلك الردود توضيحاً للأمر وتجلية له.

قال الآلوسي -رحمه الله- في الردّ على زعمهم أنها لم تعمل بالآية الآمرة بالقرار في البيوت ما نصه: «وأجيب بأن الأمر بالاستقرار في البيوت والنهي عن الخروج ليس مطلقاً وإلا لما أخرجهن ﷺ بعد نزول الآية للحج والعمرة، ولما ذهب بهن في الغزوات، ولما رخص لهن لزيارة الوالدين وعيادة المرضى، وتعزية الأقارب، وقد وقع كلّ ذلك كما تشهد بذلك الأخبار الصحيحة»[2].

وقولهم بأنها كانت من المؤلبين على قتل عثمان -رضي الله عنه-، فلا يوجد نقل صحيح يثبت هذا. وإنما هو من ادعاءات الشيعة التي لا أصل لها.

قال الطبري -رحمه الله- في تاريخه: «إن المنقول عن عائشة -رضي الله عنها-

---

(١) انظر في خبر ماء الحوأب: صحيح ابن حبان (١٥/١٢٦)، وروح المعاني للآلوسي، (٢٢/١١)، وفتح الباري، (١٣/٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٧٧-١٧٨).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٢٢/٩). وانظر كذلك: مختصر التحفة الاثنى عشرية تأليف شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي (ص٢٦٨-٢٦٩).

يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله وذمت من قتله، حتى إنهـا دعـت علـى أخيهـا محمَّد لمشاركته في ذلك»[1].

وقولهم أن الداعي لخروجها للبصرة هو بغضهـا لعلـيٍّ وليـس لطلـب دم عثمـان -رضي الله عنهم أجمعين-، قال صاحب التحفـة: «هـذه دعـوى تحتـاج إلى دليـل، فالمروي عنها أنها خرجـت لإصـلاح ذات البـين وأخـذ القصـاص مـن قتلـة عثمـان -رضي الله عنه- المقتول ظلماً وعدواناً»[2].

وأما خبر ماء الحوأب[3] فأثبته أهل السير والتاريخ[4]، وقال ابـن حجـر -رحمـه الله- في فتح البـاري بثبوتـه وصحتـه[5]. وكذلـك أثبتـه الآلوسـي -رحمـه الله- في تفسيره[6]. أما القاضي أبو بكر بن العربي فقد نفى هـذه الحادثـة جملـة وتفصيـلاً في كتابه العواصم من القواصم[7]، وأكد محقق الكتاب هذا النفي في الحاشية[8]. والذي يظهـر لي أن الروايـة الـتي نفاهـا ابـن العربـي -رحمـه الله- غـير الروايـة الـتي أثبتهـا ابن حجر -رحمه الله-، وأن الذي ينبغي نفيه هو شهادة طلحة والزبير -رضـي الله عنهما- الزور إذ لم ترد في طريق صحيح، فطلحـة والزبـير -رضـوان الله عليهمـا- المشهود لهما بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى أعلى وأجلُّ من أن ينسب لهما مثل ذلك.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٥١٣/٤). وانظر: روح المعاني اللآلوسي (١١/٢٢-١٢).

(٢) انظر: التحفة الاثنا عشرية للدهلوي (ص٢٦٩). وانظر كذلك في الرد على هـذه الشبهة الطبقـات لابن سعد (١٨/٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٧/٢). وروح المعاني للآلوسي (١١/٢١).

(٣) انظر الحاشية رقم (١) الصفحة السابقة.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (١٧٠/٥). والكامل لابن الأثير (١٠٧/٣). والبداية والنهاية لابن كثير (٢٤٢/٧).

(٥) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٥٥/١٣)، ط. دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٦) انظر: روح المعاني للآلوسي (١١/٢٢)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٧) العواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب (ص١٦١)، ط. مكتبة أسامة بن زيد، بيروت – لبنان.

(٨) المصدر السابق (ص١٦١).

ولقد حكم الألباني -رحمه الله بصحة الحديث وقال: صحيح جداً، وأسهب في الكلام على سنده ومتنه مؤكداً حكمه عليه بالصحة والرد على منكري ذلك[1].

وأما قولهم: بأنها هي سبب إراقة دماء المسلمين يوم الجمل، فهذا لا يقوله إلا من لا علم له بما وقع يوم الجمل، وما تم من أمور الإصلاح التي كادت تتم بين الطرفين. وذلك إنما يدل على صدق النية عند الطرفين وإخلاصهم في هذا الخروج بأنهم لم يخرجوا إلا متأولين وقاصدين لمقصد واحد وإن كان قد تمَّ الإفصاح عنه من قِبَل أم المؤمنين -رضي الله عنها- وهو القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنه- وهذا نفسه مطلب أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- ولكنه لا يستطيع ذكره نظراً لوجود عدد منهم في جيشه، وكان -رضي الله عنه- ينتظر استقرار الأمور وهدوءها وتفرق الناس إلى ديارهم ليستعيد قوته ويميل بالقصاص على القتلة. وهذا هو ذاته الذي قاله القعقاع بن عمرو -رضي الله عنه- حينما أرسله علي بن أبي طالب لطلحة والزبير وأم المؤمنين -رضي الله عنهم- ليتشاور معهم في أمر هذا الخروج[2].

هذا ولقد أكرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وسار في وداعها أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً وودعها أكرم توديع[3].

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٧٤) (٧٦٧/١)، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤٨٨/٤). والكامل لابن الأثير (١١٩/٣). وروح المعاني للآلوسي (٢٢/١٠-١١).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥٤٤/٤). والكامل لابن الأثير (١٣٠/٣).

الباب الأول

منهج أمهات المؤمنين في خدمة مصادر الدعوة

الفصل الأول: منهج أمهات المؤمنين في خدمة القرآن وعلومه.

اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأوّل : التعريف بالقرآن الكريم ومكانته.

المبحث الثاني : سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن.

المبحث الثالث : أوجه عنايتهن بالقرآن الكريم.

المبحث الرابع : نماذج من مروياتهن في خدمة القرآن الكريم.

الفصل الأول

منهج أمهات المؤمنين في خدمة القرآن وعلومه

بين يدي الفصل:

١- في تعريف المنهج:

المنهج مأخوذ من النهج، وهو الوضوح والاستبانة والاستقامة في الطريق، تقول: نَهَجَ الطريقُ: بمعنى استقام ووضح واستبان، والمنهاج: الطريق الواضح[١].

قال تعالى: ﴿لكلٍّ جعلنا منكمْ شِرْعةً ومِنْهَاجاً﴾[٢].

واستخدمت هذه الكلمة في الخطة المرسومة، أو المسلوكة في الدراسة والعلم، فقيل: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ومنهج البحث العلمي[٣].

٢- منهج أمهات المؤمنين في خدمة القرآن وعلومه:

تمثل المنهج الذي سلكته أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة القرآن الكريم وعلومه في التالي:

(أ) في تلقيه وأخذه عن النبي ﷺ.

(ب) في حفظه وتلاوته.

(ج) في تعلمه ومعرفة أحكامه.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة "نهج" (٣٨٣/٢).

(٢) سورة المائدة، آية: (٤٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة "نهج" (٩٥٧/٢).

(د) في تعليمه وتبليغه للناس في حياته وبعد وفاته ﷺ.

لقد عني النبي ﷺ بإقراء أصحابه القرآن، ومن باب أولى أهل بيته وهن أمهات المؤمنين، حيث كان ينزل عليه الوحي أحياناً في حجراتهن. فأخذن -رضوان الله تعالى عنهن- عن النبي ﷺ ما تلقّاه من أمين الوحي جبريل -عليه السلام- عن رب العالمين جلّ ثناؤه.

وتمثلت عناية أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بالقرآن الكريم في حفظه والإكثار من تلاوته، وكن إلى جانب ذلك يحرصن على تعلم أحكامه ومعرفة حلاله وحرامه زيادة منهن في الخير وحرصاً منهن على نيل الفضل والأجر والسبق في هذا المضمار، ثم بعد وفاته ﷺ ضربن بسهم وافر في بذل الخير والعلم والفائدة للمسلمين، حيث قمن بواجب التبليغ لهذا الميراث النبوي الذي استأمنهن الله عزَّ وجلَّ عليه في قوله: ﴿**واذكرنَ ما يُتْلَى في بُيوتِكُنَّ من آيات الله والحكمة إنَّ الله كان لطيفاً خبيراً**﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٤).

المبحث الأول: التعريف بالقرآن الكريم ومكانته

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للقرآن الكريم:

١- التعريف اللغوي:

قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[١].

وقيل: القرآن اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل: مشتق من القِرى بمعنى الضيافة. وقيل: هو الجمع، ومنه قريت الماء في الحوض: أي جمعته[٢].

وقال صاحب المفردات: سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السابقة[٣].

وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان[٤].

والقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ قراءة وقرآناً. قال تعالى: ﴿**إنَّ علينا جَمْعَه وقرآنَه. فإذا قرأْناه فاتّبِعْ قرآنَه**﴾[٥]. أي قراءته. فهو مصدر على وزن فُعْلان بالضم كالغفران والشكران، وسمي به الكتاب المقروء[٦].

---

(١) المعجم الوسيط (٧٢٢/١)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة "قرأ" (١٢٨/١)، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني، (ص٤٠٢)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم (٢٧٧/١)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٥) سورة القيامة، آية: (١٧، ١٨).

(٦) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٥١/١)، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٢- التعريف الاصطلاحي:

ذُكر في تعريف القرآن في الاصطلاح عدة تعاريف منها المختصر ومنها الوافي ومن هذه التعريفات:

١- «أنه ما نقل بين دفتي المصحف تواتراً»[١].

٢- «اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر الناس»[٢].

٣- «هو الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته»[٣].

٤- «القرآن هو الكلام الذي أوحاه الله تعالى كلاماً عربياً إلى محمّد ﷺ بواسطة جبريل على أن يبلغه الرسول إلى الأمة، باللفظ الذي أوحي به إليه للعمل به ولقراءة ما تيسر لهم أن يقرأوا منه في صلواتهم وجعل قراءته عبادة»[٤].

٥- «القرآن اسم للكلام الموحى به إلى النبي ﷺ، وهو جملة المكتوب في المصاحف المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة أولاها الفاتحة وأخراها سورة الناس»[٥].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٨/١)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (١٩/١)، الطبعة الأولى (١٤٠٩-١٩٨٨م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالحي (ص٢١) الطبعة الرابعة عشرة: ١٩٨٢م، ط. دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

(٤) تفسير: التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور (٧٠/١)، ط. الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس.

(٥) المصدر السابق (٧١/١).

وفي نظر الباحث أن معظم هذه التعاريف يحويها التعريف الثالث حيث شمل كلّ مقتضيات العلم بالقرآن من صفته بأنه كلام الله وصفة الإعجاز، وأنه منزل على النبي ﷺ وأنه هو المكتوب في المصاحف، وأنه منقول بالتواتر وأن تلاوته عبادة.

أمَّا من اختصر وأوجز في التعريف فتجده قد اقتصر على وصفه بالتواتر أو الإعجاز أو أثبت أنه كلام الله، ولم يستوفِ الصفات الأساسية وهذا لا يشبع نهمة القارئ، ولا يحيط السامع علماً بكامل فحوى المعرَّف به.

أمَّا الذين توسطوا في التعريف فمنهم من عَرَض لكتابة المصاحف وإنزال الألفاظ والنقل بالتواتر فقط، وسكت عن الإعجاز أو التعبد بتلاوته وغير ذلك من الصفات الأساسية التي يجب ذكرها لاستيفاء المعنى.

وعوداً على ما يترجح بأنه تعريف مستوفٍ لكل حيثيات المعرَّف به، تُوضح مفرداته فيما يلي:

(**الكلام**): جنس في التعريف يشمل كلّ كلام، وإضافته إلى الله يُخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

(**المعجز**): خرج به غير المعجز مما تكلم به الله سبحانه مما ورد في الأحاديث القدسية وغير ذلك من الكتب السابقة التي أوحاها الله إلى أنبيائه، ولم يتحدَّ بها الناس، ليس كما حصل في القرآن الكريم المتحدى به وبسورة منه بل وبآية منه، وصدق الله: ﴿**قلْ لئنْ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظَهيراً**﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، آية: (٨٨).

(**المنزّل على النبي محمّد ﷺ**): يخرج به كلام الله الذي استأثر به سبحانه مثل قوله: ﴿**قلْ لو كانَ البحرُ مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾[1]. وقوله: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾[2]. وتقييد المنزل بكونه على نبينا ﷺ يخرج ما أنزل الله على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما[3].

(**المكتوب في المصاحف**): يخرج به ما لم يدون أصلاً ولم يعتد به من الجمع الأول الذي جمعه الخليفة الأول أبو بكر، والذي كان لا يقبل إثبات شيء من القرآن إلا بشاهدين عدلين، ثم حُفظ هذا المصحف عند أبي بكر ثم عمر -رضي الله عنهما- ثم عند حفصة حتى أخذه منها عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ونسخ منه النسخ وأرسلها إلى الأمصار.

(**المنقول بالتواتر**): خرج بالمنقول بالتواتر جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة، سواء أكانت مشهورة نحو قراءة ابن مسعود -رضي الله عنه- (متتابعات) عقب قوله تعالى: ﴿**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام**﴾[4]، أم كانت آحادية كقراءة ابن مسعود بلفظ (متتابعات) عقب قوله تعالى: ﴿**ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة**

---

(١) سورة الكهف، آية: (١٠٩).

(٢) سورة لقمان، آية: (٢٧).

(٣) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع خليل القطان (ص٢١)، الطبعة الثامنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

(٤) سورة البقرة، آية: (١٩٦).

من أيام أخر﴾[1]، فإن شيئاً من ذلك لا يسمى قرآناً، ولا يؤخذ بحكمه[2].

(**المتعبد بتلاوته**): يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية -إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها- لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك[3].

المطلب الثاني: مكانة القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو خاتمة الكتب السماوية، وهو الذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين. ختم الله به كلّ الأديان وهيمن عليها، قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لما بينَ يديهِ من الكتابِ ومهيمناً عليه...**﴾[4] الآية.

فهو حجّة الله على عباده، والمعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ الباقية ما بقي الدهر شاهداً وناطقاً بنبوته ودليلاً على صدقه وأمانته ﷺ.

هذا وقد كان لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- نصيب وافر في إظهار هذه المكانة لكتاب الله بين الناس عامة والمؤمنين خاصة، ظهر ذلك في تعظيمهن لكتاب الله عزَّ وجلَّ حتى كُنَّ أعظم قدوة للمؤمنين

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٨٥).

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (٢٢/١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (ص٢١)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

والمؤمنات في تمسكهن بكتاب الله عزَّ وجلَّ قولاً وعملاً، نصحاً وإرشاداً. وما ذاك إلا لأنه حبل الله المتين ونوره المبين، وآياته كانت تنزل في حجراتهن وكنَّ أوَّل السامعين لها من فَمِ رسول الله ﷺ.

وهذه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ترسم للأمة منهجاً وقاعدة متينة حفظتها عنها الأمة وتناقلتها الأجيال، وهي تنقل للأمة شيئاً من الميراث النبوي الدالّ على اعتصامه ﷺ بكتاب الله عزَّ وجلَّ وتمثُّله به في كلّ صغيرة وكبيرة وفي كلّ لحظة وحين.

اتضح ذلك عند ما سُئلت -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت للسائل: ألست تقرأ القرآن، فأجابها السائل: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[1].

أرادت -رضي الله عنها- توجيه السائل ومن وراءه من المسلمين إلى أهمية القرآن الكريم وبيان مكانته عنده ﷺ. فكان يأتمر بأمر القرآن وينتهي بنهيه. والأمة مأمورة بأن تقتدي به عليه الصلاة والسلام بنص القرآن حيث قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمنْ كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[2].

قال النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث السابق: «معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبُّره

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٤٦) (ص٢٩٣)، كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٢١).

وحسن تلاوته»[1].

وهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- تفتخر بين نساء النبي ﷺ بأن زواجها كان من عند الله وأثبته الله في كتابه[2].

إلى غير ذلك مما يظهر مكانة القرآن الكريم عند أمهات المؤمنين وحرصهن في الوقت نفسه على إظهار مكانة القرآن عند الأمة لأنهن يعلمن أنهن في مكان القدوة والأسوة من لدن المؤمنين والمؤمنات.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢٦).

(٢) راجع الحاشية رقم (١) (ص٦٤).

المبحث الثاني

سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمادة (سأل):

١- التعريف اللغوي:

سأل يسأل سؤالاً ومَسْأَلةً، وجمع المسألة: مسائل بالهمز[١]. والسؤال: هو ما يسأله الإنسان[٢].

وسألته عن كذا: استعلمته، وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً[٣]،

والسأّل: كثير السؤال، وسأل فلاناً الشيء: استعطاه إياه، ويقال: سألت زيداً درهماً، وفي التنزيل: ﴿**لا نسألك رزقاً نحن نرزقك**﴾[٤].

والسائل: الفقير، ومنه قوله تعالى: ﴿**وأما السائلَ فلا تنهرْ**﴾[٥].

والجمع: أسئلة ومسائل[٦].

والأمر منه: سلْ، تحذف الهمزة منه في الأمر[٧].

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (سأل) (٣١٨/١١) ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

(٢) مختار الصحاح للإمام الرازي، مادة (سأل) (ص٢٨١)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٣) المصباح المنير للفيومي، مادة (سأل) (٣١٨/١)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.

(٤) سورة طه، آية: (١٣٢).

(٥) سورة الضحى، آية: (١٠).

(٦) المعجم الوسيط، مادة (سأل) (٤١١/١)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٧) لسان العرب لابن منظور، مادة (سأل) (٣١٨/١١)، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

٢- التعريف الاصطلاحي للسؤال:

هو: (استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال)[١].

وقيل في شرح التعريف:

استدعاء المعرفة: جوابه باللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة.

واستدعاء المال: جوابه باليد، واللسان خليفة لها إما بوعد أو بردٍّ[٢].

والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجارّ، نحو سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا، ويأتي متعدياً بـ"عن" أكثر، ومنه قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾[٣]. وأما إذا كان السؤال لاستدعاء مالٍ فإنه يتعدى بنفسه وبـ"من"، نحو قوله تعالى: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً...**﴾[٤] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**واسألوا ا الله من فضله**﴾[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٢٥٠)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٢) المصدر السابق (ص٢٥٠).

(٣) سورة الإسراء، آية: (٨٥).

(٤) سورة الأحزاب، آية: (٥٣).

(٥) سورة النساء، آية: (٣٢). وانظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١٦٤/٣)، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

المطلب الثاني: أوجه السؤال الواردة في القرآن الكريم:

يعتبر أسلوب السؤال والجواب من أرقى أساليب التربية والتعليم لما يكمن فيه من شدة التأثير وتحديد المدلول على السائل، فهو يركز الفكر ويوقظ الذهن لدى السائل لتلقي الجواب.

ويلاحظ بأن منهج السؤال والجواب في كتاب الله قد عُني بأهم قضايا الإنسان في حياته الخاصة والعامة، وعن البعث والجزاء والساعة. ولا ينتهي أمد السؤال بانتهاء هذه الحياة، بل يمتدّ إلى عرصات القيامة حتى يسأل الله عباده أو تسألهم الملائكة، أو حين يسأل بعضهم بعضاً، أو عندما يتساءل الإنسان مع نفسه. والأسئلة في ذلك أسئلة تقرير وتقريع لأن الحقائق قد عُلمت والمغيبات قد كشفت[1].

هذا وقد ورد السؤال في القرآن الكريم على عدة أوجهٍ، أوصلها بعض العلماء إلى عشرين وجهاً[2]. ومنهم من جعلها ثمانية عشر[3]. ومنهم من أوصلها إلى اثنين وثلاثين وجهاً[4].

وسرد كلّ تلك الأوجه يطول ومنها على سبيل المثال لا الحصر، سؤال المغفرة، وسؤال الاستغاثة، وسؤال الطلب والحاجة، وسؤال التعنت، وسؤال الشفاء[5].... إلى غير ذلك.

---

(١) انظر: السؤال والجواب في آيات الكتاب للشيخ عطية محمد سالم (ص٨)، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ط. مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

(٢) هذا القول للفيروزآبادي في: بصائر ذوي التمييز (٣/١٦٥).

(٣) هذا القول للزركشي في: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٣٨)، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان.

(٤) هذا القول للسيوطي في: الإتقان (٢/٨٠)، ط. عالم الكتب، بيروت – لبنان.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، (٣/١٦٥)، ط. المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

المطلب الثالث: أهمية السؤال في الدعوة والتربية:

١- أهمية السؤال في الدعوة:

السؤال هو مفتاح العلم والخير لمن طلبه وحرص عليه. والداعي إلى الله يتعيَّن عليه أن يوظف كلّ الأساليب المتاحة لنجاح دعوته وقبولها عند الناس. ورسول الله ﷺ هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة لكل داعٍ وهادٍ للناس، فقد كان عليه الصلاة والسلام يستخدم أسلوب السؤال ليجذب انتباه من حوله واهتمامهم واستيعابهم لما سيقول، فتارة تراه يبدأ بإلقاء السؤال وينتظر الإجابة من السامع حتى إذا وصل السامع إلى مرحلة التشوق وحب الاستطلاع للمعرفة، أفاض عليه ﷺ من العلوم والمعارف التي تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة. من ذلك ما ورد في حديث معاذ -رضي الله عنه- قال: (كنت ردف النبي ﷺ، فقال لي: يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله)[1].

وقد اتضحت بهذا السؤال عدة أمور هي:

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٩٦٧)(ص١٢٨٣)، كتاب اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل، ونصه: (عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم).

(أ) يقيننا بأن معاذاً -رضي الله عنه- لا يعلم الجواب.

(ب) تيقن معاذ -رضي الله عنه- بأنه ﷺ ما سأله إلا ليعلمه.

(ج) اتجه معاذ -رضي الله عنه- بكامل عقله وشعوره وفهمه ليظفر بعلم ما لم يعلم.

(د) لن ينسى معاذ -رضي الله عنه- هذا الجواب أبداً لأنه أخذه بأسلوب مشوق استرعى جميع انتباهه ووعيه وفهمه أثناء التلقي للجواب.

إذاً، فعلى الداعي أن يلجأ لمثل هذا الأسلوب مع المدعوين، لأن الهدف من الدعوة هو وصول الخير والهدى إلى الناس، مع توظيف كافة الوسائل والأساليب المتاحة لبلوغ ذلك.

ومن أعظم الشواهد على صحة ما ذُكر: الحديث[1] الذي يرويه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في قصة دخول جبريل عليه السلام في

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٨) (ص٣٦)، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ونصه: (عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمَّد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...) الحديث.

صفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد، وبدأ يسأل النبي ﷺ والنبي عليه الصلاة والسلام يجيب، ويتكرر السؤال عن أعظم وأهم أركان الدين، والمراد من كل ذلك دعوة الحاضرين وإفهامهم لأمور دينهم بطريقة مشوقة ومؤثرة، إذ لو كانت بالطريقة الإلقائية لكانت أقل تأثيراً ورسوخاً في نفوس الحاضرين.

وأحياناً يكون السؤال من قِبَل غير المتعلم واجباً ومتحتماً بل ويلقى عليه اللوم والحرج إن لم يسأل. تمثل هذا في الحديث الذي رواه جابر -رضي الله عنه- قال: (خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أُخبر بذلك، فقال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا. فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على رأسه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده)[1].

أي أنهم لو سألوا أهل العلم والاختصاص ومن لهم دراية بالموضوع لكان ذلك سبيلاً لقيام المجروح بالعبادة دون أن يؤذى ويؤدِّي به ذلك إلى الهلاك.

ولقد أدركت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- أهمية السؤال فكنَّ يسألنه ﷺ عن أمور دينهن، فعن عائشة -رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ليس أحد يحاسب إلا هلك) قالت: قلت يا رسول الله

---

(١) الحديث رواه أبوداود في كتاب الطهارة، باب: في المجروح يتيم، حديث رقم (٣٣٦) (٩٣/١) قال عنه الشيخ الألباني: حديث حسن دون قوله: إنما كان يكفيه.... انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني (١٠١/١)، ط. مكتبة المعارف، الرياض.

جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾[1]. قال: ذاك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك)[2].

فالحديث دليل على أن من السنة أن من سمع شيئاً لا يعرفه فليراجع فيه حتى يعرفه ليتبين وجه الحق فيه، لأنه قد تكون فيه فائدة ومصلحة لا يعرفها. وبالتالي يكون سكوته سبباً لجهله وحرمانه من تلك المنفعة.

لقد تعدَّى موضوع فائدة السؤال الرجال فوصل إلى النساء، فقد كان النساء في عهده ﷺ يحرصن على الفائدة ويسألن عن أمور دينهن ويأتين إلى حجرات أزواجه ﷺ ليكن وسيطاً لهن في الذي يُستحيا من ذكره، فيجدنَ الجواب ويعملن بالحق، ولولا السؤال وحبّ العلم لعبدنَ الله على جهلٍ وباطلٍ.

(فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت له وعائشة عنده: يا رسول الله ﷺ المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه، فقالت عائشة: يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال لعائشة: بل أنت فتربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك)[3].

---

(١) سورة الانشقاق، الآيات: (٧، ٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٣٩) (ص١٠٨٤)، كتاب التفسير، باب: ﴿**فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣١٠) (ص١٤٤)، كتاب الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح الحديث: «وأما قوله ﷺ لعائشة: بل أنت فتربت يمينك، فمعناه: أنت أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها فلم تستحق الإنكار، واستحققت أنت الإنكار لإنكارك ما لا إنكار فيه»[1].

٢- أهمية السؤال في التربية:

للسؤال أهمية بالغة في العملية التربوية والتعليمية، فالأسئلة تعتبر عنصراً هاماً للنجاح الذي ينشده المربون في تربيتهم وتعليمهم لأبنائهم ومن حولهم من المجتمع. فمن البديهيات عند التربويين هي معرفة المربي كيف يوجّه الأسئلة ومتى يوجهها ولمن يوجهها وعن ماذا يسأل؟ وكيف يصوغ السؤال؟

والدعوة والتربية صنوان لا يفترقان، فالداعية الناجح هو المربي الناجح، وبالذات إذا كان توجه المربي توجهاً إسلامياً، فكما أن الداعي حريص على نجاح دعوته ويحافظ على نفسية مدعويه، ويهمه أن يتأثر مدعووه بالخير والصلاح، فكذلك المربي المسلم يهمه كلّ ما سبق لأن الهدف واحد والرسالة واحدة، ألا وهي إخراج الجيل المسلم المتسلح بمفاهيم التربية والدين والعلم.

ويستشف الناظر المتأمل في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ويذكر فيه صفة دخول جبريل عليه السلام للمسجد في هيئة لم تعرف من قبل ويجلس جلسة خاصة هي المثل الأعلى في التربية والأدب من لدن طالب العلم أمام مربيه ومعلمه فيجلس ويسند ركبتيه إلى ركبتيه ويضع يديه على فخذيه، ثم يسأل النبي ﷺ ويتبع الجواب بقوله: صدقت.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٢١)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

وهكذا أصبح حديث جبريل[1] عليه السلام هذا أنموذجاً مثالياً وأساساً لتعليم الدين والتربية وحسن السؤال ووضوح الجواب، جبريل عليه السلام يسأل والرسول ﷺ يجيب.

وفي صورة أخرى تظهر أهمية السؤال في الأسلوب النبوي في تربية الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم- لتحذيرهم من داء عضال يفسد على المسلم كثيراً من عباداته ويذهب عليه حسناته من حيث لا يشعر. فيستخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال في بيان حقيقة مهمة للصحابة إذ يبدأهم عليه الصلاة والسلام بالسؤال في الحديث الذي يرويه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[2].

بهذا الحديث ذَكَّر النبي ﷺ أصحابه بأمرٍ هامٍّ، ولتأكيده وليعلمهم شيئاً عن طريق ربطه بأشياء أخرى في خبراتهم وأذهانهم، فقد ربط الأمر الجديد الذي يريد تعليمه لهم بشيء مألوف لديهم.

وأحياناً يعمد عليه الصلاة والسلام إلى الاستفادة من سؤال السائل له في شي ما، فيربطه عليه الصلاة والسلام بما هو أهم وأنفع له وللمسلمين. وذلك يظهر في الحديث الذي رواه أنس -رضي الله عنه- أن رجلاً سأل

---

(١) انظرالحاشية رقم (١) (ص١١٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٨١) (ص١٠٤٠)، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.

النبي ﷺ عن الساعة بقوله: متى الساعة يا رسول الله؟ قال له عليه الصلاة والسلام: (ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال أنت مع من أحببت)[1].

وأحياناً يكون السؤال دالاً على تبصر جيد من المربي، وذلك بأن تكون له شفافية يتوسم بها ما يحتمل أن يكون موضع سؤال من السامعين، أو يكون مبعداً لهم عن شبهة، أو إثم أو حرج قد يلقونه، فقد كان النبي ﷺ يُعلم أصحابه أحياناً بجواب الشبهة قبل حصولها، وذلك تحوطاً وتحرزاً من أن تقع الشبهة في النفوس فتستقر فيها، ومن ثم تفعل فعلها السيئ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[2].

ولأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- نصيب وافر في هذا المضمار سواءً ما كان من أسئلتهن للنبي ﷺ أو من أسئلة الناس لهن، ووضوح الأثر التربوي والدعوي من خلال هذا الأسلوب الذي سيرد من خلال المطلب القادم.

وهكذا تتضح أهمية السؤال في التربية وأنه من أهم الوسائل للكشف عن الحقائق واكتساب المعلومات والمهارات وتوضيح ما غمض وخفي، فهو يُعد عنصراً هاماً لكل المربين والداعين على حد سواء.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦١٧١)، ص١٣١٩، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله عزَّ وجلَّ. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، حديث رقم: (٢٦٣٩).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٢٧٦) (ص٦٩٠)، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، وصحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٤)، كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

المطلب الرابع: أسئلة أمهات المؤمنين للنبي ﷺ في القرآن الكريم:

روى البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه: أن عائشة زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه. وأن النبي ﷺ قال: (من حوسب عذب). قالت عائشة فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿**فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾[1] قالت: فقال: (إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يَهْلِك)[2].

وذكر ابن حجر -رحمه الله- من فوائد هذا الحديث قوله: «وفي الحديث ما كان عند عائشة -رضي الله عنها- من الحرص على تفهم معاني الحديث. وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم...، وفيه أن السؤال عن مثل هذا لم يدخل فيما نُهي الصحابة عنه في قوله تعالى: ﴿**لا تسألوا عن أشياء**﴾[3]. وفي حديث أنس: (كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء). وقد وقع نحو ذلك لغير عائشة -رضي الله عنها-. ففي حديث حفصة -رضي الله عنها- أنها لما سمعت: (لا يدخل النار أحد ممن شهد بدراً والحديبية)، قالت: أليس الله يقول: ﴿**وإنْ منكمْ إلا واردُها**﴾ فأجيبت بقوله: ﴿**ثمَّ ننجِّي الذين اتقوا**﴾[4] الآية».

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: (٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٠٣) ص(٤٠)، كتاب العلم، باب: من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه.

(٣) سورة المائدة، الآية: (١٠١).

(٤) فتح الباري، للإمام ابن حجر (١/١٩٧)، والآيات رقم: (٧١، ٧٢) من سورة مريم.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿فأما منْ أوتِيَ كتابَهُ بيمينهِ فسوفَ يُحاسَبُ حساباً يسيراً﴾، قال: «أي سهلاً بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة». ثم أورد -رحمه الله- الحديث بلفظ آخر قال: «عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: (اللهم حاسبني حساباً يسيراً) فلما انصرف قلت: يا رسول الله! ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذٍ هلك) صحيح على شرط مسلم»[1].

وقيل في تفسير الآية أيضاً: "هو أن تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله له"[2].

أما الرواية السابقة التي أوردها ابن حجر -رحمه الله- عن استفسار أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- من رسول الله ﷺ، عن نجاة أهل الحديبية من النار، فقد رواها مسلم -رحمه الله- في صحيحه، فعن جابر بن عبد الله قال: أخبرتني أم مُبشّر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد والذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإنْ منكمْ إلا واردها﴾ فقال النبي ﷺ قد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثم نُنَجِّي الذين اتقوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤/٤٨٨-٤٨٩)، ط. دار إحياء الكتب العربية - مصر. الآية: (٧، ٨) من سورة الانشقاق.

(٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٩/٦٤)، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

ونذرُ الظالمين فيها جثيّاً﴾[1].

وفي رواية أخرى عن جابر -رضي الله عنه- أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ﷺ! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية)[2].

(... وعن عائشة -رضي الله عنها-.... قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فأما الذينَ في قلوبِهمْ زيغٌ فَيَتّبعون ما تشابَهَ منهُ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[3]، قال: فإذا رأيتيهم فاعرفيهم.)

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[4].

والحديث ظاهر الدلالة في استفسار أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من رسول الله ﷺ عن تفسير آيات القرآن الكريم، وفيه خصوصية التحذير لأم المؤمنين -رضي الله عنها- من هؤلاء القوم، قال: صاحب التحفة: (فإذا رأيتيهم فاعرفيهم أي واحذريهم خطاب لأم المؤمنين عائشة

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٩٦)، (ص١٠١٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، سورة مريم، الآيات: (٧١، ٧٢).

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٤٩٥) (ص١٠١٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٧).

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٩٩٣) (٢٢٢/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، والحديث في البخاري برقم: (٤٥٤٧)، كتاب تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات، وفي مسلم برقم: (٢٦٦٥)، كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن...، وأوردت لفظ الترمذي لأن فيه السؤال.

-رضي الله عنها-)[1].

وإن كان الخطاب عاماً للأمة كلها بدليل الرواية الأخرى للحديث ونصها: ((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))[2].

قال ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآية: ((زيغ، أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل، ﴿**فيتبعون ما تشابه منه**﴾: أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع[3] لهم وحجة عليهم))[4].

وقال ابن حجر -رحمه الله- عن مجاهد في هذه الآية: ((﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ**﴾ قال: شك ﴿**فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة**﴾ المشتبهات، الباب الذي ضلوا منه وبه هلكوا))[5].

قال صاحب فتح القدير عند هذه الآية: ((﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ**﴾ الزيغ: الميل....، ومنه قوله تعالى: ﴿**فلما زاغوا أزاغَ الله قلوبَهمْ**﴾ وهذه الآية تعمُّ كلّ طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق. ....قوله: ﴿**فيتّبِعون**

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد المباركفوري (٣٤٣/٨)، الطبعة الثالثة: ١٣٩٩هـ، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) انظر حاشية (٤) الصفحة السابقة.

(٣) في نسخة أخرى من تفسير ابن كثير: "دامغ".

(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٣٤٥/١)، ط. دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٥) فتح الباري للإمام ابن حجر (٢٠٩/٨-٢١٠) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

ما تَشابَه منهُ﴾ أي: يتعلقون بالمتشابه من الكتاب فيشككون به على المؤمنين، ويجعلونه دليلاً على ما هم فيه من البدعة المائلة عن الحق... قوله: **﴿ابتغاء الفتنة﴾** أي طلباً منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبيس عليهم وإفساد ذات بينهم»[1].

ومن الأحاديث الدالة على أسئلة أمهات المؤمنين للنبي ﷺ في آيات القرآن العظيم، ما روى مسلم في صحيحه بسنده (عن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وقال وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: **﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾**[2] **﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾**[3] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض...)[4] الحديث.

والشاهد في الحديث قولها -رضي الله عنها-: (أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ) وكان هذا السؤال هو تفسير معنى الآيتين

---

(١) فتح القدير للإمام الشوكاني (١/٣١٥)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) سورة التكوير، الآية: (٢٣).

(٣) سورة النجم، الآية: (١٣).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٧٧) (ص٩٧)، كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، وصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين...، حديث رقم: (٣٢٣٤).

السابقتين، وهما قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ وقوله: ﴿**ولقد رآه بالأُفُق المبينِ**﴾.

ولقد أورد ابن جرير -رحمه الله- الحديث السابق بروايات وأسانيد متعددة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾، وأورد أقوال أهل العلم فيها، ملخصها أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين[1].

ثم قال في قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه بالأُفُق المبين**﴾ «ولقد رآه أي محمَّدٌ جبريلَ في صورته بالناحية التي تبين الأشياء فترى من قبلها، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[2]. انتهى.

قال ابن كثير -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾: «هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء»[3].

وعند قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين**﴾ قال -رحمه الله-: «يعني ولقد رأى محمَّد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّ وجلَّ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح»[4].

---

(١) جامع البيان للإمام الطبري (١٣/٥١)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) المصدر السابق (١٥/٨١).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤/٢٥١).

(٤) المصدر السابق (٤/٤٨٠).

ومن الأحاديث الواردة في أسئلة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- للنبي ﷺ في القرآن العظيم ما روي (عن مسروق عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عزَّ وجلَّ: **﴿يوم تبدَّل الأرضُ غير الأرض والسماوات﴾** فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط)[1].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «فقال كثير من الناس: إن تبدل الأرض عبارة عن تغير صفاتها، وتسوية آكامها ونسف جبالها ومدّ أرضها» إلى أن قال «وأن الصحيح إزالة هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبي ﷺ» ثم ساق أحاديث منها الحديث السابق ثم قال: «فهذه الأحاديث تنص على أن السماوات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر»[2].

قال صاحب التحفة: «والتبديل قد يكون في الذات كما في: بدلت الدراهم بالدنانير، وقد يكون في الصفات كما في: بدلت الحلقة خاتمك، والآية تحتمل الأمرين، وبالثاني قال الأكثر»[3].

هذا وقد ذَكَر في معنى التبديل للأرض والسماوات أقوالاً كثيرة ذكرها

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧٩١) ص١١٢٣، كتاب الجنة والنار، باب: في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة. وسنن الترمذي، حديث رقم: (٣١٢١) (٥/٢٩٦)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة إبراهيم عليه السلام، الآية رقم: (٤٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/٣٨٣-٣٨٤). وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢/٥٤٣-٥٤٤). ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/١١٠).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٨/٥٤٨).

المفسرون، وجميعها تنصب في المعنيين السابقين اللذين ذكرهما صاحب التحفة. هذا وقد فصل في هذه الأقوال ابن الجوزي -رحمه الله- في زاد المسير، فأورد أقوالاً عدة في تبديل الأرض وتبديل السماء، فقال في تبديل الأرض بالقول الأول وهو أنها تلك الأرض، وإنما يزاد فيها وينقص منها وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وتمد مد الأديم، ونسب هذا القول لابن عباس -رضي الله عنهما-.

وذكر في المعنى الثاني لتبديل الأرض أربعة أقوال وهو تغيير حقيقتها، فقال -رحمه الله:

«الأول: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة....

والثاني: أنها تبدل ناراً....

والثالث: أنها تبدل بأرض من فضة....

والرابع: أنها تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه»[1].

ثم ذكر في تبديل السماوات ستة أقوال:

الأول: أنها تجعل من ذهب.

الثاني: أنها تصير جناناً.

الثالث: تكوير شمسها وتناثر نجومها.

الرابع: اختلاف أحوالها فمرة كالمهل، ومرة تكون كالدهان.

الخامس: تطوي كطي السجل للكتاب.

السادس: أن تنشق فلا تُظِلّ[2].

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/٣٧٥-٣٧٦)، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) المصدر السابق (٤/٣٧٦).

هذا وقد جمع الآلوسي -رحمه الله- شتات هذه الأقوال بقوله: «وحكى بعضهم أن التبديل يقع في الأرض ولكن تبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله، ففريق من المؤمنين يكونون على خبز يأكلون منه وفريق يكونون على فضة، وفريق الكفرة يكونون على نار، وليس تبديلها بأي شيء كان بأعظم من خلقها بعد أن لم تكن».

ثم ذكر -رحمه الله- قولاً جيداً في جمع الأقوال السابقة مثل قوله السابق فقال: «وذكر بعضهم أنها تبدل أولاً صفتها على النحو المروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، ثم تبدل ذاتها ويكون هذا الأخير بعد أن تحدث أخبارها، ولا مانع من أن يكون هنا تبديلات على أنحاء شتى. وفي صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً أن الناس يوم تبدل على الصراط، وفيه من حديث ثوبان أن يهودياً سأل رسول الله ﷺ أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (هم في الظلمة دون الجسر)[1]. ولعل المراد من هذا التبديل نحو خاص منه. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. وتقديم تبديل الأرض لقربها منا ولكون تبديلها أعظم أمراً بالنسبة إلينا»[2].

ومن أسئلة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- للنبي ﷺ في القرآن العظيم ما جاء أن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ قالت:

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣١٥) ص١٤٥، كتاب الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٢) روح المعاني لأبي الفضل الآلوسي (١٣/٢٥٥).

(سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة**﴾[1] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات)[2].

ودلالة الحديث ظاهرة في حرص أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على سؤال رسول الله ﷺ لمعرفة المعنى المراد من تفسير الآية السابقة حيث اتضح للأمة من خلال هذا السؤال معنى هذه الآية والمنهج الذي ينبغي للمؤمن أن يبني عليه حياته وعلاقته مع ربه من خلاله.

قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: «يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله. فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، والرجاء المحمود: رجاءُ رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه. أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، ولهذا قيل: من عَبَدَ الله بالحبّ وحده فهو زنديق، ومن عَبَدَه بالخوف وحده فهو حروريّ، ومن عَبَدَه بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَدَه بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمِنٌ موحِّدٌ»[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: (٦٠).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٣١٧٥) (٥/٣٢٧-٣٢٨)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون. والحديث صححه الألباني -رحمه الله- كما في (ص٥٠٤) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي (ص٣٧١-٣٧٢)، الطبعة السادسة: ١٤٠٠هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

المطلب الخامس: أسئلة الناس لأمهات المؤمنين في القرآن الكريم:

روى البخاري -رحمه الله- في كتاب الحج: ...قال عروة: (سألت عائشة -رضي الله عنها- فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿**إنَّ الصفَا والمروةَ منْ شَعائرِ اللهِ فمنْ حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جناحَ عليهِ أنْ يَطَّوَّف بهما**﴾[1] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة. قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما. ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلِموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَّل[2]. فكان من أهلَّ يتحرّج أن يطوف بالصفا والمروة. فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى: ﴿**إنَّ الصفا والمروةَ منْ شعائر الله**﴾ الآية. قالت عائشة -رضي الله عنها- وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما...)[3] الحديث.

والحديث واضح الدلالة في مرجع التابعين وغيرهم من السائلين عن

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٥٨).

(٢) المُشَلَّل: بالضم في أوله وفتح المعجمة ولامين، الأولى مفتوحة مثقلة، هي الثنية المشرفة على قديد، وقد قيل: هو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١٣٦/٥). وفتح الباري للإمام ابن حجر (٤٩٩/٣).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (١٦٤٣)، (ص٣٤٥)، كتاب الحج، باب: وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله.

معنى الآيات وأحكامها لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-. وهذا الحديث اشتمل على أحكام وفوائد جمة منها علـى سـبيل المثـال لا الحصر: ما ذكره الإمام ابـن حجـر -رحمـه الله- في شـرحه للحديـث قولـه: «ويمكـن أن يكون الوجوب مستفاداً من قول عائشة ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، وهو في بعـض طـرق حديثهـا المذكـور في هـذا البـاب عنـد مسـلم[١]،.... والعمـدة في الوجـوب قولـه ﷺ: (خـذوا عـني مناسككم)[٢].... ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفي الإثم عن التارك، فلو كان المراد مطلق الإباحة لنفى الإثم عن التارك»[٣].

قال ابن العربي -رحمـه الله- في أحكـام القـرآن: «اعلمـوا وفقكـم الله تعـالى أن قـول القـائل: لا جنـاح عليـك أن تفعـل، إباحـة للفعـل. وقولـه: فلا جناح عليك ألا تفعل، إباحة لترك الفعل، فلما سمع عروة -رضي الله عنـه- قول الله سبحانه: ﴿**فلا جناحَ عليه أن يطوَّف بهما**﴾ قال: هذا دليل علـى أن ترك الطواف جائز. ثم رأى الشريعة مطبقة على أن لا رخصة في تركه، فطلب الجمع بين هذين المتعارضين، فقالت له عائشة -رضي الله عنها- ليـس قوله تعالى: ﴿**فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾ دليلاً علـى تـرك الطـواف، إنما كان يكون الدليل على تركه لو كان (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما)؛

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢٧٧)، (ص٥٠٤)، كتاب الحج، بـاب: بيـان أن السـعي بـين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١٢٩٧)، (ص٥١٢) كتاب الحج، باب: استحباب رمـي جمـرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله ﷺ: (لتأخذوا مناسككم).

(٣) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٤٩٨/٣-٤٩٩).

فلم يأت هذا اللفظ لإباحة ترك الطواف، ولا فيه دليل عليه، وإنما جاء لإفادة إباحة الطواف لمن كان يتحرج منه في الجاهلية، أو لمن كان يطوف به في الجاهلية قصداً للأصنام التي كانت فيه؛ فأعلمهم الله تعالى أن الطواف ليس بمحظور إذا لم يقصد الطائف قصداً باطلاً. فأدت الآية إباحة الطواف بينهما، وسلَّ سخيمة الحرج التي كانت في صدور المسلمين منها قبل الإسلام وبعده. وقال الله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾: أي من معالم الحج ومناسكه ومشروعاته، لا من مواضع الكفر وموضوعاته؛ فمن جاء البيت حاجاً أو معتمراً فلا يجد في نفسه شيئاً من الطواف بهما»[١].

وبهذا تكون أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قد وضحت للسائل مسألة من أهم المسائل في العلم. وقد أثبت لها هذا الفضل الصحابة والتابعون في هذه المسألة خاصة وفي غيرها. ففي رواية عن الإمام الزهري أنه قال: "فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأعجبه ذلك، وقال إن هذا العلم"[٢].

وروى البخاري في صحيحه في باب: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول**﴾ عن عائشة -رضي الله عنها- ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ**﴾ قالت لعروة: يا ابن أختي! كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب

---

(١) أحكام القرآن للإمام ابن العربي، تحقيق: علي محمَّد البجاوي (٤٧/١). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٢/٢). وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٩٩/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٧٨/٢). وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٩٩/١).

رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً. قال: كان فيهم أبوبكر والزبير[1].

والحديث يدل على سعة علم أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في التفسير وأسباب النزول، ومما يوضح إجابتها عن معنى هذه الآية أنها جاءت عقب استفسار أحد منها عن معناها وسبب نزولها، ذلك ما ذكره الإمام ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث حيث قال: «في الكلام حذف تقديره: عن عائشة أنها قرأت هذه الآية: ﴿**الذين استجابوا**﴾ أو أنها سئلت عن هذه الآية أو نحو ذلك»[2].

وعن يعلى[3] بن مملك أنه سأل أم سلمة زوج النبي ﷺ عن قراءة النبي ﷺ وصلاته؟ فقالت: ما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح، ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً"[4]، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٠٧٧) (ص٨٥٤)، كتاب المغازي، باب: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول...**﴾، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير...، حديث رقم: (٢٤١٨). الآية: (١٧٢) من سورة آل عمران.

(٢) فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٧٤/٧).

(٣) هو يعلى بن مملك، حجازي، روى عن أم سلمة، وأم الدرداء، وروى عنه ابن أبي مليكة، ذكره ابن حبان في الثقات، انظر: تهذيب التهذيب (٤٠٥/١١). وميزان الاعتدال (٤٥٨/٤). وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: مقبول من الثالثة، انظر: تقريب التهذيب للإمام ابن حجر (٣٧٩/٢).

(٤)سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ، حديث رقم: (٢٩٢٣)، (١٨٢/٥-١٨٣). وسنن أبي داود، حديث رقم: (١٤٦٦) (٧٣/٢-٧٤)، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة، والحديث قد ضعفه الشيخ الألباني كما في طبعة بيت الأفكار الدولية، (ص٤٦٦).

قيل في شرح الحديث: «وصلاته أي في الليل، وما لكم وصلاته معناه: أي شيء يحصل لكم مع وصف قراءته وصلاته وأنتم لا تستطيعون أن تفعلوا مثله، ففيه نوع تعجب، ونظيره قول عائشة -رضي الله عنها- وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق، (كان يصلي وينام قدر ما صلى...) أي كان صلاته في أوقات ثلاث إلى الصبح، أو كان يستمر حاله هذا من القيام والنيام إلى أن يصبح»[1].

قال صاحب التحفة: «ثم نعتت أي وصفت قراءة مفسرة أي مبينة، حرفاً حرفاً أي كان يقرأ بحيث يمكن عدّ حروف ما يقرأ والمراد حُسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد»[2].

وهذا الحديث ما كان ليُعرف لو لم تُسأل أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- عن ذلك، لأن الحديث نقل حالة خاصة في داخل حجراته ﷺ ما كان ليطلع عليها أحد من الناس غير أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

وفيه كذلك معرفة الناس لقدر أمهات المؤمنين حيث لم يسأل عن هذه الحالة من أحوال النبي ﷺ غيرهن، وفيه اطّلاع أمهات المؤمنين وحرصهن على نقل وتتبع السنة القولية والفعلية من حياته ﷺ داخل حجراته ونقلها للأمة للفائدة والعلم.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب الآبادي (٣٤٠/٤)، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمّد المباركفوري (٢٤١/٨)، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

وعن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**﴾[1] فقالت يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأُمِرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله ﴿**ويستفتونك في النساء**﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال، قالت: فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال[2].

قال ابن العربي -رحمه الله-: «قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم**﴾، قال جماعة من المفسرين: معناه أيقنتم وعلمتم؛ والخوف وإن كان في اللغة بمعنى الظن الذي يترجح وجوده على عدمه، فإنه قد يأتي بمعنى اليقين والعلم. والصحيح عندي أنه على بابه من الظن لا من اليقين؛ التقدير: من غلب على ظنه التقصير في القسط لليتيمة فليعدل عنها"[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٧٤) (ص٩٥٦)، كتاب التفسير، باب: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**﴾.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/٣١٠).

قال القرطبي -رحمه الله-: «قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم**﴾ شرط، وجوابه: ﴿**فانكحوا**﴾، أي إن خفتم ألا تعدلوا في مهورهن وفي النفقة عليهن ﴿**فانكحوا ما طاب لكم**﴾ أي غيرهن»[1].

وتوضيحاً لما أورده القرطبي -رحمه الله- قال الشوكاني -رحمه الله-: «﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا**﴾ وجه ارتباط الجزاء بالشرط أن الرجل كان يكفل اليتيمة لكونه ولياً لها ويريد أن يتزوجها فلا يقسط لها في مهرها: أي يعدل فيه ويعطيها ما يعطيها غيره من الأزواج، فنهاهم الله أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى ما هو لهن من الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهن من النساء سواهن»[2].

هذا وقد وضحت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قول الله تعالى في الآية الأخرى حتى لا يلتبس المعنى عند البعض بالتفريق بين الغنية والفقيرة من اليتيمات في مقدار الصداق الذي يدفع لكل واحدة منهن.

قال ابن حجر -رحمه الله-: «﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته فيه تعيين أحد الاحتمالين في قوله: وترغبون لأن رغب يتغير معناه بمتعلقه، يقال رغب فيه إذا أراده ورغب عنه إذا لم يرده، لأنه يحتمل أن تحذف (في) وأن تحذف (عن). وقد تأوله سعيد بن جبير على المعنيين فقال: نزلت في الغنية والمعدمة، والمروي هنا عن عائشة أوضح في أن الآية الأولى نزلت في الغنية وهذه الآية نزلت في المعدمة، قوله: (فنهوا)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١١/٥).

(٢) فتح القدير للإمام محمَّد بن علي الشوكاني (٤١٩/١).

أي نهوا عن نكاح المرغوب فيها لجمالها ومالها لأجل زهدهم فيها إذا كانت قليلة المال والجمال، فينبغي أن يكون نكاح اليتيمتين على السواء في العدل»[1].

هذا وقد وردت أقوال عدة في معنى قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى...**﴾ الآية. ومنها على سبيل المثال:

ما جاء عن سعيد بن جبير والضحاك والربيع...، أن معنى الآية: كما خفتم في حق اليتامى، فخافوا في حق النساء الذي خفتم في اليتامى ألا تقسطوا فيهن.

وروي عن مجاهد: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا**﴾، أي تحرجتم من أكل أموالهم، فتحرجوا من الزنى وانكحوا نكاحاً طيباً مثنى وثلاث ورباع[2].

ومن فوائد هذا الحديث: «أن للولي أن يتزوج من هي تحت حجره لكن يكون العاقد غيره،... وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ لأنهن بعد البلوغ لا يقال لهن يتيمات إلا أن يكون أطلق استصحاباً لحالهن»[3].

قال ابن العربي -رحمه الله-: «في هذه الآية دليل على أن مهر المثل واجب في النكاح، لا يسقط إلا بإسقاط الزوجة أو من يملك ذلك منها من أب؛ فأما الوصيُّ فمن دونه فلا يزوجها إلا بمهر مثلها وسنتها»[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٨/٢٤٠-٢٤١).

(٢) أحكام القرآن للإمام عماد الدين الطبري المعروف بالكيا الهرّاسي (ت: ٥٠٤هـ) (٣١٢/١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٤١/٨).

(٤) أحكام القرآن للإمام ابن العربي (٣١١/١).

هذا ومن أسئلة الناس لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في القرآن ما روي عن أبي عبيدة[1] عن عائشة -رضي الله عنها- قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم[2].

«وقوله: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ قيل: هو نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهار. وقيل بل هو الخير العظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ، وقد يقال للرجل السخي كوثر، ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية»[3].

ومعنى: وشاطئاه أي حافتاه، وقوله: در مجوَّف، أي القباب التي على جوانبه...، وقد نقل المفسرون في الكوثر أقوالاً منها قول ابن عباس أنه هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه وقد جمع سعيد بن جبير -رضي الله عنه- بين قول عائشة -رضي الله عنها- وقول ابن عباس -رضي الله عنهما- الأخير حيث قال: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس إنه الخير الكثير لا يخالف قول غيره إن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعلَّ سعيداً أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه"[4].

---

(١) أبو عبيدة هذا هو ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٧٣٢/٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٦٥) (ص١٠٩٥)، كتاب التفسير، سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾. وقال ابن عباس: شانئك عدوك.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٤٢٦) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٧٣٢/٨).

المبحث الثالث

أوجه عنايتهن بالقرآن الكريم

كلّ الأوامر الواردة في الترغيب في تلاوة القرآن الكريم شاملة للرجال والنساء. وكذلك ما ورد في الحثّ على استظهاره والترغيب في تعلمه وتعليمه، يدخل في ذلك النساء، لهذا فقد عُني نساء المسلمين من الصدر الأول من الصحابيات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- بهذا الفضل العظيم.

لذلك فقد تمثل اهتمامهن -رضوان الله عليهن- بكتاب الله عزَّ وجلَّ فيما يلي:

المطلب الأول: الحفظ في الصدور:

لم يشتهر من نساء المسلمين قارئات ومتقنات لكتاب الله كما هو الحال في الرجال[1]. وهذا لا يعني عدم وجود حافظات وقارئات لكتاب الله بدليل وجودهن في هذه الأزمنة المتأخرة بكثرة فكيف بالصدر الأول الذي كان فيه نساء المسلمين أحرص وأرغب في الخير من النساء في الوقت الحاضر.

---

(١) لم يفرد لهن باب في تراجم الرجال، فقد ترجم ابن الجزري -رحمه الله- في (غاية النهاية في طبقات القراء) لما يقارب من أربعة آلاف قارئ ولم يذكر للنساء شيئاً. وكذلك الذهبي في (معرفة القراء الكبار) لا تجده ذكر شيئاً من ذلك.

والذي يوضِّح عدم وجود أسماء للقارئات من الصدر الأول في كتب التراجم إلا نادراً -والعلم عند الله- هو عدم ظهورهن وتصدرهن للإقراء، إذ الأصل في المرأة المسلمة الستر والقرار في البيت، فإذا أُمرت بما هو أهم من القرآن وهو الصلاة بأن تكون في بيتها حيث أن صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، كذلك الشأن في قراءة القرآن، فلا يجوز لها أن تظهر أمام الناس وتجوِّد عليهم القرآن وتُسمعهم صوتها وترتيلها بل تكون في بيتها وتسر قراءتها ولا تعلنها إلا عند بنات جنسها، أو مع الصبيان إن أرادت تعليمهم.

ومع ذلك فقد ذكر أبو عبيد[1] القاسم بن سلام القراء من أصحاب النبي ﷺ فعدَّ من المهاجرين: الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة[2] وعائشة وحفصة وأم سلمة، ومن الأنصار: عبادة بن الصامت ومعاذاً الذي يكنى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما كمله بعد النبي ﷺ[3].

---

(١) أبو عبيد هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، من أئمة الحديث واللغة، صاحب كتاب "الأموال" المشهور ولد سنة: ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٢٢هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٣٣٨/٢). والأعلام للزركلي (١٧٦/٥). ومعجم المؤلفين لكحالة (١٠١/٨).

(٢) العبادلة الأربعة المشهورون بالإفتاء هم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٧٢/١). ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني (٢٤٢/١).

وفي الرواية التي نقلها ابن الجزري[1] عن المصدر نفسه قوله: «وذكر من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك -رضي الله عنهم أجمعين»[2].

قلت: ومما يعين على توضيح الأمر هو قوله في الرواية الثانية: «وممن نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم فذكر من الصحابة أبا بكر.....».

وهذا يدل على أن بعضاً ممن ورد ذكرهم رووا شيئاً من وجوه القراءة، وهذا لا يختلف عليه أحد. فكتب الصحاح والسنن روتْ كثيراً من ذلك. والذي يظهر لي -والله أعلم- أن من جمع القرآن من النساء قلة حتى أمهات المؤمنين، وهذا مع عنايتهن الفائقة بتلاوة القرآن وسماعه ونقله، ومما يدل على ذلك أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كان يؤمها عبد لها يكنى أبا عمرو، وفي رواية عن ابن أبي شيبة والبخاري معلقاً أنه كان يؤمها في المصحف[3].

وقد ورد أن أم ورقة بنت عبد الله بن نوفل -رضي الله عنها- جمعت القرآن الكريم كله. فقد أخرج أبو داود في سننه: أن النبي ﷺ لما غزا بدراً

---

(١) هو محمَّد بن محمَّد الشهير بابن الجزري ولد سنة ٧٥١هـ، صاحب كتاب: النشر في القراءات العشر، شيخ القراء في زمانه توفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر كحالة (٢٩١/١١)، والأعلام للزركلي (٤٥/٧).

(٢) النشر في القراءات العشر للحافظ محمَّد بن الجزري (ت: ٨٣٣) (٦/١) ط. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

(٣) انظر: التلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير (٤٣/١)، ط. هاشم اليماني بالمدينة المنورة.

قالت: قلت له يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك، أمرِّض مرضاكم، لعلَّ الله يرزقني شهادة، قال: (قَرِّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة)، فكانت تسمى الشهيدة. قال وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذناً، فأذن لها، قال: وكانت قد دبرت غلاماً لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس، فقال: من كان عنده علم من أمر هذين فليجئ بهما، فأمر بهما فصلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة.

وفي رواية قال: وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها وجعل لها مؤذناً يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها[1].

هذا وقد أفرد الترمذي -رحمه الله- في سننه كتاباً سماه: كتاب القراءات وساق فيه روايات كثيرة روتها أم المؤمنين عائشة وأم سلمة -رضوان الله عليهما- توضح أوجهاً لقراءات القرآن في سورة هود والكهف وغيرها، تدل على عناية أمهات المؤمنين بحفظ كتاب الله ونقله كما سمعنه على تنوع قراءاته[2].

---

(١) سنن أبي داود، باب إمامة النساء، الحديث رقم: (٥٩١)، (١٦١/١)، والحديث حسنه الألباني -رحمه الله- كما في (ص٨٧) ط. بيت الأفكار الدولية. قال السيوطي -رحمه الله- في الإتقان (٧٢/١): «فائدة: ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الفضل بن دكين، قال ثنا الوليد بن عبد الله بن جميع ... ثم ساقا خبر أم ورقة».

(٢) من ذلك الأحاديث رقم: (٢٩٢٣، ٢٩٢٧، ٢٩٣١، ٢٩٣٢، ٢٩٧٩) وهي من رواية أم سلمة -رضي الله عنها-، والأحاديث رقم: (٢٩٢٤، ٢٩٣٨) من رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-. انظر: جامع الترمذي، كتاب القراءات (١٨٥/٥-١٩٦).

المطلب الثاني: الحفظ في السطور:

مما يدل على عناية أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بالقرآن الكريم، حرصهن على اتخاذ المصاحف والأمر بكتابتها لهن، فعن أبي يونس[1] مولى عائشة أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني ﴿**حافظوا علَى الصلوات والصلاةِ الوسطَى**﴾ فلما بلغتُها آذنتها، فأملت عليَّ: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [وصلاة العصر] وقوموا لله قانتينَ**﴾، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله ﷺ[2].

أما العطف الموجود فهو تفسيري لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر إجماعاً. قال الباجي[3]:((وهذا يقتضي أن يكون بعد جمع القرآن في مصحف

---

(١) أبو يونس مولى عائشة، ثقة من الثالثة. انظر: تحفة الأحوذي (٣٢٦/٨) وفي كتاب إسعاف المبطأ لرجال الموطأ للسيوطي (ص٩٥٠) في "باب الكنى"، مراجعة وتنسيق فاروق سعيد، وهو من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ونصه: ((أبو يونس روى عن مولاته عائشة وروى عنه القعقاع بن حكيم وغيره، وثقة ابن حبان)) وقال الزرقاني في شرح الموطأ (٢٨٣/١) قال: ((هو من ثقات التابعين ولا يعرف اسمه)). وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ((روى عن عائشة وروى عنه زيد بن أسلم وأبو طوالة الأنصاري والقعقاع بن حكيم ومحمد بن أبي عتيق، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية وذكره ابن حبان في الثقات، وذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين)). انظر: تهذيب التهذيب (٢٨٣/١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، حديث رقم: (٦٢٩).

(٣) الباجي هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي: أبو الوليد الباجي، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث ولد عام ٤٠٣هـ، وتوفي في ٤٧٤هـ، له مصنفات كثيرة منها: المنتقى في شرح الموطأ، وشرح المدونة، والحدود وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (٥٣٥/١٨).

وقبل أن تجمع المصاحف على المصاحف التي كتبها عثمان -رضي الله عنه- وأنفذها إلى الأمصار، لأنه لم يكتب بعد ذلك في المصاحف إلا ما أُجمع عليه وثبت بالتواتر أنه قرآن». ثم عقب -رحمه الله- في شرحه لمعنى قولها -رضي الله عنها- "سمعتها من رسول الله ﷺ" قال: «يحتمل أنها سمعتها على أنها قرآن ثم نسخت...، فلعل عائشة -رضي الله عنها- لم تعلم بنسخها أو اعتقدت أنها مما نسخ حكمه وبقي رسمه، ويحتمل أنه ذكرها ﷺ على أنها من غير القرآن لتأكيد فضيلتها فظنتها قرآناً فأرادت إثباتها في المصحف لذلك، أو أنها اعتقدت جواز إثبات غير القرآن معه على ما روي عن أُبيّ وغيره من الصحابة أنهم جوزوا إثبات القنوت وبعض التفسير في المصحف وإن لم يعتقدوه قرآناً»[1].

والشاهد في هذا الحديث السابق هو اهتمام أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بالمصحف وعنايتها به حفظاً وكتابةً حتى حملها ذلك على اتخاذ مصحف خاص بها يكون عندها للتلاوة والحفظ والتفسير والتدبر.

هذا وقد وردت في الباب رواية أخرى لأم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- مشابهة بل هي مطابقة للرواية السابقة في أمرها -رضي الله عنها- بكتابة مصحف خاص لها، تدل على اهتمامها هي الأخرى بكتاب الله عزَّ وجلَّ. فقد روى الإمام مالك في الموطأ في باب الصلاة الوسطى عن عمرو بن رافع أنه قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني ﴿**حافظوا على الصلوات**

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٢٨٣/١-٢٨٤) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ فلما بلغتها آذنتها فأملت عليَّ ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [وصلاة العصر] وقوموا لله قانتين﴾[1].

وهذه الرواية المثبتة في الموطأ أشار إليها الترمذي -رحمه الله- بعد حديث عائشة -رضي الله عنها- السابق بقوله: «وفي الباب عن حفصة»[2].

هذا ويكفي أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- شرفاً أنها كانت هي الحافظة للمصحف الإمام الذي جمع وكتب أيام خلافة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- حيث كان عنده بقية حياته. ثم كان عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بقية حياته. ثم تركه عند حفصة -رضي الله عنها. وجاء اليوم الذي احتاجت إليه الأمة كلها. فعن أنس -رضي الله عنه-: أن حذيفة[3] بن اليمان -رضي الله عنه- قدم على عثمان -رضي الله عنه- وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان -رضي الله عنه-: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى

---

(١) المصدر السابق (٢٨٤/١)، سورة البقرة، الآية: (٢٣٨).

(٢) سنن الترمذي، (٢١٧/٥).

(٣) هو حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة، أسلم حذيفة وأبوه وأرادا شهود بدرٍ فصدَّهما المشركونَ، وشهدا أحداً فاستشهد اليمان بها، وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن، استعمله عمر -رضي الله عنه- على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين يوماً، وذلك سنة ست وثلاثين، وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره -والمعنى سرّ رسول الله ﷺ حيث أعلمه بأسماء المنافقين- شهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٣١٦/١).

حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف مما نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** فألحقناها في سورتها في المصحف[1].

قال الإمام ابن حجر -رحمه الله- عند قوله: حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة قال: «وعن عبد الله بن عمر قال: كان مروان يرسل إلى حفصة -يعني حين كان أمير المدينة من جهة معاوية يسألها الصحف التي كُتب منها القرآن فتأبى أن تعطيه. قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف. فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت. وقال: إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب"[2].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٨٧) (١١٠١)، كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٠/٩).

المطلب الثالث: الخشوع والتدبر عند تلاوة كتاب الله:

لقد منَّ الله عزَّ وجلَّ على أمهات المؤمنين بكثرة الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم مع حسن التدبر لما فيه من عبر وعظات وأحكام، كيف لا وقد أكرمهن الله ببيت النبوة، فهن زوجات رسول الله ﷺ الذي هو أتقى الناس وأخشاهم لله، ويرينه عليه الصلاة والسلام صباح مساء، وهو يتلو آيات الله عزَّ وجلَّ آناء الليل وأطراف النهار. وأحياناً ينمن ويستيقظن على صوته ﷺ وهو يناجي ربه بتلاوة كتابه. كلٌّ ذلك أكسبهن فضيلة الخشوع والتدبر للقرآن الكريم والإقبال على عبادة الله ربّ العالمين.

وما هذه الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ في فضائل القرآن الكريم والحثّ على تدبره وتعلمه وتعليمه من لدن أمهات المؤمنين إلا أعظم شاهدٍ على حرصهن وفضلهن في هذا الباب. وما هذا العلم الغزير الذي ورثته أمهات المؤمنين في الكتاب والسنّة إلا نتيجة للتدبر والتفكر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هذا ولقد عنيت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بكتاب الله عزَّ وجلَّ تلاوة وتدبراً أيما عناية. فلقد كانت الواحدة منهن مضرب مثل في العبادة وطول القنوت في الصلاة وتلاوة كتاب الله عزَّ وجلَّ وتدبره.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن أبي موسى. قال أرسلني مدرك إلى عائشة -رضي الله عنها- أسألها عن أشياء، قال: فأتيتها، فإذا هي تصلي الضحى، فقلت: أقعد حتى تفرغ، فقالوا هيهات[1].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٢٥/٦)، الطبعة الثانية (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان. ومعنى "هيهات" أي سيطول بك الانتظار لطول مقامها في =

وهـذه أم المؤمنـين عائشـــة -رضـــي ا لله عنهـــا- تشـــهد لأم المؤمنـــين زينب بنت جحش -رضي ا لله عنها- بالتقوى والصلاح[1] والصدق وصلـة الرحـم تنفيـذاً لآيـات ا لله في محكـم كتابـه وعمـلاً بـــه وتدبـــراً وخشـــوعاً عند تلاوته.

وكذلك تشهد أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله عنها- لأم المؤمنين سـودة بالصلاح والتقوى وتتمنى أن لو كانت في مسلاخها من فرط المحبة والسـبق في الخير والصلاح، فتقول: "ما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة"[2].

وهذا كله من ثمرات العمل والتدبر لكتاب ا لله عزَّ وجـلَّ. وهـي ذاتهـا -رضي ا لله عنها- تشـهد لأم المؤمنـين ميمونـة بنـت الحـارث -رضـي ا لله عنها- بالتقوى والصلاح، فتقول: "...أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا

الصلاة. وسند الحديث هو (قال الإمام أحمد -رحمه ا لله- حدثنا محمد بـن جعفـر قـال: حدثنـا شعبة عن يزيد بن خمير قال: سمعت عبد ا لله بن أبي موسى قال: أرسلني مسدرك أو ابـن مـدرك إلى عائشة...) الحديث. قال عبد ا لله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: يزيـد بـن خمـير صـالح الحديث ثم قال قال أبي (عبد ا لله بن أبي موسى هو خطأ أخطأ فيه شعبة، هو عبـد ا لله بن أبي قيـس). انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٢٨/٢٢).

(١) انظر حاشية رقم: (٢) (ص٦٥).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣) (ص٥٨٣)، كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها. ومسلاخ الحيـة: جلدهـا. والسـلخ بالكسـر: الجلـد. والمعنـى: كأنهـا تمنـت أن تكـون في مثـل هديهـا وطريقتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٨٩/٢).

للرحم"[1]. وتعظم الشهادة لأمهات المؤمنين حين يشهد جبريل عليه السلام أمين الوحي لأم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- بأنها صوامة قوامة[2].

فهذا من أقوى الأدلة الدالّة على العلم والعمل وتدبر كتاب الله من لدن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن أجمعين-.

---

(١) انظر: المستدرك للحاكم (٣٢/٤) وصححه ووافقه الذهبي وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) انظر حاشية (١) (ص٥٣).

المبحث الرابع

نماذج من مروياتهنَّ في خدمة القرآن الكريم

إنَّ المتَتَبِّع لجميع مرويات أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في مجال العناية بكتاب الله عزَّ وجلَّ وتفسيره، يجد ميراثاً عظيماً ورثته الأمة في هذا المضار.

هذا وسيكون حديثي في هذا المبحث عن بعض المقتطفات من تلك الروايات التي تعدَّدت وحفلت بها كتب السنة ومنها:

ما روى البخاري في صحيحه باب: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾** إلى قوله **﴿بما تعملون خبير﴾** بسنده عن زينب ابنة أم سلمة: "عن أم حبيبة ابنة أبي سفيان لما جاءها نعي أبيها. دعت بطيب فمسحت ذراعيها وقالت: مالي بالطيب من حاجة، لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً"[1].

وروى البخاري في صحيحه في باب مراجعة الحائض، بسنده... عن زينب بنت أبي سلمة... قالت: "فدخلت على زينب ابنة جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمسحت منه ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: لا يحل لامرأة تؤمن

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٤٥) (ص١١٧٢)، كتاب الطلاق، باب: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾** إلى قوله **﴿بما تعملون خبير﴾**. سورة البقرة، الآية: (٢٣٤).

با لله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث ليالٍ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً"[1].

هذا وقد أورد البخاري -رحمه الله- حديث أم حبيبة -رضي الله عنها السابق توضيحاً وتفسيراً للآية القرآنية التي عقد بها الباب وهي قوله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً**﴾ إلى قوله ﴿**بما تعملون خبير**﴾[2].

وما ذاك إلا لأن السنة هي أبلغ مفسر لآي القرآن العظيم.

وقد أورد ابن حجر -رحمه الله- في الفتح في شرحه للحديثين السابقين من قوله "إلا على زوج" قال: «أُخذ من هذا الحصر أن لا يزاد على الثلاث في غير الزوج أباً كان أو غيره»[3].

وقد أوضح صاحب النهاية معنى الإحداد الوارد في الحديثين السابقين بقوله: «أحدت المرأة على زوجها تُحِدُّ فهي مُحِدٌّ، وحَدَّتْ تَحُدُّ وتَحِدُّ فهي حَادٌّ: إذا حزنت عليه، ولبست ثياب الحزن، وتركت الزينة»[4].

وفي قوله ﷺ: (فوق ثلاث إلا على زوج) قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: «دليل على تحريم إحداد المسلمات على غير أزواجهن فوق ثلاث، وإباحة الإحداد عليهم ثلاثاً تبدأ بالعدد من الليلة التي تستقبلها إلى آخر ثالثها، فإن مات حميمها في بقية يوم أو ليلة ألغته وحسبت من

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٣٥)، (١١٧١)، كتاب الطلاق، باب: مراجعة الحائض.

(٢) سورة البقرة، آية: (٢٣٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٨٦/٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٥٢/١).

الليلة القابلة»[1].

وهذا الأمر النبوي في ترك الإحداد والحزن المدة الطويلة إلا على الـزوج لا يتنافى وطبيعة البشر وعواطفهم البشرية خاصة النساء اللائي جُبلن على العاطفـة، لأن تـرك الحـزن بالكليـة والامتنـاع عنـه مطلقـاً يتعـذر حصولـه وتحقيقه.

وأكد هذا المعنى الإمام ابن حجـر -رحمـه الله- في الفتـح حيـث قـال: «واستدلَّ به على جواز الإحداد علي غير الزوج من قريب ونحوه ثلاث ليال فما دونها وتحريمه فيما يزاد عليها، وكأن هذا القدر أبيح لأجل حظ النفـس ومراعاتها وغلبة الطباع البشرية. ولهذا تناولت أم حبيبة وزينب بنت جحش -رضي الله عنهما- الطيب لتخرجا عن عهدة الإحداد»[2]. وإلى مثـل هـذا أشار صاحب نيل الأوطار في شرح الأحاديث السابقة بقولـه: «والله مـا لي بالطيب من حاجة إشارة إلى أن آثـار الحـزن باقيـة عندهـا لكنهـا لم يسـعها إلا امتثال الأمر»[3].

وروى البخاري ومسلم بسندهما عن هشام عن أبيه عن عائشة -رضي الله عنها- في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكـم وإذ زاغـت الأبصـار وبلغـت القلـوب الحنـاجر**﴾[4] قـالت: كـان ذلـك

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٠/٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٨٧/٩).

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمَّد بن علي الشوكاني (٩٦/٧).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (١٠).

يوم الخندق[1].

قيل معنى الآية ﴿**من فوقكم ومن أسفل منكم**﴾ أي: من فوق الوادي ومن أسفله، ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾ أي: مالت وعدلت، فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقبلاً من كلّ جانب، ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾ وهي جمع حنجرة، والحنجرة: جوف الحلقوم. قال قتادة: شخصت عن مكانها، فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت[2].

وفصل ابن حجر -رحمه الله- في الفتح في معنى قوله تعالى: ﴿**من فوقكم ومن أسفل منكم**﴾ فقال -رحمه الله-: ﴿**من فوقكم**﴾ قال: عيينة بن حصن ﴿**ومن أسفل منكم**﴾: أبو سفيان بن حرب. ثم أورد -رحمه الله- قولاً آخر لابن إسحاق فقال: وكان الذين جاؤوهم من فوقهم بنوقريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان. ثم قال ابن إسحاق في روايته: و لم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن ود العامري اقتحم هو ونفر معه بخيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فبارزه الزبير فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة[3].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في قوله تعالى: ﴿**وإن امرأة**

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤١٠٣) (ص٨٦٠)، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب. وصحيح مسلم، حديث رقم (٣٠٢٠) (ص١٢٠٩) كتاب التفسير.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣٥٨/٦).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٠٠/٧). وانظر: سيرة ابن هشام (٢٣٨/٣-٢٤١).

خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾[1] قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك[2].

ذكر في سبب نزول هذه الآية "عن عائشة -رضي الله عنها- أنها نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلا يستكثر منها ويريد فراقها، ويكون لها ولد فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حل من شأني".

وعن ابن المسيب أن بنت محمَّد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما كبراً وإما غيره، فأراد أن يطلقها، فقالت: لا تطلقني وأمسكني واقسم لي ما بدا لك"[3].

قوله تعالى: **﴿وإن امرأة خافت﴾** أي علمت **﴿من بعلها﴾** أي: من زوجها، **﴿نشوزاً﴾** أي: بغضاً، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها، أو إعراضاً بوجهه عنها وقلة مجالستها، **﴿فلا جناح عليهما﴾** أي: على الزوج والمرأة **﴿أن يصلحا﴾** أي: يتصالحا، **﴿بينهما صلحاً﴾** يعني: في القسم والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها، إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٢٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٦٠١)، (ص٩٦٣)، كتاب التفسير، باب: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾**. ورواه مسلم حديث رقم: (٣٠٢١) (ص١٢٠٩)، كتاب التفسير.

(٣) أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري (ص١٠٥-١٠٦) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

بهذا فأقيمي وإن كرهت خليت سبيلك، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر هي على ذلك. وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان[1].

قال ابن حجر: وعن علي -رضي الله عنه- قال: نزلت في المرأة تكون عند الرجل تكره مفارقته، فيصطلحان على أن يجيئها كل ثلاثة أيام أو أربعة، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خشيت سودة -رضي الله عنها- أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل[2].

ومن مرويات أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة القرآن الكريم، ما روى أبو داود -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾.

عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: "لما نزلت: ﴿**يدنينَ عليهنَّ من جلابيبِهنَّ**﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية"[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «قبل نزول الآية الكريمة كان النساء يخرجن بلا جلباب، ويرى الرجل وجهها ويديها، وحينئذٍ يجوز لها

---

(١) تفسير البغوي (٤٨٦/١). وانظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمَّد بن جزي الكلبي (١٥٩/١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٦٦/٨).

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤١٠١) (ص٤٤٨) كتاب اللباس، باب: في قوله تعالى: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾. والحديث صححه الألباني. انظر: (ص٤٤٨) ط. بيت الأفكار الدولية.

أن تظهر الوجه والكفين ويحل النظر إليها. ولما أنزل الله عزَّ وجلَّ آية الحجاب حجب النساء عن الرجال. وهذا بعد زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش -رضي الله عنها-»[1].

والآية دالّة على وجوب التستر وتحري لباس الحشمة للمؤمنات حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض من المنافقين وغيرهم من العصاة في النيل من نساء المؤمنين، وحتى يتميزن عن غيرهن من الإماء ومن في حكمهم.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- عند هذه الآية: «وسبب نزولها أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها، وقالوا: هذه حرة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أمة، فآذوها فنزلت الآية. وقوله تعالى: ﴿**يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾ قال ابن قتيبة: يلبسن الأردية. وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن ليُعلم أنهن حرائر»[2].

قال ابن كثير -رحمه الله- عند هذه الآية: «يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات، خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، قال: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد. وهو بمنزلة الإزار اليوم»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١٠/٢٢)، ط. المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤٣٢/٦). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٠٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٥١٨/٣).

ومن مروياتهن -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة القرآن الكريم.
ما روى الترمذي في سننه بسنده عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ثم يقف، ﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف، وكان يقرؤها ﴿مَلِكِ يوم الدين﴾[1].

ومعنى قولها: "يقطع قراءته"، في رواية أبي داود: آية آية، أي يقف عند كلّ آية، "يقرأ الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف" هذا بيان لقوله يقطع قراءته"[2].

هذا والقراءتان صحيحتان سبعيتان. فقد قرأ الكسائي وعاصم بالمد هكذا (مالك)، وقرأ الباقون من السبعة وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (ملك) بحذف المد. وفي هذا يقول الشاطبي -رحمه الله-:

ومالك يوم الدين راويه ناصر   وعند سراط والسراط لقنبلا[3]

هذا ولقد كانت قراءة النبي ﷺ التحقيق من مراتب الترتيل. وحديث أم سلمة -رضي الله عنها- السابق يؤكد ذلك حيث قالت: (يقرأ الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف) وهذا لا يتأتى إلا مع

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٩٢٧) (١٨٥/٥). كتاب القراءات، باب: في فاتحة الكتاب. وفي سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠٠١) (٣٧/٤)، كتاب الحروف والقراءات، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، انظر: سنن الترمذي (ص٤٦٨)، وسنن أبي داود (ص٤٣٩) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للمباركفوري (٢٤٦/٨).

(٣) متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للقاسم بن فيره الشاطبي، ضبط وتصحيح: محمَّد تميم الزعبي (ص٩) ط. الأولى: ١٤٠٩هـ، طبعة دار المطبوعات الحديثة.

مرتبة التحقيق ومما يؤكد ذلك ما ورد عن أم المؤمنين حفصة -رضي ا لله عنها- قالت: (كان رسول ا لله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها)[1].

وكذلك حديث أم سلمة أم المؤمنين -رضي ا لله عنها- "أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً"[2].

قال صاحب التحفة في معنى الحديث: «ومعنى: (قراءة مفسرة) أي مبينة (حرفاً حرفاً) أي كان يقرأ بحيث يمكن عدّ حروف ما يقرأ والمراد حسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد... ويحتمل وجهين: الأول: أن تقول كانت قراءته كيت وكيت، والثاني: أن تقرأ مرتلة كقراءة النبي ﷺ. قال ابن عباس -رضي ا لله عنهما-: لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل»[3].

ومن مرويات أمهات المؤمنين -رضوان ا لله تعالى عنهن- في خدمة القرآن الكريم ما ورد عن أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله عنها- قالت: "تلا رسول ا لله ﷺ هذه الآية: ﴿**هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منهُ آياتٌ**

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٣٣) (ص٢٩٠)، كتاب صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً.

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٩٢٣)، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ (١٨٢/٥)، قال أبوعيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة. وقد روى ابن جريج هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته. وحديث ليث أصحّ» والحديث ضعفه الألباني، انظر (ص٤٦٦)، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٢٤١/٨).

محكماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ وأخرُ متشابِهَاتٌ. فأما الذينَ في قلوبِهمْ زيغٌ فيتّبِعونَ ما تشابَهَ منهُ ابتِغَاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه﴾ إلى قوله **﴿أولو الألبابِ﴾** قالت: قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم"[1].

روي عن الإمام مجاهد بن جبر -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: **﴿منه آيات محكمات﴾** قال: «أحكم ما فيها من الحلال والحرام، **﴿وأخر متشابهات﴾**، يقول: يصدق بعضه بعضاً كقوله: **﴿وما يضلُّ به إلا الفاسقين﴾**[2] وكقوله: **﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾**[3]. وكقوله: **﴿زادهم هدىً وآتاهم تقواهم﴾**[4]. وقوله: **﴿ابتغاء الفتنة﴾** يعني الهلكات التي أهلكوا بها. ومعنى قوله تعالى: **﴿زيغ﴾** قال: شك»[5].

هذا وقد فصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في معنى المتشابه، فقال -رحمه الله-: «في المتشابهات قولان. أحدهما: أنها آيات بعينها تتشابه على كلّ الناس. والثاني: -وهو الصحيح- أن التشابه أمر نسبي،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٤٧) (ص٩٤٨)، كتاب التفسير، باب: **﴿منه آيات محكمات﴾**. ورواه مسلم، حديث رقم: (٢٦٦٥) (ص١٠٧٠)، كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن. والآية من سورة آل عمران برقم: (٧).

(٢) سورة البقرة، آية: (٢٦).

(٣) سورة الأنعام، آية: (١٢٥).

(٤) سورة محمَّد ﷺ، آية: (١٦).

(٥) تفسير مجاهد للإمام مجاهد بن جبر المخزومي (ص١٢١-١٢٢)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمَّد السورتي، طبع على نفقة أمير دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ، مطابع الدوحة الحديثة.

فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره. ولكن ثَمَّ آيات محكمات لا تشابه فيها على أحد، وتلك المتشابهات إذا عرف معناها صارت غير متشابهة؛ بل القول كله محكم، كما قال: ﴿**أحكمت آياته ثم فُصِّلتْ**﴾[1]. وهذا كقوله: (الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس)[2]، وكذلك قوله: ﴿**إن البقر تشابه علينا**﴾[3][4].

وقد يرد استفسار عن سبب التفريق بين المحكم والمتشابه هنا مع أنه قد ورد في مواضع أخرى بأنه كله محكم في قوله: ﴿**الٓر. كتاب أحكمت آياته**﴾[5]، وجعل كله متشابهاً في قوله تعالى: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**﴾[6]،

أجاب عن ذلك كثير من علماء التفسير عند تعرضهم لتفسير هذه الآيات. فقد قال البغوي -رحمه الله- في ذلك: «حيث جعل الكل محكماً أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل ههنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً»[7].

---

(١) سورة هود، آية: (٢).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: (٥٢) (ص٢٦)، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (١٥٩٩).

(٣) سورة البقرة، آية: (٧٠).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/١٤٣-١٤٤)، ط. المكتب الإسلامي السعودي بالمغرب.

(٥) سورة هود، آية: (١، ٢).

(٦) سورة الزمر، آية: (٢٣).

(٧) تفسير البغوي (١/٢٧٨)، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان.

ورحم الله الإمام ابن حجر فقد أفادَ وأجادَ في تفسيره للآيات وشرحه للحديث كعادته فقد جمع أقوالاً كثيرة للعلماء، وانتقى منها وميَّز وأضافَ وأوجزَ فقال -رحمه الله-: المحكم من القرآن ما وضح معناه والمتشابه نقيضه، وسمي المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبه[1]، بخلاف المتشابه، وقيل المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل. والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور... ثم قال: وقال بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة، كالحكيم إذا صنّف كتاباً أجمل فيه أحياناً ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه....، وقيل: لو لم يقبل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمرَّ العالم في أبهة العلم على التمرُّد. فبذلك يستأنس إلى التذلُّل بعز العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لباريها استسلاماً واعترافاً بقصورها[2].

وفي توضيح معنى النصيحة النبوية لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وللأمة معها من الذين يتبعون المتشابه، قال ابن حجر -رحمه الله-: «وقوله: (فهم الذين سمى الله فاحذروهم) المراد: التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن. وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه

(١) المحكم والمتشابه كلاهما متقن التركيب، فالكل كلام الله عز وجل، وابن حجر هنا يجمع الأقوال كلها.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر -رحمه الله- (٨/٢١٠-٢١١).

الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية. وقصة عمر -رضي الله عنه- في إنكاره على صبيغ لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه»(١).

ومن مروياتهن -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة القرآن الكريم ما روي عن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: "يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة. فأنزل الله تعالى: **﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض﴾**(٢).

وهذا الحديث فتح باب خير للنساء لا حدَّ له. ذلك أن الله عزَّ وجلَّ قد أثابهن على كلّ خير عملنه ولا ينقص من أجرهن عن الرجال شيء، وهذا بصريح معنى الآية الواردة في ذلك.

ومما ذكر في تفسير معنى الآية شرحاً للحديث، ما ذكره صاحب التحفة بقوله: «**﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم﴾** يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه **﴿من ذكر أو أنثى﴾** يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكراً كان أو أنثى»(٣).

---

(١) المصدر السابق (٢١١/٨).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٠٢٣) (٢٣٧/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة النساء، قال صاحب التحفة: "والحديث أخرجه أيضاً سعيد بن منصور وابن جرير والحاكم في مستدركه ثم قال: صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه". تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٣٧٨/٨)، والحديث قال عنه الألباني: صحيح بما قبله، كما في طبعة بيت الأفكار الدولية (ص٤٨٢). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٨٠). والآية في سورة آل عمران برقم: (١٩٥).

(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري، (٣٧٧/٨).

وأورد ابن الجوزي -رحمه الله- ثلاثة أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿بعضكم من بعض﴾ هي:

١- بعضكم من بعض في الدين والنصرة والموالاة.

٢- حكم جميعكم في الثواب واحد[1] لأن الذكور من الإناث والإناث من الذكور.

٣- كلكم من آدم وحواء[2].

يظهر من خلال ما سبق من روايات عن بعض أمهات المؤمنين، مدى عنايتهن بكتاب الله عز وجل، وحرصهن على نقل ما سمعنه من رسول الله ﷺ في هذا الشأن؛ لتستفيد الأمة وليكون شاهداً على ما هيأه الله عز وجل من أسباب لحفظ كتابه الكريم.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤٤١/١)، ط. دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٥٣٠/١).

الفصل الثاني

منهج أمهات المؤمنين في خدمة السنة وعلومها

اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأوّل : التعريف بالسنة ومكانتها.

المبحث الثاني : سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن في السنة.

المبحث الثالث : جهودهن في العناية بالسنة المطهرة.

المبحث الرابع : نماذج من مروياتهن في خدمة السنة.

الفصل الثاني

منهج أمهات المؤمنين في خدمة السنة وعلومها

بين يدي الفصل:

تمثل المنهج الذي سلكته أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة السنة وعلومها في التالي:

١- تلقي السنة والحرص على تعلمها منه ﷺ.

٢- كن خير وسيطٍ في نقل بعض أحكامها بينه ﷺ وبين السائلات من المؤمنات.

٣- الحثُّ على تعلم السنة والترغيب في ذلك.

٤- القيام بواجب تبليغ السنة للناس في حياته وبعد وفاته ﷺ.

٥- العناية بصحة نقل الرواية وضبطها.

٦- الاستدراك على بعض الصحابة في تصحيح بعض الأحكام والاستنباطات من السنة المطهرة.

٧- القيام بواجب النصح والإرشاد والتذكير بالسنة لبعض الخلفاء والولاة على أمور المسلمين.

هذا ويتضح الحديث عن منهجهن -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة السنة وعلومها من خلال مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول

التعريف بالسنة ومكانتها

المطلب الأول: التعريف بالسنة:

أولاً: التعريف اللغوي:

تطلق السنة على معانٍ كثيرة في اللغة، فمنها: الطريقة، محمودة كانت أم مذمومة. ومنه قوله ﷺ: (من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سن سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[1].

وتطلق السنة غالباً على: «الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، ومعناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن، وهو الطريق»[2].

وسنن الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسنّها الله للناس: بيَّنها. وسنَّ الله سنةً أي بين طريقاً قويماً[3]. قال تعالى: **﴿سنة اللهِ في الذين خلوا من قبلُ﴾**[4]. وقوله: **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾**[5].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سنن) (٢٢٥/١٣). والحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي، حديث رقم: (١٠١٧) (ص٣٩٢)، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة، ولو بشق تمرة.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٢٢٦/١٣).

(٣) المصدر السابق، (٢٢٦/١٣).

(٤) سورة الأحزاب، آية: (٦٢).

(٥) سورة الكهف، آية: (٥٦).

وسنة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحراها. وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته نحو: ﴿**سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾ ﴿**ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾[1].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

تعددت تعريفات السنة تبعاً لتخصص المعرفين لها من محدثين وفقهاء وأصوليين.

فقد عرَّفها المحدثون بقولهم: «ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[2].

وبهذا التعريف لدى المحدثين تعتبر السنة مرادفة لمعنى الحديث عند بعضهم.

والسنّة في اصطلاح الفقهاء هي: «ما ثبتَ عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب... وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة. ومنه قولهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا»[3].

ومنهم من عرَّفها بقوله: «ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي ﷺ، أي: ما ليس بواجب منها»[4].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) (ص٢٤٥)، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان. والآيات في سورة الفتح برقم: (٢٣)، وفي سورة فاطر برقم: (٤٣).

(٢) قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث للإمام القاسمي (ص٣٥-٣٨) ط. البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ. وانظر: توجيه النظر إلى علوم الأثر للشيخ طاهر الجزائري (ص٢) ط. مصر: ١٣٢٨هـ.

(٣) إرشاد الفحول للعلامة الشوكاني (ص٣١)، ط. البابي الحلبي: ١٣٥٦هـ.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي (١/١٥٦)، ط. صبيح بمصر.

وفي اصطلاح الأصوليين هي: «ما نقل عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير»[1].

وسبب تعدُّد التعريف الاصطلاحي يعود إلى اختلاف الأغراض التي يُعنى بها كلّ طائفة من أهل العلم. فأهل الحديث أثبتوا كلّ ما يتصل به ﷺ من سيرة وخلق وشمائل. وأهل الأصول بحثوا في القواعد التي يحتاجها المجتهدون، فعُنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ التي تثبت الأحكام وتقررها. والفقهاء إنما بحثوا عن أفعاله وأقواله ﷺ الدالة على حكم شرعي وجوباً أو حرمة وإباحة وغير ذلك[2].

المطلب الثاني: مكانة السنة عند المسلمين:

كانت تتنزَّل آيات القرآن مجملة غير مفصلةٍ لأحكام الشرع وتفريعاته، كالأمر بالصلاة مثلاً جاء مجملاً لم يوضح في القرآن عدد ركعاتها ولا أوقاتها ولا هيئتها، وأحياناً يأتي الأمر مطلقاً غير مقيد كالأمر بالزكاة حيث لم يوضح الحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة ومقاديرها وشروط وجوبها فكان لابد من الرجوع للنبي ﷺ لمعرفة تلك الأحكام التفصيلية

---

(١) المصدر السابق (١/١٥٦). وانظر: نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر للشيخ عبد القادر ابن أحمد الدمشقي (١/٢٣٦)، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية. وانظر: المدخل إلى فقه الإمام أحمد للشيخ عبد القادر الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي (ص١٩٩)، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان. وانظر: أصول الفقه للإمام أبي زهرة (ص٨٢)، ط. دار الفكر العربي، القاهرة. وانظر: أصول الفقه للشيخ محمَّد الخضري (ص٤٩) الطبعة السادسة: ١٣٨٩م، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي (٤٩).

وتوضيحها، وقد جاء القرآن الكريم مؤكداً وموضحاً لذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليكَ الذِكْرَ لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكّرُونَ**﴾[1].

هذا ولقد كان لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- دور مهم وأساسي في توضيح كثير من ذلك للأمة، وما هذا الميراث العظيم من مرويات السنة الذي تنعم به الأمة إلا بفضل الله أولاً ثم لمن قام بتبليغ هذا الميراث الذي أثبتت من خلاله أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- أداءهن لما أمرهن الله بأدائه من ميراث النبوة وبلاغ آيات الله والحكمة، ومعنى الحكمة: السنة كما سيأتي.

ولقد أخبر الحق سبحانه وتعالى بأنه قد آتى المصطفى عليه الصلاة والسلام الكتاب والحكمة. قال تعالى: ﴿**لقدْ مَنَّ الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رَسُولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ**﴾[2].

أورد الشافعي[3] -رحمه الله- في الرسالة، ووافق في ذلك بعض أهل العلم[4] على أن معنى الحكمة في هذه الآية هي السنة، حيث قال

---

(١) سورة النحل، آية: (٤٤).

(٢) سورة آل عمران، آية: (١٦٤).

(٣) هو الإمام محمَّد بن إدريس الشافعي، الإمام عالم العصر المحدّث الفقيه صاحب المذهب، ولد بغزة من أرض الشام عام ١٥٠هـ، وتوفي بمصر عام ٢٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٥-٩٩). والفهرست لابن النديم (ص٢٥٩). وحلية الأولياء للأصفهاني (٩/٦٣-١٦١).

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- وذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/١٤٦). وكذلك قتادة -رحمه الله- كما في جامع البيان للطبري (١/٥٥٧) (٢/١٣٩). وكذلك الحسن البصري ومقاتل بن حيان وأبو مالك كما في تفسير ابن كثير (١/١٨٤).

-رحمه الله-: «فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهذا يشبه ما قال، والله أعلم. لأن القرآن ذُكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز -والله أعلم- أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله. وذلك لأنها مقرونة مع الكتاب، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على الناس اتباع أمره. فلا يجوز أن يقال لقولٍ فُرِضَ إلا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفناه من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به»[1].

وإذا كان الأمر كذلك والرسول ﷺ قد أوتي القرآن ومثله معه، وقد أوجب الله على المسلمين اتباعه ﷺ فيما يأمر وينهى. فقال: ﴿وما آتاكمُ الرسولُ فخُذوهُ وما نهَاكمْ عنهُ فانتَهُوا﴾[2].

وعن العرباض[3] بن سارية -رضي الله عنه- قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله ﷺ كأن هذه موعظة مودِّع. فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي (ص٧٨) ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) سورة الحشر، آية: (٧).

(٣) هو العرباض بن سارية السلمي يكنى أبا نجيح روى عنه عبد الرحمن بن عمرو وخالد بن معدان وغيرهم، سكن الشام، توفي سنة خمس وسبعين، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٣٩٩)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بـالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[1].

لذلك عُني سلف هذه الأمة وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بتبليغ السنة لأنهن يرين أنها أمانة رسول الله ﷺ استخلفهن عليها لتبليغها إلى الأمة والأجيال التي تأتي من بعد، عاملاتٍ بقوله ﷺ: (نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفِظه حتى يبلِّغه غيره، فرب حامل فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه، وربَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه)[2].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم: (٤٦٠٧) (٤/٢٠١). والحديث صححه الألباني -رحمه الله- كما في (٥٠٤) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) سنن الترمذي برقم: (٢٦٥٦)، كتاب العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/٣٤). والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، كما في (ص٤٣٠) ط. بيت الأفكار الدولية.

المبحث الثاني

سؤالهن النبي ﷺ وسؤال الناس لهن في السنة

المطلب الأول: سؤالهن النبي ﷺ في السنة:

أولاً: أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة:

لقد كثرت عناية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بالسنة إلى حد فاقت فيه كثيراً من الصحابة -رضوان الله عليهم- والمتتبع لذلك الميراث الذي ورثته -رضي الله عنها- لا يكاد يحيط بكل رواياتها التي أفردها بعض المصنفين بكتب خاصة بها لعظم النفع الذي حصل للأمة من كثرتها وإتقانها -رضي الله عنها- في نقلها للسنة المطهرة.

لذلك سيكون جل الاهتمام منصباً على بعض تلك المرويات الواردة عنها -رضي الله عنها-، والتي أتت على طريقة سؤالها للنبي ﷺ، وإجابة النبي ﷺ لها، معتمداً في ذلك على الصحيح الثابت. مما ورد في صحيحي البخاري ومسلم ليكون أنموذجاً حياً ودليلاً واضحاً على سعة علم أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

ويكفي في ذلك العدد الذي بلغته رواياتها -رضي الله عنها- التي وصلت إلى (٢٢١٠) ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين[١].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢).

ومن هذه الروايات الكثيرة أقتطف منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "قال رسول الله ﷺ: البكر تستأذن، قلت: إن البكر تستحي، قال: إذنها صماتها"(١).

لقد اتضح من خلال سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أمرٌ مهم كثير التردد والوقوع، ألا وهو ضرورة أخذ الإذن من البكر في النكاح والصورة التي يعرف بها إذن البكر دون الثيب.

هذا وقد تناول العلماء الحديث بالشرح واستنباط الأحكام، فمن ذلك ما ذكره صاحب فتح الباري في شرحه للحديث حيث قال: «وفي هذا الحديث إشارة إلى أن البكر التي أمر باستئذانها هي البالغ، إذ لا معنى لاستئذان من لا تدري ما الإذن، ومن يستوي سكوتها وسخطها...، واستدل به على أن البكر إذا أعلنت بالمنع لم يجز النكاح، وإلى هذا أشار المصنف في الترجمة(٢). وإن أعلنت بالرضا فيجوز بطريق الأولى، وشذَّ بعض أهل الظاهر فقال: لا يجوز أيضاً، وقوفاً عند ظاهر قوله: وإذنها أن تسكت»(٣).

وعند قوله ﷺ: (وإذنها صماتها) قال القرطبي -رحمه الله-: «هذا منه ﷺ مراعاة لتمام صونها وإبقاء لاستحيائها، لأنها لو تكلمت صريحاً لظن

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٩٧١) (ص١٤٧١)، كتاب الحيل، باب: في النكاح.

(٢) يشير بهذا إلى رواية الحديث التي أوردها البخاري في كتاب النكاح، باب: لا يُنكِح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما، انظر: صحيح البخاري، الحديث رقم: (٥١٣٦-٥١٣٧) (ص١١٣٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٩/١٩٣-١٩٤).

أنها راغبة في الرجال، وذلك لا يليق في البكر، واستحب العلماء أن تعلم أن صماتها إذن»[1].

هذا ولقد شرح صاحب المغني -رحمه الله- هذه المسألة بقوله: «لا نعلم خلافاً في استحباب استئذانها فإن النبي ﷺ قد أمر به ونهى عن النكاح بدونه وأقل أحوال ذلك الاستحباب ولأن فيه تطييب قلبها وخروجاً من الخلاف»[2].

والذي يستخلص مما سبق هو ضرورة استئذان البكر عند إرادة تزويجها تطييباً لخاطرها. وأقل ما في ذلك هو الاستحباب، ومن أوصله إلى حد الوجوب فلا مأخذ عليه، نظراً للأمر الوارد في الحديث، ولتعلق تحقق النكاح به... والله أعلم.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: استأذن عليَّ أفلح[3] فلم آذن له، فقال: أتحتجبين مني وأنا عمك؟ فقلت وكيف ذلك؟ فقال: أرضعتك امرأة أخي بلبن أخي، فقالت: سألت عن ذلك رسول الله فقال: (صدق أفلح، ائذني له)[4].

وهذا الحديث من أقوى الأدلة عند الجمهور الذين قالوا بأن لبن الفحل يحرم فتنتشر الحرمة لمن ارتضع الصغير بلبنه، وفيه خلاف قديم حُكيَ عن

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١٢٧/٣).

(٢) المغني للإمام ابن قدامة (٣٨٤/٧) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) هو أفلح بن أبي القعيس، وقيل: أفلح أبو القعيس، وقيل: أخو أبي القعيس، انظر: أسد الغابة (١٠٦/١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: الشهادات على الأنساب، حديث رقم: (٢٦٤٤) (ص٥٤٩)، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

ابن عمر وابن الزبير ورافع بن خديج وزينب بنت أم سلمة وغيرهم، وعن ابن سيرين: نبئت أن ناساً من أهل المدينة اختلفوا فيه. وعن زينب بنت أبي سلمة أنها سألت والصحابة متوافرون وأمهات المؤمنين فقالوا: الرضاعة من قبل الرجل لا تحرم شيئاً، وقال به من الفقهاء ربيعة الرأي وإبراهيم بن علية وداود وأتباعه. وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم**﴾[1] ولم يذكر العمة ولا البنت كما ذكرهما في النسب. وأجيبوا بأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه، ولاسيما وقد جاءت الأحاديث الصحيحة، واحتج بعضهم من حيث النظر بأن اللبن لا ينفصل من الرجل وإنما ينفصل من المرأة فكيف تنشر الحرمة إلى الرجل؟ والجواب: أنه قياس في مقابلة النص فلا يلتفت إليه. وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار كالأوزاعي في أهل الشام والثوري وأبي حنيفة وصاحبيه في أهل الكوفة وابن جريج في أهل مكة ومالك في أهل المدينة والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وأتباعهم إلى أن لبن الفحل يحرم وحجتهم هذا الحديث الصحيح[2].

ومن الأحاديث الواردة في سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة في موضوع الرضاع كذلك، ما ورد عن عائشة -رضي الله عنها- "أن رسول الله ﷺ كان عندها، وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: هذا رجل

---

(١) سورة النساء، الآية: (٢٣).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر -رحمه الله- (١٥١/٩).

يستأذن في بيتك، فقال رسول الله ﷺ: أراه فلاناً (لعَمِّ حفصة من الرضاعة) فقالت عائشة: يا رسول الله، لو كان فلان حياً (لعمها من الرضاعة) دخل عليَّ؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة"[1].

من باب إتمام الفائدة فقد تعرض النووي -رحمه الله- لتوضيح إثبات الحرمة بالرضاع وانتشار الحرمة بين الرضيع وأولاد المرضعة فقال -رحمه الله-: «هذه الأحاديث متفقة على ثبوت حرمة الرضاع، وأجمعت الأمة على ثبوتها بين الرضيع والمرضعة وأنه يصير ابنها، يحرم عليه نكاحها أبداً، ويحل له النظر إليها والخلوة بها والمسافرة ولا يترتب عليه أحكام الأمومة من كلّ وجه، فلا يتوارثان ولا يجب على كلّ واحد منهما نفقة الآخر. وأما الرجل المنسوب ذلك اللبن إليه لكونه زوج المرأة أو وطئها بملك أو شبهة فمذهبنا ومذهب العلماء كافة ثبوت حرمة الرضاع بينه وبين الرضيع ويصير ولداً له وأولاد الرجل إخوة الرضيع وأخواته»[2].

وتعرض الحافظ ابن حجر -رحمه الله- للحكمة في أن التحريم يخص الرضيع وحده دون إخوته وأخواته فقال -رحمه الله-: «ولا يتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع، فليست أخته من الرضاعة أختاً لأخيه ولا بنتاً لأبيه إذ لا رضاع بينهم، والحكمة في ذلك أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءاً من

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٤١)، كتاب الرضاع، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، ورواه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: (٢٦٤٦) و(٣١٠٥) و(٥٠٩٩) واللفظ لمسلم.

(٢) شرح النووي علىصحيح مسلم (١٩/١٠)، ط. الأولى (١٣٤٧هـ-١٩٢٩م).

أجزائها فانتشر التحريم بينهم. بخلاف قرابات الرضيع لأنه ليس بينهم وبين المرضعة ولا زوجها نسب ولا سبب»[1].

ومن الأحاديث الواردة في سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد:

عن عائشة -رضي ا لله عنها- قالت: "أتتها بريرة[2] تسألها في كتابتها، فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، وقال أهلها إن شئت أعطيتها ما بقي، وقال سفيان[3] مرة: إن شئت أعتقتها ويكون الولاء لنا، فلما جاء رسول ا لله ﷺ ذكَّرَتْهُ ذلك، فقال: ابتاعيها فأعتقيها، فإن الولاء لمن أعتق..."[4].

وقد وقع في رواية الإمام مالك -رحمه ا لله- وغيره بلفظ: «ذكرت ذلك لرسول ا لله ﷺ»[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- (١٤١/٩-١٤٢).

(٢) بريرة مولاة عائشة أم المؤمنين، كانت مولاة بني هلال وقيل غيرهم، كانت من ربات العقل والفراسة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ترجمة (٦٧٧٠).

(٣) سفيان هو ابن عيينة. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٥٥٠/١) ط. دار الفكر، وهو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الحافظ شيخ العصر، أبو محمَّد الهلالي الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي سنة ١٩٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٤/٨). وطبقات ابن سعد (٤٩٧/٥). وحلية الأولياء (٢٧٠/٧).

(٤) صحيح البخاري، الحديث رقم: (٤٥٦)، كتاب الصلاة، باب: ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد.

(٥) موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٤٧٤) (٧٨١/٢)، كتاب العتاقة والولاء، ط. الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

وهذا على سبيل الاستفسار للعلم بالشيء.

وهذا الحديث ورد بروايات متعددة وأكثر العلماء -رحمهم الله- في استنباط الفوائد المأخوذة منه ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما أورده الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح حيث قال: «وفيه أنه لا بأس لمن أراد أن يشتري العتق أن يظهر ذلك لأصحاب الرقبة ليتساهلوا له في الثمن ولا يعد ذلك من الرياء. وفيه أن للمكاتب أن يسأل من حين الكتابة ولا يشترط في ذلك عجزه خلافاً لمن شرطه. وفيه جواز السؤال لمن احتاج إليه من دينٍ أو غرمٍ أو نحو ذلك. وفيه أن المرأة الرشيدة تتصرف لنفسها في البيع وغيره ولو كانت مزوجة خلافاً لمن أبى ذلك. وفيه إنكار القول الذي لا يوافق الشرع وانتهار الرسول فيه. وفيه أن الشيء إذا بيع بالنقد كانت الرغبة فيه أكثر مما لو بيع بالنسيئة. وفيه جواز الشراء بالنسيئة...»[1].

ثم قال ابن حجر -رحمه الله-: «وقد بلغ بعض المتأخرين الفوائد من حديث بريرة إلى أربعمائة أكثرها مستبعد متكلف، كما وقع نظير ذلك للذي صنف في الكلام على حديث المجامع في رمضان فبلغ به ألف فائدة وفائدة»[2].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد أنها قالت: "استأذنت النبي ﷺ في الجهاد. فقال: جهادكن الحج"[3].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٩٢/٥-١٩٣).

(٢) المصدر السابق (١٩٤/٥).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٨٧٥)، كتاب الجهاد، باب: جهاد النساء (ص٦٠٦).

والحديث يدل على رغبة أم المؤمنين -رضي الله عنها- في المسارعة إلى الخيرات حيث سألت عن هذا الباب العظيم وهو الجهاد في سبيل الله رغبة منها في تحصيل الأجر والثواب. وقد ورد هذا الحديث بروايات متعددة في السنن وغيرها.

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "قلت: يا رسول الله، على النساء جهاد؟ قال: نعم، جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة"[1]. وفي لفظ آخر: "فسأله نساؤه عن الجهاد فقال: نِعْمَ الجهاد الحج"[2].

وقد زعم البعض أن هذه الأحاديث تقتضي حرمة السفر عليهن لغير الحج. وهذا الحديث يرد عليهم لأنه دلَّ على أن لهن جهاداً غير الحج والحج أفضل منه...، والمعنى أن الجهاد ليس بواجب عليكن كما وجب على الرجال. ولم يرد بذلك تحريمه عليهن. فقد ثبت في حديث أم سلمة أنهن كن يخرجن فيداوين الجرحى، وفهمت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ومن وافقها من هذا الترغيب في الحج، وإباحة تكريره لهن كما أبيح للرجال لتكرير الجهاد، وخص به عموم قوله ﷺ: (هذه ثم ظهور الحصر)[3].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد أنها قالت: "سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة؟ فقال:

---

(١) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٢٩٠١) كتاب المناسك، باب الحج، جهاد النساء، (٢/٩٦٨). والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: (ص٣١٦) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٨٧٦)، كتاب الجهاد، باب: جهاد النساء، ط. دار الأرقم، بيروت - لبنان.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر (٤/٧٥).

هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"[1].

قيل في معنى قوله ﷺ: (هو اختلاس) أي: اختطاف بسرعة... وسمي اختلاساً تصويراً لقبح تلك الفعلة بالمختلس، لأن المصلي يقبل عليه الرب سبحانه وتعالى، والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة[2].

وهذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في النهي عن الالتفات تدل على كراهة الالتفات في الصلاة وهو قول الأكثر والجمهور على أنها كراهة تنزيه ما لم يبلغ إلى حد استدبار القبلة[3].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد أنها قالت: "قلت يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً"[4].

ومعنى قوله ﷺ: (أقربهما) أي أشدهما قرباً. «والحكمة فيه أن الأقرب باباً يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها فيتشوف له بخلاف الأبعد»[5].

وقيل: إن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات ولاسيما في أوقات الغفلة.. والإهداء إلى الأقرب مندوب، لأن الهدية في الأصل ليست

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧٥١) (ص١٦٦)، كتاب الأذان، باب: الالتفات في الصلاة.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٢/٣٣٥).

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني (٢/٣٧٩).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٢٥٩) (ص٤٦٤)، كتاب الشفعة، باب: أي الجوار أقرب.

(٥) سبل السلام شرح بلوغ المرام للعلامة الصنعاني (٤/٢٤٦).

واجبة فلا يكون الترتيب فيها واجباً. ويؤخذ من الحديث أن الأخذ في العمل بما هو أعلى أولى. وفيه تقديم العلم على العمل.

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول قبل أن يموت "سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك"، قالت: قلت يا رسول الله! ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: جُعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها ﴿**إذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ**﴾ إلى آخر السورة"[(1)].

وأما العلامة التي وردت في الحديث فقد جاءت موضحة في الحديث الآخر المروي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول (سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه) قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: (خَبَّرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها، إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)[(2)].

وفي سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ عن هذا الدعاء الذي سمعته منه ﷺ تفسير واضح لبيان معنى سورة النصر، ما كانت

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٤٨٤) (ص٢٠٠)، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٤٨٤) (ص٢٠٠)، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع.

الأمة لتهتدي إليه بدون هذا الاستفسار. وفي توضيح معنى قوله ﷺ: "سبحانك وبحمدك" قال النووي -رحمه الله- في شرحه: «يقال: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً، فسبحان الله معناه براءةً وتنزيهاً له من كل نقص. قالوا: وقوله: وبحمدك أي وبحمدك سبحتك، ومعناه بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبحتك، لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله وأن كل الأفعال له والله أعلم»[1].

ومن اللطائف التي استنبطت من هذا الدعاء ما قيل: "إن الحكمة في الإتيان بضمير المتكلم ومعه غيره في قوله "ربنا" وفي إفراده في قوله "اللهم اغفرلي" أنه لما أضيف إلى الله تعالى ذي الكمال الحائز لصنوف الجمال والجلال أتى بضمير "نا" لأنه دال على التفخيم ولما كان مقام العبد مقام الافتقار والتذلل والانكسار أتى بضمير الواحد الفقير لعز مولاه الجليل"[2].

هذا وقد بوَّب البخاري -رحمه الله- باباً في كتاب الأذان سماه باب الدعاء في الركوع وأورد فيه الحديث السابق برواية أخرى. وفيه سبب هذه التسمية، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: «فقيل: الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح أنه قصد الإشارة إلى الرد على من كره الدعاء في الركوع كالإمام مالك -رحمه الله-. وأما التسبيح فلا خلاف فيه.... وحجة المخالف الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/٢٠٢).

(٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للشيخ محمَّد بن علان الشافعي (٢/٢٤٥) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

ابن عباس مرفوعاً وفيه: (فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم)». أجاب عن هذا الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «لكنه لا مفهوم له، فلا يمتنع الدعاء في الركوع كما لا يمتنع التعظيم في السجود»[1].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد أنها قالت: "قلت يا رسول الله، يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك واحد؟ قال: انتظري فإذا تطهرت فاخرجي إلى التنعيم، فأهلي منه، ثم القينا عند كذا وكذا..."[2] الحديث.

والحديث ورد بروايات متعددة في الصحيحين وغيرهما. وسؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ وإلحاحها بإفراد العمرة لها كصاحباتها من أمهات المؤمنين رغبة منها في الخير واستكثاراً للعمل الصالح قد فتح باباً في العلم واجتهاداً لدى العلماء -رحمهم الله- في أصل النسك الذي أهلت به أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-. هذا ولقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة وأوردها في معرض الحديث عن العمرة عقب الحج لكثرة ما يفعله الناس في هذا الزمان فقال -رحمه الله-: «فأما العمرة عقيب الحج من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم: فهذا لم يعرف على عهد السلف. ولا نقل عن أحد عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الذين حجوا معه أنهم فعلوا ذلك، إلا عائشة -رضي الله عنها-

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٢٨١/٢).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢١١)، كتاب الحج، باب: بيان وجوه الإحرام.

لأنها كانت قدمت متمتعة فحاضت، فأمرها النبي ﷺ أن تحرم بالحج وتدع العمرة. فمذهب أحمد ومالك والشافعي أنها صارت قارنة، ولا يجب عليها قضاء تلك العمرة. لكن أحمد في إحدى الروايتين عنه جعل القضاء واجباً عليها لوجوب العمرة عنده في المشهور عنه. وكون عمرة القارن والعمرة من أدنى الحل لا يسقط وجوب العمرة عنده في إحدى الروايتين. ومذهب أبي حنيفة أن عائشة رفضت العمرة وأهلت بالحج فصارت مفردة، وعنده يجب عليها قضاء العمرة التي رفضتها. وبنى ذلك على أصله: في أن القارن يطوف طوافين، ويسعى سعيين، فلم يكن في القران لها فائدة.

وأما الجمهور فبنوه على أصولهم: في أن عمل القارن لا يزيد على عمل المفرد، قالوا: إن النبي ﷺ إنما أعمر عائشة -رضي الله عنها- تطييباً لنفسها، لأنها قالت: يذهب أصحابي بحجة وعمرة، وأذهب أنا بحجة، فقال النبي ﷺ: "يسعك طوافك بحجك وعمرتك" وفي رواية أهل السنن: "طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك" فلما ألحت أعمرها تطييباً لنفسها»[1].

وهذا هو الذي ذكره النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث وهو إرادتها -رضي الله عنها- أن تكون لها عمرة منفردة عن الحج كما حصل لسائر أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابة الذين فسخوا الحج إلى العمرة وأتموا العمرة وتحللوا منها قبل يوم التروية ثم أحرموا بالحج من مكة

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم (٢٦/٤١-٤٢) مكتبة المعارف، الرباط - المغرب.

يوم التروية فحصل لهم عمرة منفردة وحجة منفردة بخلاف أم المؤمنين عائشة التي حصل لها عمرة مندرجة في حجة بالقران[1].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما روته "أن رسول الله ﷺ قال: ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة، اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ قالت: فقلت يا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله ﷺ لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت"[2].

وهذا الحديث ورد بعدة روايات يفسر بعضها بعضاً وبمجموعها تدل على رغبته ﷺ في إرساء قواعد البيت على قواعد إبراهيم الخليل عليه السلام وتركه لذلك تقديراً للمفسدة الأعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً.

ومعنى قوله ﷺ: (ألم تري) أي ألم تعرفي. ومعنى قوله: (اقتصروا عن قواعد إبراهيم) أي أن النفقة الطيبة التي أخرجوها قصرت بهم عن إتمامها على قواعد إبراهيم. ومعنى قوله (لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت) وفي رواية: "فأخاف أن تنكر قلوبهم" قيل: إن النفرة التي خشيها ﷺ أن ينسبوه إلى الانفراد بالفخر دونهم"[3].

هذا ولقد استنبط النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث فوائد وقواعد مهمة، منها: «إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨/١٤٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٣٣) رقم الباب (٣٩٩) كتاب الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها. ورواه البخاري في الحديث رقم (١٥٨٣) و(٣٣٦٨) و(٤٤٨٤) واللفظ لمسلم.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٣/٤٤٤).

وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً، فتركها ﷺ. ومنها فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك. ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم وأن لا ينفروا و لا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق»[1].

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما ورد "أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمَّد إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٩/٩).

فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً"[1].

ومعنى (الأخشبين) بالمعجمتين هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله. وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما. والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة. ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً. وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: **﴿فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم﴾** وقوله: **﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾**[2].

والحديث فيه من الدروس الدعوية والعظات والعبر الشيء الكثير فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- عالمية الدعوة وأنها للناس كافة وليست قاصرة على أهل مكة دون غيرهم.

٢- التضحية بالنفس والنفيس في سبيل نشر دين الله في الأرض.

٣- بيان أصناف الناس ودرجات تفاوتهم في قبول الدعوة ورفضها، تمثل ذلك في موقف أهل الطائف برفضهم وإغراء سفهائهم به ﷺ.

٤- اصطفاء الله لمن شاء من عباده، وكأن الرحلة إلى الطائف كانت

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٧٩٥) (ص٧٤٦) رقم الباب: (١١١) (٧٤٧) كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ورواه البخاري، الحديث رقم: (٣٢٣١) و(٧٣٨٩) (ص٦٨٢ و١٥٥٢) واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٣١٦/٦) ط. دار الفكر، بيروت – لبنان. والآيات في سورة آل عمران برقم: (١٥٩)، وفي سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

لعداس وحده من البشر، ونفر من الجن الذين آمنوا واتبعوا كما ورد في سورة الأحقاف.

٥- نصرة الله عز وجل لرسوله ﷺ بإرسال ملك الجبال لاستئصال المكذبين.

٦- بيان بشريته ﷺ وأنه يناله ما ينال البشر من المصائب والمحن.

٧- بيان أن طريق الدعوة والجهاد ليس مفروشاً بالورود والرياحين.

٨- شدة حزنه ﷺ على عدم قبول الدعوة حيث لم يستفق إلا في قرن الثعالب.

٩- عدم اليأس في نشر الدعوة بعد عودته ﷺ من الطائف.

١٠- بيان شفقة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على النبي ﷺ لما رأت حاله يوم أحد.

وفي سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ عن حاله وما لاقاه من المشركين، باب خير وعلم علمته الأمة لتعلم تفاصيل رحلته ﷺ إلى الطائف، وما عرض له من الأمور التي لا يطيقها إلا أولو العزم من الرسل. بل ولا يطيقها إلا إمام أولي العزم من الرسل عليه الصلاة والسلام. ذلك لأنه تمكن من رقاب أعدائه جميعاً بعذاب الاستئصال، ولكنه حلم وصبر واحتسب، وقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

ومن أسئلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما جاء عن عروة "أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته، أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك

يا عائشة! أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم"[1].

والحديث يدل على محبة أم المؤمنين -رضي الله عنها- للنبي ﷺ وأنها لا ترضى أن تؤثر عليه أحداً، وفيه مداراته ﷺ لنسائه ومراعاة حالهن، وذلك حين لاحظ تغير حال أم المؤمنين عن الحال التي تركها عليها. حيث بادرها ﷺ بالسؤال عن حالها، ومع ما كانت عليه أم المؤمنين -رضي الله عنها- من حالة الغيرة الشديدة عليه ﷺ، فإنها أبت إلا أن تفيد الأمة بالأسئلة التي وجهتها للنبي ﷺ عن القرين الملازم لجميع الناس حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وفي هذا يقول النووي -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان»[2].

ثم أورد رحمه الله مسألة هامة جداً، تهم كل مسلم وأنها مثار شبهة لو لم يُتفطن لها. وهي مدى تأثره ﷺ بهذا القرين وهل هذا يؤدي إلى اللبس في الوحي الذي يبلغه لنا ﷺ، فقال -رحمه الله-: «...واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه»[3].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨١٥)، (ص١١٣٢)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرين.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/١٧).

(٣) المصدر السابق (١٥٨/١٧).

وهذا علاوة عما أجاب به ﷺ في نص الحديث، حيث قال ﷺ: "ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم"[(١)].

ثانياً: ومن أسئلة أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة:

عن حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع، فقالت حفصة: فما يمنعك؟ قال: "لبدت رأسي وقلدت هديي فلست أحل حتى أنحر هديي"[(٢)].

وفي لفظ لمسلم: "...أن حفصة زوج النبي ﷺ قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا ولم تحلل أنت من عمرتك؟ قال: إني لبدت رأسي وقلدت هديي، فلا أحل حتى أنحر"[(٣)].

وهذا الحديث الذي رواه الشيخان ورد ضمن أحاديث أوردها كل من البخاري ومسلم -رحمهما الله- لبيان النسك الذي حجَّ به ﷺ[(٤)].

ثالثاً: أسئلة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة:

١- عن أم سلمة -رضي الله عنها- "أن أم سليم[(٥)] قالت: يا رسول الله:

---

(١) انظر حاشية (١) الصحفة السابقة.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٣٩٨) (ص٩١٤)، كتاب المغازي، باب: حجة الوداع.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢٢٩) (ص٤٩٠) كتاب الحج، باب: بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد.

(٤) أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أقوال العلماء في هذه المسألة، ثم قال: «كل من روى عنه الإفراد، حمل على ما أهلَّ به أول الحال، وكل من روى عنه التمتُّع، أراد به أصحابه، وكل من روى عنه القران، أراد ما استقرَّ عليه أمره». فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، (٤٢٩/٣).

(٥) هي أم سليم الغميصاء، ويقال: الرميصاء، ويقال: سهلة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخزرجية، أم خادم النبي ﷺ أنس بن مالك، مات زوجها مالك بن النضر، ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وكان صداقها الإسلام، فولدت له أبا عمير وعبد الله، روت ١٤ حديثاً، اتفقا لها على حديث، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠٤/٢). وطبقات ابن سعد (٤٢٤/٨).

إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال: نعم، إذا رأت الماء فضحكت أم سلمة، فقالت: تحتلم المرأة؟ فقال رسول الله ﷺ: فبِمَ يشبه الولد"[1].

قيل في معنى قول أم سليم -رضي الله عنها- "إن الله لا يستحيي من الحق" هذا تمهيد لبسط عذرها في ذكرها ما تستحيي النساء من ذكره، ومعناه أن سنة الله وشرعه أن لا يُستحى من الحق"[2].

ومعنى قولها: "احتلمت" الاحتلام افتعال من الحلم بضم المهملة وسكون اللام، وهو ما يراه النائم في نومه، والمراد به أمر خاص منه وهو الجماع. ومعنى قوله: "إذا رأت الماء" أي: المعنى بعد الاستيقاظ[3].

ومن الأحكام التي استنبطت من هذا الحديث: الدليل على وجوب الغسل بإنزال المرأة الماء. وفيه أن إنزال الماء في حالة النوم موجب للغسل، كإنزاله في حالة اليقظة. ومنها قوله ﷺ: "إذا رأت الماء" يُردُّ به على من يزعم أن ماء المرأة لا يبرز وإنما يعرف إنزالها بشهوتها بقوله: "إذا رأت الماء"[4].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- «وفيه دليل على أن في النساء قابلية الاحتلام. وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال، وحُمل

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٣٢٨) (ص٦٩٩)، كتاب الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المني، منها حديث رقم: (٣١٣) (ص١٤٤).

(٢) حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٢٩٤/١)، ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٨٩/١).

(٤) حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٢٩٧/١).

قولـه: "إذا رأت المـاء" أي علمـت بـه، لأن وجـود العلـم هنـا متعـذر لأنــه إذا أراد به علمها بذلك وهي نائمة فلا يثبت به حكـم لأن الرجـل لـو رأى أنه جامع وعلم أنه أنزل في النوم ثم استيقظ فلم يرَ بللاً لم يجب عليه الغسل اتفاقاً، فكذلك المرأة، فحمل الرؤية على ظاهرها هو الصواب. وفيه استفتاء المرأة بنفسها»[1].

هذا وإن هذا الحديث يعتبر أصلاً من الأصول التي يعتمد عليهـا العلمـاء في شرح أحكام الطهارة، وفي سؤال أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- عقب سؤال أم سليم -رضي الله عنها- زيادة خير للأمة في تأكيد ما يـرد على النساء مـن أمـور تهمهُـنَّ في مسـائل طهـارتهن وعبـادتهن لله ربهـن. أما الرواية التي بين أيدينا الواردة في صحيح البخـاري وورد فيهـا قولـه ﷺ: "فبِمَ يشبه الولد" فقد كانت فتحاً لبابٍ في العلـم، وآيـة مـن آيـات النبـوة، وتقريراً لحقيقـة علميـة خضعـت لهـا رقـاب علمـاء الطـب في هـذا العصـر، وعَلِمَها علماء أهل الكتاب في ذلك الزمان، واختبروا بهـا صحـة نبوتـه ﷺ لعلمهم التام بأنه لا أحد يعلم بها من البشـر في ذلـك الزمـان إلا نـبي علمـه الله. ولقد أورد البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في عدة مواضـع ومنهـا بـاب: خلـق آدم وذريتـه، للتـأكيد على تقريـر نبوتـه ﷺ وأن هـذا الكـلام لا يعلمه إلا نبيٌّ أطلعه الله على ذلك.

ومن أسئلة أم المؤمنين أم سلمة للنبي ﷺ في السنة، مـا ورد أنهـا قـالت: قلت: "يا رسول الله، هل لي من أجر في بـني أبي سـلمة أن أنفـق عليهـم،

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٣٨٩).

ولست بتاركتهم هكذا وهكذا، إنما هم بني، قال: نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم"[1].

أورد البخاري -رحمه الله تعالى- حديث أم سلمة -رضي الله عنها- وأتبعه بحديث هند بنت عتبة حين قالت: "يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله ما يكفيني وبني؟ قال: خذي بالمعروف"[2]. أورد -رحمه الله- هذين الحديثين في باب: **﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾**[3] لبيان أن النفقة على الأبناء ليست ملزمة بها الأم لا في حياة الأب كحديث هند -رضي الله عنها- ولا بعد موته كما في حديث أم سلمة -رضي الله عنها-.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «دل حديث أم سلمة -رضي الله عنها- على أن نفقة بنيها لا تجب عليها، إذ لو وجبت عليها لبيَّن لها النبي ﷺ ذلك. وكذا قصة هند بنت عتبة فإنه أذن لها في أخذ نفقة بنيها من مال الأب فدلَّ على أنها تجب عليه دونها.

فأراد البخاري أنه لم يلزم الأمهات نفقة الأولاد في حياة الآباء، فالحكم بذلك مستمر بعد الآباء، ويقويه قوله تعالى: **﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾** أي رزق الأمهات وكسوتهن من أجل الرضاع للأبناء،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٦٩) (ص١١٧٨)، كتاب النفقات، باب: **﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾**.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٥٣٧٠) (ص١١٧٨) نفس الكتاب والباب.

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٣٣).

فكيف يجب لهن في أول الآية وتجب عليهن نفقة الأبناء في آخرها؟»[1].

ومن أسئلة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة قولها -رضي الله عنها-: "سمعت النبي ﷺ ينهى عنها -أي ركعتين بعد العصر- ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل عليَّ وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية، فأشار بيده، فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا ابنة أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان"[2].

هذا ولقد أفاد وأفاض الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في استنباط الفوائد من هذا الحديث والمقام لا يسع ذكر كل ما ذكر، وسأورد بعضاً من هذه الفوائد، فقال -رحمه الله-:

«وفيه دلالة على فطنة أم سلمة -رضي الله عنها- وحسن تأتيها بملاطفة سؤالها واهتمامها بأمر الدين، وكأنها لم تباشر السؤال لحال النسوة اللاتي كن عندها فيؤخذ منه إكرام الضيف واحترامه.... وفي الحديث من الفوائد سوى ما مضى جواز استماع المصلي إلى كلام غيره وفهمه له

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥١٥/٩)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٧١/٣)، والآية في سورة البقرة الآية: (٢٣٣).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٣٣) (ص٢٦٠) كتاب السهو، باب: إذا كُلِّم وهو يصلي فأشار بيده واستمع، ط. دار الأرقم، بيروت – لبنان.

ولا يقدح ذلك في صلاته. وأن الأدب في ذلك أن يقوم المتكلم إلى جنبه لا خلفه ولا أمامه لئلا يشوش عليه بأن لا تمكنه الإشارة إليه إلا بمشقة. وفيه جواز الإشارة في الصلاة. وفيه قبول إخبار الآحاد والاعتماد عليه في الأحكام ولو كان شخصاً واحداً رجلاً أو امرأةً لاكتفاء أم سلمة -رضي الله عنها- بإخبار الجارية. وفيه زيارة النساء المرأة ولو كان زوجها عندها. والتنفل في البيت ولو كان فيه من ليس منهم. وكراهة القرب من المصلي لغير ضرورة. وترك تفويت طلب العلم وإن طرأ ما يشغل عنه. وجواز الاستنابة في ذلك. وأن الوكيل لا يشترط أن يكون مثل موكله في الفضل. وفيه تعليم الوكيل التصرف إذا كان ممن يجهل ذلك. وفيه الاستفهام بعد التحقق لقولها: "وأراك تصليهما". وفيه المبادرة إلى معرفة الحكم المشكل فراراً من الوسوسة. وفيه أن النسيان جائز على النبي ﷺ لأن فائدة استفسار أم سلمة عن ذلك تجويزها إما النسيان وإما النسخ وإما التخصيص به، فظهر وقوع الثالث. والله أعلم»[1].

ومن أسئلة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة قولها: "قلت يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي، فأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: لا إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين"[2].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣/١٠٦-١٠٧) بتصرف.
(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٣٠) (ص١٤٩)، كتاب الحيض، باب: حكم ضفائر المغتسلة.

وظاهر الحديث يدل على عدم وجوب نقض الضفائر على المرأة إذا أرادت الغسل. وتلخيصاً لأقوال العلماء في هذه المسألة فقد قال النووي -رحمه الله- في شرحه لحديث أم سلمة -رضي الله عنها-: «فمذهبنا ومذهب الجمهور أن ضفائر المغتسلة إذا وصل الماء إلى جميع شعرها ظاهره وباطنه من غير نقض لم يجب نقضها وإن لم يصل إلا بنقضها وجب نقضها»[1].

وذهب الشوكاني -رحمه الله- إلى عدم الوجوب مؤيداً رأي الحنابلة -رحمهم الله- فقال: «وهو -أي حديث أم سلمة -رضي الله عنها- يدل على أنه لا يجب على المرأة نقض الضفائر. وقد اختلف الناس في ذلك. قال القاضي أبو بكر ابن العربي قال جمهورهم: لا ينقضه إلا أن يكون ملبداً ملتفاً لا يصل الماء إلى أصوله إلا بنقضه فيجب حينئذٍ من غير فرق بين جنابة وحيض. وروي عن الحسن البصري وطاووس وروي عن مالك أنه لا يجب النقض لا على الرجال ولا على النساء. ووجه ما ذهب إليه عموم نهيه ﷺ عن نقض الشعر ولم يخص رجلاً من امرأة ولا يلزم من كون السائل عن ذلك من النساء أن يكون الحكم مختصاً بهن اعتباراً بعموم النهي»[2].

ونصّ العبارة الواردة في المغني تصرح بعدم الوجوب وحمل الأمر على الاستحباب فقال -رحمه الله-: «وقال بعض أصحابنا هذا مستحب

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٤).

(٢) نيل الأوطار للإمام الشوكاني (٣١٢/١) بتصرف.

غير واجب، وهو قول أكثر الفقهاء، وهو الصحيح إن شاء الله. ولو كان النقض واجباً لذكره ﷺ لأم سلمة، لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة»[1].

هذا وقد أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قولاً جيداً في هذه المسألة جمع فيه بين الأحاديث الواردة في هذا الشأن، فقال -رحمه الله-: «استدلّ الجمهور على عدم الوجوب بحديث أم سلمة -رضي الله عنها- الوارد في الباب، وحملوا الأمر الوارد في حديث الباب -وهو حديث عائشة -رضي الله عنها- حين قال لها ﷺ: (دعي عمرتك وانقضي رأسك وامتشطي وأهلّي بحج...)[2]- حُمل هذا الأمر على الاستحباب جمعاً بين الروايتين، أو يجمع بالتفصيل بين ما لا يصل الماء إليها إلا بالنقض فيلزم وإلا فلا»[3].

ومن أسئلة أم سلمة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة قولها: "شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، قالت: فطفت ورسول الله ﷺ حينئذٍ يصلي إلى جنب البيت، وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور"[4].

---

(١) المغني للعلامة ابن قدامة -رحمه الله- (١/٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٣١٧) (ص٨٢) كتاب الحيض، باب: نقض المرأة شعرها عند غسل المحيض.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٤١٨).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢٧٦) (ص٥٠٣) كتاب الحج، باب: جواز الطواف على بعير وغيره، ورواه البخاري، حديث رقم: (٤٦٤) و(١٦١٩) و(١٦٢٦) و(١٦٣٣) و(٤٨٥٣) واللفظ لمسلم.

وسؤال أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في هذا الحديث دلَّ على عدة أحكام وفوائد ظهرت من خلال هذا السؤال المتضمن عدم قدرتها على الطواف مشياً على الأقدام، فنستدلُّ من خلال إجابته ﷺ لها بجواز الركوب في الطواف على يسر هذا الدين وسهولة تكاليفه. وأنه دين صالح لكل زمان ومكان. فإننا نرى في هذه الأيام كثيراً من الناس يعجز عن الطواف ماشياً، فكأن هذا الحديث أصل في هذه المسألة. ويدل الحديث كذلك على رحمته ورأفته ﷺ بأمهات المؤمنين خاصة وبالأمة عامة.

قال النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث: «وإنما أمرها ﷺ بالطواف من وراء الناس لشيئين أحدهما: أن سنة النساء التباعد عن الرجال في الطواف. والثاني: أن قربها يخاف منه تأذي الناس بدابتها. وكذا إذا طاف الرجل راكباً، وإنما طافت في حال صلاة النبي ﷺ ليكون أستر لها، وكانت هذه الصلاة صلاة الصبح»[1].

استنبط العلماء من هذا الحديث طهارة بول ما يؤكل لحمه وإلى هذا ذهب العلامة ابن دقيق العيد في شرحه للعمدة حيث قال -رحمه الله-: «واستدلّ بالحديث على طهارة بول ما يؤكل لحمه، من حيث إنه لا يؤمن بول البعير في أثناء الطواف في المسجد ولو كان نجساً لم يعرض النبي ﷺ المسجد للنجاسة، وقد منع لتعظيم المساجد ما هو أخف من هذا»[2].

هذا ولقد فصل الصنعاني -رحمه الله- في توضيح هذه المسألة فقال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/٢٠).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٣/٥٣٥).

«قوله: "على طهارة بول ما يؤكل لحمه"، أقول: إلى نجاسته ذهبت الشافعية والحنفية، ولا يخفى أن الأصل هو الطهارة والدليل على من ادعى النجاسة، فالاستدلال هنا بهذا الحديث تأييد للأصل، والأدلة على الطهارة كثيرة، ولكن نطالب القائل بالنجاسة بالدليل»[1].

وللحافظ ابن حجر -رحمه الله- استدلالات جميلة وترجيحات منطقية في استيفاء الأحكام من الأحاديث، فقد قال -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث : «قوله: باب المريض يطوف راكباً، أورد فيه حديث ابن عباس وحديث أم سلمة.... ووقع في حديث جابر عند مسلم أن النبي ﷺ طاف راكباً ليراه الناس وليسألوه، فيحتمل أن يكون فعل ذلك للأمرين: وحينئذٍ لا دلالة فيه على جواز الطواف راكباً لغير عذر، وكلام الفقهاء يقتضي الجواز إلاّ أن المشي أولى، والركوب مكروه تنزيهاً، والذي يترجح المنع لأن طوافه ﷺ وكذا أم سلمة كان قبل أن يحوط المسجد، ووقع في حديث أم سلمة "طوفي من وراء الناس" وهذا يقتضي منع الطواف في المطاف، وإذا حوط المسجد امتنع داخله إذ لا يؤمن التلويث فلا يجوز بعد التحويط، بخلاف ما قبله فإنه كان لا يحرم التلويث كما في السعي»[2].

هذا وقد أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قول ابن بطال -رحمه الله: "في استدلاله بجواز دخول الدواب التي يؤكل لحمها المسجد إذا احتيج إلى ذلك لأن بولها لا ينجسه"[3].

---

(١) حاشية العلامة الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٣/٥٣٥) المكتبة السلفية، القاهرة.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣/٤٩٠) بتصرف.

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٥٥٧).

ثم قال -رحمه الله-: «وأبعد من استدلّ به على طهارة بول البعير وبعره»[1]. ولعل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- يرى رأي الشافعية والحنفية بنجاسة بول ما يؤكل لحمه، ولكن تعقب ذلك سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- في حاشيته على فتح الباري فقال: «هذا الكلام ليس بشيء، والصواب طهارة أبوال الإبل ونحوها مما يؤكل لحمه، فلا يضر المسجد وجود شيء من ذلك كما أشار إليه ابن بطال فتنبه»[2].

رابعاً: أسئلة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة:

من أسئلة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة، ما جاء عن كريب[3] مولى ابن عباس "أن ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟ قالت: نعم قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك"[4].

---

(١) فتح الباري (٣/٤٩٠).

(٢) المصدر السابق، الحاشية (١/٥٥٧).

(٣) هو كريب بن أبي مسلم الهاشمي العباسي الحجازي، الإمام الحجة، أدرك عثمان وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدث عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمه، وأختها ميمونة، وأسامة بن زيد، وأم سلمة وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة حسن الحديث. وقال يحيى بن معين والنسائي: ثقة. مات سنة ثمان وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٧٩). وطبقات ابن سعد (٥/٢٩٣).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٩٢) (ص٥٣٨) كتاب الهبة، باب: هبة المرأة لغير زوجها.

ودلالة الحديث ظاهرة في تقرير الشرع لإنفاذ تصرف المرأة العاقلة الراشدة في مالها بدون إذن زوجها، وإلا لأبطل ﷺ هذا التصرف. وأما استفساره ﷺ وتوجيهه لأم المؤمنين -رضي الله عنها- من باب الوصية والتذكير بالأقارب والأرحام وفضل الصدقة عليهم، وفي هذا يقول النووي -رحمه الله-: «وفيه فضيلة صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب وأنه أفضل من العتق...، وفيه الاعتناء بأقارب الأم إكراماً بحقها، وهو زيادة في برها، وفيه جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها»(١).

هذا وقد استدرك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على الإمام النووي في تفضيل صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب على العتق، فقال -رحمه الله-: «وليس في الحديث حجة على أن صلة الرحم أفضل من العتق لأنها واقعة عين، والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال»(٢).

هذا وقد أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قول ابن بطال -رحمه الله- الموافق لقول النووي -رحمه الله- في تقديم الهبة على ذوي الأرحام وتفضيلها على العتق، واستدل على ذلك بما رواه الترمذي والنسائي وأحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث سلمان بن عامر الضبي مرفوعاً: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة»(٣).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٦/٧) بتصرف.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢١٩/٥).

(٣) انظر المصدر السابق (٢١٩/٥)، والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٧٧/٤ رقم: ٢٣٨٥). وابن حبان في صحيحه (١٣٢/٨-١٣٣ رقم: ٣٣٤٤). والترمذي في سننه (٤٦/٣ رقم: ٦٥٨) كتاب الزكاة، باب: ما جاء في الصدقة على ذي القرابة. والنسائي في سننه (٩٢/٥ رقم: ٢٥٨٢) كتاب الزكاة، باب: الصدقة على الأقارب. وصححه الألباني كما في سنن الترمذي طبعة بيت الأفكار الدولية (ص١٢٨).

والذي يوافق حديث ميمونة -رضي الله عنها- وما ورد في بابه هو تقديم الصدقة على الأهل والأقارب على البعيد، ولأنه لم يرد ما يخصص واقعة أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها-، والله أعلم.

ومن أسئلة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما جاء عن كريب عن ميمونة -رضي الله عنها- "أن الناس شكوا في صوم النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بحلاب[1] وهو واقف في الموقف، فشرب منه والناس ينظرون"[2].

الحديث ورد بروايتين، مرة أن ميمونة -رضي الله عنها- هي التي أرسلت، وهو حديث الباب، ومرة أن أختها أم الفضل هي التي أرسلت. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «يحتمل التعدد، ويحتمل أنهما معاً أرسلتا فنسب ذلك إلى كل منهما لأنهما كانتا أختين فتكون ميمونة -رضي الله عنها- أرسلت بسؤال أم الفضل لها في ذلك لكشف الحال في ذلك ويحتمل العكس»[3].

قال في الزاد: «وكان من هديه ﷺ: إفطار يوم عرفة بعرفة، ثبت عنه ذلك في الصحيحين، وروي عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة...، وأن الفطر في السفر أفضل من فرض الصوم، فكيف بنفله»[4].

---

(١) (الحلاب) بكسر المهملة هو الإناء الذي يجعل فيه اللبن، وقيل الحلاب: اللبن المحلوب، وقد يطلق على الإناء ولو لم يكن فيه لبن. انظر مادة (حلب) المعجم الوسيط" (١٩١/١).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٩٨٩) (ص٤١٥) كتاب الصوم: باب: صوم يوم عرفة.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٢٣٧/٤).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٧٧/٢).

وفي تحريم صوم يوم عرفة لمن كان بعرفة قال به بعض العلماء فقد قال صاحب سبل السلام: «والحديث ظاهر في تحريم صوم يوم عرفة بعرفة وإليه ذهب يحيى بن سعيد الأنصاري، وقال: يجب إفطاره على الحاج. وقيل: لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء. ونقل عن الشافعي واختاره الخطابي والجمهور على أنه يستحب إفطاره. وأما هو ﷺ فقد صح أنه كان يوم عرفة بعرفة مفطراً في حجته، ولكن لا يدل تركه للصوم على تحريمه، نعم يدل أن الإفطار هو الأفضل لأنه ﷺ لا يفعل إلا الأفضل إلا أنه قد يفعل المفضول لبيان الجواز فيكون في حقه أفضل لما فيه من التشريع والتبليغ بالفعل، لكن الأظهر التحريم لأنه أصل النهي»[1].

قال الشوكاني -رحمه الله- جمعاً لهذه الأقوال: «فيجمع بين الأحاديث بأن صوم هذا اليوم مستحب لكل أحد مكروه لمن كان بعرفات حاجاً»[2].

هذا ولقد أفاد الإمام الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كعادته في استنباط الفوائد من الأحاديث فقال -رحمه الله-: «وفيه أن العيان أقطع للحجة وأنه فوق الخبر. وأن الأكل والشرب في المحافل مباح ولا كراهة فيه للضرورة. وفيه قبول الهدية من المرأة من غير استفصال منها هل هو من مال زوجها أو لا.... وفيه تأسي الناس بأفعال النبي ﷺ. وفيه البحث والاجتهاد في حياته ﷺ والمناظرة في العلم بين الرجال والنساء والتحيل على الاطلاع على الحكم بغير سؤال»[3].

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام للعلامة الصنعاني (٢/٢٣٩).

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني -رحمه الله- (٤/٣٢٥).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤/٢٣٨) بتصرف.

ومن أسئلة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما جاء عن عبد الله بن عباس قال: "أخبرتني ميمونة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً، فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم؟ قال رسول الله ﷺ: إن جبريل كان وعدني أن يلقاني فلم يلقني، أَمَ والله ما أخلفني، قال فظلَّ رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة قال: أجل ولكنّا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، فأصبح رسول الله ﷺ يومئذٍ، فأمر بقتل الكلاب، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير، ويترك كلب الحائط الكبير"(١).

ومعنى قوله: "أصبح يوماً واجماً" هو الساكت الذي يظهر عليه الهم والكآبة. وقيل: هو الحزين.

وهذا الحديث استنبط منه العلماء أحكاماً وفوائد جمةً، كان بعضها محل خلاف بين العلماء. ومن هذه الأحكام التي ناقشها العلماء في هذا الحديث: حكم اتخاذ الكلاب في المنازل؟ والأحكام المتعلقة بالصور؟ وتعلُّق دخول الملائكة للبيوت بسببها؟ والقول بنجاسة الكلب من عدمها؟ وحكم قتل الكلاب؟ وهل هو باقٍ أم نسخ حكمه؟ وهل يستوي في ذلك الجرو الصغير مع الكلب الكبير؟

كل هذه الأحكام وغيرها كانت محل بحث العلماء في شرحهم لهذا

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٠٥) (ص٨٧٢) كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان.

الحديث. والمقام لا يكفي لذكر كل هذه الأحكام وأقوال العلماء فيها. وسأُعنى بذكر الفوائد التي يمكن استنباطها من هذا الحديث، وإظهار مدى الخير الذي تسببت فيه أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- للأمة بسؤالها النبي ﷺ عن هذا الأمر.

فمن هذه الفوائد ما ذكره النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث فقال: «وفيه أنه يستحب للإنسان إذا رأى صاحبه ومن له حق واجماً أن يسأله عن سببه فيساعده فيما يمكن مساعدته أو يتحزن معه أو يذكره بطريق يزول به ذلك العارض. وفيه التنبيه على الوثوق بوعد الله ورسله. ولكن قد يكون للشيء شرط فيتوقف على حصوله أو يتخيل توقيته بوقت ويكون غير مؤقت به ونحو ذلك. وفيه أنه إذا تكدر وقت الإنسان أو تنكدت وظيفته ونحو ذلك فينبغي أن يفكر في سببه كما فعل النبي ﷺ هنا حتى استخرج الكلب وهو من نحو قوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين اتَّقَوا إذا مسَّهمْ طائفٌ منَ الشيطانِ تذكَّروا فإذا همْ مُبْصِرونَ**﴾[1].... وفيه أن سبب امتناع الملائكة من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة. وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاءت به الأحاديث، والملائكة ضد الشيطان، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهيٌّ عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها

(١) سورة الأعراف، آية: (٢٠١).

عليه...، قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه»[1].

ومما يجدر التنبيه عليه أنه قد صحَّ عن النبي ﷺ الاستثناء في كلب الصيد والزرع والماشية[2].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٨٣-٨٤).

(٢) انظر الأحاديث في صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، الأحاديث (١٥٧٠-١٥٧٦) (ص٦٤١-٦٤٢).

خامساً: أسئلة أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة:

ومن أسئلة أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في السنة ما جاء "أنها قالت: يا رسول الله انكح أختي[1] بنت أبي سفيان، فقال: أو تحبين ذلك؟ فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي. قلت فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت[2] أبي سلمة، قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة. أرضعتني وأبا سلمة ثويبة[3]، فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن"[4].

والحديث يدلّ على رغبة أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- في الخير وحرصها عليه ومحبتها أن تشاركها أختها فيه، مع أن ذلك ليس من

---

(١) هي عزة بنت أبي سفيان، وقيل: حمنة بنت أبي سفيان، وقيل: درة بنت أبي سفيان، ذُكرت هذه الأقوال في فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٤٣/٩).

(٢) قيل: هي زينب بنت أبي سلمة، وقيل: هي درة بنت أبي سلمة، المصدر السابق (١٤٤/٩).
وأبو سلمة هو ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، السيد الكبير وأخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب أحد السابقين الأولين هاجر إلى الحبشة ثم المدينة وشهد بدراً ومات بعدها بأشهر، مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة -رضي الله عنه-. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٠/١). ومسند الإمام أحمد (٢٧/٤).

(٣) ثويبة كانت مولاة لأبي لهب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، كانت قد أرضعت النبي ﷺ بعد ما أرضعت حمزة ثم أرضعت أبا سلمة. فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٤٢/٩-١٤٤).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٠١) (ص١١٢٢) كتاب النكاح، باب: **﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾** ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. ورواه مسلم بلفظ آخر في كتاب الرضاع، باب: تحريم الربيبة وأخت المرأة، حديث رقم: (١٤٤٩) (ص٥٧٦).

طبع النساء في محبة الضرائر حتى لو كانت من أقرب الناس وهي أختها. ولهذا تعجب عليه الصلاة والسلام من هذا الطلب الذي تقدمت به أم المؤمنين ووضح لها الأسباب التي تحول بين هذا الطلب وتحقق وقوعه.

لهذا أشار الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث عند قوله ﷺ: "أو تحبين ذلك" قال: «هو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة... -وفي معنى قولها- لست لك بمخليه أي لست بمنفردة بك ولا خالية من ضرة، وفي معنى قولها: "في خير" قيل: المراد به صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين"[1].

قيل في توجيه طلب أم المؤمنين هذا واستفهامها منه ﷺ بقولها: "بلغني أنك تخطب زينب بنت أبي سلمة" وقوله عليه الصلاة والسلام: "بنت أم سلمة": «هو استفهام استثبات لرفع الإشكال، أو استفهام إنكار. والمعنى أنها إن كانت بنت أبي سلمة من أم سلمة فيكون تحريمها من وجهين وإن كانت من غيرها فمن وجه واحد، وكأن أم حبيبة -رضي الله عنها- لم تطلع على تحريم ذلك إما لأن ذلك كان قبل نزول آية التحريم وإما بعد ذلك وظنتْ أنه من خصائص النبي ﷺ. قال القرطبي -رحمه الله-: "فيه تعليل الحكم بعلتين، فإنه علل تحريمها بكونها ربيبة وبكونها ابنة أخ من الرضاعة، والذي يظهر أنه نبَّه على أنها لو كان بها مانع واحد لكفى في التحريم، فكيف وبها مانعان»[2].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٤٣/٩) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (١٤٤/٩) بتصرف. وانظر: حاشية العلامة الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١٨١/٤).

المطلب الثاني: سؤال الناس لهن في السنة:

أولاً: أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة:

من أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء "أن امرأة[1] قالت لعائشة: أتجزي[2] إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به، أو قالت: فلا نفعله"[3].

ومعنى قولها: "أحرورية أنت" الحروري منسوب إلى حروراء بفتح الحاء وضم الراء المهملتين وبعد الواو الساكنة راء أيضاً، بلدة على ميلين من الكوفة. ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج: حروري؛ لأن أول فرقة منهم خرجوا على عليٍّ بالبلدة المذكورة فاشتهروا بالنسبة إليها. وهم فرق كثيرة، ولكن من أصولهم المتفق عليها بينهم الأخذ بما دلَّ عليه القرآن وردّ ما زاد عليه من الحديث مطلقاً. ولهذا استفهمت عائشة معاذة استفهام إنكار[4].

---

(١) هي معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية. انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٣٥) (ص١٥٢)، كتاب الحيض، باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة.

(٢) (أتجزي) بفتح أوله أي أتقضي...، ويروى أتجزئ بضم أوله والهمز. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٤٢٢/١). وفي رواية مسلم "أتقضي" صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٣٥) (ص١٥٢).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٢١) (ص٨٣) كتاب الحيض، باب: لا تقضي الحائض الصلاة.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤٢٢/١) بتصرف.

ودلالة الحديث ظاهرة في استفهام معاذة من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن هذا الأمر المهم من الدين لعلمها التام بأن أم المؤمنين من أخبر الناس به لقربها من رسول الله ﷺ، وهذا يظهر مدى الدور الذي قامت به أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في خدمة السنة ونشرها بين الناس، حيث كُنَّ مرجعاً للناس في السؤال والاستفسار عن أمور الدين، خاصة الأمور والأحكام الخاصة بالنساء.

وتعليلاً لهذا الحكم الوارد في الحديث في قضاء الصوم دون الصلاة على الحائض، أورد العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- تعليل ذلك بقوله: «والذي ذكره العلماء من المعنى في ذلك: أن الصلاة تتكرر، فإيجاب قضائها يفضي إلى حرج ومشقة، فعفي عنه، بخلاف الصوم، فإنه غير متكرر، فلا يفضي قضاؤه إلى حرج. وقد اكتفت عائشة -رضي الله عنها- في الاستدلال على إسقاط القضاء بكونه لم يؤمر به»[1].

ثم أورد -رحمه الله- استنباطاً جميلاً جداً للأصوليين من هذا الحديث فقال: «وفي الحديث: دليل لما يقوله الأصوليون من أن قول الصحابي: "كنا نؤمر وننهى" في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وإلا لم تقم الحجة به»[2].

ومن أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (١/٤٩٣-٤٩٤).

(٢) المصدر السابق (١/٤٩٥).

ما أخرجه البخاري من طريق شعبة[1] قال: حدثني أبو بكر[2] بن حفص قال: سمعت أبا سلمة[3] يقول: دخلت أنا وأخو[4] عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ، فدعت بإناء نحواً من صاعٍ وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب")[5].

وهذا الحديث يعتبر أصلاً في حب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لنشر العلم وتعليم الناس بكل الوسائل المتاحة والمشروعة، حتى لا يبقى عليها من واجب أمانة تبليغ العلم شيء.

فقد كان يكفيها -رضي الله عنها- القول والتفصيل فيه، لكنها

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، فارس الحديث وحافظه، قال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث، وكان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وقال حماد بن زيد: ما أبالي من خالفني إذا وافقني شعبة، فإذا خالفني شعبة في شيء تركته، ولد سنة ٨٢هـ، توفي سنة ١٦٠هـ، وله ٧٧ سنة، انظر: تهذيب التهذيب (٣٣٨/٤). وسير أعلام النبلاء (٢٠٢/٧).

(٢) هو عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، ذكره ابن حبان في الثقات، كان راوياً لعروة، انظر: تهذيب التهذيب (١٨٨/٥).

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، قيل اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، توفي: ٩٤هـ. سير أعلام النبلاء (٢٨٧/٤).

(٤) قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله: هو أخوها من الرضاعة، وأخطأ من جعله لأمها، وقال: بأن لها أخوين من الرضاعة هما عبد الله بن يزيد، وكثير بن عبيد، ولم يرجح بينهما حيث قال: فيحتمل أن يكون المبهم هنا أحدهما ويحتمل أن يكون غيرهما. والله أعلم. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٣٦٥/١).

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥١) (ص٧٠) كتاب الغسل، باب: الغسل بالصاع ونحوه.

لما رأت أن السائلين لها من محارمها ومن محبي العلم، آثرتهما بمزيد من الفائدة في بيان أن الصاع كافٍ في الغسل كفعله ﷺ وذلك في اغتسالها -رضي الله عنها- وبينهم وبينها حجاب يرون منها ما لا يحرم النظر إليه من البدن كالرأس ونحوه.

وفي هذا نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث قول القاضي عياض -رحمه الله- في ذلك فقال: «ظاهره أنهما رأيا عملها في رأسها وأعالي جسدها مما يحل نظره للمحرم لأنها خالة أبي سلمة من الرضاع أرضعته أختها أم كلثوم، وإنما سترت أسافل بدنها مما لا يحل للمحرم النظر إليه، قال: وإلا لم يكن لاغتسالها بحضرتهما معنى»[1]. ثم أفاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كعادته من الحديث فقال: «وفي فعل عائشة -رضي الله عنها- دلالة على استحباب التعليم بالفعل لأنه أوقع في النفس، ولما كان السؤال محتملاً للكيفية والكمية ثبت لهما ما يدل على الأمرين معاً: أمَّا الكيفية فبالاقتصار على إفاضة الماء وأما الكمية فبالاكتفاء بالصاع»[2].

ومن أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...عن أشعث سمعت أبي قال: سمعت مسروقاً قال: "سألت عائشة -رضي الله عنها- أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت: الدائم. قلت:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٣٦٥) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (١/٣٦٥).

متى كان يقوم؟ قالت. يقوم إذا سمع الصارخ")[1].

(...عن مسروق قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقالت: سبع، وتسع، وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر)[2].

(...عن الأسود[3] قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- كيف صلاة النبي ﷺ بالليل؟ قالت: كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي، ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن وثب، فإن كان به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج)[4].

وهذه الأحاديث وردت في كتاب التهجد، وكلها كانت من أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة استفساراً عن حال النبي ﷺ في بيته وعبادته لله عز وجل في الليل. وهذا الهدي ما كان لِيُعلم لولا فضل الله، ثم أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- لأنهن كُنَّ أقرب الناس له وأعلمهن بحاله.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٣٢) (ص٢٤٠)، كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، والصارخ هو الديك. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٧/٣).

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١١٣٩) (ص٢٤١) كتاب التهجد، باب: كيف كان صلاة النبي ﷺ.

(٣) هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، قال أحمد: ثقة من أهل الخير، توفي بالكوفة، سنة ٧٥هـ، وقيل: ٧٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣٤٢/١).

(٤) المصدر السابق، حديث رقم: (١١٤٦) (ص٢٤٣)، كتاب التهجد، باب: من نام أول الليل وأحيا آخره.

هـذا وقـد تنـاول العلمـاء -رحمهـم الله- هـذه الأحـاديث بـالبحث والدراسة، ونظراً لتغير العدد المروي فيها عن مقدار صلاته ﷺ بالليل، نسب البعض هـذه الروايـات إلى الاضطـراب. وقـد ردَّ أهـل العلـم هـذا الادعـاء بقولهم: «ولمـا اختلفـت ألفـاظ حديـث عائشـة -رضـي الله عنهـا- نسـب بعضهم حديثها إلى الاضطراب، وهذا إنما يتم لو كان الـراوي عنهـا واحـداً أو أخبرت عن وقت واحد، والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز، والأحسـن أن يقال إنها أخبرت عن الأغلب من فعله ﷺ فلا ينافيه ما خالفه لأنه إخبار عن النادر»[1].

وفي الحديـث الأول دلالـة علـى مـدى اجتهـاده ﷺ في العبـادة والقيـام لصلاة الليل، حيث دلَّ علـى أنـه ﷺ يسـتيقظ مـن سمـاع صـوت الصـارخ والصارخ إنما ينادي في وقت مبكر. قال ابن بطال -رحمه الله-: «والصارخ يصرخ عند ثلث الليل»[2]. وأورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- قـولاً بأنـه «جرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل»[3]. ثم قال -رحمه الله-: «وفي هذا الحديث الحثّ على المداومة على العمل وإن قلَّ، وفيه الاقتصاد في العبادة وترك التعمق فيها لأن ذلك أنشط والقلب به أشد انشراحاً»[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢١/٣). وانظر: سبل السلام للصنعاني -رحمه الله- (٣٤٢/١). وانظر: حاشية الصنعاني -رحمه الله- على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٧/٣).

(٣) المصدر السابق (١٧/٣).

(٤) فتح الباري (١٨/٣).

وفي إجابة أم المؤمنين -رضي الله عنها- لمسروق مرادها "أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة، فتارة كان يصلي سبعاً وتارة تسعاً وتارة إحدى عشرة"[1].

وأما ما يرد في قول أم المؤمنين -رضي الله عنها-: "فإن كان به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج" يلزم من هذا القول أن يكون توضأ قبل أن ينام كما دلت عليه الأخبار الصحيحة. وإنما يستفاد من الحديث أنه كان ربما نام جنباً قبل أن يغتسل... والله أعلم"[2].

ومن أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...عن الأسود[3] قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله -تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[4].

والحديث يدلُّ على تلطُّفه بأهله ومداراته لهم ومشاركته لهم في شؤونهم الخاصة، وهذا الحديث من أروع الأمثلة الصادقة التي ضُربت في التواضع ولين الجانب وذم الكبر والإحسان إلى الأهل. وليس هذا من الضعف كما يظنه بعض الأجلاف أو ممن قلَّ علمهم بالسنة، وإلاَّ لما فعله ﷺ وهو القدوة الحسنة لنا. وقد أُمرنا بالتأسي به وبأخلاقه ﷺ. قال تعالى:

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣/٣٢).

(٣) سبقت ترجمته (ص٢٠٩).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٧٦) (ص١٥٢) كتاب الأذان، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.

﴿لقد كانَ لَكمْ في رَسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمنْ كَانَ يَرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذَكرَ اللهَ كثيراً﴾[1].

ثم تريد الصديقة -رضي الله عنها- كعادتها أن تفيد السائل بأكثر مما طلب فوضحت له أنه مع ذلك التواضع وتلك الألفة التي تكون بينه وبين أهله ﷺ، فإن ذلك لا يشغله عن الصلاة والمحافظة عليها فقالت: فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

ومن دلالات الحديث، فهم الناس لمعنى السنة وأنها ليست مقتصرة على أقواله ﷺ دون أفعاله وتقريراته، بل كان السؤال موجهاً لأم المؤمنين عما كان يفعله ﷺ في بيته، وما ذاك إلا لعلم السائل بمعنى السنة، يضاف إلى ذلك فهم أم المؤمنين -رضي الله عنها- بتوضيحها لحال النبي ﷺ، وعلمها بأن لفظ السنة شامل لكل أفعاله وتصرفاته ﷺ. لذلك جاءت بعض الروايات بتفصيل أكثر كما ذكرها الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث، ومنها قوله: «وقد وقع مفسراً في الشمائل للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ "ما كان إلا بشراً من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"[2].

ومن أسئلة الناس لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ما جاء (...عن إبراهيم[3]

---

(1) سورة الأحزاب، آية: (٢١).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٦٣/٢).

(3) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي، ثقة، روى عن خاليه الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد، ومسروق وعلقمة، وروى عن عائشة ولم يثبت سماعه منها، قيل مات سنة ٩٦هـ وهو ابن ٤٩ سنة. انظر: تهذيب التهذيب (١٧٧/١).

قلت للأسود[1]: هل سألت عائشة أم المؤمنين عما يكره أن ينتبذ[2] فيه؟ فقال: نعم، قلت: يا أم المؤمنين عم نهى النبي أن ينتبذ فيه؟ قالت: نهانا في ذلك أهل البيت أن ننتبذ في الدباء[3] والمزفت[4]. قلت: أما ذكرت الجرّ[5] والحنتم[6]؟ قال: إنما أحدثك ما سمعت، أفأحدث ما لم أسمع")[7].

والحديث يدلُّ على تقصِّي الناس في السؤال وتثبتهم في ذلك من أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- خاصة لما كان معهوداً عند الناس في ذلك الوقت من آنية صنعت للشراب ونحوه، وفي معنى الحديث أشار الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «وإنما استفهم إبراهيم عن الجر

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٠٩).

(٢) "النبيذ" هو ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك، يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً، وانتبذته: اتخذته نبيذاً، وسواء كان مسكراً أو غير مسكر فإنه يقال له نبيذ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٦).

(٣) "الدباء": القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع إليها الشدة في الشراب، المصدر السابق (٢/٩٦).

(٤) "المزفت": هو الإناء الذي طلي بالزفت، وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه، المصدر السابق (٢/٣٠٤).

(٥) "الجر": الجرُّ والجرار: جمع جرة، وهو الإناء المعروف من الفخار، وأراد بالنهي عن الجرار المدهونة؛ لأنها أسرع في الشدة والتخمير. المصدر السابق (١/٢٦٠).

(٦) "الحنتم": جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ثم اتُسع فيها فقيل للخزف كله حنتم، واحدها حنتمة، وإنما نهي عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها. المصدر السابق (١/٤٤٨).

(٧) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٥٩٥) (ص١٢١٩) كتاب الأشربه، باب: ترخيص النبي ﷺ في الأوعية والظروف بعد النهي.

والحنتم لاشتهار الحديث بالنهي عن الانتباذ في الأربعة. ولعلَّ هذا هو السرّ في التقييد بأهل البيت، فإن الدباء والمزفت كان عندهم متيسراً، فلذلك خص نهيهم عنها... قال الخطابي: «...لما وقعت الرخصة أذن لهم في الانتباذ في الأوعية بشرط أن لا يشربوا مسكراً»[1].

وفي شرح هذا الحديث أورد النووي -رحمه الله- الأمر الذي استقر عليه الحكم والسبب في ذلك، فقال -رحمه الله-: «ومختصر القول فيه أنه كان الانتباذ في هذه الأوعية منهياً عنه في أول الإسلام خوفاً من أن يصير مسكراً فيها ولا نعلم به لكثافتها...، وربما شربه الإنسان ظاناً أنه لم يصر مسكراً فيصير شارباً للمسكر وكان العهد قريباً بإباحة المسكر، فلما طال الزمان واشتهر تحريم المسكر وتقرر ذلك في نفوسهم نسخ ذلك وأبيح لهم الانتباذ في كل وعاء بشرط أن لا تشربوا مسكراً»[2].

هذا ولقد ورثت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- علماً واسعاً وميراثاً عظيماً نفع الله به الأمة سلفاً وخلفاً، عَرَف ذلك من عاصرهن في الصدر الأول من الإسلام، فنهلوا من معينهن وقصدوا حجراتهن للسؤال والاستفسار عن أمور دينهم.

وإنَّ المتتبع لكل ما دُوِّن وروي من أسئلة الناس لهن في السنة -خاصة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- التي أفرد لها المؤلفون الكتب من كثرة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٦١/١٠) بتصرف.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/١٣-١٥٩). وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني -رحمه الله- (٧٠/٩).

مروياتها وغزارة علمها- ليجد منبعاً ثراً ومعيناً عذباً لا ينضب كما ظهر ذلك من خلال شرح الأحاديث الواردة في هذا الشأن.

ثانياً: من أسئلة الناس لأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في السنة:

من أسئلة الناس لأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في السنة ما رواه مسلم بإسناده إلى عبد الملك[1] بن أبي بكر ابن عبدالرحمن، عن أبي بكر[2] قال: سمعت أبا هريرة -رضي الله عنه- يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، فذكرت ذلك لعبد الرحمن[3] بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك؟ قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم...)[4] الحديث.

---

(١) هو عبد الملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني، روى عن أبيه وخارجة بن زيد بن ثابت وغيرهم، قال النسائي: ثقة، مات في أول خلافة هشام، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٣٨٧/٦).

(٢) هو أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، حدّث عن أبيه، وعمار بن ياسر، وعائشة وأم سلمة وغيرهم. وروى عنه ابناه عبد الله وعبد الملك، ومجاهد وغيرهم، قيل هو أحد فقهاء المدينة السبعة، مات سنة ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١٦/٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، روى عن أبيه وعمر وعثمان وعليّ وأم المؤمنين حفصة وغيرهم، كان من نبلاء الرجال، توفي قبل معاوية، ومات أبوه زمن عمر -رضي الله عنه-. انظر: المصدر السابق (٤٨٤/٣). وطبقات ابن سعد (٥/٥). وتهذيب التهذيب (١٥٦/٦).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٠٩) (ص٤٢٩)، كتاب الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب.

دلالة الحديث ظاهرة في رجوع الصحابة والتابعين إلى أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في كثير من الأحكام الفقهية خاصة الأمور الخاصة التي تكون بين رسول الله ﷺ وبين أهله، فيكون الحكم الصادر عنهن فصلاً في المسألة لا يقبل المناقشة ولا الردّ.

قال العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرح الحديث: «اتفق الفقهاء على العمل بهذا الحديث وصار ذلك إجماعاً أو كالإجماع»[1].

وفصل النووي -رحمه الله- فقال: «حديث عائشة وأم سلمة -رضي الله عنهما- أولى بالاعتماد لأنهما أعلم بمثل هذا من غيرهما ولأنه موافق للقرآن فإن الله تعالى أباح الأكل والمباشرة إلى طلوع الفجر، قال تعالى: **﴿فالآنَ باشرُوهنَّ وابتغُوا ما كتبَ الله لكمْ وكلُوا واشربُوا حتّى يَتبيَّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ مِنَ الفجرِ﴾**. والمراد بالمباشرة الجماع. ولهذا قال الله تعالى: **﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾** ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح جنباً ويصح صومه لقوله تعالى: **﴿ثم أتمُّوا الصيامَ إلى الليلِ﴾**»[2].

ومن أسئلة الناس لأم سلمة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...أن أبا سلمة بن عبد الرحمن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة، وهما يذكران المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال. فقال ابن عباس عدتها آخر

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٣/٣٣٦-٣٣٧)، ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٢٢١)، والآية في سورة البقرة برقم: (١٨٧).

الأجلين، وقال أبو سلمة، قد حلّت. فجعلا يتنازعان ذلك، قال أبوهريرة: أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كريباً (مولى ابن عباس) إلى أم سلمة يسألها عن ذلك؟ فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت: إن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال، وإنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج)[1].

ولنا في هذا الحديث احتكام الصحابة -رضوان الله عليهم- إلى أم سلمة -رضي الله عنها- وصدورهم عن حكمها في عدة المتوفّى عنها زوجها.

وفي هذا يقول النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث: «أخذ بهذا جماهير العلماء من السلف والخلف فقالوا: عدة المتوفّى عنها بوضع الحمل حتى لو وضعت بعد موت زوجها بلحظة قبل غسله انقضت عدتها وحلت في الحال للأزواج، هذا قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا رواية عن علي وابن عباس وسحنون المالكي أن عدتها بأقصى الأجلين وهي أربعة أشهر وعشراً أو وضع الحمل، وإلا ما روي عن الشعبي والحسن وإبراهيم النخعي وحماد أنها لا يصح زواجها حتى تطهر من نفاسها[2]. وحجة الجمهور حديث سبيعة المذكور وهو مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿**والذين يتوفّون منكم ويَذَرونَ أزواجاً يتربّصْنَ بأنفسهنّ أربعة**

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٨٥) (ص٦٠١) كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفّى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل.

(٢) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني (٢٤٨/٣) مطبعة الاستقامة، القاهرة.

أشهر وعشراً﴾، ومبين أن قوله تعالى: **﴿وأولات الأحمالِ أجلهنَّ أن يضعْنَ حَمْلَهنَّ﴾** عام في المطلقة والمتوفى عنها وأنه على عمومه. قال الجمهور: وقد تعارض عموم هاتين الآيتين وإذا تعارض العمومان وجب الرجوع إلى مرجح لتخصيص أحدهما وقد وُجِدَ هنا حديث سبيعة المخصص لأربعة أشهر وعشراً وأنها محمولة على غير الحامل»[1].

ثالثاً: أسئلة الناس لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- في السنة:

(...عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: إن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها، فأخبرتها ذلك، فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت، وصلّي في مسجد الرسول ﷺ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة)[2].

وهذا الحديث الذي ورد في فضائل المساجد الثلاثة، أورده البعض في كتاب الأيمان والنذور، ويظهر فيه فقه أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- حين أفتت المرأة بجلوسها في بيتها، وإيقاعها للصلاة التي نذرت على نفسها

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/١٠٩). وانظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٤/٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٩٦) (ص٥٤٧)، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدَي مكة والمدينة.

في المسجد النبوي بدلاً من المسجد الأقصى. واستدلت -رضي الله عنها- بما ورد عنه ﷺ في فضل المسجد النبوي الشريف على المسجد الأقصى. وهذا الذي استنبطته -رضي الله عنها- أثبته النووي -رحمه الله- في شرح الحديث بقوله: «هذه الدلالة ظاهرة، وهذه حجة لأصح الأقوال في مذهبنا في هذه المسألة، فإنه إذا نذر صلاة في مسجد المدينة أو الأقصى هل تتعين؟ فيه قولان: الأصح تتعين فلا تجزئه تلك الصلاة في غيره، والثاني: لا تتعين بل تجزئه تلك الصلاة حيث صلى، فإذا قلنا تتعين فنذرها في أحد هذين المسجدين ثم أراد أن يصليها في الآخر ففيه ثلاثة أقوال: أحدها يجوز، والثاني لا يجوز، والثالث -وهو الأصح- إن نذرها في الأقصى جاز العدول إلى مسجد المدينة دون عكسه، والله أعلم»[1].

هذا وقد أورد أبو محمد بن علي المنبجي عدة أحاديث تدلُّ على ذلك بعنوان[2] باب: من نذر أن يصلي في مكان جاز له أن يصلي في غيره وأوردوا حديثاً من رواية جابر -رضي الله عنه-: "أن رجلاً قال يوم فتح مكة: يا رسول الله إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس، فقال النبي ﷺ: صلِّ ههنا، فأعادها (على النبي ﷺ) مرتين أو ثلاثاً،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم -رحمه الله- (٩/١٦٧).

(٢) أوردها في كتاب: اللباب في الجمع بين السنة والكتاب (٢/٦٠٤)، تحقيق د. محمّد فضل مراد، ط. الثانية: ١٤٤٠هـ، دار القلم، دمشق. وانظر: جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ للإمام ابن الأثير (١٢/١٨٣) تحقيق: محمّد حامد الفقي، ط. مكتبة المعارف - الرياض.

فقال النبي ﷺ: شأنك إذاً"[1].

ومن طريق آخر: فقال النبي ﷺ: "والذي بعث محمداً بالحق لو صليت ههنا لأجزأ عنك صلاة في بيت المقدس"[2].

والشاهد من هذه الأحاديث مجموعة مع حديث الباب ما أورده صاحب عون المعبود بقوله: «يتعين مكان النذر إذا كان مساوياً للمكان الذي فيه الناذر أو أفضل منه، لا إذا كان المكان الذي فيه الناذر فوقه في الفضيلة، ويؤيد هذا... -ثم ساق حديث ميمونة -رضي الله عنها- السابق- ففي حديث ميمونة -رضي الله عنها- من تعليل ما أفتت به ببيان أفضلية المكان الذي فيه الناذرة في الشيء المنذور به وهو الصلاة»[3].

وتحقيقاً لما سبق فقد أورد صاحب المغني قوله: «وإذا نذر الصلاة في المسجد الحرام لم تجزئه الصلاة في غيره لأنه أفضل المساجد وخيرها وأكثرها ثواباً للمصلي فيها، وإن نذر الصلاة في المسجد الأقصى أجزأته الصلاة في المسجد الحرام -ثم أورد -رحمه الله- حديث جابر -رضي الله عنه- والذي يليه في سنن أبي داود- وإن نذر إتيان المسجد الأقصى والصلاة فيه

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٣٠٥) (٢٣٦/٣)، كتاب الأيمان والنذور، باب: من نذر أن يصلي في بيت المقدس، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. والحديث صححه الألباني كما في (ص٣٧١) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٣٣٠٦) (٢٣٦/٣). وجامع الأصول لابن الأثير (١٨٣/١٢)، والحديث ضعف إسناده الألباني في الموضع السابق.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة الآبادي (١٣٢/٩) بتصرف.

أجزأته الصلاة فيه وفي مسجد المدينة لأنه أفضل، وإن نذر ذلك في مسجد المدينة لم يجزئه فعله في المسجد الأقصى لأنه مفضول»[1].

رابعاً: أسئلة الناس لأم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- في السنة:

من أسئلة الناس لأم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...عن معاوية بن أبي سفيان، أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه؟ فقالت: نعم، إذا لم ير فيه أذى)[2].

وهذا الحديث يدلُّ على رجوع الصحابة ومن بعدهم لأمهات المؤمنين في السؤال والاستفسار عن أحكام الدين، خاصة الأمور الخاصة التي تكون بين رسول الله ﷺ وبين زوجاته، والتي لا يطلع عليها أحد بعد الله سبحانه من الأمة غير أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

فهذا معاوية -رضي الله عنه- يسأل أخته أم حبيبة -رضي الله عنها- وهي بدورها لا تدخر وسعاً في الإجابة وإظهار العلم وأداء الأمانة.

---

(١) انظر: المغني للعلامة ابن قدامة -رحمه الله- (١١/٣٥١-٣٥٢) بتصرف.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٦٦) (١/١٠٠) كتاب الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه، والحديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني (١/١٠٩) ط. مكتبة المعارف، الرياض. وصحيح سنن النسائي للشيخ الألباني (١/٩٧). ط. مكتبة المعارف، الرياض. وصحيح سنن ابن ماجة للشيخ الألباني (١/١٧٠) ط. مكتبة المعارف، الرياض.

الفصل الثاني

المبحث الثالث: جهودهن في العناية بالسنة المطهرة:

المطلب الأول: حرصهن على حفظ الحديث ونقله للأمة:

لم تكن مجالسه ﷺ قاصرة على الرجال بل كان كثير من النساء يحضرن المسجد ويستمعن إلى حديثه الشريف ﷺ وفي مقدمة أولاء أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- ففي الأعياد وغيرها من المناسبات الهامة كن يخرجن إلى المصلى لاستماع الموعظة، وكان ﷺ بعد أن يلقي خطبة العيد في الصفوف الأمامية للرجال ينتقل إلى صفوف النساء يتحدث إليهن ويعلمهن، وجاء وفد من النساء يطلبن إليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه ولم يتأخر عليه الصلاة والسلام في إجابتهن إلى طلبهن إلا أن الدور الذي ميَّز الله به أمهات المؤمنين دون غيرهن لم يكن من السهولة بمكان حيث العشرة والحياة الزوجية والنوم واليقظة والاطلاع الكامل على سيرته وحياته الخاصة، لذلك كله عُنيت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بتحمل الحديث وأدائه كما سمعنه منه ﷺ، بل كُنَّ مرجعاً لكبار الصحابة وحفاظهم في التثبت من الحديث وروايته عن رسول الله ﷺ.

فهذا أبوهريرة -رضي الله عنه- وهو من دعا له رسول الله ﷺ بالحفظ وعدم النسيان. وروى للأمة عدداً عظيماً من الأحاديث ما سبق لمثله قط، يعمد -رضي الله عنه- إلى حجرة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لمراجعة محفوظاته من الحديث النبوي لتصحح له -رضي الله عنها-

ما يكون قد أخطأ فيه أو نسيه، ومراده -رضي الله عنه- في ذلك تثبيت الحفظ والحصول على إقرارها بصحة الرواية بسكوتها عليه.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن عروة قال: "كان أبوهريرة -رضي الله عنه- يحدث ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة. اسمعي يا ربة الحجرة -وعائشة -رضي الله عنها- تصلي- فلما قضت صلاتها، قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفاً؟ إنما كان النبي ﷺ يحدِّث حديثاً لو عَدَّه العادّ لأحصاه"[1].

وفي رواية عن عروة قالت: ألا يعجبك أبو فلان[2]؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدِّث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، فلو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم"[3].

هذه الأحاديث اشتملت على قواعد عظيمة منها:

١- سعة علم أبي هريرة -رضي الله عنها- وأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

٢- حرص أبي هريرة -رضي الله عنه- على محفوظاته من الحديث وذلك بتكرارها ومراجعتها وعرضها على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

٣- شهادة أبي هريرة -رضي الله عنه- لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٩٣) (١٠١١)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي، وفي كتاب الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(٢) هو أبو هريرة -رضي الله عنه-، والمعنى ألا يدعو إلى العجب فعل فلان، انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٥٧٨/٦).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٥٦٨) (ص٧٥٢) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ. وصحيح مسلم، الموضع السابق، نفس الكتاب والباب.

بالعلم وذلك في عرضه لحديث رسول الله ﷺ عليها دون غيرها.

٤- صحة الإقرار بالسكوت وأنه دليل على صحة ما قيل.

٥- ثبات العلم واستقراره يكون بمدارسته ومراجعته وتكراره وعرضه على أهل العلم.

٦- إنكار عائشة -رضي الله عنها- لم يكن على محفوظ أبي هريرة -رضي الله عنه- وإنما كان في الطريقة التي عرض بها الحديث وهي السرد.

٧- اجتهاد أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في العبادة والذكر والصلاة معظم وقتها.

٨- بيان أن السنة في رواية الحديث هي التأني والتمهل وأن هذا هو هديه ﷺ.

هذا وقد اعتذر العلماء -رحمهم الله- لأبي هريرة -رضي الله عنه- سرده للحديث فقيل في ذلك: «واعتذر عن أبي هريرة بأن كان واسع الرواية كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث»[1].

وفي توضيح معنى قول أبي هريرة -رضي الله عنه- "اسمعي يا ربة الحجرة" قال النووي -رحمه الله-: «يعني عائشة -رضي الله عنها- مراده بذلك تقوية الحديث بإقرارها ذلك وسكوتها عليه، ولم تنكر عليه شيئاً من ذلك سوى الإكثار من الرواية في المجلس الواحد لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه»[2].

وهكذا الحال مع أكثر أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، فقد كُنَّ مرجعاً لكبار الصحابة والمستفتين من المسلمين والمسلمات في كثير من الأمور والسنن القولية والفعلية له ﷺ.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥٧٩/٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٩/١٨).

المطلب الثاني: عنايتهن بالسنة من خلال كثرة الرواية:

تظهر عناية أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بالسنة المطهرة من خلال كثرة روايتهن للسنن القولية والفعلية والتقريرية عنه ﷺ. ومنهن من تعتبر من كبار المحدثين وحفَّاظ السنة النبوية مثل أم المؤمنين عائشة وأم سلمة وميمونة بنت الحارث رضي الله عنهن، فقد أكرم الله أمهات المؤمنين بميزة لم تكن عند غيرهن من الصحابة وهي سماعهن لبعض الأحاديث النبوية، مشافهة منه ﷺ داخل الحجرات، وذلك لمكانهن منه ﷺ، فيرجع الفضل بعد الله في نقل كثير من السنن النبوية ونشرها بين الناس لعناية أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بها في حفظها وضبطها ونشرها بين الناس، خاصة ما يتعلق بحياته ﷺ الخاصة داخل حجراته ومع أهله.

لذلك أصبحت حجرات أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- مقصد طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها لينالوا بركة تلقي السنة النبوية منهن، وما كنَّ ليبخلن على طلابهن بشيء من العلم، بل كُنَّ يبذلنه لكل طالبٍ وسائل، وأصدق دليل على صحة ما ذكر هو العدد الكبير من الرواة الذين رووا عنهن -رضوان الله تعالى عنهن- فهذه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- يصل عدد الرواة عنها إلى مائة من صحابة وتابعين ونساء وموالي(١).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي -رحمه الله- (٢/١٣٦-١٣٩).

وهذه أم سلمة -رضي الله عنها- يروي عنها خلق كثير، قال الذهبي -رحمه الله-: «روى عنها: سعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، والأسود ابن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السمان، ومجاهد، ونافع بن جبير بن مطعم، ونافع مولاها، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وشهر بن حوشب، وابن أبي مليكة، وخلق كثير»(1).

وهذه أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- يأخذ عنها خلق كثير من الصحابة رجالاً ونساءً، قال الذهبي -رحمه الله-: «حدَّثَ عنها أخواها الخليفة معاوية، وعنبسة، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان، وعروة بن الزبير، وصفية بنت شيبة، وزينب بنت أبي سلمة... وآخرون»(2).

وهذه أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- يروي عنها طائفة من الناس بعضهم من كبار الصحابة. قال الذهبي -رحمه الله-: «روى عنها أخوها عبد الله بن عمر، وحارثة بن وهب، وشتير بن شكل، والمطلب بن أبي وداعة، وعبد الله بن صفوان الجمحي، وطائفة»(3).

وهذه أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- يروي عنها عدد من الصحابة والتابعين. قيل في ترجمتها: «حدث عنها: ابن عباس، وعبيد بن السباق، وكريب، ومجاهد، وأبوأيوب يحيى بن مالك الأزدي، وآخرون»(4).

---

(1) سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٢). وانظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (٤٤٠/٤).

(2) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢١٩/٢). وانظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (٣٠٠/٤).

(3) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢٢٧/٢-٢٢٨). وانظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (٢٦٥/٤).

(4) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢٦١/٢). وانظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (٢٥٧/٤).

وهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- يأخذ عنها بعض من لهم صحبة من رجال ونساء الصحابة، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في ذلك: «روى عنها ابن أخيها محمَّد بن عبد الله بن جحش وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت أبي سلمة ولهم صحبة، وكلثوم بن المصطلق، ومذكور مولاها وغيرهم»[1].

وهذه أم المؤمنين صفيّة بنت حيي -رضي الله عنها- قدَّمت هي الأخرى من حديث رسول الله ﷺ ما جعل الناس يقصدون حجرتها ويسألونها ويأخذون عنها الحديث، فقد قال عنها الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «روت صفية عن النبي ﷺ وروى عنها ابن أخيها ومولاها كنانة، ومولاها الآخر يزيد بن معتب، وزين العابدين علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث بن مسلم بن صفوان، وآخرون»[2].

وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- كان لها نصيبٌ وافرٌ من رواية حديث رسول الله ﷺ مما جعل الناس يقصدونها ويستفيدون من علمها ونقْلها عن المصطفى عليه الصلاة والسلام. قال عنها الذهبي -رحمه الله-: «حدَّث عنها ابن عباس، وابن أختها الآخر: عبد الله بن شداد بن الهاد، وعبيد بن السباق، وعبد الرحمن بن السائب الهلالي، وابن أختها الرابع: يزيد بن الأصم، وكريب مولى ابن عباس، ومولاها

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣٠٧/٤). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٢/٢).

(٢) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣٣٩/٤). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٢/٢).

سليمان ابن يسار، وأخوه عطاء بن يسار، وآخرون»[1].

وهذه أم المؤمنين سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- تقوم بواجب الرواية والتبليغ عن رسول الله ﷺ مما سمعته من الحديث فقد حدَّث عنها: عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، ويحيى بن عبد الله الأنصاري[2].

هذا وتظهر عناية أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عليهن- بالسنة من خلال كثرة روايتهن للسنة القولية والفعلية للنبي ﷺ، ومما يؤكد ذلك إفراد كثير من العلماء لمسانيد خاصة بهنَّ. وما ذاك إلا لعظم الميراث النبوي الذي نقلْنَه للأمةِ وسأورد هنا ما ذكره العلماء توضيحاً لذلك:

أولاً: أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها الشيخان على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثاً ومسلم بتسعة وستين حديثاً[3].

ثانياً: أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، اتفق لها الشيخان على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة أحاديث، ومسلم بثلاثة عشر حديثاً[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٩/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٦٦/٢).

(٣)المصدر السابق (١٣٩/٢).

(٤)المصدر السابق (٢١٠/٢).

ثالثاً: أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها خمسة وستين حديثاً، اتفق لها الشيخان على حديثين، وانفرد مسلم بحديثين[1].

رابعاً: أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها ستين حديثاً، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث[2].

خامساً: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها ثلاثة عشر حديثاً، اتفق لها الشيخان على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة أحاديث[3].

سادساً: أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها أحد عشر حديثاً، اتفق لها الشيخان على حديثين[4].

سابعاً: أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها عشرة أحاديث، اتفق لها الشيخان على حديث واحد منها[5].

---

(١)سير أعلام النبلاء (٢/٢١٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٣٠).

(٣) المصدر السابق (٢/٢٤٥).

(٤) المصدر السابق (٢/٢١٨).

(٥) المصدر السابق (٢/٢٣٨).

ثامناً: أم المؤمنين جويرية -رضي الله عنها-:

بلغ عدد مروياها سبعة أحاديث، انفرد البخـــاري بحديـــث، ومســـلم بحديثين[1].

تاسعاً: أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها:

بلغ عدد مروياها خمسة أحاديث، انفرد لها البخاري بحديث واحد[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٦٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٦٩).

المبحث الرابع

نماذج من مروياتهن في خدمة السنة

لقد عنيت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بالسنة أيما عناية، وما ورد في المباحث السابقة من حرصهن على السنة وحفظهن للحديث وتعليمه للناس أصدق شاهد وأقوى دليل على ذلك.

وسيكون الحديث هنا عن شيء من ذلك الميراث العظيم الذي ورثته أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- للأمة في مجال السنة النبوية المطهرة. ولن يكون الحديث شاملاً لكل ما ورد عنهن -رضوان الله تعالى عنهن-، نظراً لكثرة ما ورد عنهن من رواية، إضافة إلى أن الحديث هنا سيُعنَى بما ورد عنهن مروياً عن رسول الله ﷺ لعموم السنة دون ما ورد عن طريقة السؤال منهن للنبي ﷺ أو سؤال الناس لهن -رضوان الله تعالى عنهن- . كما ورد في المباحث السابقة تجنباً للإطالة والتكرار لبعض الأحاديث التي وردت هناك، علاوة على الالتزام بالمعنى الصحيح والشرح العلمي لمعنى كلمة السنة وأنها شاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلقية والخَلقية ﷺ، فأقول -وبالله التوفيق-:

أولاً: بعض مرويات أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

(...عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً)[1].

ودلالة الحديث ظاهرة في فضيلة النفقة والحثّ عليها وسعة فضل الله في إعطائه الأجر لصاحب المال المتصدَّق به وللمرأة وللخادم، ولكن هذا الأمر في بذل الصدقة ليس على إطلاقه فقد استنبط العلماء -رحمهم الله- من هذا الحديث وغيره ضوابط في مسألة النفقة، فقد قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث: «اختلف السلف فيما إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها، فمنهم من أجازه لكن في الشيء اليسير الذي لا يؤبه له ولا يظهر به النقصان. ومنهم من حمله على إذن الزوج ولو بطريق الإجمال، وهو اختيار البخاري، ولذلك قيد الترجمة بالأمر به، ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على العادة، وأما التقييد بغير الإفساد فمتفق عليه»[2].

ولقد أورد صاحب فيض القدير -رحمه الله- لطيفة من اللطائف في شرحه للحديث عند قوله ﷺ: "لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً" فقال -رحمه الله-: «فهم في أصل الأجر سواء وإن اختلف مقداره فلو أعطى المتصدق خادمه مائة ليدفعها لفقير على باب داره فأجر المتصدق أكثر

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٤٢٥) (ص٣٠١) كتاب الزكاة، باب: من أمر خادمه بالصدقة و لم يناول بنفسه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٠٣/٣).

ولو أعطاه رغيفاً ليدفعه له بمحل بعيد فأجر مشي الخادم فوق قيمة الرغيف فأجر الخادم أوفر، وإن تساويا تساويا»[1].

وقد أفاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كعادته في نهاية شرح الحديث فوائد منها قوله: «وفي الحديث فضل الأمانة، وسخاوة النفس، وطيب النفس في فعل الخير، والإعانة على فعل الخير"[2].

ومن مرويات أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة ما روته (...أن رسول الله ﷺ قال: إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه)[3].

هذا الحديث أورده كثير من العلماء ضمن الأحاديث الواردة في أبواب الوضوء ونواقضه من النوم ونحوه، وقد أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- سبب ورود الحديث ومناسبة قوله ﷺ له، فقال -رحمه الله-: «هذا الحديث ورد على سبب... في قصة الحولاء بنت تويت كما تقدم في باب: أحب الدين إلى الله أدومه»[4]، ونص الحديث الوارد فيها من رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة -تذكر من صلاتها- قال "مه" عليكم بما تطيقون. فوالله

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي -رحمه الله- (٣٠٦/١).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٠٤/٣).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢١٢) (ص٦٣) كتاب الوضوء، باب: الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءاً.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣١٥/١).

لا يمل الله حتى تملوا"[1]، ثم قال -رحمه الله-: «وهذه المرأة من بني أسد وهي الحولاء بنت تويت بن حبيب... من رهط خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها-.. وزعموا أنها لا تنام الليل»[2].

ولقد توسع الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث، حيث تعرَّض لأقوال الأئمة الأربعة والفقهاء -رحمهم الله- في مسألة هل النوم وما يلحق به من نعاس وإغفاء ونحوه ناقض للوضوء أم لا؟ فقال -رحمه الله: «وظاهر كلامه -أي البخاري -رحمه الله- أن النعاس يسمى نوماً والمشهور التفرقة بينهما وأن من قرَّت حواسه بحيث يسمع كلام جليسه ولا يفهم معناه فهو ناعس، وإن زاد على ذلك فهو نائم، ومن علامات النوم الرؤيا طالت أو قصرت... ويتخرج من جعل النعاس نوماً أن من يقول النوم حدث بنفسه يوجب الوضوء من النعاس. وقد أجمعوا على أن النوم القليل لا ينقض الوضوء. والذين ذهبوا إلى أن النوم مظنّة الحدث اختلفوا على أقوال: التفرقة بين قليله وكثيره، وبين المضطجع وغيره، وبين المضطجع والمستند...»[3].

هذا وقد وضح صاحب بداية المجتهد هذه المسألة بقوله: «اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب: فقوم رأوا أنه حدث، فأوجبوا من قليله وكثيره الوضوء. وقوم رأوا أنه ليس بحدث فلم يوجبوا منه الوضوء

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٣) (ص٢٤) كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٠١/١) بتصرف.

(٣) المصدر السابق (٣١٣/١-٣١٤) بتصرف.

إلا إذا تيقن بالحدث على مذهب من لا يعتبر الشك، وإذا شك على مذهب من يعتبر الشك. وقوم فرقوا بين النوم القليل الخفيف والكثير المستثقل، فأوجبوا في الكثير المستثقل الوضوء دون القليل، وعلى هذا فقهاء الأمصار والجمهور»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «نهى النبي ﷺ عن الصلاة مع النعاس الذي يغلط معه الناعس، وقد احتج العلماء بهذا على أن النعاس لا ينقض الوضوء؛ إذ لو نقض بذلك لبطلت الصلاة، أو لوجب الخروج منها لتجديد الطهارة، والنبي ﷺ إنما علل ذلك بقوله: "فإنه لا يدري لعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه" فعُلم أنه قصد النهي عن الصلاة لمن لا يدري ما يقول وإن كان ذلك بسبب النعاس»[2].

وفي مثل هذا قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في هذه المسألة: «الصواب في هذه المسألة أن النوم مظنة الحدث، فلا ينقض منه النعاس والشيء اليسير، إنما ينقض منه ما أزال الشعور مطلقاً، وبذلك تجتمع الأحاديث الواردة في الباب»[3].

ومن الفوائد التي أوردها الحافظ ابن حجر -رحمه الله في هذا الحديث قوله: «ويحتمل أن يكون علة النهي خشية أن يوافق ساعة الإجابة... وفيه الأخذ بالاحتياط لأنه علل بأمر محتمل، والحثّ على الخشوع وحضور

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمَّد بن رشد القرطبي (١/٣٥-٣٦).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (١٠/٤٣٨).

(٣) حاشية الشيخ عبد العزيز بن باز على فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٣١٤).

القلب للعبادة، واجتناب المكروهات في الطاعات، وجواز الدعاء في الصلاة من غير تقييد بشيء معين»[1].

ومن مرويات أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...عن عروة أن عائشة -رضي الله عنها- أخبرته قالت: أَعْتَمَ رسول الله ﷺ ليلة بالعشاء، وذلك قبل أن يفشوا الإسلام[2]، فلم يخرج حتى قال عمر: نام النساء والصبيان. فخرج، فقال لأهل المسجد: ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم)[3].

«هذا الحديث يدل على استحباب تأخر صلاة العشاء عن أول وقتها. وقد اختلف العلماء هل الأفضل تقديمها أم تأخيرها، وهما مذهبان مشهوران للسلف وقولان لمالك والشافعي -رحمهما الله- فذهب فريق إلى تفضيل التأخير محتجاً بهذا الحديث -وما ورد في معناه من الأحاديث- المذكورة في هذا المجال، وذهب فريق آخر إلى تفضيل التقديم محتجاً بأن العادة الغالبة لرسول الله ﷺ هي التقديم. وإنما أخرها في أوقات يسيرة لبيان الجواز أو لشغل أو لعذر ولو كان تأخيرها أفضل لواظب عليه وإن كان فيه مشقة»[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣١٥/١).

(٢) أي في غير المدينة، وإنما فشا الإسلام في غيرها بعد فتح مكة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤٨/٢).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٦٦) (ص١٣٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل العشاء.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٦/٥) بتصرف، وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني -رحمه الله- (٤١٢/١). دار الفكر.

ثانياً: بعض مرويات أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– للسنة:

من مرويات أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– في السنة ما روته (...أن النبي ﷺ إذا سلَّم يمكث في مكانه يسيراً. قال ابن شهاب: فَنُرَى –والله أعلم– لكي يَنْفَذَ من ينصرف من النساء)[1].

بينت أم سلمة –رضي الله عنها– في هذا الحديث هديه عليه الصلاة والسلام بعد انفتاله من الصلاة، وهذا بلا شك قد شوهد من قبل كثير من الصحابة –رضوان الله عليهم–، ولكن أم سلمة –رضي الله عنها– أبت إلا أن تنقل للأمة هذا الخير وهذه السنة عنه ﷺ في شيء هو ركن الدين وقوامه ألا وهو الصلاة.

ولقد أورد الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في شرحه للحديث بعد قول البخاري –رحمه الله–: "باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام" قال الحافظ –رحمه الله–: «أي وبعد استقبال القوم، فيلائم ما تقدم»[2]، وما تقدم هو الباب الذي قبله الذي سماه البخاري رحمه الله: باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم".

وفي حكم الجلوس بعد السلام والمدة التي ينبغي جلوسها لكل من الإمام والمأموم قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «التسبيح والتكبير عقب الصلاة مستحب، ليس بواجب ومن أراد أن يقوم قبل ذلك فله ذلك، ولا ينكر عليه، وليس لمن أراد فعل المستحب أن يتركه، ولكن ينبغي

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٨٤٩) (ص١٨٥) كتاب الأذان، باب: مكث الإمام في مصلاه بعد السلام.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر –رحمه الله– (٣٣٥/٢) ط. دار الفكر.

للمأموم أن لا يقوم حتى ينصرف الإمام، أي ينتقل عن القبلة، ولا ينبغي للإمام أن يقعد بعد السلام مستقبل القبلة إلا مقدار ما يستغفر ثلاثاً، ويقول: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام" وإذا انتقل الإمام فمن أراد أن يقوم قام، ومن أحب أن يقعد يذكر الله فعل ذلك»[1].

هذا ولقد عقد ابن القيم -رحمه الله- باباً خاصاً في هديه عليه الصلاة والسلام بعد انصرافه من الصلاة، فتناول -رحمه الله- جميع أقواله وأفعاله بعد انفتاله من الصلاة، وبين إلى أيِّ الجهات كان يتحوَّل، ومقدار جلوسه قبل ذلك وغير ذلك. فقال -رحمه الله-: «كان إذا سلم استغفر ثلاثاً، وقال: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[2]. ولم يمكث مستقبل القبلة إلا مقدار ما يقول ذلك، بل يُسرع الانتقال إلى المأمومين، وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: رأيت رسول الله ﷺ كثيراً ينصرف عن يساره، وقال أنس: أكثر ما رأيت رسول الله ﷺ ينصرف عن يمينه، والأول في الصحيحين[3]، والثاني في مسلم[4]»[5].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٢٢/٥٠٥).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٥٩١) (ص٢٣٥) كتاب المساجد، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٨٥٢) (ص١٨٦) كتاب الأذان، باب: الانفتال والانصراف عن اليمين والشمال. وفي صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٠٧) (ص٢٨٠) كتاب صلاة المسافرين، باب: جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين وعن الشمال.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٠٨) (ص٢٨٠)، كتاب صلاة المسافرين، باب: جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين وعن الشمال.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية -رحمه الله- (١/٢٩٥).

ومن فوائد الحديث ما أورده الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «وفي الحديث مراعاة أحوال المأمومين والاحتياط في اجتناب ما قد يفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت»[1].

ومن مرويات أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في السنة ما جاء (...عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أم سلمة أخبرته أن أمها أم سلمة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أخبرتها عن رسول الله ﷺ أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها)[2].

وهذا الحديث الذي روته أم سلمة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ في هذا الجانب المهم من الدين، وهو القضاء بين الناس، ليدل دلالةً واضحةً على حرصها على حفظ السنة وروايتها ونقلها للأمة غضة طريةً كما سمعتها من في رسول الله ﷺ.

والحديث يعتبر أصلاً في بابه. فقد تناوله العلماء -رحمهم الله- بالشرح والتفصيل واستنباط الأحكام، وكان عمدة في باب القضاء والفصل

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٣٦/٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٨) (ص٥١٠) كتاب المظالم، باب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه. ورواه مسلم، حديث رقم: (١٧١٣) (ص٧١١)، كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، واللفظ للبخاري.

بين الخصوم.

وفي معنى قوله ﷺ: "إنما أنا بشر" أورد النووي -رحمه الله- كلاماً نفيساً فقال: «معناه التنبيه على حالته البشرية وأن البشر لا يعلمون من الغيب وبواطن الأمور شيئاً إلا أن يطلعهم الله تعالى على شيء من ذلك وأنه يجوز عليه في أمور الأحكام ما يجوز عليهم وأنه إنما يحكم بين الناس بالظاهر والله يتولى السرائر فيحكم بالبينة وباليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر مع إمكان كونه في الباطن خلاف ذلك ولكنه إنما كلف الحكم بالظاهر. وهذا نحو قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" وفي حديث المتلاعنين "لولا الأيمان، لكان لي ولها شأن، ولو شاء الله تعالى لأطلعه ﷺ على باطن أمر الخصمين فحكم بيقين نفسه من غير حاجة إلى شهادة أو يمين، لكن لما أمر الله تعالى أمته باتباعه والاقتداء بأقواله وأفعاله وأحكامه أجرى له حكمهم في عدم الاطلاع على باطن الأمور ليكون حكم الأمة في ذلك حكمه فأجرى الله تعالى أحكامه على الظاهر الذي يستوي فيه هو وغيره ليصح الاقتداء به وتطيب نفوس العباد للانقياد للأحكام الظاهرة من غير نظر إلى الباطن، والله أعلم»[1].

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- فقال: «وفي هذا الحديث من الفوائد إثم من خاصم في باطل حتى استحق به في الظاهر شيئاً هو في الباطن حرام عليه، وفيه أن من ادّعى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٥).

مالاً و لم يكن له بينة، فحلف المدعى عليه وحكم الحاكم ببراءة الحالف أنه لا يبرأ في الباطن وأن المدعي لو أقام بينة بعد ذلك تنافي داعواه سمعت وبطل الحكم. وفيه أن من احتال لأمر باطل بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقاً في الظاهر ويحكم له به أنه لا يحل له تناوله في الباطن ولا يرتفع عنه الإثم بالحكم. وفيه أن المجتهد إذا أخطأ لا يلحقه إثم بل يؤجر. وفيه موعظة الإمام الخصوم ليعتمدوا الحق والعمل بالنظر الراجح وبناء الحكم عليه»[1].

ثالثاً: بعض مرويات أم المؤمنين أم حبيبة –رضي الله عنها– للسنة:

من مرويات أم المؤمنين أم حبيبة –رضي الله عنها– للسنة ما جاء (...أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلا بُني له بيت في الجنة)[2]. قالت أم حبيبة: فما برحت أصليهن بعد.

وفي حديث آخر قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها حرمه الله على النار)[3].

وهذه الأحاديث المروية عن أم المؤمنين أم حبيبة –رضي الله عنها–

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر –رحمه الله– (١٣/١٧٤-١٧٧).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٢٨) (ص٢٨٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (٤١٥) (٢/٢٧٤) أبواب الصلاة، باب: ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه أبوداود في سننه، حديث رقم: (١٢٥٠) (٢/١٨) كتاب الصلاة، باب: تفريع أبواب التطوع وركعات السنة. وصححه الألباني كما في (ص١٥٣) ط. بيت الأفكار الدولية.

وغيرها من الأحاديث الواردة في باب السنن الرواتب وفضلها وبيان عددها، تؤكّد على فضيلة النوافل والترغيب في تعاهدها والحرص عليها.

ومما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في الحديث عن هديه ﷺ في السنن الرواتب قوله: «كان ﷺ يحافظ على عشر ركعات في الحضر دائماً، وهي التي قال فيها ابن عمر -رضي الله عنهما-: "حَفِظْتُ من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح"[1]. فهذه لم يكن يدعها في الحضر أبداً، ولما فاتته الركعتان بعد الظهر، قضاهما بعد العصر، وداوم عليها. لأنه ﷺ كان إذا عمل عملاً أثبته، وقضاء السنن الرواتب في أوقات النهي عام له ولأمته، وأما المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فمختص به -ثم قال -رحمه الله- جمعاً بين حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وحديث أم حبيبة -رضي الله عنها- وهذا ليس بعلةٍ أصلاً، فإن ابن عمر إنما أخبر بما حفظه من فعل النبي ﷺ، ولم يخبر عن غير ذلك، فلا تنافي بين الحديثين ألبتة»[2].

رابعاً: بعض مرويات أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- للسنة:

من مرويات أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- للسنة ما جاء (...عن عبد الله بن عمر قال: أخبرتني حفصة أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٨٠) كتاب التهجد، باب: الركعتان قبل الظهر.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم -رحمه الله- (١/٣٠٧-٣١٢) بتصرف.

إذا اعتكف المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة)[1].

ودلالة هذا الحديث ظاهرة في التأكيد على ركعتي الفجر واستحباب التخفيف فيهما، ومما ورد في الحكمة من تخفيفهما قولهم: "ليبادر إلى صلاة الفجر في أول الوقت، وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما يصنع ﷺ في صلاة الليل ليدخل في الفرض أو ما يشابهه بنشاط واستعداد تام"[2].

وقد تناول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- المقصود من معنى "كان إذا اعتكف المؤذن للصبح" فقال -رحمه الله-: "هكذا وقع عند جمهور رواة البخاري وفيه نظر، وقد استشكله كثير من العلماء، ووجهه بعضهم، والحديث في الموطأ[3] عند جميع رواته بلفظ: "كان إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح" وكذا رواه مسلم وغيره وهو الصواب. وقد أطلق جماعة من الحفاظ القول بأن الوهم فيه من عبد الله بن يوسف شيخ البخاري، ووجهه ابن بطال وغيره بأن معنى "اعتكف المؤذن" أي لازم

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦١٨) (ص١٤٢)، كتاب الأذان، باب: الأذان بعد الفجر. ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب ركعتي الفجر (٥٠٠/١) حديث رقم: (٧٢٣).

(٢) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني -رحمه الله- (٢٥/٣).

(٣) موطأ الإمام مالك -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٨٠) (ص٦٥) كتاب الصلاة، باب: ما جاء في ركعتي الفجر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

ارتقابه ونظره إلى أن يطلع الفجر ليؤذن عند أول إدراكه. والحق أن لفظ "اعتكف" محرف من لفظ "سكت"[(١)].

ومن مرويات أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- للسنة ما روي عنها أنها (...قالت: قال رسول الله ﷺ: خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن: الغراب والحدأة والفأرة، والعقرب، والكلب العقور)[(٢)].

وهذا الحديث الوارد عن أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- يدل دلالة واضحة على حرص أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- على رواية السنة وحفظها ونقلها للأمة، فهذا يؤكد حرصهن على رواية السنة لكل أموره ﷺ الخاصة والعامة، فجزاهن الله على ذلك خير الجزاء.

وهذا الحديث وما ورد في بابه، تناوله العلماء -رحمهم الله- بالبحث والدراسة واستنباط الأحكام، فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في معنى قوله ﷺ: "خمس" فقال: «التقييد بالخمس وإن كان مفهومه اختصاص المذكورات بذلك لكنه مفهوم عدد، وليس بحجة عند الأكثر، وعلى تقدير اعتباره فيحتمل أن يكون قاله ﷺ أولاً ثم بين بعد ذلك أن غير الخمس يشترك معها في الحكم -وفي معنى قوله: "لا حرج في قتلهن" قال- عرف بذلك أن لا إثم في قتلها على المحرم ولا في الحرم، ويؤخذ منه جواز ذلك للحلال، وفي الحل من باب أولى»[(٣)].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢/١٠١-١٠٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٨٢٨) (ص٣٨٢) كتاب جزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من الدواب.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤/٣٦-٣٧) بتصرف.

خامساً: بعض مرويات أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- للسنة:

من مرويات أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها للسنة ما جاء عنها (...أن رسول الله ﷺ سئل عن فأرة سقطت في سمن، فقال: ألقوها، وما حولها فاطرحوه، وكلوا سمنكم)[1].

وهذا الحديث ورد بروايات متعددة يفسر بعضها بعضاً، ففي رواية للنسائي عن ميمونة -رضي الله عنها-، أن فأرة وقعت في سمن، فماتت، فسئل النبي ﷺ، فقال: ألقوها وما حولها، وكلوه)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث: «أخذ الجمهور بحديث معمر[3] الدال على التفرقة بين الجامد والذائب ونقل ابن عبد البر الاتفاق على أن الجامد إذا وقعت فيه ميتة طرحت وما حولها منه إذا تحقق أن شيئاً من أجزائها لم يصل إلى غير ذلك»[4].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٣٥) (ص٦٧) كتاب الوضوء، باب: ما يقع من النجاسات في السمن والماء.

(٢) سنن النسائي (١٧٨/٧) كتاب الفرع والعتيرة. وصححه الشيخ الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي للشيخ الألباني، حديث رقم: (٤٢٦٩).

(٣) حديث معمر ورد في سنن أبي داود من طريق أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وقعت الفأرة في السمن، فإن كان جامداً فألقوها وما حولها، وإن كان مائعاً فلا تقربوه)، حديث رقم: (٣٨٤٢) (٣٦٤/٣). قال عنه الألباني بأنه شاذّ. انظر (ص٤٢٢) ط. بيت الأفكار الدولية. وقال أبوداود -رحمه الله-: قال الحسن قال عبد الرزاق وربما حَدَّث به معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة عن النبي ﷺ. انظر: سنن أبي داود (٣٦٤/٣).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٤٤/١).

قال الشوكاني -رحمه الله-: «استدل بهذا الحديث... أن المائع إذا حلت فيه النجاسة لا ينجس إلا بالتغيير وهو اختيار البخاري. ووجه الاستدلال ما قاله ابن العربي متمسكاً بقوله وما حولها، على أنه كان جامداً قال: لأنه لو كان مائعاً لم يكن له حول لأنه لو نقل من أي جانب مهما نقل لخلفه غيره في الحال فيصير مما حوله فيحتاج إلى إلقائه كله»[1].

وأما ما يخص الانتفاع بهذا السمن الذي يكون سائلا وما كان مثله من المائعات كالزيت ونحوه، فقد تعرض العلماء -رحمهم الله- للاستفادة منه في غير الأكل، فقال في معالم السنن: «وقوله: (لا تقربوه) يحتمل وجهين: أحدهما لا تقربوه أكلاً وطعماً ولا يحرم الانتفاع به من غير الوجه استصباحاً وبيعاً ممن يستصبح به ويدهن به السفن ونحوها، ويحتمل أن يكون النهي في ذلك عاماً على الوجوه كلها»[2].

ولعلّ الصواب هو الأول، لأن الشريعة لم تأت إلا بما هو خير ونفع للناس، والنهي الوارد إنما يكون دفعاً للضرر الذي قد يلحق الناس في حالة أكله، أمّا في الاستصباح به وبيعه للاستفادة منه في دهن السفن ونحوها، فهذا لا يلحق به ضرر، والله أعلم.

ومن مرويات أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- للسنة ما جاء عنها (...أن النبي ﷺ أكل عندها كتفاً ثم صلي و لم يتوضأ)[3].

---

(١) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني -رحمه الله- (٤٠/٩) بتصرف.

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي -رحمه الله- (٢٣٨/٤).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢١٠) (ص٦٢) كتاب الوضوء، باب: من مضمض من السويق و لم يتوضأ.

نقلت أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- للأمة هذا الحديث وهو قيامه ﷺ للصلاة دون أن يتوضأ من أكل اللحم الذي فُسِّر في روايات أخرى بأنه من لحم الشاة، ففي روايتها لهذا الحديث فتحت باباً للعلم نفع الله به الأمة إلى يوم القيامة.

فهذا يدل على عنايتهن ودورهن الرائد في نقل السنة عن حياته ﷺ داخل بيته وخارجه فجزاهم الله خير الجزاء.

وقد وردت روايات متعددة لهذا الحديث يفسر بعضها بعضاً، فقد ورد في رواية عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- تفسير الكتف بأنها كتف شاة، ونصها: "عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى و لم يتوضأ"[1].

أفاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في تعليقه على الباب الذي ورد فيه حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق فقال -رحمه الله: «نص على لحم الشاة ليندرج ما هو مثلها وما دونها بالأولى، وأما ما فوقها فلعله يشير إلى استثناء لحوم الإبل لأن من خصه من عموم الجواز علّله بشدة زهومته فلهذا لم يقيده بكونه مطبوخاً»[2].

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٠٧) (ص٦٢) كتاب الوضوء، باب: من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٣١٠) ط. دار الفكر.

سادساً: بعض مرويات أم المؤمنين جويرية -رضي الله عنها- للسنة:

من مرويات أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- للسنة ما روي (...أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: أصمت أمس؟ قالت: لا، قال: تريدين أن تصومي غداً؟ قالت: لا، قال: فأفطري)(١).

والحديث يدل على اجتهاد أم المؤمنين -رضي الله عنها- في العبادة وحرصها على الصوم، جمعت إلى ذلك -رضي الله عنها- حرصها على حفظ السنة وروايتها ونقلها للأمة، فكان هذا الحديث وغيره مما ورد في النهي عن صوم يوم الجمعة مصدر بحث ونظر واستنباط للأحكام من العلماء -رحمهم الله-.

وقد وردت روايات أخرى تشير إلى ما روته أم المؤمنين جويرية -رضي الله عنها- في حديثها السابق، فقد ورد حديث رواه أبوهريرة -رضي الله عنه- قال سمعت النبي ﷺ يقول: "لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده"(٢).

وكذلك ورد حديث سُئل فيه جابر -رضي الله عنه-: "أنَهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٩٨٦) (ص٤١٤) كتاب الصوم، باب: صوم يوم الجمعة وإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١٩٨٥) (ص٤١٤) كتاب الصوم، باب: صوم يوم الجمعة.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (١٩٨٤) (ص٤١٤) كتاب الصوم، باب: صوم يوم الجمعة.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وهذه الأحاديث تقيد النهي المطلق في حديث جابر -رضي الله عنه- وتؤيد الزيادة التي تقدمت من تقييد الإطلاق بالإفراد، ويؤخذ من الاستثناء -أي الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه- جوازه لمن صام قبله أو بعده أو اتفق وقوعه في أيام له عادة يصومها كمن يصوم أيام البيض، أو من له عادة يصوم صوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة، ويؤخذ منه جواز صومه لمن نذر يوم قدوم زيد مثلاً أو يوم شفاء فلان...، واستدل بأحاديث الباب على منع إفراد يوم الجمعة بالصيام -ثم أورد -رحمه الله- ما يوضح الفرق في الحكم بين من صام يوم الجمعة منفرداً ومن صام يوم العيد فقال -رحمه الله:- يفرق بين العيد والجمعة بأن الإجماع منعقد على تحريم صوم يوم العيد ولو صام قبله أو بعده، بخلاف يوم الجمعة فالإجماع منعقد على جواز صومه لمن صام قبله أو بعده»[1].

وفي توضيح هديه ﷺ في صوم يوم الجمعة قال ابن القيم -رحمه الله-: «وكان من هديه ﷺ كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم فعلاً منه وقولاً، فصح النهي عن إفراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة وجويرية بنت الحارث وعبد الله بن عمرو وغيرهم -رضوان الله عليهم أجمعين-»[2].

هذا وقد جمع الحافظ ابن حجر -رحمه الله- ستة أقوال نفيسة تعليلية

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤/٢٣٤) بتصرف.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية -رحمه الله- (٢/٨٥).

توضح سبب النهي عن إفراد يوم الجمعة بالصوم فقال -رحمه الله-:

"أحدها : لكونه يوم عيد والعيد لا يصام.

ثانيها : لئلا يضعف عن العبادة.

ثالثها : خوف المبالغة في تعظيمه فيفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت.

رابعها : خوف اعتقاد وجوبه.

خامسها : خشية أن يفرض عليهم كما خشي ﷺ من قيامهم الليل ذلك.

سادسها : مخالفة النصارى لأنه يجب عليهم صومه ونحن مأمورون بمخالفتهم وهو ضعيف.

ثم قال -رحمه الله-: وأقوى الأقوال وأولاها بالصواب أولها"[1].

سابعاً: بعض مرويات أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها- للسنة:

من مرويات أم المؤمنين سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- للسنة ما جاء أنها (...قالت: ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها[2] ثم ما زلنا ننتبذ فيه[3] حتى صارت شناً[4])[5].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢٣٥/٤) بتصرف.

(٢) (المَسْكُ): بالفتح وسكون السين: الجلد، وخصَّ بعضهم به جلد السخلة، ثم كثر حتى صار كل جلد مسكاً، والجمع مُسُك ومُسُوك. لسان العرب مادة "مسك" (٤٨٦/١٠).

(٣) (ننتبذ فيه): النبيذ: ما نبذ في الماء ونقع فيه، ومنه حديث عائشة -رضي الله عنها-: "أنه ﷺ كان ينبذ له ليلاً فيشربه غدوة، وينبذ له غدوة فيشربه عشية" والمقصود به شراب التمر غير المسكر. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥٦٩/١١).

(٤) (شناً): بفتح المعجمة وتشديد النون أي بالياً، والشنة: القربة العتيقة، المصدر السابق (٥٦٩/١١).

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٦٨٦) (ص١٤١٤) كتاب الإيمان والنذور، باب: إذا حلف أن لا يشرب نبيذاً فشرب طلاءً أو سكراً أو عصيراً لم يحنث في قول بعض الناس وليست هذه بأنبذة عنده.

هذا الحديث الذي روته أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها- أورده البخاري -رحمه الله- في صحيحه ضمن أحاديث أخرى بعضها من رواية أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- وبعضها من رواية عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، وبعضها في صحيح مسلم وغيره من كتب الحديث كالسنن وغيرها، كلها تؤكد ما ورد في حديث أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها-، وهو جواز الانتفاع بجلود الميتة وأنها تطهر بدباغتها وجواز استخدامها بعد دبغها في حاجات الإنسان الضرورية أوعية للأكل والشرب وغير ذلك[1].

---

(١) لزيادة الفائدة والاطلاع على أقوال العلماء في هذه المسألة يراجع شرح النووي على صحيح مسلم (٥٤/٤) كتاب الحيض، باب: طهارة جلود الميتة بالدباغ. وفتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٦٥٨/٩-٦٥٩). ونيل الأوطار للشوكاني (٧٥/١-٧٦).

الفصل الثالث

منهج أمهات المؤمنين في خدمة العقيدة

المبحث الأوّل : في التعريف بالعقيدة وبيان مكانتها.

المبحث الثاني : اهتمامهن بالعقيدة تعلماً وتعليماً.

المبحث الثالث : نماذج من مروياتهن في العقيدة.

المبحث الأول

في التعريف بالعقيدة وبيان مكانتها

أولاً: التعريف بالعقيدة.

ثانياً: مكانة العقيدة وأهميتها.

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للعقيدة:

(أ) التعريف اللغوي:

"عقد: العين والقاف والدال أصل واحد يدلُّ على شدّ، وشدةِ وثــوقٍ، وإليه ترجع فروع الباب كلها.

من ذلك: عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود وعقدت الحبل أعقده عقداً، وقد انعقد، وتلك هي العقدة، وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد والجمع عقود اليمين، ومنه قوله تعالى: {**أوفوا بالعُقُودِ**}[1]. والعقد: عقد اليمين ومنه قوله تعالى: {**ولكن يؤاخذكمْ بما عقدتم الأيمان**}[2].

وعقدة النكاح وكلِّ شيءٍ: وجوبه وإبرامه، والعقدة في البيع: إيجابه. يقال: اعتقد فلان عقدة، أي اتخذها، وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه، واعتقد الشيء، صَلُبَ"[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: (١).

(٢) سورة المائدة، آية: (٨٩).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ) (٤/٨٦-٨٧). وانظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد المدين محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) (٤/٨٣).

وعقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقّدهما: أكدهما وفي الحديث: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[1]، أي: ملازم لها كأنه معقود فيها[2].

وبهذا يتبين أن المعنى اللغوي للعقيدة يقصد به الوثوق والثبات والصلابة في الشيء، لذلك جاء تعريف العقيدة والاعتقاد في المعجم الوسيط بأنها أي العقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، والجمع: عقائد[3].

(ب) العقيدة في الاصطلاح الشرعي:

شاع مصطلح العقيدة في كتب ودراسات علماء المسلمين على المباحث المتعلقة بالله عزَّ وجلَّ من حيث ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ووجوده، وكل ما يتعلق بذلك.

كما أن لكل علم مصطلحاته الخاصة به والتي تعد جزءاً لا يتجزأ عنه، فللفقهاء من المصطلحات ما يعبرون به عن حقائقهم الفقهية وكذلك علماء أصول الفقه وعلماء التفسير ونحو ذلك، لذلك فإن لعلماء العقيدة أيضاً من المصطلحات ما يعبرون به عن حقيقة العقائد الإسلامية.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٦٤٤) (ص٧٦٦) كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمَّد بن المثنى، حدثنا معاذ.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة "عقد" (٣/٢٩٦-٢٩٨).

(٣) المعجم الوسيط مادة "عقد" (٢/٦١٤).

وإذا كان معنى لفظ (عقد) في اللغة يدور حول التوثيق والربط والشد كما سلف، فإن المعنى الاصطلاحي مرادف لهذا المعنى بحيث يختص بكل ما يعقد عليه الإنسان قلبه ويجزم عليه بعقله حتى يكون أمراً لا يقبل الشك، ولقد صرَّح بلفظ العقيدة بعض الأئمة الذين عايشوا أهل البدع والأهواء في القرون المتقدمة فاضطروا لأن يبينوا للناس اعتقادهم وما كان عليه سلفهم من الاعتقاد تقريراً ودعوة إلى الاعتقاد الحق الصحيح وتحذيراً من عقائد أهل الأهواء والبدع.

فمن ذلك ما ورد في الطحاوية قوله: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله وحده لا شريك له»[1].

ويتضح من خلال كتاب: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)[2] -وهو من الكتب المتقدمة- ورود لفظ الاعتقاد الموضح لاستعمال هذا اللفظ عند المتقدمين من علماء الأمة.

كما سمى بعضهم عقيدة السلف بعقيدة أصحاب الحديث ونصه: «...ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه...»[3].

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها للعلامة ابن أبي العز الحنفي (ص٧٤) الطبعة السادسة: ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) الكتاب للإمام اللالكائي -رحمه الله- المتوفّى ٤١٨هـ.

(٣) والقائل هو الإمام أبو إسماعيل الصابوني -رحمه الله- المتوفّى ٤٤٩هـ، والنص ورد في كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١٠٦/١)، إدارة الطباعة المنيرية.

ولم يرد لفظ العقيدة في القرآن والسنة[1]، وإنما الوارد في ذلك لفظ الإيمان ويقابله الكفر.

والمقصود أن لفظ العقيدة وإن لم يرد لفظه في الكتاب والسنّة فإن سلف الأمة وأئمتها قد قالوا به كما سبق بيانه، وبهذا يكون معناه مرادفاً لمعنى الإيمان الذي هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح[2].

ومما يدل على ترادف العقيدة والإيمان قول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مقدمة كتابه الواسطية: «أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»[3].

فذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- لاعتقاد أهل السنة والجماعة ثم تفسيره له بأركان الإيمان الستة يؤكد ترادف لفظ العقيدة ولفظ الإيمان فليس مفهوم العقيدة ما يراد به الاعتقاد دون العمل فقط كما يقول بعض

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٢٤٢) الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام - المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (ص١٥١) تعليق وتصحيح جماعة من العلماء، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للأستاذ محمَّد خليل هراس (ص١٤-١٦) الطبعة الخامسة، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المتكلمين[1]، بل يدخل مع هذا قول اللسان وعمل الجوارح كالإيمان[2]، لأن الإنسان لا يمكن أن يقول ويعمل إلا إذا اعتقد.

وللعقيدة مفهومان: عام وخاص.

أما مفهومها العام: فيطلق على الأمور التي تصدق بها النفوس وتجزم بها الأذهان وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك بحيث يؤمن بها المعتقد إيماناً جازماً لا يتطرق إليه الشك بصرف النظر عن

---

(١) انظر: المواقف في علم الكلام لعبد الله بن أحمد الإيجي (ص١١) ط. دار عالم الكتب، بيروت – لبنان. وانظر: التعريفات لعلي بن محمَّد الجرجاني (ت: ٨١٦) (ص١٩٧) تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ–١٩٨٧م) ط. عالم الكتب، بيروت – لبنان.

(٢) (اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث –رحمهم الله– إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان... وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب وهذا القول ظاهر الفساد. وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم –وهو الصحيح بإذن الله– كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه –رحمهم الله–، أو باللسان وحده كما تقدم عند الكرامية، أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر، والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد). انظر: شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي (ص٣٧٣–٣٧٤).

نوع الاعتقاد حق أو باطل[1].

أما مفهومها الخاص: فإنه يتحدد بحسب ما تضاف إليه كلمة (عقيدة) فيأخذ معناه الاصطلاحي الخاص فيقال: عقيدة أهل السنة والجماعة، أي: ما يعتقده أهل السنة والجماعة من مسائل الاعتقاد الواردة في الكتاب والسنة. ويقال: عقيدة المعتزلة، أو الأشاعرة، أي: ما يعتقده المعتزلة أو الأشاعرة من أمور الاعتقاد سواء كان حقاً أو باطلاً. وإذا أطلقت العقيدة الإسلامية فالمراد بها: عقيدة أهل السنة والجماعة لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده[2].

وعلى هذا فتعريف العقيدة الإسلامية في الاصطلاح: هي (الإيمان الجازم بالله وما يجب له من ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع)[3].

وعُرِفت العقيدة بقولهم: (هي الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع

---

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها للدكتور ناصر عبد الكريم العقل (ص٩) الطبعة الأولى، ط. دار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) المصدر السابق (ص٩).

(٣) المصدر السابق (ص٩).

فصحيح وإلا ففاسد)[1].

وعرفها البعض بقولهم: (هي ما يصدقه العبد ويدين به، فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهي عقيدة صحيحة، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الآخرة)[2].

وعرفها بعضهم بقوله: (هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً)[3].

ولا خلاف بين هذه التعريفات لأن الأول باعتبار موضوع العقيدة والجزم به واعتقاده.

والأخرى كانت باعتبار أوصافها وطريقة ثبوتها، وما يكون عليه معتقدها من الجزم والاعتقاد الثابت الذي لا يدخل فيه ريب ولا شك.

ونستخلص مما تقدَّم ما يلي:

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لفضيلة الشيخ محمَّد الصالح العثيمين (ص١٤) الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح بن فوزان الفوزان (٦/١) الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ط. رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.

(٣) عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري (ص٢٣) الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ط. دار الشروق، جدة.

١- إن مفهوم العقيدة العام هو ما تصدق به النفوس، وتجزم بـــه القلـــوب بصرف النظر عن نوع هذا المعتقد حقاً أو باطلاً.

٢- إن مفهوم العقيدة الخاص يتحدد باعتبار ما يضاف إليه حقاً أو بـــاطلاً فتضاف العقيدة إلى الاعتقاد الحق المبني على الكتاب والسنّة، فيقـــال: (عقيدة أهل السنة والجماعـــة) أو تضـــاف إلى الاعتقـــاد البـــاطل، أو ما خالطه الباطل، فيقال: هذه عقائد المعتزلة أو الشيعة أو نحو ذلك.

٣- إن العقيدة: إذا أطلقت فقيل: (العقيدة الإسلامية) فإن المراد بها عقيـــدة أهل السنة والجماعة لأنها هي الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده.

٤- إن لفظ العقيدة وإن لم يرد في الكتاب والسنّة فقد ورد معنـــاه وهـــو الإيمان، وقال به سلف الأمة وأئمتها.

ثانياً: مكانة العقيدة وأهميتها:

العقيدة هي الركن الأساس الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم؛ لأنها هي الجذر الأول في بنائه وتكوين إيمانه بالله، وهي العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجّه لإرادته، ومتى صحت لديه هذه العقيدة استقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والمفسدة الدنيوية والأخروية.

من هنا ندرك أهمية العقيدة الصحيحة في توجيه الإرادة إلى أنواع من السلوك الطيب الذي يجلب لنا المصلحة والنفع أو يدفع عنا مفسدة أو مضرة في العاجل والآجل.

وإن أوّل ما يُبْدَأُ به في الدعوة إلى الله هو العقيدة وفق ما في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، فطالما أنَّ العقيدة هي الأساسي، فيجب أن تكون هي أول ما يدعو إليه الداعية الناس، ملتزماً فيها بالكتاب والسنّة وفق منهج أهل السنّة والجماعة.

ولقد كان لأمهات المؤمنين ـ رضوان الله تعالى عنهن ـ نصيب عظيم في ضرب أروع الأمثلة في الاهتمام بالعقيدة وبيان مكانتها تمثل ذلك من خلال كثرة مروياتهن عن النبي ﷺ في هذا الباب المهم الذي هو أساس الدين وقاعدته فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره البخاري في صحيحه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سأل ناس رسول الله ﷺ

فقال: ليس بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مئة كذبة"[1].

والحديث عظيم في بابه دالٌّ على أهمية الحفاظ على العقيدة الصحيحة من أن يشوبها شيء من أكدار الخرافة وسوء المعتقد، أورده البخاري -رحمه الله- في باب الكهانة، وقد ورد بروايات متعددة لغير واحدة من أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- ليتأكد حرصهن على هذا الجانب المهم فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن بعض أزواج[2] النبي ﷺ أنه قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[3].

والشاهد من هذه الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين للأمة عن رسول الله ﷺ هو التأكيد على أهمية العقيدة الصحيحة وعلومها المتعددة ومنها تحريم إتيان الكهان ومن حذا حذوهم، وعموماً فإن الناظر في التوجيهات الشرعية الواردة في آي الكتاب الكريم وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، يدرك تماماً أنها توجه إلى اتخاذ السبيل السليم نحو التماس العقيدة الصحيحة والأخذ بحقائقها، فمن ذلك قوله تعالى: **{قلْ إنَّما أعِظُكُمْ بواحدةٍ أنْ تَقُومُوا لله مثْنَى وفُرَادَى ثُم تتفكّروا ما بَصَاحِبكُمْ مِنْ جِنَّةٍ}**[4].

ويقول سبحانه في معرض الردّ على منكري وجوده عزَّ وجلَّ ملجئاً لهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب، باب: الكهانة، حديث رقم: (٥٧٦٢) (ص١٢٤٨). وورد في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث رقم: (٣٢١٠) (ص٦٧٩).

(٢) هي حفصة -رضي الله عنها-، انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢١٧/١٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم: (٢٢٣٠) (ص٩١٧).

(٤) سورة سبأ، آية: (٤٦).

إلى قوانين الفطرة الإنسانية الأصلية {**أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ شيءٍ أمْ هُمُ الخَالِقُون، أم خَلَقوا السماواتِ والأرضَ بلْ لاَ يُوقِنُونَ**}[(١)].

وكذلك قوله تعالى في معرض الحديث عن قضية البعث {**بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهمْ فهُمْ في أمرٍ مريجٍ، أفلمْ ينظروا إلى السماءِ فوقَهمْ كيف بنَيْنَاها وزيَّنَّاها وما لها مِنْ فُروجٍ، والأرضَ مددْنَاها وألقينا فيهَا رواسي وأنبتنا فيها مِنْ كلِّ زوجٍ بهيجٍ، تبصرةً وذكرى لكلِ عبدٍ منيبٍ**}[(٢)].

قال صاحب تفسير فتح القدير: «وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث وإيقاظ لهم عن سِنَة الغفلة وبيان لإمكان ذلك وعدم امتناعه»[(٣)].

ومما يدلُّ على أهمية هذا الأمر وتقريره في النفوس، نلاحظ أن أول شيءٍ قام به رسول الله ﷺ هو الدعوة إلى العقيدة الصحيحة لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة، كما كانت هي أول شيء قام به رسل الله ﷺ جميعاً قال تعالى: {**وما أرسلنا مِنْ قبلِكَ مِنْ رَسولٍ إلاَّ نُوحي إليه أنه لا إلهَ إلا أنا فاعبدُونِ**}[(٤)].

ووقف رسول الله ﷺ يصدع بكلمة الحقّ ويهتف بها في الناس قائلاً:

---

(١) سورة الطور، آية: (٣٥-٣٦).

(٢) سورة ق، من آية: (٥-٨)

(٣) فتح القدير للإمام الشوكاني (٥/٧٢).

(٤) سورة الأنبياء، آية: (٢٥).

"يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[1].

وظلّ القرآن الكريم في مكة المكرمة يتنزّل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً، يحدِّثه فيها عن أهم قضية، القضية الأولى والكبرى والأساسية في هذا الدين قضية العقيدة وتوحيد الله عزَّ وجلَّ.

وما ذاك إلا لأنه إذا تمكنت هذه العقيدة الصحيحة في القلوب أثمرت الفضائل الإنسانية وتبعها كل خير من عمل صالح وخلق كريم.

ولقد ربط الله سبحانه وتعالى السعادة مع إصلاح العمل بالعقيدة الصحيحة -ومنها الإيمان بالله- في مثل قوله تعالى: {**مَنْ عملَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمنٌ فلنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيبةً**}[2]. وقوله تعالى: {**ومَنْ أرادَ الآخرةَ وسَعَى لها سَعْيَها وهو مؤمنٌ فأولئك كانَ سعْيُهمْ مشكوراً**}[3].

وأحبط الأعمال الصالحة بزواله في مثل قوله: {**والذين كفروا أعمالُهمْ كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمْآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابَه والله سريع الحساب**}[4] وقوله: {**مثل الذينَ كفروا بربّهمْ أعمالهمْ كرمادٍ اشتدَّتْ به الريح في**

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جزء من الحديث رقم: (١٦١١٦) (ص١١٣٤) والحديث من رواية ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي، وهو صحيح لغيره. انظر: حاشية تحقيق مسند الإمام أحمد لمجموعة من العلماء (٤٠٥/٢٥) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

(٢) سورة النحل، آية: (٩٧).

(٣) سورة الإسراء، آية: (١٩).

(٤) سورة النور، آية: (٣٩).

يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد}[1] وقوله: {**وقَدِمْنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً}**[2].

ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً -كما قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة...)[3] الحديث- فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويُعبد[4].

ولقد غرس النبي ﷺ تلك العقيدة الصحيحة في نفوس أصحابه، وربَّاهم عليها وعرَّفهم برهم سبحانه وتعالى، وعرَّفهم تكاليف هذه العقيدة وتبعاتها وأعباءها، وصبروا على الطريق الطويل الشاق، بعد ذلك جاءت العناية بكل جوانب البناء الضخم لهذه الشريعة الخالدة من عبادة وأخلاق وتشريع، فالعقيدة الصحيحة مثلها مثل الشجرة الطيبة التي لا ينقطع ثمرها، فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، قال تعالى: {**ألم تر كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ تؤتِي أكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها ويضربُ اللهُ الأمثالَ للنَّاسِ لعلَّهم يتذكَّرونَ}**[5].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: (١٨).

(٢) سورة الفرقان، آية: (٢٣).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٨٥) (ص٢٩٠)، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ونصه: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء). ورواه مسلم بلفظ آخر في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: (٢٦٥٨) (ص١٠٦٦).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٢/٥-٦).

(٥) سورة إبراهيم، آية: (٢٤-٢٥).

وسار على هذا النهج في بثّ العقيدة الصحيحة وعلومها والعناية بنشرها وبيان أهميتها صحابة رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين -رضي الله عن الجميع- كلٌّ حسب قدرته وعلمه واستطاعته فصاحب السيف بسيفه والعالم بعلمه والواعظ في موعظته والمحدّث في حديثه فجزى الله الجميع خير الجزاء.

المبحث الثاني

اهتمامهن بالعقيدة تعلماً وتعليماً

أولاً: اهتمامهن بتعلم العقيدة:

لقد عُنِيَتْ أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- بتعلم العقيدة من المعين الصافي والمنبع الثر من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله ﷺ فكُنَّ من أكثر الناس سبقاً وسؤالاً وتعلماً لهذه العقيدة، فهذه أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- تضرب لنا أروع الأمثلة في الحرص على تعلم هذه العقيدة، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: "كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك، والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: "أيها الناس! فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس، فقال رسول الله ﷺ: "إني لكم فرطٌ على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً""(١).

والحوض مما لا يختلف في إثباته والإيمان به والاعتقاد به عند أهل السنة والجماعة وذلك لثبوت أحاديثه وصحتها، فقد أورد النووي -رحمه الله-

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٢٩٤) (ص٩٤٠)، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

أقوالاً لبعض أهل العلم في ذلك فقال -رحمه الله-: «قال القاضي عياض[1]: أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان. وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة»[2].

ورد في بعض روايات الحديث بلفظ: "رب أصيحابي أصيحابي"[3].

قال النووي[4] -رحمه الله-: «وقع في الروايات مصغراً مكرراً وفي بعض النسخ أصحابي أصحابي مكبراً مكرراً، قال القاضي: هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: سحقاً سحقاً، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم»[5].

---

(١) هو الإمام العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة، توفي في مراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠). وتذكرة الحفاظ (١٣٠٤/٤-١٣٠٧). والبداية والنهاية (٢٢٥/١٢).

(٢) النووي على مسلم (٥٣/١٥) ونصه: "ومنهم ابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب، وأبي ذر وثوبان... ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم. ....ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة، قال القاضي وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً".

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣٠٤) (ص٩٤٢).

(٤) هو الإمام يحيى بن شرف الحوراني النووي الشافعي، مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية وإليها نسبته، ولد سنة ٦٣١هـ، له تصانيف عديدة أشهرها شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين والأذكار والأربعين والمجموع شرح المهذب، توفي -رحمه الله- سنة ٦٧٦هـ، انظر: الأعلام للزركلي (١٤٩/٨).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٤/١٥) كتاب الفضائل، باب: حوض نبينا ﷺ وصفته.

وفي شرح الطحاوية: «أن الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: "أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[1].

هذا ومما يجب التنبيه له والإشارة إليه، أن لفظ أصحابي الوارد في الحديث ليس المقصود به أصحاب النبي ﷺ، وإنما المراد منه أنهم الناس الذين يخصُّونه، أي أنهم من أتباعه، أو من أمته.

ومما يدلُّ على حرصهن على تعلم العقيدة سؤال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن أصل مهم جداً في الاعتقاد وهو أن العمل الصالح إذا لم يبن على الإيمان وتوحيد الله عزَّ وجلَّ لا ينفع صاحبه، فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"[2].

قال النووي -رحمه الله-: «ومعنى الحديث أن ما كان يفعله من الصلة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي (ص٢٥٠-٢٥١).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٤) (ص١١٥) كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل.

والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافراً وهو معنى قوله ﷺ: لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، أي لم يكن مصدقاً بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل»[1].

وهذا مما يدل عليه قوله تعالى: {**فمن كان يرجواْ لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربه أحداً**}[2].

حيث تضمنت الآية شرطين أساسيين لقبول العمل وهما: أن يكون خالصاً وصواباً.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ»[3].

والآيات الدالة على تقرير أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، كثيرة منها قوله تعالى: {**مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرونَ مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلالُ البعيدُ**}[4]. وقوله: {**وقدِمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً**}[5]، وقوله تعالى: {**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرٌّ أصابتْ حرثَ قومٍ ظلمُوا أنفسهُمْ فأهلكتْهُ وما ظلَمَهم الله**

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٧/٣) كتاب الإيمان، باب: من مات على الكفر لا ينفعه عمل.

(٢) سورة الكهف، آية: (١١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٠٨/٣).

(٤) سورة إبراهيم، آية: (١٨).

(٥) سورة الفرقان، آية: (٢٣).

ولكن أنفسَهُمْ يظلِمُونَ}[1].

وهذه أم المؤمنين أم حبيبة وأم سلمة -رضوان الله عليهما- يذكران أمراً للنبي ﷺ رأتاه في أرض الحبشة أيام هجرتهما، ويعرضان الأمر عليه ﷺ للاستفسار والعلم بهذا الأصل المهم، الذي لا يستغني عن معرفته والعلم به كل مسلم، لأنه يمس جانباً مهماً في تصحيح العقيدة وتحقيق التوجه لله الواحد الأحد قلباً وقالباً، والعمل على سدّ جميع الأبواب المؤدية والمفضية إلى الشرك، فقد روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[2].

والحديث عظيم في بابه وقد ورد بروايات متعددة رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه، وكذلك أصحاب السنن، وكلها تؤكد على تحريم[3] بناء المساجد على القبور وعدم تعظيمها وتجصيصها وإنارتها والبناء عليها والكتابة عليها والصلاة عليها أو إليها.

---

(١) سورة آل عمران، آية: (١١٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٢٧) (ص١٠٦)، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد. ورواه مسلم في كتاب المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم: (٥٢٨) (ص٢١٣).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن الوهاب (ت: ١٢٣٣هـ) (ص٧٠٤) الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

قال ابن حجر -رحمه الله-: «وفي الحديث جواز حكاية ما يشاهد المؤمن من العجائب، ووجوب بيان حكم ذلك على العالم به وذمّ فاعل المحرمات، وأن الاعتبار في الأحكام بالشرع لا بالعقل، وفيه كراهية الصلاة في المقابر سواء كانت بجنب القبر أو عليه أو إليه»(١).

ومما يدل على حرص أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- على تعلم العقيدة والرجوع فيما يشكل من ذلك إلى رسول الله ﷺ لتوضيحه وبيانه، ما رواه البخاري في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "أن يهوديةً دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: نعم، عذاب القبر حق، قالت عائشة -رضي الله عنها، فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر"(٢).

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على حرص أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على التثبت في ما ذكر لها من أمر عذاب القبر من اليهودية التي زارتها، لذلك سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، وما ذاك إلا لأنه أمر مهم من أمور الاعتقاد يهم كل مسلم والحديث ورد بروايات متعددة وكثيرة كلها تثبت عذاب القبر، وعلّمنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله منه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يقول: "قال

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٥٢٥).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٧٢) (ص٢٨٨) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر.

رسول الله ﷺ: "عوذوا بالله من عذاب الله، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجَّال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات"(١).

قال ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لحديث عائشة بعد أن ساق عدة روايات كلها في هذا الباب، قوله: «وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر، وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين،...... وفيه ذم التقليد في الاعتقادات لمعاقبة من قال: كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فقلته، وفيه أن الميت يحيى(٢) في قبره للمسألة»(٣).

هذا وإن أعظم درس عملي تعلمته أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في العقيدة من رسول الله ﷺ، هو ما كُنَّ يشاهدنه في حياته وعشرته والتعامل معه من صِدْقِهِ وتوكله على الله وتفويض أموره إليه وخشيته ومراقبته سبحانه، وأخص بالذكر قضية التوكل الكامل والمطلق عليه سبحانه في كل شيء ومنها أمر الرزق.

فقد عشن -رضوان الله عليهن- في بيت النبوة الذي كان هو المدرسة

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٥٨٩) (ص٢٣٤) كتاب المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة.

(٢) "المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتدبيره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضة، كما حي خلق لكثير من الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى" فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣/٢٤٠-٢٤١) بتصرف.

(٣) المصدر السابق (٣/٢٤٠).

الأولى والمثلى والعظمى لكل مسلم في التوكل على الله، فقد كان يدخل عليه الصلاة والسلام البيت من بيوته ويسأل: هل عندكم طعام، من شدة الجوع، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أم عطية الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: "دخل النبي ﷺ على عائشة -رضي الله عنها- فقال: هل عندكم شيء؟ فقالت: لا، إلا شيء بعثت به إلينا نُسيبة من الشاة التي بعثت بها من الصدقة، فقال: إنها قد بلغت محلها"(١).

والحديث وإن كان البخاري -رحمه الله- قد ساقه لبيان حكم شرعي يتعلق بتحول الصدقة بعد أدائها، إلا أن دلالة الحديث ظاهرة وواضحة للحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من الكفاف والتقلل من متاع الدنيا وزينتها، بل وما هو أقل من ذلك مما لا يستغنى عنه من المطعم والمشرب، وقبل ذلك هو ما تعلمته أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن جميعاً- من أمر العقيدة في التوكل على الله والاعتماد عليه وربط القلب بالله الواحد الأحد، وأن الرزق بيده سبحانه وتعالى، وأن العبد يكون أوثق بما في يد الله مما هو في يده، فأثمر هذا الدرس في العقيدة ثمرة لم تر الدنيا لها مثيلاً، في حياة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- وبعد وفاة رسول الله ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى، فضربن أروع الأمثلة في الإنفاق

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٤٩٤) (ص٣١٦) كتاب الزكاة، باب: إذا تحولت الصدقة، ومعنى بلغت محلها، أي أنها لما تصرفت فيها بالهدية لصحة ملكها لها انتقلت عن حكم الصدقة فحلت محل الهدية، وكانت تحل لرسول الله ﷺ بخلاف الصدقة. انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٥٧/٣).

ثانياً: اهتمامهن بتعليم العقيدة:

إن الناظر في الميراث الذي وصل إلى الأمة عن طريق أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في مجال العقيدة الصحيحة، ليدرك مقدار الخير الذي لحق الأمة بتعلم العقيدة الصحيحة منهن -رضوان الله تعالى عنهن-.

فهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- تروي لنا حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام تعلمت منه الأمة الكثير من أمر العقيدة فيما يختص بخروج يأجوج ومأجوج، والأسباب التي توجب عذاب الله عزَّ وجلَّ وسخطه، فقد روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-: "أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه -وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها- قالت زينب ابنة جحش، فقلت: يا رسول الله ﷺ! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث"(١).

والحديث قرر وجود أمة يأجوج ومأجوج وأن خروجهما من أشراط الساعة وعلاماتها، وعلى كل مسلم الحذر من ذلك بكثرة العمل الصالح وسؤال الله السلامة من هذه الفتن التي تحدث في آخر الزمان، لأنه ورد في بعض الروايات أنه ﷺ "خرج محمراً وجهه"(٢)، وفي رواية "استيقظ من نومه

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧١٣٥) (ص١٥٠٣) كتاب الفتن، باب: يأجوج ومأجوج. ورواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: (٢٨٨٠) (ص١١٥٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٨٠) (ص١١٥٤) كتاب الفتن، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

وهـو يقـول: لا إلـه إلا ا لله..." [1] الحديـث، ومـا ذاك إلا لخطـورة الأمـر وشـدته وأنـه بـاب مـن أبـواب الفـتن الـتي سـتكون في آخـر الزمـان، وأما تخصيصه ﷺ للعرب بالويل في قوله: "ويل للعرب من شر قد اقـترب". قال ابن حجر -رحمه ا لله-: «خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذٍ معظم من أسلم» [2]، وأما المراد بقوله: "مـن ردم يـأجوج ومـأجوج" المـراد بـالردم السدّ الذي بناه ذو القرنين" [3].

وأما استفسار أم المؤمنين -رضي ا لله عنها- عن أسـباب النجـاة وعـدم الهلاك مع وجـود الصـالحين، فقـد قـال ابـن حجـر -رحمـه ا لله-: «كأنهـا أخذت ذلك من قوله تعالى: ﴿**وما كان ا لله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾، والمراد بالخبث، فسروه بالزنا وبأولاد الزنـا وبالفسـوق والفجـور، وهـو أولى لأنـه قابله بالصلاح" [4].

«ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصـل الهـلاك العـام وإن كـان هناك صالحون» [5].

وهذا لا يعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستسـلام لأهـل الشر والفساد، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب دفع البـلاء والعذاب، ويجب على كل من آمن با لله واليوم الآخر القيام به عملاً بقولـه ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٨٠) (ص١١٥٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- (١٣/١٠٧-١٠٩).

(٣) المصدر السابق (١٣/١٠٧-١٠٩).

(٤) المصدر السابق (١٣/١٠٧-١٠٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/١٨).

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1].

ثم بعد ذلك لو قضى الله عزَّ وجلَّ أمراً بالهلاك أو غيره فإن كلاً يبعث على نيته، هذا إذا كان الهلاك عاماً، أما لو كان محدوداً وقبل المهلكات العظام وقبل أشراط الساعة التي لا ينجو منها أحد، فقد وعد الله عزَّ وجلَّ بنجاة المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿فلما نسُوا ما ذُكّروا به أنجينا الذينَ ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يفسقون﴾[2].

وهذه أم المؤمنين حفصة وأم المؤمنين أم سلمة -رضوان الله عليهما- يرويان للأمة حديثاً عظيماً عن فتن آخر الزمان التي تحدث قبل أشراط الساعة، وتتعلم منهم الأمة خبراً حدَّث به ﷺ، فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (ليؤمَنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأوسطهم، وينادي أولهم آخرهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم)[3]. وورد برواية أخرى عن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-.

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٤٩) (ص٥١) كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٢) سورة الأعراف، آية: (١٦٥).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٨٣) (ص١١٥٥) كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

والحديث فيه إشارة لما ورد في الحديث السابق من أن المسلم يحرص أشد الحرص ألا يكون إلا مع الأخيار ويتجنب مسالك وموارد الفجار لئلا ينزل بهم عذاب أو سخط فيصيبه ما أصابهم، والحديث فيه إخبار عن المغيبات التي ستكون في آخر الزمان، وظنّ الناس بأن هذا سيقع أيام فتنة ابن الزبير التي حصلت بمكة ففي رواية أم سلمة أنه (دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان على أم سلمة فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول الله ﷺ ويعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت: يا رسول الله! كيف بمن كان كارهاً؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)[1].

وفي باب الوسطية في الدين وعدم الغلو فيه وأن الخير كل الخير في اتباع ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام والشر كل الشر في الابتداع، تروي لنا أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عدة أحاديث في هذا الباب المهم الذي أوردته كتب العقائد، نظراً لأهميته ومكانته لدى كل مؤمن، فقد روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله! إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٨٨٢) (ص١١٥٥) كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

ثم يقول: إن أتقاكم وأعلمكم با لله أنا"[1].

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث ما ذكره صاحب فتح الباري -رحمه الله- بقوله: "إن الأولى في العبادة القصد والملازمة، لا المبالغة المفضية إلى الترك.

ومنها: أن العبد إذا بلغ الغاية في العبادة وثمراتها كان ذلك أدعى له إلى المواظبة عليها، استبقاءً للنعمة واستزادة لها بالشكر عليها.

ومنها: الوقوف عند ما حدَّ الشارع من عزيمة ورخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له»[2].

وتأكيداً لهذا الأصل وتقريراً له في عقيدة كل مؤمن أورد صاحب شرح الطحاوية -رحمه الله- في شرحه لمتن الطحاوية حديثاً عند قول الطحاوي -رحمه الله- «ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغلو والتقصير...»[3].

قال الشارح -رحمه الله-: «وفي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها-: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: ما بال أقوامٍ يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر، وأنام وأرقد، وآكل

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٠) (ص١٨) كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ أنا أعلمكم با لله.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٧١/١) بتصرف.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٥٨٥).

اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وهذه أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها- تعطينا درساً في الثبات على الإسلام والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة حتى ولو اجتمع من على ظهرها ليفسدوا عليها دينها أو تكالبت عليها الظروف القاسية لحلّ عزيمتها ويقينها على الله بأن كل ذلك لا يؤثر عليها، ما دامت متمسكة بدينها معتمدة على خالقها وقد فوضت أمرها إليه وألجأت ظهرها إليه تمثل ذلك واضحاً جلياً، حين كانت في أرض الغربة من أرض الحبشة التي هاجرت إليها فراراً بدينها وعقيدتها مثلها مثل غيرها من المؤمنين والمؤمنات الذين ضحوا بالغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل الله وثباتاً على كلمة لا إله إلا الله محمَّد رسول الله ﷺ.

لكن أم المؤمنين -رضي الله عنها- حصل لها ما لم يحصل لغيرها، فقد نالها من المصائب والنوازل ما لو نزل بغيرها لتضعضع جانبه وتهدمت أركانه بل وربما تزحزح والعياذ بالله عن عقيدته، ذلكم هو ارتداد زوجها عبيد الله بن جحش عن الإسلام، زوجها الذي هاجرت معه من أجل الإسلام زوجها الذي أصبح والداً لابنتها حبيبة التي كانت بها تكنى، لكن الإيمان الذي رسخ في قلب أم المؤمنين وعقيدتها برب العالمين بأنه لا يضيعها، جعلها تثبت على دينها، وتضحي بزوجها وتفوض أمرها

(١) أخرجه مسلم بهذا اللفظ من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- برقم (١٤٠١) (ص٥٤٩) كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

لخالقها[1]، وتستفيد الأمة من هذا الموقف درساً في العقيدة با لله والتوكل عليه، كل ذلك كان تمهيداً وفرجاً من عند ا لله لأن تكون أماً للمؤمنين وزوجاً لرسول ربّ العالمين بدخولها في بيته ﷺ، ومن الدروس التي تعلمتها الأمة في العقيدة الصحيحة من أم المؤمنين أم حبيبة -رضي ا لله عنها- ما أفرد له العلماء كتباً خاصة به نظراً لأهميته ودوره في بناء العقيدة الصحيحة لدى كل مسلم، ذلكم هو الولاء والبراء.

فهذا أبو سفيان بن حرب قدم إلى المدينة يريد أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يُقبل عليه رسول ا لله ﷺ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية! أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول ا لله ﷺ وأنت أمرؤ نجس مشرك، فقال: يا بينه لقد أصابك بعدي شر[2].

وحقيقة فإن هذا الدرس العظيم في العقيدة المتضمن لتقديم محبة ا لله ومحبة رسوله ﷺ على النفس والنفيس، ضربت فيه أمهات المؤمنين ﷺ -رضوان ا لله تعالى عنهن- أروع المثل وأثبت ا لله عزَّ وجلَّ لهن ذلك في كتابه الكريم وبقي قرآناً يتلَى إلى يوم القيامة. تمثل ذلك واضحاً جلياً حينما وقف زوجاته ﷺ من قضية التخيير موقفاً حاسماً لا تردد فيه، فإنهن اخترن ا لله ورسوله والدار الآخرة، فقد كُنَّ -رضوان ا لله تعالى عنهن- يطلبن منه

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٩). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٢٠).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٩-١٠٠). وانظر: صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي (١/٣٥٨).

ﷺ التوسعة في النفقة، وكنَّ يدافعن عن ذلك بكل ما يستطاع، فلما وصل الأمر إلى وضعهن أمام خيارين: الحياة الدنيا وزينتها، أو الله ورسوله والدار الآخرة، لم يترددن لحظة واحدة في الاختيار الثاني، فقد اخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "لما أُمِر رسول الله بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إنْ كنتنَّ تردنَ الحياة الدنيا وزينتها**﴾ إلى قوله ﴿**عظيماً**﴾ قالت: فقلت: ففي أيِّ هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت"[1].

وهذه أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- تسطر للأمة دروساً في تقديم محبة الله ورسوله على محبة كل أحد وتضحي في سبيل ذلك بكل غالٍ ورخيص بمالها وجاهها ومكانتها ونفسها ونفيسها، فحازت بسبب ذلك خيراً وفضلاً وسبقاً لم تدركه غيرها من النساء. وفي هذا يقول صاحب فتح الباري -رحمه الله- في شرح بعض الأحاديث الواردة في فضلها: «ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، وفيه دليل على

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿إن كنتنَّ تردن الله ورسوله...﴾. ورواه مسلم، حديث رقم: (١٤٧٥) (ص٥٩١)، كتاب الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية. والآيات في سورة الأحزاب برقم: (٢٨، ٢٩).

عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها. ومما اختصت به، سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنّت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت: "من سن سنة حسنة..."[1]. وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال. ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل»[2].

وهكذا تظهر الدروس العملية في قوة الاعتقاد بالله والإيمان بوعده من حياة أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها وأرضاها-.

وهذه أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- تعطينا درساً في العقيدة تتعلمه منها الأمة في أصل مهم وعظيم، وحقيقةً فإن هذا الفضل قد شاركتها فيه كثير من أمهات المؤمنين مثل أم حبيبة وسودة وحفصة وغيرهن من المؤمنات. ذلكم هو الهجرة إلى الله ورسوله، لأن الهجرة شأنها عظيم، وأمرها كبير؛ إذ هي فرع الولاء والبراء، بل إنها من أبرز تكاليف الولاء والبراء، وما كانت الجماعة المسلمة لتترك أرضها وقومها وتتكبد مشاق الغربة لولا أن ذلك تكليف ربانيٌّ لمن لا يستطيع أن يقيم دينه، ويظهر إسلامه في أرضه. ولكن أم سلمة -رضي الله عنها- كان لها سبقٌ في الهجرة لم يكن لغيرها، ذلك هو هجرتها إلى الحبشة مرتين هي وزوجها أبوسلمة[3].

---

(١) والحديث أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...، حديث رقم: (١٠١٧) (٢/٧٠٤-٧٠٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٣٧/٧).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٠٣-٢٠٧)

وأعظم من هذا وذاك هو أنها كانت أول ظعينة[1] دخلت المدينة مهاجرة. وذلك في قصة معروفة ذكرها أصحاب السير ملخصها: "أنها فُرِّق بينها وبين زوجها وولدها بسبب الإسلام والهجرة، ثم رقّق الله قلوب قومها عليها فردوا لها ولدها وسمحوا لها باللحاق بزوجها وهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم، رآها عثمان بن طلحة فأوصلها إلى المدينة ورجع قافلاً إلى مكة"[2].

والهجرة وإن كانت في معناها الاصطلاحي الشرعي: الانتقال من بلد الكفر والشرك إلى دار الإسلام[3]، إلاّ أن لها شأناً عظيماً في إقامة دين الله في الأرض ولا يقدم عليها إلا من قويَ إيمانه بالله ورسخت عقيدته بتصديق موعود الله فيها في قوله تعالى: **﴿ومن يهاجرْ في سبيلِ اللهِ يجدْ في الأرضِ مُراغَماً كثيراً وسعةً﴾**[4].

ولأهمية موضوع الهجرة خاصة في أول الإسلام فقد قطع الله ولاية التناصر بين المسلمين المهاجرين في المدينة وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وبقوا في مكة دون المستضعفين، قال تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهمْ في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من**

---

(١) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد الطبري (ص١٣٣).

(٢) انظر هذا الخبر في مسند الإمام أحمد (٣٠٧/٦) الطبعة الثانية (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٨٥/٥). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٦/٢).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٦/١).

(٤) سورة النساء، آية: (١٠٠).

شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قومٍ بينكمْ وبينهمْ ميثاقٌ وا للهُ بما تعملونَ بصيرٌ﴾[1].

وبهذا تكون أم سلمة -رضي ا لله عنها- قد علّمت من بعدها درساً في اليقين والتوكل على ا لله في قصدها الهجرة وحدها من مكة إلى المدينة حبّاً لله ولرسوله ﷺ، مؤثرةً ما يبقى على ما يفنَى، تاركةً الأرض والأهل والعشيرة، فرضي ا لله عنها وعن أمهات المؤمنين.

وهذه أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله عنها- الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات تعطي الأمة درساً في العقيدة هو قمة الصدق مع ا لله واليقين على ا لله بأنَّ ا لله عز وجل لا يضيع عبده المؤمن لو اجتمع عليه من على ظهرها، وأن المؤمن طريقه إلى رضا ا لله هو التوكل عليه والصدق معه والإنابة إليه. تمثل ذلك واضحاً جلياً في خبر الإفك الذي أثبته ا لله في كتابه يُتلَى إلى يوم القيامة، تأكيداً على براءة أم المؤمنين -رضي ا لله عنها- مما نُسب إليها وادُّعي عليها فيه، والذي يزيد الأمر تألقاً هو أن معظم من حضر لم تتضح أمامهم الرؤية وعُمي عليهم الحق إلا القليل الذين رزقهم ا لله اليقين والثبات وأدركوا بثاقب نظرهم أن ا لله عز وجل ما كان ليرضى على نبيه وصفوة رسله أن يكون في بيته شيء مما لا يليق بعباد ا لله الصالحين فكيف بسيد المرسلين ﷺ.

والشاهد في هذا هو قول عائشة -رضي ا لله عنها- حينما اشتد الكرب وضاق الأمر واستفحل الخبر ووقع من وقع في سوء الظن وأتى رسول ا لله ﷺ

---

(١) سورة الأنفال، آية: (٧٢).

إلى مترل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قالت عائشة -رضي الله عنها- : "...فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال: فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: {**فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**}(1). ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذٍ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مترلٌ في شأني وحياً يتلَى. لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من

---

(1) سورة يوسف، الآية: (١٨).

أهل البيت، حتى أنزل عليه... فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك..."[1] الحديث.

وهكذا ضربت لنا أم المؤمنين -رضي الله عنها- أروع مثل في أن الله عز وجل لا يضيع عبده لو كاده أهل السماوات والأرض، طالما أنه معتصم بالله صادق في مخبره ومظهره، وأن العاقبة للمتقين. وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفي الحديث فضائل جمة لعائشة ولأبويها -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وفيه أن الشدة إذا اشتدت يعقبها الفرج، وفضل من يفوض الأمر لربه، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها، والله المستعان. وفيه التأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم. وفيه ذمّ إشاعة الفاحشة، وتحريم الشك في براءة عائشة»[2].

وهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- تعلمنا درساً في العقيدة الصحيحة يُستنبط من حادثة الإفك السابقة، ذلك حين شهدت لها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في سياق الحديث السابق حين قالت -رضي الله عنها-: "وكان رسو ل الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب، ماذا علمت أو رأيت؟ قالت: يا رسول الله أحمي سمعي

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤١٤١) (ص٨٦٨) كتاب المغازي، باب: حديث الإفك.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٨/٤٨٠-٤٨١) بتصرف.

وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت: عائشة، وهي التي كانت تسـاميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع"[1].

وهذا الموقف من زينب -رضي الله عنها- تمثل فيه استحضارها لعظمة الله عز وجل وعلمه بالسرائر وأن المؤمن لا يحل له أن يقول في أخيه إلا خيراً ما دام أنه كذلك، وإلا لو ضعف الإيمان وقوة المراقبة لله عند أم المؤمنين زينب لقالت غير ذلك توطئة لنفسها ورفعة لمكانتها، لتنفرد برسول الله ﷺ إذا تخلى عن التي تساميها من أزواجه، ولكنه الإيمان بالله وصدق المعتقد فيه سبحانه بأن المؤمن لا يجري على لسانه إلا ما يعلم أن الله يرضاه ويمسك عما سوى ذلك.

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤١٤١) (ص٨٦٩) كتاب المغازي، باب: حديث الإفك.

المبحث الثالث

نماذج من مروياتهن في العقيدة

لقد حفلت كتب الحديث بالروايات المتعددة لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في مجال العقيدة وغيرها، وإن المتتبع لذلك يجد ميراثاً عظيماً ورثته أمهات المؤمنين في هذا المضمار، فهذه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تروي عن رسول الله ﷺ حديثاً يعتبر من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده في تأصيل العقيدة والشريعة، وبناء عبادة المسلم بناءً صحيحاً راسخاً، إذا هو التزم بما ورد فيه وطبقه في حياته.

فقد أخرج البخاري -رحمه الله- في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)[1].

وفي رواية لمسلم عنها -رضي الله عنها-، أن رسول الله ﷺ قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)[2].

وللنووي -رحمه الله- كلام نفيس في شرحه لهذين الحديثين، فقد قال رحمه الله: «قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)، وفي الرواية الثانية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)، قال أهل العربية:

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٩٧) (ص٥٦٣)، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٧١٨) (ص٧١٤)، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

الردُّ هنا: بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في ردّ كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سُبِق إليها، فإذا احتُجَّ عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح بردّ كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل أو سُبِق بإحداثها، وفي هذا الحديث دليل لمن يقول من الأصوليين: أن النهي يقتضي الفساد، ومن قال لا يقتضي الفساد، يقول: هذا خبر واحد، ولا يكفي في إثبات هذه القاعدة المهمة، وهذا جواب فاسد.

وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به»[1].

وهكذا فإن في رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لهذا الحديث تعليماً للأمة في أصل مهم من أصول الدين، فهذا الحديث يقف سداً منيعاً في وجه كل من تحدثه نفسه بإفساد عقيدة المسلمين أو شريعتهم، كما أنه يغلق باب البدع والإحداث في دين الله، فدين الإسلام -بحمد الله- كامل مكمل لا يحتاج من أحد إضافة أو زيادة، قال تعالى: {**اليوم أكملت لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلامَ ديناً...**} الآية[2].

ومما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في موضوع العقيدة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢).

(٢) سورة المائدة، الآية رقم: (٣).

ما أخرجه البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- "أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ{**قل هو الله أحد**} فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه"[1].

والحديث واضح الدلالة في توضيح العقيدة الصحيحة حيث اشتمل على تقرير أن لله عز وجل صفاتٍ تليق بجلاله وعظمته أثبتها القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وكذلك إثبات المحبة المشتركة بين الله ومن شاء من خلقه.

قال صاحب فتح الباري -رحمه الله-: «وقد قسم البيهقي وجماعة من أئمة السنة جميع الأسماء المذكورة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الصحيحة على قسمين: أحدهما صفات ذاته وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، والثاني صفات فعله وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، قال: ولا يجوز وصفه إلا بما دلّ عليه الكتاب والسنّة الصحيحة الثابتة أو أُجمِعَ عليه»[2]. ثم قال -رحمه الله-: «ويحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دلّ عليه كلامه، لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده»[3] انتهى.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧٣٧٥) (ص١٥٤٩)، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ط. دار الأرقم، بيروت - لبنان.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٥٧/١٣).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١٣)، وقد نقل الحافظ هذا القول عن ابن دقيق العيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فإن الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، كقوله تعالى: {**والذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله**}[1]، وقوله: {**إن الله يحب المتقين**}[2] وقوله: {**إنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**}[3]، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[4]، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام»[5].

وروى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: سحر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٦٥).

(٢) سورة التوبة، آية: (٤).

(٣) سورة البقرة، آية: (٢٢٢).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢١) (ص١٨)، كتاب الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٢/٣٥٤).

عند رجلي؟ فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال في مشط ومشاطة[1]، قال: وجُفِّ طَلْعَةِ[2] ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان[3]، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته، قال: لا، أمَّا أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شرّاً، فأمرت فدفنت"[4].

وهذا الحديث تناقلته كتب العقائد وأثبتته في باب السحر وأعطوه مزيد عنايةٍ وتأمل نظراً لما انطوى عليه من الضرر الذي قد يلحق صاحبه سواء الساحر أم المسحور، فالساحر بدخوله في حديث السبع الموبقات التي حذر منها ﷺ أشد تحذير، وغير ذلك من الأحاديث المحذِّرة من السحر لأنه باب إلى الشرك لما يفضي إليه من الاستغاثة بالشياطين ومردة الجن، والمسحور بالضرر الجسمي الذي قد يصيبه ويفضي به أحياناً للاستغاثة بمن يفك

(١) المشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/٣٣٤).

(٢) الجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. المصدر السابق (١/٢٧٨).

(٣) بئر ذي أروان: هي بئر في منازل بني زريق بالمدينة، موضع على ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٢٩٩).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٨٩) (ص٩٠٠) كتاب السلام، باب: السحر. ورواه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: (٥٧٦٣) في كتاب الطب، باب: السحر، وقول الله تعالى: {**ولكن الشياطينَ كفرُوا يعلّمون الناسَ السحرَ...**}.

سحره حتى ولو كان من المشعوذين الضالّين، وهذا العمل محرَّم ولا يجوز في الإسلام. نسأل الله السلامة والعافية.

قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: «وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه. وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه، وعثمان وغيرهم -رضي الله عنهم-، ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفَّر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟، وقالت طائفة: إن قتل بالسحر قتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد -رحمهما الله-، وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه. والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور، ومرضه من غير شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخيل، واتفقوا على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة... أو السجود لها.. ونحو ذلك، فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه»[1].

والقرينة واضحة في أن السحر باب من أبواب الشرك، لأن الساحر يصرف فيه شيئاً من عبادة الله وحده إلى من يستعين بهم من الشياطين ومردة الجن الذين يضطرونه أحياناً للسجود لهم والاستغاثة بهم والذبح لهم وغير ذلك مما هو صريح الشرك.

هذا مع ما يلحق الشخص المسحور من الضرر الذي قد يزمن معه وأحياناً يؤدي إلى موته وهذا بلاشكّ أنه بقدر الله وأجله المحدود، ولكن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي (ص٥٦٩) بتصرف.

الساحر تسبب فيه.

وورد الخلاف في حقيقة السحر وهل هو ثابت وأن له تأثيراً أم لا، قال ابن حجر -رحمه الله-: «والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنّة الصحيحة المشهورة»[1].

قال القرطبي -رحمه الله-: «مذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل. ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمون الناس -يعني هاروت وماروت- فدلّ على أن له حقيقة، وقوله تعالى في قصة فرعون {**وجاءوا بسحرٍ عظيمٍ**}[2]، وسورة الفلق، والحديث الذي فيه أن النبي ﷺ قال: لما حُلَّ السحر: "إن الله شفاني" والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدلّ على أن له حقاً وحقيقةً، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحلّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، ولم يُبدِ أحد من الصحابة ولا من التابعين إنكار أصله»[3].

أمَّا ما بثّه بعض المغرضين بأن الفترة التي سُحر فيها النبي ﷺ يدخلها الشك فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام نظراً لتأثره بالسحر الذي عُملَ له،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢٢٢/١٠).

(٢) سورة الأعراف، آية: (١١٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي (٤٦/٢) بتصرف.

فقد تناول العلماء هذا الموضوع وأسهبوا في الرد على هذه الشبهة وسأقتصر على قول القاضي عياض -رحمه الله- فقد قال: "فاعلم -وفقنا الله وإياك- أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزَّه الله الشرع والنبي عما يُدْخِلُ في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يُخيَّل إليه أن فعل الشيء، ولا يفعله فليس في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخلةً في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فُضل من أجْلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخَيَّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه، كما كان»[1].

ومن مرويات أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في العقيدة ما رواه البخاري -رحمه الله- في صحيحه في كتاب القدر بسنده إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فقال: كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمةً للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلدٍ يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابراً محتسباً

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٢/١٦٠-١٦١) بتصرف.

يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد"[1].

والحديث وإن كان قد ورد فيه بأن هذا البلاء كان في الأمم السابقة، وجعله الله رحمةً للمؤمنين بأن كثَّر به شهداء هذه الأمة لمن يبقى في بلده صابراً محتسباً موقناً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، إلاَّ أن العلماء قد تناولوا هذا الحديث وبحثوه في باب العقائد بحثاً جيداً لشدة تعلقه بأمر مهم جداً، وهو ظنّ بعض الناس أن التوكّل ينافي الأخذ بالأسباب.

ونظراً لورود عدة أحاديث في هذا الشأن وهي تعالج هذه القضية العقائدية المهمة فإن الحديث سيكون شاملاً عن الروايات التي رويت في شأن الطاعون -أعاذنا الله منه- وما ينبغي للمسلم أن يعمله إذا وصل إلى الأرض الموبوءة به كما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين خرج إلى الشام حتى إذا كان بمكان قريب منه أخبره أمراء الأجناد بأن الوباء قد وقع بأرض الشام، فاستشار -رضي الله عنه- من عنده من كبار المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح واستقر أمره على العودة[2].

قال ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث: «قال أبوعبيدة -وهو إذ ذاك أمير الشام-: أَ فِراراً من قدر الله؟ فقال عمر -رضي الله عنه-

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٦١٩) كتاب القدر، باب: {قلْ لنْ يصيبَنا إلا ما كتبَ اللهُ لنا}.

(٢) الحديث في صحيح البخاري برقم (٥٧٢٨) كتاب الطب، باب: ما يذكر في الطاعون.

لو غيرك قالها يا أباعبيدة، -أي لعاقبته، أو لكان أولى منك بذلك، أو لم أتعجب منه، ولكني أتعجب منك مع علمك وفضلك كيف تقول هذا؟-، قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهي عنه، ومحصل قول عمر -رضي الله عنه- أنه أراد أنه لم يفر من قدر الله حقيقة، وذلك أن الذي فر منه أمر خاف على نفسه منه فلم يهجم عليه، والذي فر إليه أمر لا يخاف على نفسه منه، إلا الأمر الذي لابدّ من وقوعه سواء كان ظاعناً أو مقيماً»[1].

وحديث عائشة -رضي الله عنها- السابق يدل على أنه إذا نزل الوباء في البلد الذي كان فيه المؤمن ومكث فيه و لم يخرج من البلد صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له، فيه دليل قوي على قوة اليقين والتوكل على الله بأن العبد لا يصيبه إلا ما كتب الله، وأمرٌ في الوقت نفسه بعدم الخروج، وعدم خروجه له فيه أجر عظيم، أما قضية أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- فهي تؤكد كذلك على أن الإنسان لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ولكنه مطالب بالأخذ بأسباب النجاة المتيسرة له خاصة أنه لم يدخل الأرض الموبوءة، وأوضح عمر -رضي الله عنه- المسألة بمثال ضربه لأبي عبيدة -رضي الله عنه- حيث قال: "أرأيت لو كان لك إبل فَهَبَطْتَ وادياً له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة: أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي من

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٠/١٨٥) بتصرف.

هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، فحمد الله عمر ثم انصرف"[1].

قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: «وقد ظنَّ بعض الناس أن التوكّل ينافي الاكتساب، وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة، فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكّلين، يلبس لأمةَ الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب حتى قال الكافرون[2]: **{مالِ هذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواقِ}**»[3].

وقد تناول أهل التفسير هذا المعنى عند الآيات الدالة على ذلك، ومنها قوله تعالى: **{قلْ لنْ يصيبَنا إلاَّ ما كتبَ اللهُ لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنونَ}**[4].

قال صاحب فتح القدير -رحمه الله-: «إن الإنسان إذا علم أن ما قدره الله كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه هانت

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٢٨) كتاب الطب، باب: ما يذكر الطاعون، ط. دار الأرقم، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٣٠١) بتصرف. وانظر: بسط الكلام على هذه المسألة في الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢٦/٨-٥٣٩) و(٦٨/٨-٧٣، ١٣٨-١٣٩، ١٧٥-١٧٨، ٢٧٧).

(٣) سورة الفرقان، آية: (٧).

(٤) سورة آل عمران، آية: (٥١).

عليه المصائب»[1].

وتأكيداً لما ذكر بأن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، يقـــول صاحب روح المعاني -رحمه الله- عند قوله تعالى: {**وعلى الله فليتوكّـــل المؤمنون**}[2]. قال: «....بأن يفوضوا الأمر إليه سبحانه، ولا ينافي ذلـــك التشبُّث بالأسباب العادية إذا لم يعتمد عليها -ثم قال- إذا كان لن يصيبنـــا إلا ما كتب الله أي خصنا الله سبحانه به من النصر أو الشهادة وأنه متـــولي أمرنا فلنفعل ما هو حقنا من اختصاصه جل شأنه بالتوكّل -ثم قال- والمعنى دأب المؤمنين أن لا يتكلوا على حزمهم وتيقظ أنفسهم كما أن دأب المنافقين ذلك بل أن يتكلوا على الله تعالى وحده ويفوضوا أمورهم إليه»[3].

ويتلخص مما سبق أن الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة -رضـي الله عنها- يقرر الأجر لمن مات في بلد الوباء بعد أن مكث فيه صابراً محتســباً، "وخرج من ذلك من مكث في أرض الوباء مع نقصان توكله وضعف يقينـه فليس له هذه الفضيلة، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه، لعموم النهي، ولــــه أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه، وإن خرج فراراً منه فـــهي معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه، والعياذ بالله"[4].

---

(١) فتح القدير للإمام الشوكاني (٣٦٩/٢).

(٢) سورة آل عمران، آية: (٥١).

(٣) روح المعاني للألوسي (١١٥/١٠) بتصرف.

(٤) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ الحكمـي -رحمه الله- (ت: ١٣٧٧هـ) (٩٨٩/٣) بتصرف، الطبعة الثانية: (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ط. دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية.

وهذه أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- تروي لنا حديثاً في موضوع لم تخل منه كتب العقيدة، بل ربما عُقد له فيها بابٌ خاصٌ، لمزيد الاهتمام والعناية به لتعلقه بحال قلب المؤمن وتعلقه بالله وحده وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن كل شيء بقضاء وقدر حتى العين التي يصاب بها الإنسان أحياناً فهي من قضاء الله وقدره. ولكن مع هذا علّمنا رسول الله ﷺ كيف نستعيذ بالله من شرها وشر أصحابها. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم سلمة -رضي الله عنها-: "أن النبي ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سفعة[1]، فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة"[2].

قال صاحب فتح الباري -رحمه الله-: «والعين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر... والذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضرّ عند نظر العائن بها بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر، والحاصل أن التأثير بإرادة الله»[3].

---

(١) السفعة: قيل: هو سواد في الوجه، وقيل: حمرة يعلوها سواد، وقيل: هو لون يخالف لون الوجه، وحاصلها أن بوجهها موضعاً على غير لونه الأصلي. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٠٢/١٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٣٩) كتاب الطب، باب: رقية العين. واللفظ له. ورواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: (٢١٩٧) كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة.

(٣) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (٢٠٠/١٠-٢٠١)، بتصرف.

وقد يرد في الذهن حديث المصطفى ﷺ في الذين يدخلون الجنة بغير حساب[1]. وذكر من صفاتهم أنهم لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربّهم يتوكّلون، بأن هذا الحديث يعارض الأمر بالرقية الوارد في حديث أم سلمة -رضي الله عنها-، فقد أجاب عن هذا كثير من العلماء ومنهم النووي -رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم، فقد قال -رحمه الله-: «...ولا مخالفة بل المدح في ترك الرقى المراد بها الرقى التي هي من كلام الكفار، والرقى المجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها، فهذه مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه، وأما الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة، ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين أن المدح في ترك الرقى للأفضلية وبيان التوكل والذي فعل الرقى وأذن فيها لبيان الجواز مع أن تركها أفضل...، والمختار الأوّل وقد نقلوا بالإجماع على جواز الرقى بالآيات وأذكار الله تعالى»[2].

ومن مرويات أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في العقيدة ما أخرجه مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن عبد الله بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة: اللهم متّعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة، لا يعجل شيئاً منها قبل حله، ولا يؤخر منها

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٨) كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهو من رواية عمران بن حصين -رضي الله عنه-.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٩/١٤).

شيئاً بعد حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار، وعـــذاب في القبر، لكان خيراً لك"[1].

قال النووي -رحمه الله-: «وهذا الحديـــث صريـــح في أن الآجـــال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمـــه في الأزل فيســـتحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك»[2].

وفي معرض الإجابة عما يرد في كيفية التوفيق بين هذا القول وقولـه ﷺ في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ســـمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثـره، فليصل رحمه)[3].

أجاب عن ذلك شارح الطحاوية -رحمه الله- بقوله: «فـالميت ميـت بأجله، فعلم الله تعالى وقدَّر وقضى أن هذا يموت بسبب المـرض، وهـذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بـالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلـق سـبب الموت والحياة. وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعـاش إلى أجله فكأن له أجلين، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعـالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمريـن، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص والضمان على القاتل، لارتكابه

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٦٣) (ص١٠٦٩) كتاب القدر، باب: بيـان أن الآجـال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٣/٦).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٩٨٥) كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرج قوله ﷺ: (صلة الرحم تزيد في العمر) أي: سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه»[1].

وفي مثل هذا سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن المقتول: "هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب -رحمه الله- بقوله: «المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل موته، ولا يتأخر أحد عن أجله. بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر. فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء...، والأجل أجلان أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"[2]، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر»[3].

وإن ورد فكيف يكون التوفيق بين الندب إلى الدعاء بالاستعاذة من عذاب الله والنهي الوارد في حديث أم حبيبة -رضي الله عنها- في النهي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص١٤٩-١٥٠).

(٢) راجع حاشية رقم: (٣) الصفحة السابقة.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٥١٦-٥١٧).

عن الدعاء بالزيادة في الأجل لأنه مفروغ منه أيضاً، فقد أجاب عن ذلـــك الإمام النووي -رحمه الله- بقوله: «فإن قيل ما الحكمة في نهيها عن الدعـــاء بالزيادة في الأجل لأنه مفروغ منه وندبها إلى الدعاء بالاستعاذة من العـــذاب مع أنه مفروغ منه أيضاً كالأجل، فـــالجواب أن الجميـــع مفـــروغ منـــه لكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة وقد أمر الشرع بالعبادات فقيل: أفلا نتَّكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر، فقال: اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له. وأما الدعاء بطول الأجل فليس عبادة، وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالاً على القدر فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه»[1].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٣/١٦-٢١٤).

الباب الثاني

مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها عند أمهات المؤمنين

الفصل الأول: المنهج العقلي وطرق استخدامه عند أمهات المؤمنين.

ويحتوي على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأوّل : المنهج العقلي في الدعوة عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : المنهج العقلي في التربية عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

الفصل الأول

المنهج العقلي وطرق استخدامه عند أمهات المؤمنين

تمهيد:

سبق الحديث عن تعريف المنهج والكلام عن المنهج العقلي في تمهيد البحث، وكان مختصراً بما يتناسب ومطلب التمهيد، وسيكون الحديث هنا عن سمات وأساليب المنهج العقلي حتى يكون العمل مقنناً ومستنداً على أسس ثابتة وقواعد واضحة يتم السير على نهجها من خلال استنباط هذا المنهج من المواقف التي ترد في سيرة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- ليكون موضحاً للدعوة والتربية؛ لأن الدعوة والتربية متلازمان، وإن كانت الدعوة أعمق وأشمل من التربية، لأن الداعية إلى الله يجب أن يكون ذا تربية سليمة وخلق رفيع ليستطيع أن يدعو الناس إلى هذا الخير الذي اشتمل عليه دين الإسلام، وهذا كله متلازم مع التربية. وهو يقود إلى أنه لا توجد دعوة بدون تربية، ولكن قد توجد تربية مصطنعة ومتكلفة لدى أقوام يدّعونها ولكن بدون أساس من الدين الحقّ وغير مرتكزة على الدعوة الصحيحة إلى الله، وبهذا يتقرر شمول لفظ الدعوة على التربية.

ومعلوم أن العقيدة داخلة في مفهوم الدعوة؛ إذ هي أهم ما في الإسلام، وأهم ما ينبغي أن ينصب إليه الجهد في الدعوة.

ومنهج أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في الدعوة والتربية شامل لكلا الجانبين. لأنهن يحرصن على تأصيل التربية من خلال الدعوة إلى

الله. وبهذا يكون لزاماً عل كل داعية يقوم بشرف الدعوة إلى الله أن يـــربي نفسه على مفاهيم الدعوة الإسلامية الشاملة لجميع جوانب التربية، حــــتى إذا سلك سبيل الدعوة إلى الله كانت دعوته تربية لغيرة.

لذلك تعين التأكيد على ضرورة ربط المفاهيم التربوية بـــالدعوة إلى الله وعدم الفصل بينهما، وأن ذلك جزء من الأمانـــة الـــتي يجـــب ذكرهـــا وتوضيحها.

ويتضح بعون الله هذا من خلال مباحث هذا الفصـــــل عـــن طريـــق الأحاديث النبوية والْحِكَم والمواقف الدعوية والتربوية التي حفلت بها ســـير أمهات المؤمنين. ومن خلال الدروس المستفادة للواقع المعاصر من خــــلال هذه الدعوة.

المبحث الأول

المنهج العقلي في الدعوة عند أمهات المؤمنين

أولاً: أبرز أساليب المنهج العقلي في الدعوة:

حتى تكون الدراسة مقننة وواضحة يتعين تحديد أبرز أساليب المنهج العقلي في الدعوة[1] وهي:

١- المحاكمات العقلية والأقيسة[2] بجميع أنواعها.

٢- الجدل والمناظرة والحوار.

٣- ضرب الأمثال.

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمَّد أبو الفتح البيانوي (ص٢٠٨)، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٢) المراد بالأقيسة الشاملة لكل معانيها وأشكالها ومنها، قياس الأولى، ومثاله قوله تعالى: **{ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكمْ أول مرة، أتخشونهم، فالله أحقُّ أن تخشوهُ إنْ كنتمْ مؤمنين}**. والقياس المساوي، مثل قوله ﷺ للشاب الذي استأذن بالزنى: (أتحبه لأمك؟ قال: لا وجعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم...) الحديث، وقياس الخَلْف -وهو العكس- ومنه قوله ﷺ: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر). والقياس الضمني ومن أمثلته قوله ﷺ في الصائم: (إذا نسي فأكل وشرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه). فقاس ضمناً الصائم الذي أكل وشرب ناسياً على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب.... انظر: المعجزة الكبرى القرآن، للشيخ محمَّد أبو زهرة من (٤٩٨-٤٠١) ط. دار الفكر العربي، القاهرة. وانظر: مناهج الجدل في القرآن د. زاهر عواض الألمعي (ص٧٠-٧٢) الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ، ط. مطابع الفرزدق التجارية.

٤- القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي وتساق من أجل العبرة.

وينبغي أن أشير هنا إلى ملحوظة، وهي إنما سيرد في ثنايا هذه المباحث عن تطبيقات أمهات المؤمنين، لا يتناول جميع هذه الأساليب؛ إذ كانت استعمالاتهن لهذه المناهج مرتبطة بمدى الحاجة إلى هذا المنهج أو ذاك فيما عرض لهن في حياتهن رضي الله عنهن.

ثانياً: المنهج العقلي:

إن مخاطبة العقل البشري تحتاج إلى مقدمات مقبولة، وتمهيدات تحقّق له فرصة العمل والإبداع والتغيير نحو الأفضل، وذلك لأن ما ورّثه الآباء والأجداد يكون مسلماً للإنسان بحيث لا يمنحه فرصة التفكير فيما وراء هذا الإرث، وخصوصاً إذا كان هذا الإرث مرتبطاً بالعقيدة.

لذلك جاءت دعوة الأنبياء والمرسلين -عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين- مخاطبة لأرفع شيء في الإنسان وهو عقله، فالقوم لا يقبلون إلا إذا دعم الحديث بالحجج والبراهين والأدلة القاطعة.

«لهذا فإن المنهج العقلي يعتمد على مخاطبة العقل البشري، ومحاولة إقناعه بكل ما تحمله إليه الدعوة من خير، وإثارة العقل للنظر والتفكير يحتاج إلى كياسة ولباقة من الدعاة، كما يحتاج في الجانب الآخر إلى توقد بديهة من المدعوين»(١).

ولقد رفع القرآن الكريم والسنّة المطهرة من شأن العقل ونزلت آيات

---

(١) انظر: تقنين الدعوة د. محمَّد السيد الوكيل (ص١٨٢) الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ط. دار المجتمع، جدة - المملكة العربية السعودية.

القرآن الكريم تفتح القلوب وتحرك العقول للتدبر في ملكوت الله وآياته، وتدعو الإنسان إلى النظر فيما يقتات به من طعام وشراب، قال تعالى: **{فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنّا صَبَبْنا الماءَ صبّاً. ثم شقَقْنا الأرضَ شقّاً. فأنبتْنا فيها حبّاً. وعِنَباً وقَضَباً. وزيتوناً ونخلاً وحدائقَ غُلْباً. وفاكهةً وأبّاً. متاعاً لكمْ ولأنعامِكُمْ}**[1].

وانظر إلى الآيات التالية وهي تدعو الإنسان لأن ينظر في نفسه التي بين جنبيه يقول سبحانه: **{وفي الأرض آياتٌ للموقنين. وفي أنفسكمْ أفلا تبصِرونَ}**[2]، ويقول تعالى: **{فلينظرْ الإنسان مِمَّ خُلِق. خُلِق من ماءٍ دافقٍ، يخرجُ من بينِ الصلبِ والترائبِ. إنهُ على رجعِهِ لقادرٌ}**[3].

وبهذا المنهج يستثير القرآن كوامن العقل، ويحرِّكه للتأمل والبحث مهما كان راكداً كسولاً، لأن الإيمان بهذه المحسوسات سيصل به حتماً إلى الإيمان بالغيب.

والآيات الواردة في هذا يجلُّ حصرها ويصعب سردها وهي تتوالى في إيقاظ العقل وإحياء التفكير في القلوب الميتة التي لا يحييها إلا وحي الله وشرعه المنزَّل على رسله. والذي هو بمنزلة الغيث الذي يحيي به الله الأرض الميتة، وصدق الله: **{أو منْ كانَ ميتاً فأحييناهُ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناسِ كمن مثله في الظلماتِ ليس بخارجٍ منها كذلك زيِّنَ للكافرين**

---

(١) سورة عبس، الآيات: (٢٤-٣٢).

(٢) سورة الذاريات، آية: (٢٠-٢١).

(٣) سورة الطارق، الآيات: (٥-٨).

ما كانوا يعملون}[1].

ولقد خاطب المصطفى عليه الصلاة والسلام العقـــول وأقنعـــها وأزال ما علق بها من شبه قبل الإيمان وبعد دخول الناس فيه. فعـــــن أبي هريـــرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يـــا رســـول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: (هل لك من إبل؟ قال: نعم، قـــال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فأنى كان ذلك؟ قال: أراه عرق نزعة، قال: فلعلَّ ابنك هذا نزعه عرق)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لمعنى قولـــه ﷺ : "نزعـــه عرق" قال: «أصل النزع الجذب، وقد يطلق على الميل،.... والمراد بـــالعرق الأصل من النسب شبهه بعرق الشجرة، منه قولهم: فلان عريق في الأصالـــة أي أن أصله متناسب -ثم قال -رحمه الله- وفي الحديث ضـــــرب المثـــل، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل، واستدل بـــه لصحـــة العمـــل بالقياس، قال الخطابي: هو أصل في قياس الشبه، وقال ابن العربي: فيه دليـــل على صحة القياس والاعتبار بالنظير»[3].

وبهذا حرص ﷺ على تنمية العقول وإيقاظ حسها حتى تنفع أصحابهـــا ليكونوا على نور وهدى من الله. فلا يفعلون ولا يـــتركون ولا يقولـــون ولا يصمتون إلا بعقل وفكر.

---

(١) سورة الأنعام، آية: (١٢٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٨٤٧) (ص١٤٤٦) كتاب الحدود والمحاربين، باب: ما جاء في التعريض.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٩/٤٤٤) بتصرف.

ولقد عُنِيَ سلف هذه الأمة بالعقل وتنميته وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وكان لايزال محط التفاضل والتميز بين الناس، (فقد سئل عبدالله بن المبارك -رحمه الله- ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غزارة عقلٍ، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل)(1).

هذا وسيظهر من خلال المطلب التالي مقدار العقل والرشد الذي وهبه الله عز وجل لأمهات المؤمنين وكيف سخرن ذلك ليكون منهجاً عقلياً في دعوتهن إلى الله عز وجل.

ثالثاً: المنهج العقلي في الدعوة عند أمهات المؤمنين:

لقد تسابق العلماء والأدباء والمفكرون في الحديث عن نساء النبي ﷺ وآل بيته الأطهار. وما ذاك إلا لأن الحديث عنهن ممتع وشائق، كيف لا وهن أمهات المؤمنين وزوجات رسول ربّ العالمين ﷺ.

إن نساء النبي ﷺ هنَّ صفوة الصفوة من نساء الأنبياء، نستلهم من سيرهن الفضائل وكريم الشمائل.

وإن الرحلة مع دعوة أمهات المؤمنين الطاهرات تحمل بين طياتها نفحات هؤلاء الكريمات اللاتي عطرن الدعوة بطيب عرّف سيرهن.

وستكون البداية العطرة مع من حازت السبق والفخر والشرف أم أولاده وبناته ﷺ، أول خلق الله إيماناً به ﷺ، أم المؤمنين **خديجة بنت خويلد** -رضي الله عنها وأرضاها-.

---

(1) انظر: كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للحافظ أبي حاتم محمَّد بن حبان البستي (ت:٣٥٤هـ) (ص٢١) تعليق: مصطفى السقا، الطبعة الأولى: (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م) ط. مطبعة مصطفى البابي، بمصر.

لقد حبا الله أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- عقلاً وفهماً ونظراً لم يكن عند غيرها، وليس أدلّ على ذلك من صدق فراستها وبُعد نظرها وتوسمها في رسول الله ﷺ من قبل الرسالة بأنه سيكون له شأن ومكانة ليست لغيره. كان تقدير خديجة -رضي الله عنها- لنبينا محمَّد ﷺ تقديراً واقعياً دافعاً لها على أن تفكر في شأنه تفكيراً أعظم من موضوع التجارة في مالها، في الوقت الذي كان الرهبان والأحبار والكهان يبشرون بقرب ظهور نبي آخر الزمان.

إن جميع الدلائل تشير إلى أن محمَّد بن عبد الله ذو شأن. فهو خير أهل مكة وأفضل أهل الحرم. فإذا لم تكن النبوة فيه فلمن ستكون؟!

وخديجة -رضي الله عنها- بوافر عقلها وحرصها على الخير والهدى ورغبتها الشديدة في أن تكون هي المستأثرة بهذا الفضل عرفت محمداً ﷺ بما عرفه به قومه أميناً صدوقاً للحديث، طموحاً لمعالي الأمور، عرفته عاملاً في مالها، أميناً عليه، وحدَّثها غلامها ميسرة بما رأى من البركات والخيرات التي جرت علي يديه ﷺ. فحدَّثها غلامها عن مظاهر رعاية الله له، إلى غير ذلك من المؤشرات التي تدل على أنه هو نبي آخر الزمان الذي سينقذ الله به الناس ويخرجهم به من الظلمات إلى النور، فكان من عقلها وذكائها وتوفيق الله لها أن قررت خطبته لنفسها وعرضت نفسها عليه بطريقتها التي التمست بها نجاح مطلبها، والتي استوفتها كتب السيرة، والتي تدل على بعد نظرها وحرصها على الخير.

ومن كمال عقلها وبعد نظرها، حرصها -رضي الله عنها- على توفير الهدوء والاستقرار له ﷺ قبل مبعثه، حيث لم تذكر كتب السيرة والتراجم

أنها عكرت عليه يوماً أو غاضبته أو ساءته أو تأففت وترفعت عليه بمالها. وهذا من رجاحة العقل بعد تسخير الله عز وجل لنبيه ﷺ. فكانت تتحمل فراقه الأيام والليالي وهو في غار حراء، بل وتعينه بإرسال كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب مع غلمانها وهو في خلوته، هذا مع حبّها العظيم له ومكابدتها البعدَ عنه.

ويتضح منهجها العقلي في الدعوة حينما نزل على نبي الله ﷺ ما نزل من أمر الوحي وعاد إليها خائفاً وهو يقول: زمِّلوني، زمِّلوني. فزمَّلته -رضي الله عنها- وأحاطته برعايتها وعطفها وحنانها. ولم تبادر إلى سؤاله ﷺ عما حدث، وهذا من ذوقها -رضي الله عنها- وحسن أدبها وصواب تفكيرها، بل انتظرت حتى هدأت نفسه الشريفة، وذهب عنه ما كان يجد من اضطراب، عندئذٍ سألته، فقصَّ عليها ﷺ ما رأى وأخبرها بما سمع. وقال لها: (لقد خشيت على نفسي) فقالت له -رضي الله عنها- بكل حزم وثقة على الله: كلا والله ما يخزيك الله أبداً[1]، وفي رواية أخرى: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً...)[2] الحديث. ما أعقلك وما أحزمك وما أعظم ثقتك بربك يا أم المؤمنين؟

وفي هذا يقول الإمام ابن حجر -رحمه الله-: «وفيه بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة، ومن ثباتها في الأمر ما يدلُّ على قوة يقينها

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١٢) كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٤٩٥٣) (ص١٠٩٠) كتاب التفسير، سورة العلق.

ووفور عقلها، وصحة عزمها»[1].

ويظهر منهجها العقلي في الدعوة من خلال الكلمات العظيمة التي قالتها -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ وهو في ذلك الموقف الحرج، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن يترع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهدُ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم" فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- فقال: زملوني زملوني فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...)[2] الحديث.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٣٤/٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١١، ١٢) كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

ويتضح منهجها العقلي في الدعوة بالاستدلالات العلمية المنطقية والأقيسة العقلية التي رتبت بها حديثها الوارد في الحديث السابق بقولها: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، فقد أقسمت على الله تعالى لن يخزيه، وأكدت ذلك بلفظ التأبيد، واستدلت بعقلها الرصين على ما أقسمت عليه بأمر استقرائي، فوصفته بمكارم الأخلاق، وصلة الرحم، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وكسب المعدوم. لقد كانت كلماتها -رضي الله عنها- نوعاً من الفراسة والإلهام فقد خفّفت عنه ﷺ ما شعر به من آثار المفاجأة المهيبة عند نزول الوحي. فمن أين لها هذا التعبير الرائع؟ وكيف استخدمته -رضي الله عنها- لتعبر به في هذا الموقف الصعب؟ بل كيف اتجه بها التفكير إلى هذا الواقع الصحيح؟ لقد كانت تعرف تسلسل الحوادث، وتدرك النتائج، وتلتزم بالوقوف مع صاحب الدعوة لا تتخلى عنه لحظة.

والعجب أنه عندما أخبرها ﷺ بهذا الخبر العظيم لم تقف صامتة، ولم يذهب بها التفكير مذاهبه، ولم ترجع قوله ﷺ إلى ما كان مشهوراً في زمانها من الحديث عن الجن والشياطين والكهانة، لقد كانت قوية في إجابتها وفي استنتاجها مما يدلُّ على أنها قوية النفس، متفتحة العقل، واسعة التفكير سليمة المنطلق، داعية لكل ما سمعته منه ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث مستدلاً على عقل وفهم أم المؤمنين -رضي الله عنها- بقوله: «فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، قال: كلا، معناها: النفي والإبعاد، ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي ووصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال،

وإما على ما يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به»[1].

ومن منهجها العقلي -رضي الله عنها- أنها لم تتقوّل ولم تَدَّعِ العلم الكامل لكل ما حصل، فلا تتقدم خطوة، ولا تحاول أن تتدخل فيما ليس لها به شأن، ولا علم عندها به. أو تدعي علماً تظهر منه هوى أو إشباع رغبة داخلية، بل أخذته ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فقد ورد في الحديث: "...فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أَوَ مُخرِجِيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي"[2].

فأكَّد ورقة قول خديجة بأن هذا هو الوحي وأنه ﷺ نبي هذه الأمة.

ومن منهجها العقلي في الدعوة أن حكَّمت عقلها ونظرها في الذي حدث، فبادرت وسبقت خلق الله أجمعين إلى الإيمان به والتصديق بما جاء به عن ربه. فقد أجمع أهل العلم من أئمة الإسلام على أن أُمَّنا خديجة بنت خويلد

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٢٤/١) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١٢) كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

-رضي الله عنها- كانت أول البشر قاطبة إيماناً بالله عز وجل وبرسوله ﷺ.

يقول عز الدين بن الأثير -رحمه الله-: «خديجة أول خلق الله إسلاماً بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة»[1].

ونقل الإمام النووي عن الثعلبي -رحمهما الله-: «اتفاق العلماء على أسبقية خديجة إلى ساحة الإيمان بالله ورسوله، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها. وقال الإمام النووي -رحمه الله- إنه الصواب عند جماعة المحققين، ثم قال -رحمه الله-: ذكر الزُّهري وخلائق من العلماء أنها أول من أسلم وآمن بالنبي ﷺ»[2].

وقال ابن إسحاق -رحمه الله-: «وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق بما جاء منه»[3]. رضي الله عنها

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «وبادر إلى الاستجابة له ﷺ صِدِّيقةُ النساء خديجة بنت خويلد. وقامت بأعباء الصِّدِّيقيَّة فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، ولا تناسب الخزي والخذلان. وإنما

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٦/٧٨) ترجمة رقم: (٦٨٦٧). وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٣٧).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/٣٤١) بتصرف، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. وانظر: الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص٢١) تحقيق: د. مصطفى البغا، الطبعة الرابعة: ١٩٨٤م، ط. مؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا.

(٣) سيرة النبي ﷺ لابن هشام (١/٢٥٩).

يناسبه أضدادها. فمن ركّبه الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه. ومن ركّبه على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها. وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد ﷺ»[1].

ومما يدل على رجاحة عقلها ووفور فقهها حينما بلّغها النبي ﷺ من الله عز وجل ومن جبريل عليه السلام كما ورد في الحديث السابق، ما أورده الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «وللنسائي من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: "قال جبريل للنبي ﷺ إن الله يقرئ خديجة السلام يعني فأخبرها "فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، قال العلماء: في هذا دليل على وفور فقهها، لأنها لم تقل "وعليه السلام" كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد "السلام على الله" فنهاهم النبي ﷺ وقال: "إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله" فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين، لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله فكأنها

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (١٩/٣) الطبعة الثامنة: ١٤٠٥هـ، وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٣٢) (ص٩٨٨) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه لا ونصب".

قالت: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يُطلب، ومنه يحصـل، فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه. ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت: "وعلى جبريل السلام" ثم قالت: "وعليك السلام»[1].

ومن منهجها العقلي في الدعوة مؤازرتها وصبرها وتثبيتها للنبي ﷺ في نشر الدعوة، فقد أدركت بوافر عقلها ما سيكون من عقبات ومشاق في سبيل نصرة الدعوة وظهورها فلم تطاوع نفسها بالخلود إلى الدعة والراحة. بل حكّمت عقلها في إيثار الآجل على العاجل والتضحية لنصرة الله ورسوله مهما كلفها ذلك من مشاق. فقد كانت -رضي الله عنها- ذات مكارم ندية ومكانة نفيسة عند رسول الله ﷺ حباها الله عقلاً لماحاً وفطنة صافية زاكية، وأنعم عليها بنفس صافية طاهرة. فكانت من السابقين إلى مرضاة الله ورسوله ﷺ.

وعندما تعرَّض الإمام الذهبي -رحمه الله- للحديث عنها قال: «**خديجة** أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم وأم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديِّنةً مصونة كريمةً، من أهل الجنة، وكان يثني عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها»[2].

فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (١٣٩/٧).

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١٠٩/٢-١١٠).

وهذه أم المؤمنين **سودة بنت زمعة** -رضي الله عنها- كانت من السابقات إلى الإسلام، وتفاعلت مع هذا الدين حتى غدت تنطق وتعمل بالحكمة، وثمرة العقل تكمن في أن يستفيد منه صاحبه ويعود عليه بالنفع العاجل والآجل. وقد كان لأم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- من ذلك أوفر النصيب. فقد أدركت برجاحة عقلها وثاقب بصيرتها نور الإسلام وهديه، فأسلمت -رضي الله عنها- بمكة وبايعت وأسلم زوجها السكران بن عمرو -رضي الله عنه-.

ومن المنهج العقلي الذي اختطته لنفسها هو اتفاقها مع زوجها وتحكيمهما للعقل ومصلحة الدين بخروجهما مهاجرين إلى الحبشة لإقامة دين الله في أرضٍ لا يُغلبون فيها على إقامة شعائر الدين وبثّه ونشره في الأرض التي سيهاجرون إليها.

قال النووي -رحمه الله-: «كان السكران بن عمرو -رضي الله عنه- مسلماً، وهو من مهاجرة الحبشة، ثم قدما مكة -أي هو وزوجه- **سودة** -رضي الله عنها-، فمات بها السكران مسلماً -رضي الله عنه-»[(١)].

ومن منهجها العقلي في الدعوة تغليبها لجانب العقل على العاطفة وحرصها الكامل على بقائها في البيت النبوي أُمّاً للمؤمنين، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حب نفسها بأن وهبت ليلتها ل**عائشة** -رضي الله عنها-. فقد روى أبوداود في سننه (عن عروة، قال: قالت **عائشة** -رضي الله عنها-: يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي -رحمه الله- (٣٤٨/٢) بتصرف.

القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها، فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفَرِقَت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يـــا رسول الله! يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقــول: في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها أراه قال: {**وإن امرأة خافت من بعلـــها نشوزاً أو إعراضاً...**})[1].

وفي الحديث عن المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أجد أنها أعطيت من العقل والكمال وحميد الخصـــال، وكـــريم الفضائل ما لم تعطه امرأة غيرها في مثل سنها ورجاحة عقلها، فهي إحـــدى بنات الصحابة اللاتي ولدن في الإسلام، وهي أصغر من فاطمـــة الزهـــراء -رضي الله عنها-، وكانت تقول عن أبويها: لم أعقل إلا وهمـــا يدينـــان الدين"[2].

ومما هو مُسَلَّمٌ به أن العلم الشرعي هو أمضى سلاح للداعيـــة إلى الله، ولا يناله ويسعى في تحصيله إلا أصحاب العقل والبصيرة والفهم. وفي اختيار أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لهذا الطريق ونبوغها فيه، دليل واضـــح

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢١٣٥) (٢/٢٤٣)، كتاب النكاح، باب: في القسم بين النساء والحديث، قال عنه الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيـــح ســـنن أبي داود للشـــيخ محمَّـــد ناصر الدين الألباني (١/٥٩٤) الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). والآية رقـــم: (١٢٨) من سورة النساء.

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب: جوار أبي بكر في عهد النـــبي ﷺ وعقـــده، حديث رقم: (٢٢٩٧) (ص٤٧٣).

على صحة منهجها العقلي في الدعوة إلى الله، حيث تسلحت بأمضى سلاح، فنفع الله بعلمها البلاد والعباد من تلك القرون المفضلة وإلى الآن وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فعندما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى كانت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لم تخط إلى التاسعة عشرة[1]، ولكنها قد ارتوت من الحديث والفقه في الدين وملأت أرجاء الأرض علماً. فقد امتازت بحافظةٍ قوية جعلتها مرجعاً مهماً وركناً راسخاً لكبار علماء الصحابة في علم الحديث، بل لم يكن نفاذ رأيها ورجاحة كفتها وقفاً على الحديث الشريف وحده. ولكنها بلغت الذروة في رواية الشعر والأدب والتاريخ والطب والأنواء والأنساب. فهذا عروة بن الزبير فقيه المدينة وأحد علمائها الأفذاذ الذين يُقصدون من كل فج عميق يقول: ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا بطبّ ولا بشعر من عائشة[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «والذين حُفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، و**عائشة** أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر. قال أبو محمَّد ابن حزم: ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم»[3].

---

(١) هذا على رأي من قال إنه ﷺ بنى بها وهي ابنة تسع.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨٣/٢).

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١٢/١).

ومما لا شكَّ فيه أن من صفات الداعية إلى الله، الناجح في دعوته، تميزه في الأسلوب، وانتقاء العبارة ووضوحها، وفصل الكلام بعضه عن بعض بحيث لا يسرده سرداً. وما ذاك إلا لكي يفهمه الناس ويستوعبوا منه العبارات والخطب الملقاة إليهم. لأن الاستجابة تأتي بعد الاستماع والفهم قال تعالى: {**فبشرْ عباد. الذين يستمِعُونَ القولَ فيتَّبعونَ أحسنَه أولئكَ الذينَ هَداهم الله وأولئك همْ أولوا الألبابِ**}[1].

إلى هذا المعنى الهام أشارت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وهي توجه الأمة عامة والدعاة إلى الله خاصة إلى هذا المفهوم العقلي في الدعوة إلى الله فقالت -رضي الله عنها-: "كان -أي النبي ﷺ- كلامه كلاماً فصلاً، يفهمه كل من سمعه"[2].

وفي شرح هذا الحديث الشريف الذي يُعتبَر أساساً مهمّاً للدعاة إلى الله، قال صاحب فيض القدير -رحمه الله-: «(كان كلامه كلاماً فصلاً قال: أي فاصلاً بين الحق والباطل، أو مفصولاً عن الباطل أو مصوناً عنه فليس في كلامه باطل أصلاً أو مختصاً أو متميزاً في الدلالة على معناه وحاصله أنه بين المعنى، لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) أي: من العرب

---

(١) سورة الزمر، آية: (١٧-١٨).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، حديث رقم: (٤٨٣٩)، والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير (١٠٠/٢)، لكن الألباني -رحمه الله- حكم عليه بالحسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني -رحمه الله- الحديث رقم: (٤٨٢٦) (٧٨٤/٢). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني -رحمه الله- حديث رقم: (٢٠٩٧) (١٣١/٥) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

وغيرهم لظهوره وتفاصيل حروفه وكلماته واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبيينه»[1].

وإن المتأمل في بعض الأحاديث التي روها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ليجد أسلوب الحوار والمناظرة ظاهراً من خلال بعض الروايات، فتارة هي التي تحاور النبي ﷺ لكي تتبين منه بعض الحقائق والأحكام التي تهم المسلم في دينه. وهذا قد تقدم منه الكثير في المباحث الخاصة بسؤالها للنبي ﷺ في الباب الأول، وتارة تكون المحاورة من لدن السائل الذي يريد التفقه في دينه لكي يعلم علم أم المؤمنين -رضي الله عنها- الذي ورثته عن رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما جاء (عن غضيف[2] بن الحارث قال: قلت لعائشة: أرأيت رسول الله ﷺ كان يغتسل من الجنابة في أول الليل أو في آخره؟ قالت: ربما اغتسل في أول الليل وربما اغتسل في آخره، قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، قلت: أرأيت رسول الله ﷺ كان يوتر أول الليل أم في آخره؟ قالت: ربما أوتر في أول الليل، وربما أوتر في آخره، قلت: الله أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، قلت: أرأيت

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي -رحمه الله- حديث رقم: (٦٤٩٨) (٨١/٥).

(٢) هو غضيف بن الحارث بن زنيم، أبو أسماء السكوني الكندي الشامي، عداده في صغار الصحابة، وله رواية عن عمر، وأبي عبيدة وبلال وأبي ذر وطائفة، حدَّث عنه ولده عبد الرحمن وحبيب بن عبيد، وعبدالرحمن بن عائذ، ومكحول، وشرحبيل بن مسلم وآخرون، توفي في حدود سنة ثمانين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٣/٣). والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٨٣/٣).

رسول الله ﷺ كان يجهر بالقرآن أم يخفت به؟ قالت: ربما جهر به وربما خفت، قلت: الله أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة"[1].

والحديث يعتبر باباً في العلم، حيث أثمرت هذه المحاورة العقلية من لدن الصحابي الجليل مع أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الإجابة على ثلاث مسائل مهمة لا يستغني عن علمها وفقهها أي مسلم وهي:

١- وقت غسل النبي ﷺ من الجنابة في الليل.

٢- وقت وتره ﷺ من الليل.

٣- كيفية قراءته للقرآن عليه الصلاة والسلام في الليل.

وقد تناول العلماء -رحمهم الله- هذا الحديث بالبحث واستنباط الأحكام الشرعية نظراً لعمق فوائده العلمية المنبثقة من المحاورة العقلية التي دارت من خلاله وخلاصة القول في هذا المسائل ما يلي:

إن دلالة الحديث ظاهرة في المسألة الأولى في السؤال عن الوقت الذي أوقع فيه ﷺ غسل الجنابة من الليل، وليس كما يظن البعض بأن الأمر فيه دلالة على نوم الجنب بغير وضوء.

قال النووي -رحمه الله-: «ويكره للجنب أن ينام حتى يتوضأ، ودليل استحباب الوضوء وغسل الفرج حديث عمر -رضي الله عنه- "قال: قال يا رسول الله أيرقد أحدنا وهو جنب؟ فقال: نعم، إذا توضأ"[2]، وحديث

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٢٦) (٥٨/١)، كتاب الطهارة، باب: في الجنب يؤخر الغسل، والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٢٦) (٦٩/١).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٨٧) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: نوم الجنب.

ابن عمر قال: "ذكر عمر لرسول الله ﷺ أنه تصيبه الجنابة من الليل، فقال له رسول الله ﷺ: توضأ واغسل ذكرك ثم نم"[1]، وعن **عائشة** -رضي الله عنها-: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة"[2].

وأما حديث الأسود[3] عن **عائشة** -رضي الله عنها-: "أن النبي ﷺ كان ينام وهو جنب ولا يمس ماءً"[4]، فهذا الحديث تكلم فيه العلماء من السلف والخلف فمنهم من صححه ومنهم من ضعفه، وقد رواه أبوداود والترمذي والنسائي وغيرهم، وحجة المضعفين له بأنهم يرون أن هذا غلط من السبيعي[5] -وهو الراوي عن الأسود- فطعن الحفاظ في هذه اللفظة وتوهموها مأخوذة عن غير الأسود وأن السبيعي دلّس. وقد صحح البيهقي هذه الرواية بقوله في السبيعي بأنه ثقة، والمدلس إذا بين سماعه ممن روى عنه وكان ثقة فلا وجه لرده»[6].

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٩٠) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: الجنب يتوضأ ثم ينام.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٨٨) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: الجنب يتوضأ ثم ينام.

(٣) تقدمت ترجمته (ص٢٠٩).

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٢٨) (١/٥٨) كتاب الطهارة، باب: في الجنب يؤخر الغسل.

(٥) هو أبوإسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله بن ذي يحمد من ذرية سبيع بن صعب بن همدان، شيخ الكوفة، وعالمها ومحدثها ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان -رضي الله عنه-، روى عن: معاوية وابن عباس وغيرهم وحدث عنه محمَّد بن سيرين والزهري وغيرهم. عاش ثلاثاً وتسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٣٩٢) وطبقات ابن سعد (٦/٣١٣). والجرح والتعديل للرازي (٦/٢٤٢).

(٦) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/١٧٦) بتصرف، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان. وانظر: المغني لابن قدامة -رحمه الله- (١/٢٢٨)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

ومن صحح هذا الحديث من المُحْدثين الشيخ الألباني -رحمه الله-[1].

وعلى هذا يكون الجمع بين هذه الأحاديث في حالة ثبوت صحة الحديث هو ما قاله النووي -رحمه الله-: «قالت طائفة من أهل الحديث والأصول: إن المدلس لا يحتج بروايته، وإن بَيَّنَ السماع، والصحيح الذي عليه الجمهور: أنه إذا بين السماع احتج به، فعلى الأول لا يكون الحديث صحيحاً ولا يحتاج إلى جواب، وعلى الثاني جوابه من وجهين:

أحدهما: ما رواه البيهقي عن ابن سريج -رحمه الله- واستحسنه البيهقي أن معناه: لا يمس ماءً للغسل، لنجمع بينه وبين حديثها الآخر، وحديث عمر الثابتين في الصحيحين.

والثاني: أن المراد أنه كان يترك الوضوء في بعض الأحوال ليبين الجواز، إذ لو واظب عليه لاعتقدوا وجوبه، وهذا عندي حسن أو أحسن»[2].

ولعل هذا هو الرأي الصحيح الذي تطمئن له النفس ويجمع به بين الأحاديث وهو الذي أشار إليه صاحب عون المعبود -رحمه الله- حيث وصل إلى مغزى الحديث بقوله: «فيه دليل واضح على أن الجنب لا يجب عليه أن يغتسل ليلاً على الفور، بل له أن ينام ويغتسل من آخر الليل»[3].

والمراد: إذا توضأ جمعاً لأحاديث الصحيحين وغيرهما الدالة على ذلك.

---

(١) انظر: صحيح أبي داود للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- حديث رقم: (٢٢٨) (٦٩/١).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي -رحمه الله- (١٧٨/٢).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمَّد شمس الحق الأبادي (٣٧٦/١).

وأما سؤال السائل عن وتره ﷺ فقد كان لتحديد متى كان الوقت الذي يوقع فيه ﷺ وتره. وكان جواب أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- شاملاً جامعاً للخير كله حيث ذكرت جميع أحواله ﷺ من تقديم الوتر أحياناً وتأخيره أخرى. ولكن العلماء -رحمهم الله- تناولوا جوانب عدة في شرح الحديث ومنها هل الأفضلية في تقديم الوتر أول الليل أو تأخيره؟

وفي هذا يقول العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرحه للحديث: «ولا شك أنا إذا نظرنا إلى آخر الليل من حيث هو كذلك كانت الصلاة فيه أفضل من أوله، لكن إذا عارض ذلك احتمال تفويت الأصل قدمناه على فوات الفضيلة»[1].

عقب النووي -رحمه الله على من احتج بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في الصحيح الذي فيه: "أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وألا أنام إلا على وتر"[2]. وحديث جابر -رضي الله عنه- في الصحيح ونصه: "قوله ﷺ: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاته آخر الليل مشهودة وذلك أفضل"[3]. قال النووي -رحمه الله-: «الحديثان محمولان على من لا يثق بالقيام آخر الليل، وهذا التأويل

---

(١) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٣/٥٩).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٧٨) (ص٢٤٨) كتاب التهجد، باب: صلاة الضحى.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٥٥) (ص١٦٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله.

متعين ليجمع بينه وبين حديث جابر -رضي الله عنه- وغيره من الأحاديث السابقة من قوله ﷺ وفعله، والله أعلم»[1].

وأما عن قراءته ﷺ للقرآن فالحديث واضح في التخيير بين الجهر والمخافتة في نوافل الليل والأمر فيه سعة. فقد ورد عن أبي قتادة -رضي الله عنه-: (أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر -رضي الله عنه- يصلي يخفض من صوته ومَرَّ بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يصلي رافعاً صوته، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: مررت بك يا أبابكر وأنت تصلي تخفض من صوتك، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله، وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك، فقال: يا رسول الله! أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ارفع صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً)[2].

قال صاحب عون المعبود -رحمه الله-: «فيه -أي حديث **عائشة** -رضي الله عنها- دليل على أن المرء مخيَّر في صلاة الليل يجهر بالقراءة أو يسر»[3].

ومن المحاورات العقلية النافعة للأمة والتي أفادت فيها أم المؤمنين **عائشة**

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي -رحمه الله- (٤/٢٠).

(٢) سنن أبي داود، الحديث رقم: (١٣٢٩) (٢/٣٧)، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، انظر: صحيح سنن أبي داود (١/٣٦٣)، ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمَّد أبادي (١/٣٧٧) بتصرف.

-رضي الله عنها- وأجادت ما جاء في الصحيح (عن عبدالرحمن[1] بن عابسٍ عن أبيه[2] قال: قلت لـ**عائشة** -رضي الله عنها- أنهى النبي ﷺ أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟ قالت: ما فعله إلا في عامٍ جاع الناس فيه، فأراد أن يُطعم الغني الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة. قيل: ما اضطركم إليه؟ فضحكت، قالت: ما شبع آل محمَّد ﷺ من خبز برٍ مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله)[3].

والحديث تستخلص منه فوائد وأحكام جمة، تناولها العلماء بالتفصيل في شرحهم للحديث، والمقصود هنا الأحكام والفوائد التي نتجت من هذا الأسلوب الحواري العقلي الهادف والذي استفادت منه الأمة عدة أحكام تشريعية تهم كل مسلم، وهذا الحديث أورده مسلم -رحمه الله- في صحيحه بروايات أخرى متعددة في كتاب الأضاحي، كما أورده -رحمه الله- السبب الذي من أجله ورد النهي الوارد في حديث **عائشة**

---

(١) هو عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة النخعي الكوفي، روى عن أبيه وعمه ومخرمة وابن عباس وغيرهم، قال عنه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: ثقة، مات سنة تسع عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٦/٢٠١).

(٢) هو عابس بن ربيعة النخعي الكوفي روى عن عمر وعلي وحذيفة وعائشة، روى عنه أولاده عبد الرحمن وإبراهيم وأسماء، وأبوإسحاق السبيعي، قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: المصدر السابق (٥/٣٧).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٤٢٣) (ص١١٨٨) كتاب الأطعمة، باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

-رضي الله عنها- السابق. فقد روى -رحمه الله- بسنده إلى عبد الله[1] ابن واقد قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الضحايا بعد ثـــلاث. قـــال عبدالله[2] ابن أبي بكر: فذكرت ذلك لعمرة[3] فقالت: صـــدق. سمعـت **عائشة** -رضي الله عنها- تقول: دَفَّ[4] أهل أبيات من أهل البادية حَضْـرَةَ الأَضحى، زمن رسول الله ﷺ، فقال رســول الله ﷺ: (ادخــروا ثلاثــاً، ثم تصدقوا بما بقي)، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رســول الله! إن النــاس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجملون[5] منها الوَدَك[6]. فقال رسول الله ﷺ: وماذاك؟ قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: إنمــا نهيتكم من أجل الدَّافّة التي دَفَّت، فكلوا وادَّخروا وتصدَّقوا)[7].

---

(١) هو عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، روى عن جده وعمه عبدالله بن عبدالله بن عمر وعائشة وأرسل عن النبي ﷺ، روى عنه عمر بن محمَّد بن زيد بن عبــد الله بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة تسع عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٦/٦٥).

(٢) هو عبدالله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم الأنصاري، روى عن أبيه وعن خالة أبيــه عمرة بنت عبد الرحمن، مات سنة ١٣٥هـــ، انظر: المصدر السابق (٥/١٦٤).

(٣) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية عائشــة وتلميذتها، توفيت سنة ٩٨هـــ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٠٨).

(٤) الدافة: قوم من الأعراب يَرِدُون المصر، يريد أنهم قوم قدموا المدينة عند الأضحى، انظر: النهايــة في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٢٤).

(٥) من جملت الشحم وأجملته: إذا أذبته واستخرجت دهنه، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٩٨).

(٦) "الودك": هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. انظر: المصدر السابق (٥/١٦٩).

(٧) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٩٧١) (ص٨١٧) كتاب الأضاحي، باب: بيان ما كان مــن النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء.

قال القاضي عياض -رحمه الله-: «اختلف في الأخذ بهذه الأحاديث، فذهب قوم إلى تحريم إمساكها والأكل منها بعد ثلاث...، وأن حكم المنع باقٍ، وذهب آخرون إلى إباحة ذلك ونسخ النهي جملة، وهو قول الكافة والجمهور، وظاهر الأحاديث، وهذا من نسخ السنة بالسنة»[1].

وهذا هو الذي أكّده النووي -رحمه الله- بقوله: «يجوز أن يدخر من لحم الأضحية، وكان ادخارها فوق ثلاثة أيام منهياً عنه، ثم أذن رسول الله ﷺ فيه، وذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة المشهورة»[2].

وأما قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: "وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة" قال فيه الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فيه بيان جواز ادخار اللحم وأكل القديد، وثبت أن سبب ذلك قلة اللحم عندهم بحيث إنهم لم يكونوا يشبعون من خبز البر ثلاثة أيام متوالية»[3].

وفي حديث آخر لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تظهر فوائد وآثار محاورتها العقلية لرسول الله ﷺ وهي تضع له المبررات المناسبة لكي يستبدل لباسه ﷺ بثوبين آخرين، وعلّلت ذلك بما يلحقه ﷺ من المشقة في ثقل الثوبين القديمين إذا عرق فيهما، فقد روى الترمذي -رحمه الله- في جامعه عن **عائشة** -رضي الله عنها- "قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦/٤٢٤) بتصرف.

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٨/٣١٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٩/٥٥٣) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

قِطْرِيَّان[1] غليظان، فكان إذا قعد فَعَرِق، ثقلاً عليه، فقدم بَزٌّ من الشام لفلان اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه، فقال: قد عَلِمْت ما يريد، إنما يريد أن يَذْهَبَ بمالي، أو بدراهمي، فقال رسول الله ﷺ: "كذب، قد عَلِمَ أني من أتقاهم لله وآداهُمْ للأمانة"[2].

وهذا الحديث استفادت الأمة منه آداباً وأحكاماً تشريعية لم تكن لتعلمها بدون هذه المحاورة، ويكفي في ذلك أن أهل الحديث بوَّبوا له باباً خاصّاً في كتاب البيوع باسم: باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل.

وأما البخاري -رحمه الله- فقد بوَّب باباً سماه: باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة[3].

أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح قول ابن بطال ونصه: «الشراء بالنسيئة جائز بالإجماع»، قال ابن حجر -رحمه الله: «لعلَّ المصنف

---

(١) (ثوبان قطريان): هي ضرب من البُرود فيه حُمرة، ولها أعلام فيها بعض الخشونة. وقيل: هي حلل جياد تُحمل من قبل البحرين، وقيل: في أعراض البحرين قرية يقال لها قَطَر، وأحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فكسروا القاف للنسبة، وخفَّفوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/٨٠).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٢١٣) (٣/٥١٨) كتاب البيوع، باب: ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني كما في (ص٢١٦) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٠٦٨) (ص٤٣٠) كتاب البيوع، باب: شراء النبي ﷺ بالنسيئة.

تخيَّل أن أحداً يتخيَّل أنه ﷺ لا يشتري بالنسيئة لأنها دين فأراد دفع ذلك التخيل»[1].

ومن فوائد الحديث، جواز الأخذ بمشورة النساء في الأمور الخاصة والعامة، ومنها حرص أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على راحته ﷺ، ومنها بيان ما انطوت عليه نفوس اليهود من الحقد والحسد على الإسلام، وعلى رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، ويؤخذ من الحديث جواز الانتصار للنفس إذا ظُلم العبد واتُّهمَ بما ليس فيه.

ومن المحاورات العقلية لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ ونفع الله بها الأمة واستفاد منها المسلمون علماً وأحكاماً في دينهم، ما جاء عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- "قالت: قلنا: يا رسول الله، ألا نبني لك بيتاً يظلك بمنى؟ قال: لا، منى مناخ[2] من سبق"[3].

هذا الحديث آية من آيات النبوة، فمن كان يعلم بتزايد عدد المسلمين وكثرتهم ورغبتهم في الحج إلا الله. ولو لم يكن هذا الحديث النبوي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤/٣٠٢).

(٢) (مناخ): بضم الميم موضع الإناخة، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب الأبادي (٥/١٠٥).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (٨٨١) (٣/٢٢٨) كتاب الحج، باب: ما جاء أن منى مناخ من سبق، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وضعفه الألباني كما في (ص١٦٢) طبعة بيت الأفكار الدولية، وانظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٠١٩) (٢/٢١٢) كتاب المناسك، باب: تحريم حرم مكة.

وعَلِمَه المسلمون وعملوا به من ذلك التاريخ فكيف يمكن أن يتصور الحال في منى الآن.

قال صاحب عون المعبود -رحمه الله-: «والمعنى أن الاختصاص فيه بالسبق لا بالبناء»[1].

وفي بيان العلة من ذلك قال صاحب التحفة -رحمه الله-: «أي لا تبنوا لي بناءً بمنى، لأنه ليس مختصاً بأحد، إنما هو موضع العبادة من الرمي وذبح الهدي والحلق ونحوها، فلو أُجيزَ البناء فيه لكثرت الأبنية وتَضَيَّق المكان، وهذا مثل الشوارع ومقاعد الأسواق»[2].

ويستخلص من هذا الحديث شفقة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على رسول الله ﷺ وحرصها على راحته. وفي الوقت نفسه شفقته هو ﷺ على أمته بترك منى مناخاً مفتوحاً لمن سبق. فلا يضيق على الحجاج بتملك المتملكين. ويؤخذ من الحديث كذلك حثُّه ﷺ لأمته على المسارعة في الخير والسبق إليه بجعله منى مكاناً مفتوحاً لمن سبق.

ومن المحاورات العقلية من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ، والتي أثمرت للأمة علماً نافعاً وكانت مدار البحث والمدارسة من لدن علماء الأمة، ما رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: (لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب الأبادي (٥/١٠٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد المباركفوري (٣/٦٢١).

طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه[1] رويداً. فأطال القيام ثم رفع يديه، ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر[2] فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: ما لك يا عائشة؟ حشيا رابية![3]. قالت: قلت: لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرنِّي اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: فأنت السواد[4] الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهدني[5] في صدري لهدةً أوجعتني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم، قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننتُ أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟، قال: قولي:

---

(١) (ثم أجافه) بالجيم، أي أغلقه، وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٧/٤٣).

(٢) (فأحضر فأحضرت) الإحضار هو العدو، انظر: المصدر السابق (٧/٤٣).

(٣) (حشيا رابية) حشيا بفتح الحاء المهملة وإسكان الشين المعجمة معناه: وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره، وقوله: (رابية) أي مرتفعة البطن. انظر: المصدر السابق (٧/٤٣).

(٤) (فأنت السواد) السواد هو الشخص. انظر: المصدر السابق (٧/٤٤).

(٥) (فلهدني) هو بفتح الهاء والدال المهملة، ورُوِيَ فلهزني بالزاي وهما متقاربان، يقال: لهده بتخفيف الهاء وتشديدها أي: دفعه. انظر: المصدر السابق (٧/٤٤).

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)[1].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: «وفي تعليمه لعائشة ما تدعو به لأهل القبور، وتعليمه ذلك للناس ما يجب امتثاله واختياره من الدعاء المنصوص لهم، وفيه أن الدعاء للموتى كهو للأحياء من تقديم الدعاء على المدعو له كما قال تعالى: {**سلامٌ على إل ياسين**}[2]، خلاف سيرة الجاهلية والعامة، وفيه تسمية المقابر دوراً»[3].

ومن ثمرات المحاورة العقلية التي تمت في هذا الحديث ما ناقشه العلماء في مسألة زيارة القبور لكلٍّ من الرجال والنساء.

قال النووي -رحمه الله-: «يستحبّ للرجال زيارة القبور، وهو قول العلماء كافّة، وأما النساء فلا تجوز لهن الزيارة، وهو ظاهر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ونصه: "أنه ﷺ قال: لعن الله زوّارات القبور"[4]. ولكنه -أي هذا القول- شاذّ في المذهب، والذي قطع به الجمهور: أنها مكروهة لهن كراهة تنزيه...، ومما يدل على أن زيارتهن لست

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٩٧٤) (ص٣٧٣) كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٢) سورة الصافات، آية: (١٣٠).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/٤٤٩-٤٥٠).

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٠٥٦) (٣/٣٧١) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني كما في (ص١٨٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

حراماً حديثُ أنس –رضي الله عنه–: "أن النبي ﷺ مَرَّ بامرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري"[1]، وموضع الدلالـــة أنـــه ﷺ لم ينهـــها عـــن الزيارة»[2].

وزيادة في توضيح هذه المسألة أورد العلامة ابن قدامـــة –رحمـــه الله– روايتين عن الإمام أحمد في هذه المسألة، فقال –رحمـــه الله–: «اختلفـــت الرواية عن أحمد في زيارة النساء القبور، فروي عنه كراهتـــها، "لمـــا روت أم عطية قالت: نهينا عن زيارة القبور ولم يعزم علينا"[3] رواه مســـلم، ولأن النبي ﷺ قال: "لعن الله زوّارات القبور"[4]، قال الترمذي: هـــذا حديـــث صحيح، وهذا خاص في النساء، والنهي المنسوخ كان عاماً للرجال والنساء ويحتمل أنه كان خاصاً للرجال، ويحتمل أيضاً كون الخـــبر لعـــن زوارات القبور بعد أمر الرجال بزيارتها، فقد دار بين الحظر والإباحة فأقل أحوالـــه الكراهة، ولأن المرأة قليلة الصبر كثيرة الجزع، وفي زيارتها للقبر تهييج لحزنها وتجديد مصابها، ولا يؤمن أن يفضي بها ذلك إلى فعل ما لا يجوز بخـــلاف

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٨٢) (ص٢٦٩) كتاب الجنائز، باب: حد المـــرأة علـــى غير زوجها.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي –رحمه الله– (٥/٢٧٧–٢٧٨) بتصرف.

(٣) الحديث بهذه الرواية ليس في الصحيحين، والذي ورد في الصحيحين هو عن أم عطية –رضـــي الله عنها– قالت: "نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا" صحيح البخـــاري، حديـــث رقـــم: (٣١٣) وأطرافه في الأحاديث رقـــم: (١٢٧٨، ١٢٧٩، ٥٣٤٠، ٥٣٤١، ٥٣٤٢، ٥٣٤٣). وفي صحيح مسلم الأحاديث رقم: (٩٣٨، ١٤٩٠).

(٤) تقدم تخريجه في الحاشية رقم (٤) (ص٣٣٩).

الرجل، ولهذا اختصصْنَ بالنوح والتعديد[1] وخصّصْنَ بالنهي عن الحلق والصلق[2] ونحوهما. والرواية الثانية: لا يكره لعموم قوله عليه السلام: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[3] وهذا يدلُّ على سبق النهي ونسخه فيدخل في عمومه الرجال والنساء»[4].

ولعلَّ في توضيح هذه المحاذير التي ذكرها العلماء في زيارة المرأة للمقابر كان الحكم عند من رأى كراهة الزيارة، أما عند انتفاء هذه المحاذير تنتفي الكراهة، والأحوط لهن ترك ذلك خروجاً من الخلاف، والله أعلم.

وفي استخدام أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للمنهج العقلي في الدعوة ما بهر العلماء والفقهاء، فقد روي عنها من الاستنباطات الفقهية والأقيسة العقلية في هذا المجال ما يؤكد قدرتها -رضي الله عنها- في هذا الباب، فدعت -رضي الله عنها- إلى الله عز وجل بأعظم وأمضى سلاح وهو العلم الشرعي، فها هي -رضي الله عنها- تُسأل من أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: "دخلت على عائشة فقلت: يا أماه إن جابر بن عبدالله يقول: الماء من الماء، فقالت: أخطأ، جابر أعلم مني برسول الله؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل،

(١) عددت النائحة: ذكرت مناقب الميت. المعجم الوسيط مادة (عَدَّدَ) (٥٨٧/٢) مرجع سابق.

(٢) الصلق: الصوت الشديد عند المصيبة ونحوها ويدخل فيه النوح. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٨/٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربّه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم: (٩٧٧) (ص٣٧٧).

(٤) المغني لابن قدامة -رحمه الله- (٤٣٠/٢-٤٣١) بتصرف.

أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل؟"[1].

وهذا الحديث من ميادين البحث العلمي الفسيحة التي ناقشها العلماء من الصدر الأول من علماء الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- والتابعون ومن بعدهم من علماء الأمة، فقد رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه من رواية أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-[2].

والجمهور على أنه منسوخ، والعمل على وجوب الغسل إذا جامع الرجل و لم يترل، حيث أورد مسلم -رحمه الله- بعد روايته لهذا الحديث القول: (بأنه كان رسول الله ﷺ ينسخ حديثه بعضه بعضاً، كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً)[3].

وفي صحيح مسلم بعد هذا الحديث باب: نسخ الماء من الماء، ووجوب الغسل بالتقاء الختانين[4]. وأورد حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل"[5]، وفي رواية: (وإن لم يترل)[6].

(١) انظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي (ص١٢٨).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٤٣) (ص١٥٤) كتاب الحيض، باب: إنما الماء بالماء.

(٣) المصدر السابق (ص١٥٤).

(٤) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٥) المصدر السابق حديث رقم: (٣٤٨) (ص١٥٥) كتاب الحيض، باب: نسخ الماء من الماء، ووجوب الغسل بالتقاء الختانن.

(٦) المصدر السابق، حديث رقم: (٣٤٨) (ص١٥٥).

قال العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرحه لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «والحكم -عند جمهور الأمة- على مقتضى الحديث، وفي وجوب الغسل بالتقاء الختانين من غير إنزال، وخالف في ذلك داود وبعض أصحابه الظاهرية، وخالفه بعض الظاهرية ووافق الجماعة. ومستند الظاهرية قوله ﷺ: "إنما الماء من الماء" وقد جاء في الحديث: "إنما كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام، ثم نسخ" ذكره الترمذي[1]»[2].

قال البخاري -رحمه الله- بعد روايته لحديث أبي بن كعب -رضي الله عنه- ونصه: (أنه قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم يترل؟ قال: يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي"[3]. قال أبوعبد الله -هو الإمام البخاري- الغسل أحوط، وذاك الآخر. وإنما بيَّنا لاختلافهم)[4].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «ذهب الجمهور إلى أن ما دلَّ عليه من حديث الباب من الاكتفاء بالوضوء إذا لم يترل المجامع منسوخ بما دل عليه حديث أبي هريرة وعائشة المذكوران في الباب قبله، والدليل على النسخ ما رواه أحمد وغيره من طريق الزهري عن سهل بن سعد قال:

---

(١) سنن الترمذي (١/١٨٥) حديث رقم: (١١٠)، أبواب الطهارة، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح. ثم قال: "والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم: على أنه إذا جامع الرجل امرأته في الفرج وجب عليهما الغسل، وإن لم يترلا". والحديث صححه الألباني كما في (ص١١٢) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (١/٤١٤، ٤١٥).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٩٣) (ص٧٨) كتاب الوضوء، باب: غسل ما يصيب من فرج المرأة.

(٤) المصدر السابق (ص٧٨).

حدثني أبي بن كعب أن الفتيا التي كانوا يقولون: "الماء من الماء" رخصة كان رسول الله ﷺ رخص بها في أول الإسلام ثم أمر بالاغتسال بعد، فعُرف بهذا أن الخلاف كان مشهوراً بين التابعين ومن بعدهم، لكن الجمهور على إيجاب الغسل وهو الصواب»[1].

وهكذا يظهر فقه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- واستنباطها العقلي الجميل في قولها: "أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل" فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

ويتجلى استخدام المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في خطبها ومواعظها، من ذلك على سبيل المثال، عندما **بلغها أن أقواماً ينالون من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فأرسلت إلى أزفلة[2] منهم، فلما حضروا سدلت أستارها، ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلّت على نبيه محمَّد ﷺ وعذلت[3] وقَرَّعت[4]، ثم قالت: "أبي وما أبيه؟ أبي والله لا تعطوه[5] الأيدي، ذاك طود منيف وفرع مديد، هيهات، كذبت الظنون..."[6].**

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٩٧/١-٣٩٩) بتصرف.

(٢) الأزفلة: هي الجماعة، معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة "زفل" (١٥/٣).

(٣) العذل: هو اللوم: أي لامتهم على سوء صنيعهم. انظر: المصباح المنير للفيومي مادة (عذل) (٤٨/٢).

(٤) قرَّع: بتشديد الراء: أوجع باللوم والعتاب، انظر: المعجم الوسيط مادة "قرع" (٧٢٨/٢).

(٥) لا تعطوه: لا تناوله. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عطو) (٣٥٣/٤).

(٦) انظر الخطبة بكمالها في كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥١/١).

فاستخدمت -رضي الله عنها- من الأساليب البيانية والحجج العقلية وضرب الأمثال ما بهر العقول، وألجم الأفواه، وأظهر الحق وأزهق الباطل وأخمد نار الفتنة من الوقيعة في الصديق خليفة رسول الله ﷺ، فرضي الله عن أم المؤمنين وأعظم لها الأجر والمثوبة.

ومن المعلوم أن من أسس المنهج العقلي في الدعوة، الجدل والمناظرة والحوار، وقد كان لأم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- من ذلك نصيب، فقد مَنَّ الله عليها بالعيش مع رسول الله ردحاً من الزمن، تنهل من معينه الذي لا ينضب مما حدا بها وجرأها لأن تفيد من خلال سؤالها له، فها هي تجادل رسول الله ﷺ عندما خطر ببالها بعض الاستفسارات في حديث الحديبية وبيعة الرضوان، فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول: عند حفصة "لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة، أحد الذين بايعوا تحتها". قالت: بلى يا رسول الله؟! فانتهرها، فقالت حفصة: {**وإنْ منكمْ إلاّ واردُها**} فقال النبي ﷺ قد قال الله عز وجل: {**ثمَّ نُنجِّي الذينَ اتقَوا ونذرُ الظالمينَ فيها جِثِيّاً**}[1].

فأم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- لم تدرك وجه الجمع بين الحديث والآية، ففي حديث رسول الله ﷺ أن أصحاب بيعة الرضوان قوم اصطفاهم الله بفضله، فلن يدخلهم النار لما لهم من سابقة وخدمة للدعوة

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٩٦) (ص١٠١٢) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، والآيات في سورة مريم برقم: (٧١، ٧٢).

في أصعب مواقفها، وفي الآية الكريمة التي اعتمدت عليها أم المؤمنين محوراً وأساساً لجدالها ومناقشتها وهو التوجيه بأن ورود النار أمر محتم على كل إنسان، فبين لها رسول الله ﷺ الجواب بالقرآن من الآية نفسها بقوله تعالى: {ثم ننجِّي الذينَ اتَّقَوا...} الآية[1].

والدعوة إلى الله عز وجل لا تكتمل بل ولا تصح إلا بالعلم والفقه في الدين، فأمضى سلاح يتسلح به صاحب الدعوة هو العلم الشرعي؛ ليستطيع إبلاغ دين الله إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والتي هي من أسس المنهج العقلي في الدعوة.

ومن منهجها العقلي في الدعوة -رضي الله عنها- استدلالاتها العلمية واستنباطاتها الفقهية، فقد عرفت -رضي الله عنها- بالعلم والرأي وقد ورد ذكرها في المصنفات الفقهية في مجال الفتاوى العلمية التي تُنسب إليها. وهذا يدلُّ على أنها كانت من المعدودات في الفقيهات من جيل الصحابة -رضي الله عنهم- فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مسألة الحكم على الساحر المسلم.

ذهب الإمام مالك -رحمه الله- إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، وهو قول أحمد وأبي ثور والشافعي وأبي حنيفة -رضي الله عنهم- ورُوي قتل الساحر عن عثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين -رضي الله عنهم-.

(١) سورة مريم، آية: (٧٢).

وروي عن الشافعي: لا يُقْتَلُ الساحر إلا أن يَقْتُلَ بسحره ويقول: تَعَمَّدْتُ القتلَ، وإن قال: لم أتعمد، لم يقتل، وكان فيه الدية لقتل الخطأ، وإن أضَرَّ به أُدِّب على قدر الضرر[١].

ويتجلى استخدام المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- في خطبها ومواعظها، فقد خطبت في مرض أبيها فذكرت وبشرت وطمأنت إذ قالت: "يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، ومعي لك بشارة، لا أذيع السر مرتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تَخْفَ على الله عز وجل خشنة عيشك، وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام[٢] المشركين والمفسدين في الأرض"[٣].

ويظهر أسلوبها البياني واستدلالاتها العقلية والمنطقية في خطبتها الطويلة التي قالتها بعد استشهاد أبيها، إذ كان حرصها على الأمة واجتماع كلمتها وقطع دابر الشرك والفساد هو أهم مرتكز لها في عباراتها القوية، ومنها على سبيل المثال:

(الحمد لله الذي لا نظير له، والفرد الذي لا شريك له، أما بعد: فكل عجب من قوم زين الشيطان أفعالهم، ونصب حبائله لختلهم، حتى هَمَّ عدو الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد درسه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله بعد تحصينها،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤٨/٢).

(٢) الكَظْمُ: مخرج النفس من الحلق. يقال: أخذ بكَظْمِهِ، والجمع أكظام وكظام. المعجم الوسيط مادة (كظم) (٧٩٠/٢).

(٣) انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (٢٧٥/١).

-إلى أن قالت في وصف والدها- فلم يزل سراجه زاهراً، وضوؤه لامعاً، ونوره ساطعاً، له من الأفعال الغرر... ومن التقدم في طاعة الله اللباب...)[1].

ومن خصائص منهجها العقلي في هذه الخطبة وأمثالها قوة العبارة الكامنة في الأسلوب البليغ الذي يعتمد على الإقناع، فمن ذلك اعتناؤها بالجملة القصيرة، فسرعان ما يلي الفعل فاعله فمفعوله، والمبتدأ خبره، والمعطوف المعطوف عليه، وسرعان ما يتعلق الجار والمجرور بعامله.

كما يظهر اعتناؤها بإيثار الإيجاز باختيار اللفظ، فعندما أحبت أن تصف والدها بالإصابة في الأحكام الراشدة قالت: له من الأفعال الغرر، وفي وصفها له بطاعة الله قالت: ومن التقدم في طاعة الله اللباب، وهكذا مما لا حصر له من الأساليب البلاغية العقلية المتدرجة في الإقناع والإلزام لكل من سمعها، من خلال استخدام المنهج العقلي في الدعوة إلى طاعة الله ولزوم جماعة المسلمين، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

ومن الإفادات العلمية والاستنباطات العقلية التي نفع الله بها الأمة، ما أُثر عن أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حين كانت مرجع الفتوى لكثير من نساء الأمة، فهذه إحدى المؤمنات تحاورها عن حكم من أحكام دينها وتجيبها **أم سلمة** -رضي الله عنها- وكان لها من ذلك علم ورثته من رسول الله ﷺ، فقد جاء (عن أم ولد[2] لإبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف، قالت: كنت

---

(١) للمزيد من روائع هذه الخطبة كاملة، انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (١/٢٧٦-٢٧٧).

(٢) اسمها حميدة، تابعية صغيرة مقبولة، من الطبقة الرابعة، انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢/٥٩٥). وانظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/٥٦).

أجر ذيلي فأمرُّ بالمكان القذر والمكان الطيب، فدخلت على أم سلمة فسألتها عن ذلك؟ فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يطهره ما بعده)[١].

قال صاحب التحفة -رحمه الله- في بيان معنى بعض مفردات الحديث: «وفي معنى قول المرأة "أجر ذيلي": أي هو طرف الثوب الذي يلي الأرض وإن لم يمسها، والمقصود بالقذر: أي في مكان ذي قذر أي في المكان النجس، والمعنى: أن الذيل يطهر بالمكان الطاهر بعد المكان القذر»[٢].

وقد أورد الزرقاني -رحمه الله- في شرحه للحديث الذي رواه الإمام مالك -رحمه الله- في الموطأ أقوال الأئمة العلماء في هذه المسألة فقال -رحمه الله-: «قال مالك -رحمه الله- أي: في تفسير معنى قوله ﷺ: "يطهره ما بعده": معناه في القشب[٣] اليابس والقذر الجاف الذي لا يلصق منه بالثوب شيء وإنما يعلق به فيزول المتعلق بما بعده لا أن النجاسة يطهرها غير الماء، وعنه إنما هو أن يطأ الأرض القذرة ثم يطأ اليابسة النظيفة فإن بعضها يطهر بعضاً، وأما النجاسة مثل البول ونحوه يصيب الثوب

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٨٣) (١/١٠٤) كتاب الطهارة، باب: في الأذى يصيب الذيل. وانظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (١٤٣) (١/٢٦٦) أبواب الطهارة، باب: ما جاء في الوضوء من المَوْطَإِ. قال عنه الألباني -رحمه الله- حديث صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٤٠) (١/١١٣).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد الباركفوري (١/٤٣٧). وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام محمَّد أبادي (٢/٤٤).

(٣) القشب اليابس: الصلب، وقشب الطعام: ما يلقى منه مما لا خير فيه. انظر: لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري -رحمه الله- مادة "قشب" (١/٦٧٣).

أو بعض الجسد فلا يطهره إلا الغسل قال وهذا إجماع الأمة، وقال الشافعي -رحمه الله-: هذا إنما هو فيما جُرَّ على ما كان يابساً لا يعلق بالثوب منه شيء، فأما إذا جُرَّ على رطب فلا يطهر إلا بالغسل، وقال أحمد -رحمه الله- ليس معناه إذا أصابه ثم مرَّ بعده على الأرض أنها تطهره، ولكنه يمرُّ بالمكان فيقذره ثم يمرُّ بمكان أطيب منه فيكون هذا بذاك لا على أنه لا يصيبه منه شيء»[1].

قال الخطابي -رحمه الله- في أعلام السنن بعد أن أورد أقوال الأئمة السابقة، قال -رحمه الله-: «قلت: وهذا إجماع الأمة»[2]. وهو يشير إلى قول الإمام مالك -رحمه الله- السابق ونصه: «أما النجاسة مثل البول ونحوه يصيب الثوب أو بعض الجسد فإن ذلك لا يطهره إلا الغسل»[3].

ومن الأساليب التي يغلب عليها الجانب العقلي وتساق من أجل العبرة ما سطرته أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في إحدى مروياتها عن رسول الله ﷺ عندما أتاها عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- واستفسر عن أسباب النجاة للخلاص من معوقات هذه الدار للوصول إلى دار القرار بسلام، فكانت الإجابة الحكيمة من المرأة الحكيمة -رضي الله عنها- بأن وجهته إلى أمر جد خطير حذر منه ﷺ، فأخافته خوفاً شديداً، ولم يكد

---

(١) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، شرح حديث رقم: (٤٤) (٥٦/١) باب وقوت الصلاة، باب: ما لا يجب منه الوضوء، بتصرف.

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمَّد الخطابي (١٠٢/١).

(٣) المصدر السابق (١٠٢/١).

يسمع هذا الحديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حتى هرع إلى أم المؤمنين سائلاً عن حاله، وهل سمَّاه ﷺ فيمن سمى ممن شملهم هذا الوعيد. وهذا كله من تواضع وخوف الفاروق وابن عوف -رضي الله عنهما-، وإلا فهما من أئمة الدين وأعلام الإسلام وقد بُشِّرَا بالجنة على لسان النبي ﷺ.

فقد روى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده عن أم **سلمة** -رضي الله عنها- قالت: "دخل عليها عبد الرحمن بن عوف، قال: فقال: يا أُمه، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريشٍ مالاً؟ قالت: يا بني فأنفق، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه، فخرج، فلقي عمر فأخبره، فجاء عمر فدخل عليها، فقال لها: بالله، منهم أنا؟ فقالت: لا، ولن أُبْلِيَ[1] أحداً بعدك"[2].

وهذا الحديث كان هو وأمثاله محل بحث واستنباط للأحكام من لدن علماء الأمة سلفاً وخلفاً، ذلك أن بعض من في قلبه مرض من أصحاب

(١) "ولن أبلي أحداً بعدك": أي لا أخبر بعدك أحداً، وأصله من قولهم أبليت فلاناً يميناً، إذا حلفت له بيمين طَيَّبتَ بها نفسه، وقال ابن الأعرابي: أبلي بمعنى أخبر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/١٥٦).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- حديث رقم: (٢٧٠٢٢) (ص١٩٦٩) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية. والحديث صححه الشيخ الألباني -رحمه الله-. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: (٢٩٨٢) المجلد السادس القسم الثاني (ص١٢٠٢) الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

الأهواء والفـرق الضالـة استغلوا مثـل هـذا الحديـث في الطعـن والنيـل مـن صحابة رسـول الله ﷺ بتحميلهم لألفـاظ الحديـث ومعانيـه مـا لم تتحمـل، وما ذاك إلا تنفيساً لبغضٍ دفين من الحقد والحسد على صحابـة رسـول الله ﷺ، فبعضهم فسَّـق الصحابـة -رضـوان الله عليهـم- ومنهـم مـن كفَّرهـم وحكـم بردتهم بعد رسـول الله ﷺ مستدلين بهذا الحديث وما ورد في بابـه، ومنهـا مـا ورد في الصحيـح مـن روايـة ابـن عبـاس -رضـي الله عنهمـا- "قال: قام فينا النـبي ﷺ يخطـب فقـال: إنكـم محشـورون حفـاة عـراة غـرلاً ﴿**كما بدأنا أول خلقٍ نعيدهُ**﴾ الآية، وإن أول الخلائق يكسـى يـوم القيامـة إبراهيم الخليل، وإنه سـيجاء برجـال مـن أمـتي فيؤخـذ بهـم ذات الشـمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تـدري مـا أحدثـوا بعـدك، فـأقول كما قال العبد الصالح ﴿**وكنت عليهم شـهيداً مـا دمـتُ فيهـمْ**﴾ إلى قولـه ﴿**الحكيم**﴾ قال فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم"[١].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في ذكـره للأقـوال الـواردة في بيـان المقصود بالمرتدين: «هم الذين ارتدّوا على عهد أبـي بكـر فقـاتلهم أبوبكـر، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر، وقال الخطابي: لم يرتدّ مـن الصحابـة أحـد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدلُّ قوله: "أصيحابي" بالتصغير على قلـة عددهـم، وقـال غيره: قيل على ظاهره من الكفر، والمراد بأمتي أمة الدعوة لا أمة الإجابة»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٥٢٦) (ص١٣٨٦) كتاب الرقاق، باب: الحشر.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٨٥/١١) بتصرف.

وفي بيان مجمل رأي الأئمة الأربعة -رحمهم الله- في بيان المقصود بالمرتدين قال الآلوسي -رحمه الله- «أقول: ما ثبت عن الروافض اليوم من التصريح بكفر الصحابة، وكذا التصريح ببغضهم واستحلال إيذائهم، وإنكار خلافة الخلفاء الراشدين منهم والتهافت على سبهم ولعنهم -تهافت الفراش على النار- دليل على كفرهم. وقد أجمع أهل المذاهب الأربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على القول بكفر المتصف بذلك»[1].

قال القاضي عياض -رحمه الله- في الشفاء: «قال مالك -رحمه الله- من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أُدِّبَ، وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ: أبابكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلالٍ وكفرٍ قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة نُكِّلَ نكالاً شديداً»[2].

هذا ولقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كعادته، فتكلم كلاماً طويلاً في هذه المسألة، ومجمل قوله -رحمه الله- هو: «وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم... فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يُحمل كلام من

(١) صب العذاب على من سبّ الأصحاب لأبي المعالي محمود الآلوسي (ص٤٦٩-٤٧٠) تحقيق: عبدا لله البخاري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ط. أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٢/٢٥٣)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول المصري، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد، وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم؛ فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين. فإن مضمون هذه المقالة أن نَقَلَة الكتاب والسنّة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿**كنتم خيرَ أمةٍ أخرِجتْ للناسِ**﴾ وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفّاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[1].

ومن الفوائد المستفادة من حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على المسارعة إلى الخير والسؤال عنه وبذل النفس والنفيس في رضا الله عز وجل.

ومنها الأسلوب الحكيم في جواب أم المؤمنين للصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- حين وجهته إلى كثرة الإنفاق في سبيل الله، وجعلت ذلك من أسباب الفوز والفلاح.

ومنها استدلالات أم سلمة العقلية -رضي الله عنها- من خلال ذكرها

---

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام المعروف بابن تيمية (ص٥٨٦-٥٨٧) بتصرف، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام في هذا المقام، حيث جعلت الأمر جَلَلاً في عين الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- وقطعاً هو ليس مقصوداً به.

ومن الفوائد المستنبطة من الحديث، استفادة كبار الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون من علم أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهم أجمعين-، وإثبات فضيلتهن في العلم بحديث رسول الله ﷺ.

ومن المحاورات العقلية في منهج أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها في الدعوة ما وَرَّثَتْه للأمة من علم حين حاورت رسول الله ﷺ في شأن أبنائها الأيتام الذين هم في حجرها من زوجها الأول أبي سلمة -رضي الله عنه-.

لقد كانت إجابته ﷺ لها منهجاً للأمة في الرفق والإحسان إلى الأقارب وتعهدهم بالصلة، (فقد رُوي في الصحيح عن **أم سلمة** -رضي الله عنها- قلت: يا رسول الله، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا، إنما هم بني؟ قال: نعم، لكِ أجر ما أنفقت عليهم)[1].

ومما أوضحه الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث موضحاً حمله للحديث على صدقة التطوع وليس الزكاة المفروضة قال -رحمه الله- «فدل على أن نفقة بنيها لا تجب عليها، إذ لو وجبت عليها لبين لها النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٦٩) (ص١١٧٨) كتاب النفقات، باب: ﴿**وعلى الوارث مثل ذلك**﴾.

ذلك... والحديث صريح في أن إنفاقها على أولادها كان على سبيل الفضل والتطوع»[1].

وفي موضع آخر قال -رحمه الله-: «وليس في حديث أم سلمة تصريح بأن الذي كانت تنفقه عليهم من الزكاة»[2].

وفي بيان حكم صرف الزكاة المفروضة وأنها لا تجوز على من تجب نفقته من الأصول والفروع، قال العلامة ابن قدامة -رحمه الله-: «مسألة، قال -هو الخرقي رحمه الله صاحب المتن- ولا يعطي من الصدقة المفروضة للوالدين وإن علَوا ولا للولد وإن سفل). قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الزكاة لا يجوز دفعها إلى الوالدين في الحال التي يجبر الدافع إليهم على النفقة عليهم ولأن دفع زكاته إليهم تغنيهم عن نفقته وتسقطها عنه ويعود نفعها إليه فكأنه دفعها إلى نفسه فلم تجز كما لو قضى بها دينه وقول الخرقي: الوالدين يعني الأب والأم، وقوله: وإن علَوا يعني آباءهما وأمهاتهما وإن ارتفعت درجتهم من الدافع... والولد وإن سفل يعني وإن نزلت درجته من أولاده البنين والبنات الوارث وغير الوارث نص عليه أحمد»[3].

وفي توضيح تقديم استحقاق القريب وبيان أحقيته في التقديم عند صدقة التطوع وإن كان من الأصول أو الفروع كما في حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها-، قال صاحب المجموع -رحمه الله-: «ولا فرق في

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥١٥/٩).

(٢) المصدر السابق (٣٣١/٣).

(٣) المغني للعلامة محمَّد بن قدامة (٥١١/٢-٥١٢) بتصرف.

استحباب صدقة التطوع على القريب وتقديمه على الأجنبي، بين أن يكون القريب ممن يلزمه نفقته أو غيره، قال البغوي: دفعها إلى قريب يلزمه نفقته أفضل من دفعها إلى الأجنبي»[1].

وبياناً لبعض محاورات **أم سلمة** -رضي الله عنها- العقلية لرسول الله ﷺ في تعلمها لبعض الأحكام الشرعية التي سئلت عنها من بعض المؤمنات حيث كانت وسيط خير في نقل العلم من رسول الله ﷺ إلى الأمة ما جاء عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن امرأة[2] كانت تهراق[3] الدماء على عهد رسول الله ﷺ فاستفتت لها أم سلمة رسول الله ﷺ فقال: لتنظر عدة الليالي والأيام التي كانت تحيضهن من الشهر قبل أن يصيبها الذي أصابها فلتترك الصلاة قدر ذلك من الشهر، فإذا خَلَّفتْ[4] ذلك فلتغتسل ثم لتستثفر[5] بثوب ثم لتصل فيه)[6].

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام محيي الدين النووي (٢٣١/٦).

(٢) هي فاطمة بنت أبي حبيش. انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١٢٣/١).

(٣) (تهراق الدماء) يقال: أراق الماء يريقه، وهراقه يهريقه، بفتح الهاء، والمعنى: أنها من كثرة الدم بها كأنها كانت تهريقه. انظر: المصدر السابق (١٢٣/١). وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٦٠/٥).

(٤) خلَّفت ذلك: أي تركت أيام الحيض الذي كانت تعهده وراءها. شرح الزرقاني على الموطأ (١٢٤/١).

(٥) لتستثفر: أي تشد فرجها بخرقة عريضة بعد أن تحتشي قطناً، وتوثق طرفيها في شيء تشده على وسطها، فتمنع بذلك سيل الدم، وهو مأخوذ من ثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢١٤/١).

(٦) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٧٤) (٧١/١) كتاب الطهارة، باب: في المرأة تستحاض، ومن قال تدع الصلاة في عدة الأيام التي كانت تحيض، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٠٨) (٧٩/١).

وفي بيان بعض الأحكام المستنبطة من الحديث قال الإمام الخطابي -رحمه الله-: «هذا حكم المرأة يكون لها من الشهر أيام معلومة تحيضها في أيام الصحة قبل حدوث العلة، ثم تستحاض فتهريق الدماء ويستمر بها السيلان، أمرها رسول الله ﷺ أن تدع الصلاة من الشهر قدر الأيام التي كانت تحيضهن قبل أن يصيبها ما أصابها، فإذا استوفت عدد تلك الأيام اغتسلت مرة واحدة وصار حكمها حكم الطواهر في وجوب الصلاة والصوم عليها وجواز الطواف إذا حجت وغشيان الزوج إياها، إلا أنها إذا أرادت أن تصلي توضأت لكل صلاة تصليها لأن طهارتها طهارة ضرورية فلا يجوز أن تصلي بها صلاتي فرض»[(١)].

وفي بيان أن المرأة هي مرجع معرفة مقدار أيام القعود عن الصلاة والصوم وتمييزها لأيام الحيض عن أيام الاستحاضة الأخرى، قال صاحب عون المعبود -رحمه الله-: «واحتج بهذا الحديث من قال إن المستحاضة المعتادة ترد لعادتها ميزت أم لا، وافق تميزها عادتها أو خالفها»[(٢)].

ولقد توسع العلماء -رحمهم الله- في بيان حالات المرأة المستحاضة فحددها العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- بأربع حالات وهي:

مستحاضة مبتدأة، أو معتادة، وكل منهما إما مميزة، أو غير مميزة[(٣)].

ثم قال -رحمه الله-: «والحديث قد دلَّ بلفظه على أن هذه المرأة كانت معتادة...، وهذا يقتضي أنها كانت لها أيام تحيض فيها»[(٤)].

---

(١) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام حمد بن محمَّد الخطابي (٧٣/١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمَّد شمس الحق الآبادي (٤٥٨/١).

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٤٧٣/١).

(٤) المصدر السابق (٤٧٤/١) بتصرف.

ثم أورد -رحمه الله- اختيار الإمام أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي باستدلالهم بهذه الرواية في بيان وضوح التمييز بالردّ إلى أيام العادة، وبهذا تكون السائلة هنا معتادة مميزة، وكان استدلالهم -رحمهم الله- بالقاعدة الأصولية وهي: "إن ترك الاستفصال في قضايا الأحوال، مع قيام الاحتمال، ينزل منزلة عموم المقال" فلما سألت هذه المرأة عن حكمها في الاستحاضة، ولم يستفصلها رسول الله ﷺ عن كونها مميزة أو غير مميزة، كان ذلك دليلاً على أن هذا الحكم عام في المميزة وغيرها[1].

وإتماماً لما سبق فقد أورد الزرقاني -رحمه الله- في شرحه للحديث أقوال العلماء في المستحاضة وأحوالها التي قد تطرأ عليها، فقال -رحمه الله-: «أجاب ابن العراقي بأنه إن صحَّ أن المبهمة فاطمة فلعلها كانت لها أحوال كانت في بعضها مميزة وفي بعضها ليست مميزة، وجاء الجواب لها باعتبار حالتيها، قال: وفيه تصريح بأنها لم تكن مبتدأه بل كانت لها عادة تعرفها وليس فيه بيان كونها مميزة أم لا فاحتج به من قال إن المستحاضة المعتادة ترد لعادتها ميزت أم لا، وافق تمييزها عادتها أو خالفها، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي وأشهر الروايتين عن أحمد، وهو مأخوذ من قاعدة ترك الاستفصال، فإنه ﷺ لم يسألها هل هي مميزة أم لا»[2].

وهذه القاعدة الأصولية السابقة، تعرض لها العلماء بالنظم والشرح، قال في نشر البنود:

---

(١) المصدر السابق (١/٤٧٤، ٤٧٦) بتصرف.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/١٢٣).

(وَنَزِّلَنْ تـرك الاسـتفصال   منزلـةَ العمـوم في الأقـوال

يعني أن ترك الشارع الاستفصال -أي طلب التفصيل- في حكاية الأحوال مع قيام الاحتمال ينزل منزلة العموم في الأقوال ومن تَرْكِ الاستفصال في حكاية الأحوال، حديث فاطمة بنت أبي حبيش أن النبي ﷺ قال لها وقد ذُكرت له أنها تستحاض "إن دم الحيض أسود يُعرف، فإذا كان كذلك فأمسكي عن الصلاة وإذا كان الآخر فاغتسلي وصلي" فلم يستفصلها هل لها عادة في ذلك أم لا، فيكون حكمه باعتبار التمييز شاملاً للمعتادة وغيرها)[1].

ومما أفادت به أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في محاوراتها العقلية مع رسول الله ﷺ حرصاً منها على ستر المرأة المسلمة الستزة الكاملة في لباسها وحشمتها حتى لايراها أصحاب الأعين الجائعة والأنفس المريضة (فقد ورد عنها -رضي الله عنها- أنها قالت لرسول الله ﷺ حين ذكر الإزار: فالمرأة يا رسول الله؟ قال: ترخي شبراً، قالت أم سلمة: إذاً ينكشف عنها، قال: فذراعاً لا تزيد عليه)[2].

وفي رواية أخرى (عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال

---

(١) انظر: نشر البنود على مراقي السعود، للشيخ: سيدي عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت: ١٢٣٣هـ) (١/٢١٤-٢١٥) كتاب: القرآن ومباحث الأقوال، باب: العام. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤١١٧) (٤/٦٥) كتاب اللباس، باب: في قدر الذيل، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- (١/٥٢٣).

رسول الله ﷺ: من جَرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شبراً، فقالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه)(١).

قال صاحب عون المعبود -رحمه الله- في توضيحه للرواية الأولى عند قوله ﷺ: (حين ذكر الإزار) قال: أي ذم إسباله، وفي قول **أم سلمة** -رضي الله عنها- (فالمرأة يا رسول الله) عطف على الكلام المقدر لرسول الله ﷺ ولعل المقدر قوله: "إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه"، أي فما تصنع المرأة أو فالمرأة ما حكمها؟. (قال ترخي) بضم أوله أي ترسل المرأة من ثوبها (شبراً) أي من نصف الساقين(٢).

وقد أوضح الترمذي -رحمه الله- بعد روايته للحديث أن الرخصة في جَرِّ الذيول إنما هي للنساء خاصة فقال -رحمه الله-: «وفي هذا الحديث رخصة للنساء في جَرِّ الإزار لأنه يكون أستر لهن»(٣).

وأكَّد هذا النووي -رحمه الله- بقوله: «وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء، وقد صحَّ عن النبي ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن ذراعاً...، وأما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر المذكور فالمستحب نصف الساقين

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٧٣١) (٢٢٣/٤) كتاب اللباس، باب: ما جاء في جرّ ذيول النساء. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني كما في (ص٢٩٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمَّد شمس الحق الأبادي (١٧٥/١١).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٧٣٢) (٢٢٤/٤) كتاب اللباس، باب: ما جاء في جر ذيول النساء.

والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم، وإلا منع تنزيه، وأما الأحـاديث المطلقـة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد بها ما كان للخيلاء، لأنه مطلق فوجـب حمله على المقيد، وا لله أعلم»(١).

ومما أفاد به القاضي عياض -رحمه ا لله- في ذلك قوله: «قال أهل العلم: ويكـره بالجملـة كـل مـا زاد علـى الحاجـة والمعتـاد في اللبـاس مـن الطـول والسعة»(٢).

وتلخيصاً لما سبق أورد قول الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- حيث أجـاد وأفاد -رحمه ا لله- فقال: «والحـاصل أن للرجـال حـالين: حـال اسـتحباب وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق، وحال جـواز وهـو إلى الكعبـين، وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهـو مـا يزيـد علـى مـا هـو جـائز للرجال بقدر الشبر، وحال جواز بقدر ذراع»(٣).

ومن ثمرات المحاورات العقلية بين **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- ورسـول ا لله ﷺ ما استفادته الأمة في كثير من الأحكام وإثبـات المنـاقب لبعـض أمهـات المؤمنين -رضوان ا لله تعالى عنهن- لقد بدأت المحاورة بين أم سلمة وأمهات المؤمنين في محاولة الاستئثار بحب رسول ا لله ﷺ من مثل أم المؤمنـين **عائشـة** -رضي ا لله عنها-، وكانت **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- هـي المؤهلـة مـن بينهن للحديث مع رسول ا لله ﷺ في مثل هذا الأمر المهم؛ وذلـك لمـا عُلـم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم -رحمه ا لله- (٦٢/١٤) بتصرف.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض اليحصبي (٦٠١/٦).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- (٢٥٩/١٠).

من مكانتها عند رسول الله ﷺ، فقد جاء (عن **أم سلمة** -رضي الله عنها- أن نساء النبي ﷺ كَلَّمْنَها أن تكلم النبي ﷺ، أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، ونقول له: إنا نحب الخير كما تحب عائشة، فكلمته، فلم يجبها، فلما دار عليها كلمته أيضاً، فلم يجبها، وقلن: ما ردَّ عليك؟ قالت: لم يجبني، قلن: لا تدعيه حتى يردَّ عليك، أو تنظرين ما يقول، فلما دار عليها، كلمته، فقال: لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه لم ينزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة)[1].

وفي رواية المسند للإمام أحمد (فقالت -أي أم سلمة-: أعوذ بالله أن أسوءك في عائشة)[2].

ومن ثمرات هذا الحديث، إثبات منقبة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وعلو مكانتها عند رسول الله ﷺ، وشهادة رسول الله ﷺ لها بالفضل واستدلاله على ذلك بنزول الوحي عليه في لحافها دون غيرها من أمهات المؤمنين.

ولقد أفرد البخاري -رحمه الله- باباً كاملاً في مناقبها وفضلها[3]، وأورد فيه عدة أحاديث تؤكد فضلها وعلو شأنها ومنزلتها عند رسول الله ﷺ وبين نساء الأمة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة، حديث رقم: (٢٥٨١) (ص٥٣٦). وسنن النسائي، حديث رقم: (٣٩٦٠) (٧/٦٨-٦٩) كتاب عشرة النساء، باب: حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض. وهذا لفظ النسائي.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٠٤٧) (ص١٩٧١) مسند النساء، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٣) صحيح البخاري، الأحاديث من: (٣٧٦٨) إلى (٣٧٧٥) (ص٧٩٠-٧٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة -رضي الله عنها-، بتصرف.

وفي بيان معنى قوله ﷺ: "فإنه لم ينزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة" قال السيوطي -رحمه الله-: «لا يَرِدُ على ذلك خديجة، لأنها ماتت قبل ذلك، فلم تدخل في الخطاب بقوله: "منكن" وقيل: -أي تفضيل **عائشة** -رضي الله عنها- لمكان أبيها، وأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ في أغلب أحواله، مع ما كان لها من مزيد حبه ﷺ»[1].

كما يستفاد من هذا الحديث أدب أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في تطييبها لقلب النبي ﷺ بقولها: "أعوذ بالله أن أسوءك في عائشة". وما هذا الخُلق بغريب فهو من أدب النبوة.

ومما أُثر من المحاورات العقلية التي دارت بين أم المؤمنين **أم سلمة** وأم المؤمنين **ميمونة** -رضوان الله عليهما- وبين رسول الله ﷺ وكان فيها من العلم والخير الشيء الكثير الذي استفادت منه الأمة في أمور دينها. لقد كانت هذه المحاورة في شأن نظرهن إلى الصحابي الكفيف عمرو بن أم مكتوم -رضي الله عنه- عندما دخل على رسول الله ﷺ وهما عنده، وكانت المحاورة التالية، فقد روى الترمذي -رحمه الله- في سننه بسنده إلى ابن شهاب[2]

---

(١) التوشيح شرح الجامع الصحيح للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٢٣٨٢/٦) بتصرف، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) هو الإمام العلم حافظ زمانه محمَّد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، أبوبكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام، روى عن: ابن عمر وجابر بن عبدالله، حدَّث عنه: عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم. قال علي بن المديني: له نحو من ألفي حديث، وقال أبوداود: حديثه ألفان ومائتا حديث النصف منها مسند، قيل: توفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢٦/٥). وميزان الاعتدال للذهبي (٤٠/٤) وحلية الأولياء للأصبهاني (٣٦٠/٣) وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢٥/٩).

عن نبهان[1] مولى أم سلمة: أنه حدثه (أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟) قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح[2].

واستدلّ البغوي -رحمه الله- بهذا الحديث وغيره على أن جميع بدن المرأة الأجنبية عورة في حق الرجل. فلا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه

---

(١) هو نبهان المخزومي، أبو يحيى المدني مولى أم سلمة ومكاتبها، روى عنها وروى عنه الزهري ومحمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٠/٤١٦).

(٢) سنن الترمذي -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٧٨) كتاب الأدب، باب: ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، قال الذهبي -رحمه الله- في كتابه الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/٣١٦) عن راوي الحديث عن أم سلمة وهو نبهان المخزومي، قال عنه: ثقة. وقال النووي -رحمه الله- في شرح صحيح مسلم: ولا يلتفت إلى قدح من قدح فيه بغير حجة معتمدة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٩٧). وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٤١٦). وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: (الحديث المشهور "أفعمياوان أنتما" وهو حديث أخرجه أصحاب السنن الأربعة من رواية الزهري عن نبهان مولى أم سلمة عنها وإسناده قوي، وأكثر ما علل به انفراد الزهري بالرواية عن نبهان وليست بعلة قادحة، فإن من يعرفه الزهري ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة و لم يجرحه أحد لا ترد روايته). انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٩/٣٣٧) شرح حديث رقم: (٥٢٣٦) كتاب النكاح، باب: نظر المرأة إلى الحبش ونحوه من غير ريبة.

واليدين إلى الكوعين لقوله تعالى: ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها...**﴾ الآية، وأورد تفسير الآية لمن قال بأن المراد هو الوجه والكفان. ثم قال: والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها لما روي عن **أم سلمة** -رضي الله عنها-[1] ثم أورد حديث أم سلمة السابق.

ومن أهل العلم من رأى تخصيص حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- السابق بأمهات المؤمنين دون غيرهن، فقد قال أبوداود -رحمه الله- بعد ذكره للحديث السابق ما نصه: «هذا لأزواج النبي ﷺ خاصة، ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم فقد قال النبي ﷺ: "اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده»[2].

قال صاحب عون المعبود بعد عبارة أبي داود السابقة فقال -رحمه الله-: «حديث أم سلمة مختص بأزواج النبي ﷺ، وحديث فاطمة بنت قيس لجميع النساء...، وبه جمع المنذري... -ثم أورد -رحمه الله- قول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- الأمر بالاحتجاب من ابن أم مكتوم لعله لكون الأعمى مظنة أن ينكشف منه شيء ولا يشعر به فلا يستلزم عدم جواز النظر مطلقاً قال: ويؤيد الجواز استمرار العمل على جواز خروج النساء إلى

---

(١) شرح السنة للإمام البغوي (٩/٢٣-٢٤) بتصرف، تحقيق: محمد زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان. والآية رقم: (٣١) من سورة النور.

(٢) سنن أبي داود، الحديث رقم: (٤١١٢) (٤/٦٤) كتاب اللباس، باب: في قوله عز وجل: ﴿**وقلْ للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهن**﴾.

المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال و لم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء، فدل على مغايرة الحكم بين الطائفتين»[1].

وقد أجاد النووي -رحمه الله- في توضيح هذه المسألة عند شرحه لحديث فاطمة بنت قيس الذي ورد في صحيح مسلم[2] فقال -رحمه الله-: «الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي كما يحرم عليه النظر إليها لقوله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...**﴾ الآية، وقوله: ﴿**وقلْ للمؤمنات يغضضن من أبصارهن...**﴾ الآية، ولأن الفتنة مشتركة، وكما يخاف الافتتان بها تخاف الافتتان به، ويدلُّ عليه من السنة حديث نبهان مولى أم سلمة -وأورد حديث أم سلمة السابق، ثم قال -رحمه الله- وهذا الحديث حديث حسن رواه أبوداود والترمذي وغيرهما، قال الترمذي: هو حديث حسن،

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمَّد شمس الحق أبادي (١١/١٧٠-١٧١) وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٩/٣٣٧).

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٨٠) (ص١٤٧٥) كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها. ونصه: "عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ليس لك عليه نفقة، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني، قالت: فلما حللت ذكرت له، أن معاوية ابن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت".

ولا يلتفت إلى قدح من قدح فيه بغير حجة معتمـدة، وأمـا حديـث فاطمـة بنت قيس مع ابن أم مكتوم فليس فيه إذن لها في النظر إليه، بل فيه أنها تأمن عنده من نظر غيرها وهي مأمورة بغض بصرها فيمكنها الاحتراز عن النظـر بلا مشقة بخلاف مكثها في بيت أم شريك»[(1)].

ويتضح المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنـين **أم سـلمة** -رضـي ا لله عنها- في صلح الحديبية فبعد أن فرغ رسول ا لله ﷺ من مسألة كتابة وثيقة الصلح وشرع في الوفاء بأحد بنودها التي تنصُّ على العـودة مـن غـير عمـرة وطواف بالبيت، وقـف ﷺ أمـام أصحابـه آمـراً قـائلاً: "قومـوا فـانحروا ثـم احلقوا"[(2)]، ولكن لم يستجب واحد منهم، وما أصعب أن يلمس القائد من جنوده تباطؤاً وتقاعساً، وهو رسول ا لله ﷺ الذي تعوَّد منهم المحبة والطاعـة والولاء، فشقَّ عليه ذلك، فدخل على **أم سلمة** -رضـي ا لله عنهـا- فقـال: "هلك المسلمون، أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا"[(3)].

وهنا يظهر العقل والتسديد في الرأي الذي صدر عن أم المؤمنين -رضي ا لله عنها- حيث قالت: "يا نبيَّ ا لله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلـمْ أحـداً منهم بكلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك"[(4)]. ثم تعتـذر لهـم -رضي ا لله عنها- مشفقة عليهـم شـفقة الأم الحنـون علـى أبنائهـا العارفـة

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٩٦-٩٧) بتصرف.

(2) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣١-٢٧٣٢) (ص٥٧١-٥٧٤) كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(3) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٧٣١-٢٧٣٢).

(4) المصدر السابق (ص٥٧٣).

بصدق نياتهم فتقول: "يا رسول الله، لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلْتَ على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح"[1]. وفعلاً فقد حدث الذي توقعته أم سلمة: "فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يَقْتُلُ بعضاً غماً"[2].

وهكذا جلّى الله عز وجل عن الأمة هذا الموقف الصعب بأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفيه فضل المشورة، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة ووفور عقلها»[3]، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

وهذه أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- تضرب أروع الأمثلة في رجاحة العقل ونفاذ الرأي، وتغليب حكم الله ورسوله على رضى نفسها ومآثر قومها وما درجت عليه من قيم وعادات وتقاليد، فيتضح منهجها العقلي في الدعوة من خلال هذا الحوار العقلي البليغ الذي دار بينها وبين رسول الله ﷺ، وكان ذلك يوم أن خطبها رسول الله ﷺ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٤٧/٥).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣١) (ص٥٧٣)، ومعنى غماً: من الغم وهو التغطية والسَّتْر، من غَمَمْت الشيء إذا غطيته، ومنه: أغمي على المريض إذا غشي عليه، كأن المرض ستر عقله وغطاه، والمعنى: حصول ذلك للصحابة -رضوان الله عليهم- من كثرة الزحام عند تنفيذهم لأمره ﷺ بالحلق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٨٨/٣-٣٨٩).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٣٤٧/٥).

لمولاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، قالت: يا رسول الله أُؤَامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ وهي قوله تعالى: **﴿وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسولهُ أمراً أن يكونَ لهم الخيرةُ من أمرهم ومن يعص الله ورسولَهُ فقد ضَلَّ ضلالاً مبيناً﴾**[1]. قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً. قال رسول الله ﷺ: نعم، قالت: إذاً لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي)[2].

ومما هو معلوم أن من الاستدلالات على المنهج العقلي في الدعوة، تغليب جانب العقل والفكر على العاطفة والفطرة في الدعوة إلى الله، فإذا اتصف الداعية بذلك يكون قد حقق واقعية المنهج العقلي في دعوته، وأم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- كان لها من ذلك النصيب الوافر، فها هي ذي تحقق هذا المنهج من خلال استشارة رسول الله ﷺ لها في شأن **عائشة** -رضي الله عنها- عندما خاض الناس في حادثة الإفك، فقد ورد في صحيح البخاري في حديث الإفك: "قالت **عائشة** -رضي الله عنها-: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب عن أمري، فقال: يا زينب، ماذا علمتِ أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيراً، قالت **عائشة** -رضي الله عنها-: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤٨٩/٣).

أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك"[1].

وهكذا يظهر موقف أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- العاقلة التي استوعبت النصوص الشرعية ونقلتها من دائرة الاستماع إلى دائرة الفعل والتطبيق، فهي لا تشهد إلا بما عرفت، ولا تظهر بمظهر ذات الوجهين ولا تحكم إلا على ما رأت، ولا تتتبع الأعراض، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

وهذه **أم المؤمنين صفية بنت حيي** -رضي الله عنها- يصفها العلماء بالعقل والحلم والفضل، فقد قال فيها صاحب الاستيعاب -رحمه الله-: «كانت **صفية** -رضي الله عنها- حليمة عاقلةً فاضلةً»[2].

وقال الذهبي -رحمه الله-: «وكانت شريفة عاقلة، ذات حسب وجمال ودين»[3].

ويظهر منهجها العقلي في الدعوة -رضي الله عنها- من خلال حوارين عقليين، أظهرت من خلالهما البرهان وأقامت الحجة الشرعية والعقلية على صدق إيمانها وإسلامها وتحقيقها لمبدأ الولاء والبراء وأنها ثابتة على ما كانت عليه مع زوجها رسول الله ﷺ، فدفعت عن نفسها ما أُلحق بها زوراً وبهتاناً، تمثل ذلك عندما وشت بها جاريتها عند أمير المؤمنين

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٥٠) (ص١٠١٧) كتاب التفسير، باب: ﴿**لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٣٣٩/٤) حاشية الإصابة في تمييز الصحابة. ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٢/٢).

عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (فقد جاء أن جارية لصفية زعمت أن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود، فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت الجارية: الشيطان، قالت **صفية** -رضي الله عنها-: اذهبي فأنت حرة)[1].

إن هذا التصرف الكريم هو ذروة الحلم والعقل الذي تحلّت به أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- حيث قارعت الحجة بالحجة، وجمَّلت ذلك العقل بالحلم في حين أنها كانت قادرة على القصاص وأخذ الحق ممن تقوَّل عليها، ولكنها آثرت مرضاة الله على رضا النفس بالتشهي في أخذ الحق وردّ المظلمة فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

وقد نهلت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- من معين النبوة، وورَّثت للأمة أمضى سلاح للدعوة إلى الله ألا وهو العلم الشرعي، فحفظت الحديث عن رسول الله ﷺ ونقلته للأمة فكان من ثمرات منهجها العقلي في الدعوة وصول هذا الخير للأمة متقناً محفوظاً مضبوطاً، فقد روت من حفظها عشرة أحاديث روتها عن رسول الله ﷺ منها حديث واحد متفق عليه في الصحيحين.

وقد عَبَّ من معينها كبار التابعين لما رأوه من وافر عقلها وحكمتها وعلمها، وكان على رأسهم علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤/٣٣٨).

وكنانة مولاها، وابن أخيها، وآخرون[1]. فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

وهذه **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- تحقق المنهج العقلي في الدعوة من خلال موقف إيماني حكّمت فيه عقلها، ونظرت فيه ببصيرة المؤمنة الملهمة. فقدمت من خلال ذلك أعظم درس لأبيها الذي كان لا يزال على الشرك، وللأمة جميعاً في الطريقة الصحيحة للدعوة والتي تتطلب أحياناً العزيمة والقوة في اتخاذ القرار. ثم تابعت -رضي الله عنها- منهجها العقلي في الدعوة من خلال حوارٍ عقليٍّ مهمٍّ مدعمٍ بالحجة والبرهان على صحة ما بدر منها، واستدلت على ذلك بأدلة عقلية منطقية أقنعت بها خصمها وألزمته الحجة وأقامت عليه البرهان لقد استطاعت أم المؤمنين -رضي الله عنها- من خلال هذا الحوار أن تجعل والدها يعيد حساباته وينظر في واقع أمره. فقد جاء في الطبقات أنه «لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنيه أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر»[2].

هذا الموقف من أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- بنت زعيم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٢).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٩، ١٠٠).

قريش وسيد بطحاء مكة، يدخل عليها أبوها بعد طول عهد بفراقها، ويجيء ليجلس على فراش متواضع في بيتها فتطويه عنه، فيه من الدروس الدعوية خاصة ما يُعنى بالمنهج العقلي الشيء الكثير، فمن ذلك:

تحقيق أم المؤمنين -رضي الله عنها- لمعنى الولاء والبراء وأن الموالاة تكون في الله والمعاداة لا تكون إلا لله.

ومنها تعين القوة والعزيمة في اتخاذ القرار دون تردد، فقد طوت -رضي الله عنها- الفراش دون أبيها المشرك دون تلكؤ أو تمهل تحقيقاً وتنفيذاً لحب الله ورسوله ﷺ.

ومنها دعوتها لوالدها بهذا الأسلوب العقلي، فخاطبته بكل قوة وعزيمة بأن السبب في طي الفراش، هو الشرك والكفر الذي أنت فيه ويتعلق بذلك القذر والنجاسة العينية والمعنوية التي لا تؤهلك للجلوس على فراش رسول الله ﷺ الذي هو منبع الطهر والصفاء والنقاء ﷺ.

ومنها استثارة حفيظة والدها الذي هو سيد البطحاء وزعيم قريش حيث يطوي الفراش دونه، وهو من هو، فيتحرك بذلك شعوره ويتيقظ إحساسه بالذي أصابه، فيكون سبباً لمراجعته نفسه وإعادة حساباته نحو الدين الباطل الذي هو مقيم عليه.

ومنها أن في هذا الموقف من القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي والذي يساق من أجل العظة والعبرة، وهو عنصر مهم من عناصر المنهج العقلي في الدعوة، ففي هذا الموقف درس للأمة كلها في الدعوة إلى الله بتغليب الجانب العقلي في دعوة الداعي واستثارة كوامنه لدى المدعو ليتحقق الهدف من هذا المنهج في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

المبحث الثاني

المنهج العقلي في التربية عند أمهات المؤمنين

تمهيد:

إن لسيرة أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- من الأهمية ما يجعلها مصدراً من المصادر التي نستقي منها أسلوب التربية والدعوة إلى الله، فإذا كان الكتاب والسنّة هما مرجع كل مسلم في جميع شؤون حياته، فإن تاريخ هذه الأمة المسلمة -خاصة ما يتعلق بسيرته ﷺ- لا يتضح إلا من خلال الذين عاشوا معه وفي مقدمتهم أمهات المؤمنين حيث جعلوا الله غايتهم وأخلصوا أعمالهم له، وجعلوا قدوتهم ومثلهم الأعلى رسول الله ﷺ، فكانوا خير قدوة لمن بعدهم، وخير دعاة إلى الله بكل منهج وأسلوب سديدين، لذلك تتعين العناية بسيرهن ودراسة مناهجهن في الدعوة والتربية للاستفادة منها في الحاضر وبناء المستقبل والتخطيط السليم لدعوة الله في الأرض وتربية الأجيال القادمة.

أولاً: أثر المنهج العقلي في التربية:

«إن للمنهج العقلي في التربية أثراً مهماً وأساسياً في نجاح الدعوة فالعقل هو أهم الطاقات الإنسانية في نظر الإسلام فجميع أركان الإيمان مبنية على فهم العقل وقناعته. لقد خاطب الإسلام العقل ليدله على وجود الله وحضّ الإنسان على التدبر في الكون وفي نفسه ليدله على أن الله وحده الذي يستحق العبادة، ولفت النظر إلى قياس البعث في الآخرة على الخلق الأول، والنشأة

الأولى، ليبرهن بالاستنتاج العقلي على صحة العقيدة بالبعث والجزاء والجزم بها.

فالمنهج العقلي في التربية يعين على التفكير السليم والتواضع والتسليم بالحق، وابتغاء الحق دون الهوى، والعمل على معرفة الله في آثاره وآياته ومخلوقاته ونحو التبصر والهدى، ونحو طلب الدليل والمعرفة اليقينية، والبعد عن الظن»[1].

ومما يجب الإشارة إليه عند الحديث عن مناهج أمهات المؤمنين أن هذه المناهج إنما هي تطبيق عملي لما علمنه من رسول الله ﷺ فقد تكون مجالاً تعليمياً، وقد تكون مجالاً تربوياً وتلك مهمة الرسل والدعاة إلى الله، قال تعالى: {**هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهمْ آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ**}[2]. وقال سبحانه عن دعوة إبراهيم عليه السلام: {**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتكَ ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**}[3]، وقال سبحانه: {**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكمْ يتلوا عليكمْ آياتِنا ويزكّيكمْ ويعلّمُكم الكتابَ والحكمةَ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**}[4]. وقال سبحانه: {**لقدْ مَنَّ الله على المؤمنينَ إذْ بعثَ فيهم**

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوي (ص١١٧، ١١٩) الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

(٢) سورة الجمعة، آية: (٢).

(٣) سورة البقرة، آية: (١٢٩).

(٤) سورة البقرة، آية: (١٥١).

رسولاً منْ أنفسِهمْ يتلو عليهمْ آياتِه ويزكّيهم ويعلمُّهم الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ})[1].

فهذه الآيات كلها تصب في معين واحد سبقت الإشارة إليه ألا وهو الحاجة إلى دعوة الرسل، وأهميتها العظمى، وحاجة البشرية إليها تعظم على الحاجة إلى المأكل والمشرب وما يتبعه من الأمور المادية التي قد يستطيع الإنسان التغلب على مشاق الحياة في إيجادها والحصول عليها، أما غذاء الروح والتزكية والتعليم فهذا ما لا يمكن إدراكه دون وحي السماء عن طريق الأنبياء والرسل وأتباعهم من الدعاة والمصلحين.

ثانياً: أثر المنهج العقلي في التربية عند أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-:

هذه **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- تنير الطريق أمام بناتها إلى الإيمان بالله ورسوله والسبق إلى تصديقه ﷺ، وهذا يدلُّ على العقل وحسن النظر في تربية أم المؤمنين -رضي الله عنها- لبناتها فكم من بنات لا يسلكن طريق أمهاتهن حيث لا يوجد وازع من عقل وتربية لدى أمهاتهن.

لقد كان بيت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- واحة الإيمان في صحراء الكفر والضلالة، وكان السراج المنير في ظلمات بعضها فوق بعض. يُذكر فيه اسم الله بالغدوّ والآصال. فلا عجب أن يستضيء قلب بناتها بنور الإيمان منذ أن أشرقت شمس الإسلام على البيت المحمدي الطاهر.

ومن المُسلَّم والطبيعي أن تكون بنات خديجة، وهن بنات رسول الله ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، آية: (١٦٤).

من السابقات، لأنهن رضعن لبان الإيمان من أصولها، ونشأن على التمسك بالهدي النبوي والسيرة الحسنة قبل البعثة فضلاً عما بعدها.

فقد أكَّد ابن سعد -رحمه الله- وغيره في تراجمهن: سبقهن إلى الإسلام. فقال في ترجمة كل واحدة منهن: «وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء»[1].

وأيُّ درس في المنهج العقلي في التربية أعظم من الدرس الذي سطرته أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في التربية على الصبر والثبات في نصرة الدعوة ونبيّ الدعوة عليه الصلاة والسلام طيلة سنوات الدعوة في مكة. ولعلَّ من أعظمها تلك السنوات الثلاث التي قضاها ﷺ والمسلمون معه في شعب أبي طالب إثر المقاطعة التي فرضتها عليهم قريش.

لقد كانت هذه المحنة الظلوم لوناً من ألوان التربية الإلهية التي تعاهد الله عزَّ وجلَّ بها نبيه محمَّداً ﷺ ليعدَّه لتحمُّل أعباء الدعوة إلى الله تعالى، ولتبليغ رسالته، برغم ما واجهته من شدائد ومحن وتمحيص لعزائم أهل الإيمان، كانت دروساً في التربية للمؤمنين والمؤمنات في مستقبل الدعوة القريب والبعيد.

لقد دخلت **خديجة** -رضي الله عنها- حصار الشِّعب مع زوجها رسول الله ﷺ فشاركته آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة محتسبة تواسي الحبيب المصطفى ﷺ وتخفِّف عنه وقع هذا الظلم، إلى أن خرج عليه الصلاة والسلام من هذا الحصار ظافراً منصوراً يتابع نشر الدعوة وتبليغ الرسالة،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١/٨، ٣٦، ٣٧).

وخرجت معه زوجته الطاهرة إلى بيتها تتابع سيرها في الحياة زوجة أمينة، وأمّاً للمؤمنين، ضاربة أروع الأمثلة في التضحية والفداء ومسطرة بأحرف من نور، أعظم الدروس في التربية والصبر على مشاق الدعوة.

لقد كان من الدلائل البينة على وضوح المنهج العقلي في التربية لدى أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها-، قيامها بالواجب الذي فرضه الله عليها نحو زوجها وتربية أبنائها وبناها، فلم تشغلها -رضي الله عنها- المصاعب والمتاعب في طريق الدعوة عن القيام بهذا الواجب الذي عجزت عنه كثير من النساء دون وجود شيء من المتاعب التي لاقتها أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها-.

لقد كان هذا أكرم عمل يُسدى للرسالة، ويمدها بالقوة، لأن رسول الله ﷺ كان أحوج ما يكون وهو يخوض نضالاً مريراً في سبيل تبليغ رسالته إلى الوفاء من زوجة صادقة الإيمان برسالته، لتهون عليه الصعاب وتجدِّد عزائمه، فيخرج إلى حياة الناس وقد نسي الآلام، وفسحت له الآمال، وتقاسمت معه الإحساس بأعباء تبليغ الرسالة، وشاطرته تربية الأولاد. وهكذا قضت السيدة **خديجة** -رضي الله عنها- في كنف رسول الله ﷺ أشق مراحل الدعوة، فكانت حياها معه أوفى حياة زوجة لزوجها، وأبرَّ شريكة لشريكها. لقد كانت أعرف الناس وأقدرهم على وزن ما حُمِّل رسول الله ﷺ من أمانة رسالته، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

«لقد قرَّر المختصون في الدعوة والتربية نوعاً من التربية سموه التربية

بالعقوبة، وهذا النوع يأتي حين لا تفلح الموعظة ولا القدوة.

وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل. فالموعظة هي المقدمة، والدعوة إلى الخير، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب. والقرآن مليء باللمسات الدقيقة اللطيفة الموحية المؤثرة التي تهز الوجدان وتؤثر فيه بكل وسائل التأثير. ولكن الواقع المشهود أن هناك أناساً لا يصلح معهم ذلك كله، أو يزدادون انحرافاً كلما زيد لهم في الوعظ والإرشاد.

من هنا كان لابدَّ من شيء من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين.

ومن الحزم استخدام العقوبة أو التهديد أو الهجر في بعض الأحيان، فالإسلام يتبع جميع وسائل التربية فلايترك منفذاً في النفس لا يصل إليه»[1].

وهذه **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- تورد مثل هذا النوع من التربية، فمما أفادت به -رضي الله عنها- روايتها لكثير من الأحاديث النبوية التي تعتبر أساساً ونبراساً للسالكين في هذا السبيل. فقد روت عن رسول الله ﷺ أنه "كان أبغض الخُلُق إليه الكذب"[2].

وفي رواية أخرى: "ما كان خُلُق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب،

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية لمحمَّد قطب (١/١٩٠-١٩١)، ط. الرابعة عشرة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ط. دار الشروق، القاهرة - مصر.

(٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام جلال الدين السيوطي (٢/١٠٠)، وحكم عليه السيوطي بأنه حديث (حسن). وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٦١٨) (٢/٨٤٧).

ولقد كان الرجل يُحَدِّث عند النبي ﷺ بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة"[1] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وليت شعري لو تمت تربية الأمة على فضائل هذا الحديث كم كانت ستجني من الخير والبركة في صلاح الأفراد والمجتمعات، وفي توضيح معنى الحديث يقول العلامة المناوي -رحمه الله-: «"كان أبغض الخلق" أي أبغض أعمال الخلق (إليه الكذب) لكثرة ضرره وجموم ما يترتب عليه من المفاسد والفتن وكان لا يقول في الرضى والغضب إلا الحق...، ولهذا كان يزجر أصحابه وأهل بيته عنه، ويهجر على الكلمة من الكذب المدة الطويلة، وذلك لأنه قد يُبنى عليه أمور ربما أضرت ببعض الناس»[2].

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يربون أبناءهم على الأدب ومكارم الأخلاق ومنها الصدق في القول والعمل وتجنب الكذب وأسبابه، فقد أورد البغوي -رحمه الله- بعد ذكره للحديث السابق قول عبدالله بن عمرو وأبي هريرة -رضي الله عنهم- في التأكيد على فضائل الحديث فقال -رحمه الله-: (قال عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أربع خلالٍ إذا أعطيتهن، فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف

---

(١) سنن الترمذي -رحمه الله-، حديث رقم: (١٩٧٣) (٣٤٨/٤) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الصدق والكذب، وصححه الألباني كما في (ص٣٣٠) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبدالرؤوف المناوي (٨١/٥).

وفي حديث آخر ترويه لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ملؤه الدروس التربوية للأمة المحمدية، تمثل ذلك في بيان كيفية التعامل مع أهل الكتاب، وأخذ الحيطة والحذر من مكرهم ومعرفة الأسلوب الأمثل في الرد عليهم. كل ذلك ضمن إطار الأدب والوقار، وتجنب الفحش في القول، فقد روى البخاري في صحيحه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، فَفَهِمْتُها، فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت: وعليكم)[1].

وفي توضيح موقف أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في ردها على أهل الكتاب، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «يحتمل أن تكون **عائشة** -رضي الله عنها- فهمت كلامهم بفطنتها فأنكرت عليهم وظنّت أن النبي ﷺ ظنَّ أنهم تلفظوا بلفظ السلام، فبالغت في الإنكار عليهم...، والذي يظهر أن النبي ﷺ أراد أن لا يتعود لسانها بالفحش، أو أنكر عليها الإفراط في السب»[2].

وقد رجح النووي -رحمه الله- تحريم ابتداء الكافر بالسلام فقال -رحمه الله-: «واختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدائهم به

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٢٥٦) (ص١٣٣٦) كتاب الاستئذان، باب: كيف الرد على أهل الذمة.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤٣/١١) بتصرف.

فمذهبنا تحريم ابتدائهم به ووجوب رده عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط، ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام)[1]، وفي الرد قوله ﷺ: (فقولوا وعليكم)[2]، وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا قال أكثر العلماء وعامة السلف، وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام، روي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وابن أبي محيريز وهو وجه لبعض أصحابنا...، واحتجَّ هؤلاء بعموم الأحاديث وبإفشاء السلام وهي حجة باطلة لأنه عام مخصوص بحديث "لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وقال بعض أصحابنا يكره ابتداؤهم بالسلام ولا يحرم، وهذا مذهب ضعيف أيضاً، لأن النهي للتحريم فالصواب تحريم ابتدائهم»[3].

ولعلَّ القاضي عياض قد وفق في هذه المسألة، حيث توسط في بيان الحكم الذي يعتبر مناسباً مع ما يعرض للمسلمين من أحوال وضرورات، فقال -رحمه الله-: «ذهب آخرون إلى جوازه ابتداءً للضرورة أو لحاجة تعن له إليه، أو لذمام[4] وسبب، يروى ذلك عن علقمة والنخعي»[5].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٦٧) (ص٨٩٤) كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٢١٦٣) (ص٨٩٣) كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٤٥) بتصرف.

(٤) الذمام: بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة ذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. لسان العرب للعلامة جمال الدين محمَّد بن منظور الإفريقي المصري، مادة (ذمم) (١٢/٢٢١).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٧/٥٣).

وقد أفاد النووي -رحمه الله- في استنباط كثير من الفوائد من هذا الحديث فمن ذلك قوله -رحمه الله-: «قوله ﷺ "يا عائشة" إن الله يحب الرفق في الأمر كله"، هذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه، وفيه حثّ على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة...، وأما سبها لهم ففيه الانتصار من الظالم، وفيه الانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم...، وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة، قال الشافعي -رحمه الله-: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل»[1].

وقد عُنيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- كغيرها من أمهات المؤمنين بتربية المرأة المسلمة أيما عناية، وما ذاك إلا لعلمها التام بأهمية دورها ومكانتها في المجتمع، وأن لها نصيباً وافراً في تربية الأجيال، بل هي السفير الأمين لإيصال بعض أسس وقواعد الدين إلى الأزواج فيما يُستحيا من ذكره في بعض الأحكام الشرعية الخاصة.

فمن الأساليب الدعوية التي أفادت بها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في تربية الأمة رجالاً ونساءً بأسلوب عقلي ملؤه الحكمة والأدب وظاهره النصح للأزواج عن طريق زوجاتهن، ما جاء عن معاذة عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: "مُرْنَ أزواجكن أن يستطيبوا[2] بالماء،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٤٥، ١٤٧).

(٢) الاستطابة والإطابة، كناية عن الاستنجاء، سمي بها من الطيب، لأنه يطيب جسده بإزالة ما عليه من الخبث بالاستنجاء: أي يطهره. يقال منه: أطاب واستطاب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري المعروف بابن الأثير (٣/١٤٩) مادة (طيب).

فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله".

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

ودلالة الحديث ظاهرة في مشروعية الاستنجاء بالماء. وأنه يحصل به النقاء والنظافة أكثر من الحجارة، ولكن العلماء -رحمهم الله- من سلف هذه الأمة وخلفها تناولوا هذه المسألة من ناحية هل الأفضلية للماء أم للحجارة في الاستبراء من الخبث؟

وفي بيان ذلك، أورد البخاري -رحمه الله- باباً في صحيحه سماه "باب الاستنجاء بالماء" وذكر فيه حديثاً عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: (كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا إداوة من ماء. يعني يستنجي به)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في توضيح ذلك: «أراد بهذه الترجمة الردّ على من كرهه، وعلى من نفى وقوعه من النبي ﷺ. وقد روى ابن أبي شيبة بأسانيد صحيحة عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- أنه سئل عن الاستنجاء بالماء فقال: إذاً لا يزال في يدي نتن. وعن نافع أن ابن عمر كان لا يستنجي بالماء. وعن ابن الزبير قال: ما كنا نفعله. ونقل ابن التين عن مالك أنه أنكر أن يكون النبي ﷺ استنجى بالماء، وعن ابن حبيب من المالكية أنه منع الاستنجاء بالماء لأنه مطعوم»[3].

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٩) (١/٣٠) أبواب الطهارة، باب: ما جاء في الاستنجاء بالماء، وصححه الألباني كما في (ص٢٢) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٥٠) (ص٥١) كتاب الوضوء، باب: الاستنجاء بالماء.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٢٥١).

وهذه الأقوال التي وردت إنما تُحمل على وجه الكمال عند من قال بها لا على عدم الإجزاء، وهذا هو الذي قال به الزرقاني -رحمه الله- في شرحه لموطأ الإمام مالك -رحمه الله- عند بعض الأحاديث الواردة في الطهارة، فمن ذلك ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء، ثم لينثر ومن استجمر فليوتر"[1].

قال الزرقاني -رحمه الله- عند شرحه لقوله ﷺ: "ومن استجمر فليوتر" قال: «واستدل به بعض من نفى وجوب الاستنجاء للإتيان فيه بحرف الشرط، ولا دلالة فيه وإنما مقتضاه التخيير بين الاستنجاء بالماء أو بالأحجار»[2].

وفي شرحه لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الذي قال فيه: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ به. فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته"[3].

قال الزرقاني -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «قوله: "إنا نركب البحر" أي الملح لأنه المتوهم فيه؛ لأنه مالح ومر، وقوله: "ونحمل معنا القليل من الماء" بقدر الاكتفاء، "أفنتوضأ به" أي بماء البحر الملح، قال ﷺ: "هو

---

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي، حديث رقم: (٣٣) (ص١٨) كتاب الطهارة، باب: العمل في الوضوء، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للإمام محمَّد الزرقاني (٤٦/١).

(٣) موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي، حديث رقم: (٤٠) (ص٢٠) كتاب الطهارة، باب: الطهور للوضوء.

الطهور ماؤه" بفتح الطاء البالغ في الطهارة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً**﴾ أي طاهراً في ذاته مطهراً لغيره، ولم يقل في جوابه نعم، مع حصول الغرض به، ليعرف الحكم بعلته وهي الطهورية المتناهية في بابها ودفعاً لتوَهُّمِ حملِ لفظةِ نعم على الجواز، ولما وقع جواباً للسائل بين أن ذلك وصف لازم له ولم يقل ماؤه الطهور لأنه أشد اهتماماً بذكر الوصف الذي اتصف به الماء المجوِّز للوضوء وهو الطهورية، فالتطهير به حلال صحيح كما عليه جمهور السلف والخلف وما نُقل عن بعضهم من عدم الإجزاء به مزيف أو مؤوَّل بأنه أراد عدم الإجزاء على وجه الكمال عنده»[1].

وزيادة في توضيح هذه المسألة قال النووي -رحمه الله- في شرحه لحديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- وغيره من الأحاديث الواردة في الطهارة، قال -رحمه الله-: «وفيها جواز الاستنجاء بالماء واستحبابه ورجحانه على الاقتصار على الحجر، وقد اختلف الناس في هذه المسألة، فالذي عليه الجمهور من السلف والخلف وأجمع عليه أهل الفتوى من أئمة الأمصار أن الأفضل أن يجمع بين الماء والحجر فيستعمل الحجر أولاً لتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده، ثم يستعمل الماء، فإن أراد الاقتصار على أحدهما جاز الاقتصار على أيهما شاء سواء وجد الآخر أو لم يجده، فيجوز الاقتصار على الحجر مع وجود الماء، ويجوز عكسه، فإن اقتصر على أحدهما فالماء أفضل من الحجر لأن الماء يطهر المحل طهارة حقيقية،

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك للإمام محمَّد الزرقاني (١/٥٢، ٥٣).

وأما الحجر فلا يطهره، وإنما يخفف النجاسة ويبيح الصلاة مع النجاسة المعفو عنها، وبعض السلف ذهبوا إلى أن الأفضل هو الحجر وربما أوهم كلام بعضهم أن الماء لا يجزئ، وقال ابن حبيب المالكي: لا يجزئ الحجر إلا لمن عَدِمَ الماءَ، وهذا خلاف ما عليه العلماء من السلف والخلف وخلاف ظواهر السنن المتظاهرة، وا لله أعلم»[1].

ومما أفاد به الترمذي -رحمه ا لله- بعد روايته لحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- قال -رحمه ا لله-: «وعليه العمل عند أهل العلم» ومضمونه مشروعية الاستنجاء بالماء، ثم قال -رحمه ا لله- «يختارون الاستنجاء بالماء، وإن كان الاستنجاء بالحجارة يجزئ عندهم، فإنهم استحبوا الاستنجاء بالماء، ورأوه أفضل، وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق»[2].

وفي حديث آخر ترويه لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها-، يظهر من خلاله مدى اهتمامها بتنشئة الأمة وتربيتها العقلية على آداب ومثل وقيم لم تكن لتعرفها الأمة من دون هذا الميراث النبوي العظيم الذي ورثته لنا أم المؤمنين -رضي ا لله عنها-، فقد روي عنها -رضي ا لله عنها- أنها "قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحب أني

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٣/٣) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) سنن الترمذي (٣١/١).

حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا"[1].

يتضح من خلال هذا الحديث أثر المنهج العقلي في التربية من خلال الأسلوب البليغ المشتمل على هذا التشبيه البالغ في النكارة والتخويف والزجر من الغيبة وآثارها وشدة ضررها على المسلم؛ بحيث لا يقدم على هذا الفعل من له ذرة من عقل.

ومعنى قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: "حسبك من صفية" أي من عيوبها البدنية "كذا وكذا" أي كونها قصيرة، وقوله: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" أي على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعة لمزجته أي غلبته وغيرته، والمعنى: أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله، مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال قليلة خلطت بها[2].

وفي بيان معنى قوله ﷺ: ("ما أحب أني حكيت أنساناً وأن لي كذا وكذا" أي ما أحب أن أتحدث بعيب أحد قولياً أو فعلياً، ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا، أي شيئاً كثيراً على ذلك)[3].

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٨٧٥) (٢٦٩/٤) كتاب الأدب، باب في الغيبة، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٤٨٧٥) (١٩٦/٣).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد المباركفوري (٢٠٩/٧). وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمَّد شمس الحق آبادي (٢٢١/١٣) الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

(٣) انظر: تحقيق الشيخ الألباني -رحمه الله- على كتاب مشكاة المصابيح للشيخ محمَّد بن عبدالله الخطيب التبريزي (١٣٦٣/٣) كتاب الآداب، باب: حفظ اللسان والغيبة والشتم، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

هـذا ولقـد تنـاول العلمـاء -رحمهـم ا لله- موضـوع الغيبـة بـالبحث والتوضيـح مـن خـلال التعريـف بهـا وبيـان المواطـن الـتي يجـوز للمسـلم أن يتحدث بها. فقد قال النووي -رحمه ا لله-: «الغيبة: هي ذكـر الإنسـان في غيبته بما يكره، لكن تباح لغرض شرعي وذلـك لستة أسباب: أحدهـا: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقـاضي وغيرهمـا فيقـول ظلمني فلان أو فعل بي كذا، الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته: فلان يعمـل كـذا فـازجره عنـه ونحـو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفـتي: ظلمـني فـلان أو أبـي أو أخـي. الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها، جرح المجروحين مـن الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوناً للشريعة. الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر. السادس: التعريف؛ فإذا كان معروفاً بلقـب كـالأعمش والأعـرج ونحوهـا جـاز تعريفـه بـه ويحـرم ذكـره بـه تنقصـاً، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى»[1].

وفي أسلوب عقلي تربوي اسـتفادت منـه الأمـة أوردتـه لنـا أم المؤمنـين **عائشة** -رضي ا لله عنها- في إحدى مروياتها وهي تستنكر صورة امرأة من المسلمين تركت نفسها، وبذت من هيئتهـا، وتُعلِّـل ذلـك لرسـول ا لله ﷺ بسبب انقطاع زوجهـا للعبـادة، وعـدم التفاتـه لهـا، ويعـالج المصطفـى عليـه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٢-١٤٣) الطبعة الثانية: (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

الصلاة والسلام هذه الحادثة باستدعاء زوجها ونهيه عن التبتل والانقطاع للعبادة إلى هذا الحد ويبين له أن هذا مخالف لهديه ﷺ وسماحة شريعته التي بعثه الله بها.

فقد روى أبوداود في سننه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: "يا عثمان أرغبت عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قال: "فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل، ونم)[1].

وقد أورد الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده مناسبة الحديث السابق، فقد روى عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخلت عليَّ خويلة[2] بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقصي السُّلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لي: يا عائشة، ما أبذَّ هيئة خويلة، قالت: فقلت: يا رسول الله، امرأة لا زوج لها، يصوم النهار ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها فتركت نفسها وأضاعتها، قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: يا عثمان، أرغبة عن سنتي؟ قال: فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال:

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٦٩) (٤٨/٢) كتاب الصلاة، باب: ما يؤمر به من القصد في الصلاة، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٦٩) (٣٧٦/١).

(٢) هي خولة بنت الحكيم السلمية، ويقال لها: خويلة بالتصغير، امرأة عثمان بن مظعون وكنيتها أم شريك. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٢٨٣/٤).

فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل ونم)[1].

وفي بيان معنى قوله ﷺ: "إن لأهلك عليك حقاً" قال صاحب معالم السنن -رحمه الله-: «قوله: "إن لأهلك عليك حقاً"، يريد أنه إذا دأب نفسه وجهدها ضعفت قواه فلم يتسع لقضاء حق أهله. وقوله "وإن لضيفك عليك حقاً" فيه دليل على أن المتطوع بالصوم إذا أضافه ضيف كان المستحب أن يفطر ويأكل معه ليبسط بذلك منه ويزيد في إيناسه بمواكلته إياه، وذلك نوع من إكرامه. وقد قال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[2].

وهكذا تكون الأمة قد استفادت من هذا الحوار دروساً تربوية عظيمة يشع من خلالها نور سماحة الإسلام ونبذه للرهبانية والتبتل، وأنه هو الدين الخالد الخاتم الصالح لكل زمان ومكان.

وهذه أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- تستدل بحديث من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام على أمر مهم جداً. فقد وجهت

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٦٨٣٩) حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها- (ص١٩٥٤) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية. والحديث رجاله ثقات، وروى أبوداود طرفاً منه، وزاد البزار فقال: يا عثمان إن لك فِيَّ أسوة وإن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٢٣٣/١٦).

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمَّد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) (٢٤٣/١).

-رضي الله عنها- الأمة إلى سنة مهمة وخلق كريم وهو جعل اليد اليمنى لكل ما هو مكرم ومحترم من طعام وشراب ونحوهما، واليد اليسرى لما سوى ذلك ويدخل فيه كل ما هو مستقذر من إزالة الأذى ونحوه. وجاء استدلالها العقلي قوياً على هذا المنهج التربوي من خلال ما شاهدته ولاحظته في حياة زوجها المبلغ عن الله صلوات الله وسلامه عليه. والكل مأمور باتباعه والسير على نهجه.

فعن حارثة[1] بن وهب الخزاعي قال: حدثتني حفصة زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ: "كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل شماله لما سوى ذلك"[2].

وفي رواية أخرى عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: "كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى"[3].

قال النووي -رحمه الله-: «هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف

---

(١) هو حارثة بن وهب الخزاعي، أمه أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعية، له رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر وغيرها وله في الصحيحين أربعة أحاديث. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين بن الحجاج يوسف المزي (٣١٨/٥) ترجمة رقم: (١٠٥٩) تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٢) (٨/١) كتاب الطهارة، باب: كراهية مس الذكر باليمنى في الاستبراء. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٢) (٢٠/١).

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٣) (٩/١) كتاب الطهارة، باب: كراهية مس الذكر باليمنى في الاستبراء. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٣) (٢٠/١).

ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر وهو مشطه ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه. وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها» -ثم قال -رحمه الله- «وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين في الوضوء سنة، من خالفها فاته الفضل وتم وضوؤه، وقالت الشيعة: هو واجب، ولا اعتداد بخلاف الشيعة، واعلم أن الابتداء باليسار وإن كان مجزياً فهو مكروه نصّ عليه الشافعي وهو ظاهر»[1].

وهكذا يتضح هديه ﷺ في تكريم اليد اليمنى وتقديمها في كل ما هو مكرم ومحترم، واليد اليسرى لما سوى ذلك من كل ما هو مستقذر من إزالة الأذى ونحوه.

ومما أفادت به أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في تربية الأمة من خلال أسلوب حواري عقلي شائق مع رسول الله ﷺ، حين لاحظت حرصه ﷺ على دعوات كان يكثر منها ويضمنها دعاءه، فاستفسرت منه عن سبب ملازمته لهذا الدعاء وإكثاره منه؛ فأتت الإجابة منه ﷺ بلسماً شافياً لسؤال أم المؤمنين ومنهجاً تربوياً لكل مسلم بأن يلزم هذه الدعوات

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٠/٣).

أبد الدهر، فقد روى الترمذي -رحمه الله- في سننه بسنده إلى شهر[1] بن حوشب قال: (قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قالت: فقلت: يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ...)[2].

وفي رواية أخرى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله ﷺ آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء)[3].

---

(١) هو أبوسعيد شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية، كان من كبار علماء التابعين، حدث عن مولاته أسماء وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم، حدَّث عنه قتادة ومعاوية بن قرة ومقاتل وغيرهم. قيل: مات سنة ثمان وتسعين. وقيل: سنة مائة، وقيل: سنة إحدى عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٧٢/٤).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٥٢٢) (٥٣٨/٥) كتاب الدعوات، بابٌ، قال الترمذي -رحمه الله-: وهذا حديث حسن. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم: (٤٨٠١) (٨٧١/٢)، هذا ولقد تعقب الألباني -رحمه الله- حكم الترمذي على الحديث بالحسن بقوله: وقال الترمذي: "حديث حسن" قلت: -أي الألباني -رحمه الله- يعني لغيره، وهو كما قال أو أعلى، لأن شهراً هنا، وإن كان سيئ الحفظ، فحديثه هنا له شواهد تقويه، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٠٩١) (١٢٦/٥).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (٢١٤٠) (٤٤٨/٤) كتاب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- كما في (ص٣٥٦) ط. بيت الأفكار الدولية.

وفي بيان معنى قوله ﷺ: "يا مقلب القلوب" قيل: «المراد تقليب أعراضها وأحوالها لا ذواتها»[1]. وقيل: «أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة، وتارة إلى الغفلة، وقوله: "ثبت قلبي على دينك" أي: اجعله ثابتاً على دينك غير مائل عن الدين القويم والصراط المستقيم»[2].

ومعنى قوله ﷺ: "فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ" أي: «فمن شاء الله أقام قلبه وثبته على دينه وطاعته...، ومن شاء الله أمال قلبه وصرفه عن دينه وطاعته»[3].

ومعنى قول أنس -رضي الله عنه- "فهل تخاف علينا" «يعني أن قولك هذا ليس لنفسك لأنك في عصمة من الخطأ والزلة، خصوصاً من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة، فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان أو الانتقال من الكمال إلى النقصان، "قال: نعم" يعني: أخاف عليكم»[4].

وفي حديث آخر ترويه لنا أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- من ميراث النبوة تنقل من خلاله هديه ﷺ في صيام بعض أيام التطوع، تتأكد من خلاله تربية الأمة على منهج مؤصل من هديه ﷺ في مخالفة أهل الكتاب ونبذ التبعية والانقياد لهم، وفي الوقت نفسه فيه اعتزاز المسلم بدينه

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبدالرؤوف المناوي (١٦٧/٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد بن عبدالرحمن المباركفوري (٣٤٩/٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٠٥/٩).

(٤) المصدر السابق (٣٤٩/٦).

واستقلاله بشخصيته الإسلامية المتحررة من كل مبادئ التقليد لأعداء الإسلام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده (عن كريب[1]، أنه سمع **أم سلمة** -رضي الله عنها- تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر ما يصوم من الأيام، ويقول: إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم)[2].

وفي بيان المغزى من صومه ﷺ للسبت والأحد، وهدفه من مخالفة أهل الكتاب والتأكيد على أن تكون للمسلم الاستقلالية بدينه، قال المناوي -رحمه الله-: «سمّى اليهود والنصارى مشركين، والمشرك هو عابد الوثن؛ إما لأن النصارى يقولون: المسيح ابن الله، واليهود: عزيز ابن الله، وإما أنه سمّى كل من يخالف دين الإسلام مشركاً على التغليب. وفيه -أي حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- أنه لا يكره إفراد السبت مع الأحد بالصوم، والمكروه إنما هو إفراد السبت لأن اليهود تعظمه والأحد لأن النصارى تعظمه ففيه تشبه بهم بخلاف ما لو جمعها إذ لم يقل أحد منهم بتعظيم المجموع»[3].

أضاف صاحب السبل في شرحه للحديث بأن ظاهر الحديث يدلّ على صوم كل من السبت والأحد على الانفراد والاجتماع[4].

---

(١) تقدمت ترجمته (ص١٩٦).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٢٨٦) (٨/٦٥٠) حديث أم سلمة -رضي الله عنها- تحقيق: نخبة من العلماء، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان. والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: (٤٨٠٣) (٢/٨٧١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبدالرؤوف المناوي (٥/١٦٨) بتصرف.

(٤) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام للعلامة الصنعاني (٢/٢٣٩).

وهذا الذي ذهب إليه صاحب السبل -وهو إفراد السبت بالصوم والأحد بالصوم- ردَّه كثير من العلماء، فقد قال النووي -رحمه الله-: «يكره إفراد يوم السبت بالصوم، فإن صام قبله أو بعده معه لم يكره، وهو الصواب وذلك إذا لم يوافق عادة له، وأمَّا الأحاديث الواردة في صيام السبت فكلها واردة في صومه مع الجمعة والأحد، ولا مخالفة فيها لقولنا»[1].

قال العلامة ابن قدامة -رحمه الله-: «يكره إفراد يوم السبت بالصوم، فإن صام معه غيره لم يكره... وإن وافق صوماً لإنسان لم يكره»[2].

هذا وقد أورد ابن القيم -رحمه الله- في الزاد عند شرحه لحديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- حديث عبدالله[3] بن بسر السلمي عن أخته الصماء[4] أن النبي ﷺ قال: "لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء[5] عنبةٍ أو عود شجرة فليمضغه"[6].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (٤٥٢/٦).

(٢) انظر: المغني للإمام العلامة موفق الدين أبي محمَّد عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (٩٨/٣-٩٩).

(٣) هو أبوصفوان عبدالله بن بسر المازني السلمي، روى عن النبي ﷺ، وعن أبيه وأخيه وأخته، وروى عنه خالد بن معدان وأبوالزاهرية وغيرهم، هو آخر من مات بالشام من الصحابة، وله مائة عام. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ترجمة رقم: (٤٥٦٤) (٢٧٣/٢).

(٤) هي الصماء بنت بسر المازنية، لها ولأبويها وأخيها عبدالله صحبة، روت عن النبي ﷺ في النهي عن صوم يوم السبت، انظر: المصدر السابق، ترجمة رقم: (٦٦٦) (٣٤١/٤).

(٥) لحاء عنبة: يقال: لَحَوْت الشجرة، ولَحَيْتُها والْتَحَيْتُها، إذا أخذت لِحَاءها، وهو قشرها، ومنه الحديث: "فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة..." أراد قشرة العنبة، استعارة من قشر العود. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري المعروف بابن الأثير (٢٤٣/٤).

(٦) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٤٢١) (٣٢٠/٢) كتاب الصوم، باب: النهي أن يخص يوم السبت بصوم، قال الشيخ الألباني -رحمه الله- حديث صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود حديث رقم: (٢٤٢١) (٧٤/٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «اختلف الناس في هذين الحديثين. فقال مالك -رحمه الله-: هذا كذب، يريد حديث عبدالله بن بُسر، ذكره عنه أبوداود، قال الترمذي: هو حديث حسن، وقال أبوداود: هذا الحديث منسوخ، وقال النسائي: هو حديث مضطرب، وقال جماعة من أهل العلم: لا تعارض بينه وبين حديث أم سلمة، فإن النهي عن صومه إنما هو عن إفراده، وعلى ذلك ترجم أبوداود، فقال: باب النهي أن يخص يوم السبت بالصوم، وحديث صيامه، إنما هو مع يوم الأحد. قالوا: ونظير هذا أنه نهى عن إفراد يوم الجمعة بالصوم، إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده، وبهذا يزول الإشكال الذي ظنّه من قال: إن صومه نوع تعظيم له، فهو موافقة لأهل الكتاب في تعظيمه، وإن تضمن مخالفتهم في صومه، فإن التعظيم إنما يكون إذا أفرد بالصوم، ولا ريب أن الحديث لم يجئْ بإفراده، وأما إذا صامه مع غيره، لم يكن فيه تعظيم. والله أعلم»[1].

وفي تأصيل المنهج العقلي في التربية، تضرب **أم سلمة** -رضي الله عنها- أروع الأمثلة للمؤمنين والمؤمنات في تربيتهم على حب العلم والانشغال به، فقد كانت -رضي الله عنها- إحدى النساء اللاتي أكثرن الرواية عن رسول الله ﷺ. ولم يتقدمها في الرواية من نساء النبي ﷺ سوى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، **فأم سلمة** -رضي الله عنها- قد وعت الحديث الشريف، وتفقهت في أمور الدين، حتى كانت تعد من

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمَّد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية (٧٨/٧٧/٢).

فقهاء الصحابيات[1]، وممن يُرجع إليها في بعض الأمور والأحكام والفتاوى، خاصة في فقه المرأة المسلمة، فقد قال عنها ابن القيم -رحمه الله-: «وأم **سلمة** -رضي الله عنها- واحدة ممن يرجع إليها بالفتيا في عهد الصحابة وهي من المتوسطين فيما روى عنهم من الفتيا، وهم ثلاثة عشر فقط وهم: أبوبكر الصديق، وأم سلمة أم المؤمنين، وأنس بن مالك، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وأبوموسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبدالله، ومعاذ بن جبل»[2].

وهذه **أم المؤمنين زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- تسوق للأمة حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، فيه من الدروس التربوية الشيء الكثير، فهي تنبه الأمة إلى أمر عظيم وخطير يعتبر من ركائز الدين الثابتة وصماماً للأمان من عذاب الله وسخطه، فهذا رسول الله ﷺ يدخل عليها فزعاً قد تغير لونه مما أعلمه الله عزَّ وجلَّ من خبر انفتاحٍ حصل في ردم يأجوج ومأجوج، ويحذر أمته ﷺ مشفقاً عليها بقوله: "ويل للعرب من شر قد اقترب" وتبادره أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- شفقتها هي الأخرى على الأمة مما قد يصيبها من هذا البلاء فتقول: "أنهلك وفينا الصالحون". وهذا القول من أم المؤمنين -رضي الله عنها- فيه ما فيه

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي -رحمه الله- (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام أبي عبدالله محمَّد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١٢/١).

من الحِكَم والدروس التي يجب أن تعلمها الأمة لضمان أمنها واستقرارها وبقائها آمنة مطمئنة من عذاب الله.

وليت شعري لو انتبه العلماء والدعاة المصلحون إلى فقه هذا الحديث العظيم، وعملوا جاهدين على تربية الأمة على أسسه ومبادئه فكم ستجني الأمة من الخير والأمن والأمان، ويزول عنها الكثير مما تعانيه من الويلات والنكبات والمصائب التي مُنيت بها منذ دهر طويل.

فقد روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده (...عن **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك، وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث")[1].

وفي رواية لمسلم (عن **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب....الحديث)[2].

وفي الجمع بين الروايتين قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فيجمع على أنه دخل عليها بعد أن استيقظ النبي ﷺ فزعاً»[3].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧١٣٥) (ص١٥٠٣) كتاب الفتن، باب: يأجوج ومأجوج.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٨٠) (ص١١٥٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٠٧/١٣).

وفي بيان معنى قوله ﷺ: "ويل للعرب" قال الإمام العيني -رحمه الله-: «كلمة ويل للحزن والهلاك والمشقة من العذاب وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل، وإنما خص العرب لاحتمال أنه أراد ما وقع من قتل عثمان -رضي الله عنه- بينهم، وقيل: يحتمل أنه أراد ما سيقع من مفسدة يأجوج ومأجوج»[1].

وفي تفسير قوله ﷺ: "نعم إذا كثر الخبث" قال القاضي عياض -رحمه الله-: «العرب تسمّي الزنا خبثاً وخبثة وقيل: "إذا كثر الخبث": أي أولاد الزنا. وقيل: إذا كثر الزنا»[2].

هذا وقد أفاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في توضيح وجهة نظر أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- في قولها: "أفنهلك وفينا الصالحون" فقال -رحمه الله-: «كأنها أخذت ذلك من قوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم**﴾[3]، قوله: "قال: نعم إذا كثر الخبث" فسروه بالزنا وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور، وهو أولى لأنه قابله بالصلاح. قال ابن العربي: فيه البيان بأن الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غَيَّر عليه لكن حيث لا يجدي ذلك ويُصِرُّ الشِّريرُ على عمله السيء، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمَّد محمود أحمد العيني (٢٣٨/١٥)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٤١٢/٨).

(٣) سورة الأنفال، آية: (٣٣).

ويهلك حينئذٍ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته، وكأنها فهمت من فتح القَدْر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتّسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عامّاً»[1].

وهذه أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها تثري المنهج العقلي في التربية من خلال درس تتربى الأمة من خلاله على أروع الأمثلة في الصدق مع الله وإصلاح علاقة المؤمن بربه ومع خلق الله، لقد استخدمت هذا الأسلوب مع رفيقات عمرها وأقرب الناس إليها، فهن أخواتها المنتظمات في عقد أمهات المؤمنين، فها هي ذي تطلب السماح منهن بأسلوب عقلي مقنع مؤثر، وتعلل ما كان قد صدر في فترة الحياة السابقة إلى الضعف البشري الذي لا يخلو منه أحد، لقد وضعت من خلال هذا الحوار الأسس العريضة في التربية لكل مؤمن ومؤمنة على اغتنام العمر في طلب مرضاة الله والاستعداد للقائه في كل لحظة من لحظات العمر. أورد ابن سعد -رحمه الله- عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنها قالت: (دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوزه، وحللتك مِنْ ذلك كله. فقالت: سررتني سرَّك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك)[2].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣/١٠٩).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٠٠).

وعلى مثل هذا النوع من التربية التي تحتاجها الأمة يقول الأستاذ محمَّد قطب: «والرجوع إلى الله هو محور العقيدة الإسلامية كلها ومحور منهجها التربوي كله، ومنه تسير الحياة البشرية على نهجها القويم، فحين يرتد الناس إلى خالقهم، ويعلمون أنه وحده صاحب القوة والحول، وصاحب الجبروت والسلطان، فلا يتطلعون لأحد غيره، ولا يتعبدون لأحد سواه، ومن ثم تتحرر قلوبهم وأرواحهم، وينطلقون خفافاً إلى الله، فيهتدون بهديه ويسيرون على منهجه، ومن ثم تصلح نفوس بعضهم تجاه بعض. وتزداد بينهم أواصر الإنسانية والتعاون والمحبة، ويزول ما كان من نزاع أو شقاق، وهذا باختصار هو أحد الأسس التي يقوم عليها منهج التربية الإسلامية»[1].

وهذه أم المؤمنين **ميمونة بنت الحارث** -رضي الله عنها- تسير على نفس المنهج، وذلك من خلال حوار تضمن استفهامها الإنكاري على ابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- حين اعتزل فراش زوجته لأنها في أيام عادتها، ودعمت أم المؤمنين -رضي الله عنها- استنكارها بحديث فاصل في هذه المسألة روته عن رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه في أيام حيضهن، فقد جاء عن عروة[2]، عن بُدَيَّة[3]، قالت: أرسلتني **ميمونة**

---

(١) بتصرف من كتاب منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمَّد قطب (ص١٥-١٦).

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد عام ٢٢هـ، وتوفي عام ٩٣هـ، كان عالماً بالدين صالحاً كريماً لم يدخل في شيء من الفتن، هو أخو عبدا لله بن الزبير لأبيه وأمه. وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٢١). وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/١٧٦).

(٣) هي مولاة ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- ويقال لها: ندبة. روت عن مولاتها، روى عنها حبيب الأعور مولى عروة بن الزبير. ذكرها ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٢/٤٥٥).

بنت الحارث -رضي الله عنها- إلى امرأة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، وكانت بينهما قرابة، فرأيت فراشها معتزلاً فراشه، فظننت أن ذلك لهجران، فسألتها؟ فقالت: لا، ولكني حائض، فإذا حضت لم يقرب فراشي، فأتيت ميمونة، فذكرت ذلك لها، فردتني إلى ابن عباس، فقالت: أرغبة عن سنة رسول الله ﷺ؟ لقد كان رسول الله ﷺ ينام مع المرأة من نسائه الحائض، وما بينهما إلا ثوب ما يجاوز الركبتين)(١).

وفي رواية أخرى عن **ميمونة** -رضي الله عنها- (أن رسول الله ﷺ كان يباشر المرأة من نسائه وهي حائض إذا كان عليها إزار إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين تحتجز به)(٢).

هذا ولقد تناول العلماء هذين الحديثين وما ورد في بابهما من الأحاديث الواردة في الأحكام المتعلقة بمباشرة الزوج لزوجته الحائض أو ما يختص بأمورها الخاصة والعامة من مزاولتها للطبخ والعجين وحكم سؤرها وعرقها وغير ذلك.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٣٥٦) (ص١٩٩٣) مسند النساء، حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ. والحديث إسناده جيد. انظر: شرح الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المسمَّى بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني كلاهما تأليف الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا (١٦١/٢) وأخرجه بلفظه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، انظر: كتاب السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) (٣١٣/١) كتاب الحيض، باب: الرجل يصيب من الحائض ما دون الجماع، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٢) سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي حديث رقم: (٢٦٧) (٦٩/١) كتاب الطهارة، باب: في الرجل يصيب منها ما دون الجماع، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٧٦) (٧٨/١).

أفاد الإمام النووي في هذه المسألة فقال -رحمه الله-: «اعلم أن مباشرة الحائض أقسام:

أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج، فهذا حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة.

القسم الثاني: المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذكر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس أو غير ذلك وهو حلال باتفاق العلماء.

القسم الثالث: المباشرة فيما بين السرة والركبة في غير القبل والدبر، وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا، أصحها عند جماهيرهم وأشهرها في المذهب أنها حرام، والثاني: أنها ليست بحرام ولكنها مكروهة كراهة تنزيه وهذا الوجه أقوى من حيث الدليل وهو المختار، والوجه الثالث: إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من نفسه باجتنابه، إما لضعف شهوته وإما لشدة ورعه جاز، وإلا فلا، وهذا الوجه حسن، قاله أبوالعباس البصري من أصحابنا، وممن ذهب إلى الوجه الأول وهو التحريم مطلقاً مالك وأبو حنيفة وهو قول أكثر العلماء منهم سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وعطاء وسليمان بن يسار وقتادة، وممن ذهب إلى الجواز عكرمة ومجاهد والشعبي والنخعي والحكم والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل ومحمَّد بن الحسن وأصبغ وإسحاق بن راهويه وأبوثور وابن المنذر وداود، واحتجوا بحديث أنس "اصنعوا كل شيء إلا النكاح"[1]، قالوا وأما اقتصار النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، جزء من حديث رقم: (٣٠٢) (ص١٤٢) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه.

في مباشرته على ما فوق الإزار فمحمول على الاستحباب، وا لله أعلم»[1].

ولعلَّ القول الأخير هو الأقرب إلى الصواب؛ وذلك لحديث أنس -رضي ا لله عنه- السابق، ولتحقق حصول الاكتفاء من الزوجة في أيام حيضتها، وهذا قطعاً بعد استيفاء الشروط السابقة المتعلقة بذلك من الورع وعدم جموح الشهوة والثقة من النفس بعدم الوقوع في الحرام.

هذا وقد أورد الإمام العيني[2] -رحمه ا لله- بعض الفوائد المتعلقة بالمرأة الحائض من حديث أم المؤمنين **ميمونة** -رضي ا لله عنها- وغيره من الأحاديث الواردة في ذلك، فقال -رحمه ا لله-: «ويؤخذ من ذلك جواز ملامسة الحائض لأنها طاهرة، وجواز النوم مع الحائض في ثيابها والاضطجاع معها في لحاف واحد، وأن عرقها طاهر»[3].

قال النووي -رحمه ا لله-: «قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع بها فيما فوق السرة وتحت الركبة، ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات، ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غير ذلك من محارمها وترجيله، ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران، وكل هذا متفق عليه»[4].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٠٤-٢٠٥). وانظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/٣٦٥-٣٦٦).

(٢) هو الإمام محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبومحمَّد، بدر الدين العيني الحنفي، أصله من حلب ومولده في عينتاب وإليها نسبته ولد عام (٧٦٢هـ) علامة من كبار المحدثين من أشهر مصنفاته عمدة القارئ في شرح البخاري، توفي بالقاهرة، عام (٨٥٥هـ) انظر: الأعلام للزركلي (٧/١٦٣).

(٣) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام محمود بن أحمد العيني (٣/٢٦٢، ٢٦٤).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٠٧).

المبحث الثالث

الدروس المستفادة للواقع المعاصر

تأتي هذه الدروس للواقع المعاصر من خلال دراسة المنهج العقلي في الدعوة والتربية لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

لقد ضربن بهذا المنهج وهذه الخصال أكرم وأعلى مثال للمرأة المسلمة فيما ينبغي لها أن تكون عليه في أخلاقها من الوفاء للزوج وحسن الخلق معه، ونصرته وتقويته على الحق الذي يرفع لواءه ويدعو إليه.

وقد آن للمرأة المسلمة -بعد ما شُردت طويلاً- أن ترنو ببصرها إلى أعظم قدوة وأكرم مثالٍ لها من سلف هذه الأمة من الصالحات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين، وذلك لتشق طريق العز والمجد والكرامة من جديد.

وهذه الدروس تكتشف من خلال الجوانب الدعوية المؤصلة من المنهج العقلي في الدعوة والتربية لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- ومنها:

أولاً: الدروس المستفادة من المنهج العقلي في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-:

١- رجاحة العقل في اختيار الزوج الصالح والمبادرة إلى خطبته، حرصاً على الخير والصلاح في الذرية، تبين ذلك من خلال إبداء الرغبة الصادقة من أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- للنبي ﷺ في الزواج منه.

٢- تحكيم العقل على العاطفة، وتغليب الآجل على العاجل وإن كان في العاجل من المضرة ما فيه، تمثّل ذلك في اختيار أم المؤمنين **خديجة**

-رضي الله عنها- لطريق الدعوة ونشر الإسلام مع النبي ﷺ على حيلة الراحة والدعة والأمن والأمان؛ ابتغاءً لرضى الله عزَّ وجلَّ وطلباً لمرضاته.

٣- الحثّ على إيثار محبة الزوج وراحته من لدن الزوجة الصالحة على محبة النفس ورغبتها في القرب من المحبوب، تمثّل ذلك من خلال صبر **خديجة** -رضي الله عنها- على فراقه ﷺ للأيام والليالي ذوات العدد، وهو يتعبد في غار حراء.

٤- الحثُّ على التصرف بعقل وحكمة في معالجة الأمور، تمثّل ذلك في تهدئة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- للنبي ﷺ عندما أتاها فزعاً من رهبة نزول الوحي عليه لأول مرة، فدثرته وزملته حتى إذا هدأ روعه واطمأن سألته عن حاله وعن سبب فزعه.

٥- الترغيب في نصرة الدعوة وأصحابها، يستفاد من قول أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- للنبي ﷺ: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".

٦- أفضلية السبق إلى الخير والمسارعة فيه لنيل الأجر العظيم والمثوبة من الله عزَّ وجلَّ، تمثّل ذلك في الخير الذي نالته أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- حين بادرت وسبقت الخلق أجمعين إلى الإيمان بالله وتصديقه ﷺ.

٧- عدم التقول في الأمور بغير علم مما يُحَمِّل صاحبه بالرأي الأتم الكامل الذي لا نقص فيه ولا شكّ ولا ندم. تمثّل ذلك في موقف أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- عندما اصطحبته ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ليسمع منه ما جرى له، فأجابه وبشّره بأنها النبوة.

٨- إن اليقين والثقة بالله يهونان كل شاق وعسير، تمثّل ذلك في يقين وثقة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- بأن زوجها هو نبي هذه الأمة وسيخرجه قومه من مكة تبعاً لذلك، ولكن الإيمان بالله والثقة به قَوّيا عزيمة **خديجة** -رضي الله عنها- بالثبات والصبر معه ﷺ على الدعوة ومشاقها.

٩- حضور البديهة وحسن الإجابة دليل على رجاحة العقل وسمو الفقه والأدب، يستفاد ذلك من حسن الجواب الذي أجابت به أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- عندما بلّغها رسول الله ﷺ من الله عزَّ وجلَّ ومن جبريل السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.

١٠- كان من نتائج المحاورات العقلية المستفادة من الأحاديث النبوية المروية عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ظهور كثير من الأحكام الشرعية التي لا يستغني المسلم عنها ومنها: العلم بوقت غسله ﷺ من الجنابة من الليل، ووقت وتره ﷺ من الليل، وكيفية قراءته ﷺ للقرآن في الليل وغير ذلك.

١١- ومنها العلم ببعض أحكام نسخ السنة بالسنة، من ذلك ما ورد في نسخ نهيه ﷺ عن الأكل من لحوم الأضاحي بعد ثلاث بالإباحة التي وردت في رواية أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- والتي أوردها مسلم -رحمه الله- في صحيحه.

١٢- ومنها أخذه ﷺ بمشورة النساء في بعض الأمور الخاصة والعامة.

١٣- ومنها ظهور بعض التشريعات التي يحتاجها المسلمون في أمور البيع والشراء، ومنها إقدامه ﷺ على الشراء بالنسيئة من تاجر يهودي من أهل الكتاب. وفي هذا من الدروس والعبر ما لا يخفى سواءً ما كان من الاستفادة في فقه أحكام البيوع أم في فقه المعاملات والعلاقات الدولية التي قد يحتاج إليها المسلمون.

١٤- ومنها صدور حكمه ﷺ بالتيسير والتوسعة على حجاج بيت الله الحرام إلى يوم القيامة، وذلك بتركه منى مكاناً لمن سبق فلا يضيق على الحجاج فيه بتملك المتملكين، وهذا فيه الحثّ على المسارعة في الخير والسبق إليه.

١٥- ومنها مناقشة العلماء لمسألة زيارة القبور لكل من الرجال والنساء وبيان حكم الشرع في ذلك ليكون المسلم على بصيرة من أمر دينه.

١٦- أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال نشرها للعلم ونفع المسلمين، فقد كان لها السبق في إيضاح بعض الأحكام الخاصة بين الزوجين لمكانتها من رسول الله ﷺ، فروي عنها من الاستنباطات الفقهية والأقيسة العقلية في هذا المجال ما يؤكّد ذلك. ومنه توضحيها لمسألة وجوب الغسل على الزوجين إذا جاوز الختان الختان و لم يترلا.

١٧- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأسلوب الخطابي المدعم بالأساليب البلاغية والحجج العقلية في الدعوة إلى الله وجمع الكلمة وإخماد نار الفتنة من الوقيعة في الصديق خليفة رسول الله ﷺ.

١٨- استخدمت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- أسلوب الجدل

والحوار مع رسول الله ﷺ فأفادت الأمة كلها من خلال ذلك، وعُلم بذلك الحوار وجه الجمع بين الحديث والآية الواردتين في شأن أصحاب بيعة الرضوان وأنهم ممن حكم الله بنجاهم في قوله تعالى: {**ثم ننجي الذين اتَّقَوا...**} الآية.

١٩- أفادت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- في الدعوة من خلال استدلالاتها العلمية واستنباطاتها الفقهية، فقد عُرفت -رضي الله عنها- بالعلم والرأي الرشيد، وورد ذكر آرائها وأقوالها في المصنفات الفقهية في مجال الفتاوى العلمية.

٢٠- استخدمت -رضي الله عنها- الأساليب البلاغية والاستدلالات العقلية والمنطقية في إفحام الخصوم وإقامة الحجة، تجلّى ذلك من خطبتين لها الأولى في مرض أبيها والثانية بعد استشهاده -رضي الله عنهم أجمعين-.

٢١- أفادت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في منهجها العقلي في الدعوة من خلال ما علّمها الله عزَّ وجلَّ من العلم الشرعي، حيث كانت مرجع الفتوى لكثير من نساء المسلمين في زمانها، وكانت تستدل في فتاويها بأحاديث رسول الله ﷺ، ومن ذلك ما ورد في مسألة طهارة ذيل المرأة المسترخي بقوله ﷺ: "يطهره ما بعده".

٢٢- ضربت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- أروع الأمثلة في الإجابة الموفقة الدالة على وضوح ذلك المنهج في الدعوة من خلال أسئلة كبار الصحابة لها عن أمور دينهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف -رضوان الله عليهم أجمعين-.

٢٣- ومنه ما ورثته للأمة من علم، ومن ذلك حين حاورت رسول الله ﷺ في شأن أبنائها الأيتام من زوجها الأول، فاستفادت الأمة من إجابته ﷺ لها بالرفق والإحسان إلى الأقارب وتعهدهم بالصلة والمعروف.

٢٤- ومنه سؤالها النبي ﷺ عما يُستحيا من ذكره من أمور النساء، من ذلك سؤالها عن المرأة التي كانت تهراق الدماء فأتت إجابته ﷺ شاملة النفع لنساء الأمة أجمعين.

٢٥- مما أثمرته المحاورة العقلية التي دارت بين أم سلمة وميمونة -رضي الله عنهما- وبين رسول الله ﷺ في شأن دخول الصحابي الكفيف عبدالله بن أم مكتوم -رضي الله عنه- حيث أمرهما ﷺ بالاحتجاب منه، واستفادت الأمة من ذلك ما سبق من أحكام في شأن الحجاب.

٢٦- بذل الرأي والمشورة الصادقة سمة من سمات أهل الفضل، وقد سطرت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- أعظم مجد في رجاحة رأي المرأة المسلمة والأخذ برأيها الرشيد. تمثّل ذلك في أخذه ﷺ برأيها حين بادر إلى الحلق والنحر والتحلل من العمرة بعد فراغه من صلح الحديبية، فاستجاب المسلمون لفعله ﷺ وبادروا إلى الحلق والنحر حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً استجابة لفعله ﷺ وتأسياً به. وكانت المنقبة فيها **لأم سلمة** -رضي الله عنها- إلى يوم القيامة.

٢٧- من الدروس المستفادة من حوار أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- مع رسول الله ﷺ في شأن زواجها بزيد بن حارثة -

رضي الله عنه- إذ نزل الوحي مؤيداً لمشـــورته ﷺ، وكـــان الإيمـــان والامتثال والتسليم من أم المؤمنين في الزواج من زيد بن حارثة -رضـــي الله عنه- وعاقبة ذلك تشريف الله لها بأن كانت من أمهات المؤمنين.

٢٨- ومن ذلك محاورة النبي ﷺ لها في شأن أم المؤمنين **عائشة** -رضـــي الله عنها- في حادثة الإفك فكان العقل والرشـــد في جوابهـــا بشـــهادتها لأم المؤمنين عائشة بالخير والصلاح، فحكمت العقل وجعلت رضى الله أمام عينيها عند إصدار حكمها على ضرتها ومن كانت تساميها مـــن أمهات المؤمنين.

٢٩- ومن ذلك ما روي عن أم المؤمنين **صفيـــة** -رضـــي الله عنـــها- في حوارين عقليين دللت من خلالهما على صدق إيمانها وثبات ولائـــها لله ورسوله والمؤمنين فأفادت بذلك وكان درساً في تعلم الأسلوب الأمثـــل في الحلم والعلم والعفو والصفح ومقارعة الحجة بالحجة.

٣٠- ومن ذلك ما روي عن أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- مـــن خلال أسلوب الحوار المبني على الاستدلالات العقلية والمؤيد بـــالحجج والبراهين المقنعة في حوارها مع والدها عندما طـــوت دونـــه فـــراش رسول الله ﷺ، وجعلته يراجع نفسه ويعيد النظر في الشرك والضـــلال الذي أوصله إلى هذا الحال.

ثانياً: الدروس المستفادة من المنهج العقلي في التربية عند أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن:

١- من الدروس المستفادة من المنهج العقلي في التربية لدى أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- إعمال العقل وتحكيمه في اختيار الطريق الأرشد الموصل إلى سعادة الدارين وهو اعتناق الإسلام والدعوة إليه وتربية الذرية عليه فأسلمت وحسن إسلامها هي وبناتها -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

٢- أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في منهجها العقلي في التربية بنوع من التربية يسمَّى التربية بالعقوبة، وذلك من خلال روايتها لبعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن فأفادت الأمة عامة والمربين خاصة بهذا النوع من التربية.

٣- ومنه روايتها لبعض الأحاديث المشتملة على الحوار العقلي المتزن بينها وبين رسول الله ﷺ، وظهرت ثماره وفوائده في تعلم الأسلوب الأمثل في كيفية التعامل مع أهل الكتاب والردّ على تحيتهم.

٤- ومنه عنايتها بتربية المرأة المسلمة وحثّها على أن تكون سفير خير لإيصال العلم وأحكام الشريعة للزوج، خاصة فيما يُستحيا من ذكره من الأمور. ومن ذلك روايتها للأحاديث الخاصة بأمور الطهارة حيث حَمَّلت النساء مسؤولية بلاغ الأزواج الأحكام المتعلقة بذلك.

٥- ومنه روايتها للحوار الذي دار بينها وبين رسول الله ﷺ في شأن أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- فاستفادت الأمة من هذا الحديث دروساً في التربية على حفظ حرمة المسلم وعدم ذكره في غيبته إلا بخير.

٦- ومنه عنايتها بتربية المسلم على الاعتدال والوسطية في الدين ونبذ التبتل والانقطاع والرهبانية وأنها مخالفة لهديه ﷺ وسماحة شريعته التي بعثه الله بها.

٧- ومنه ما أفادت به أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- من خلال استدلالها بحديث من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام على: تكريم اليد اليمنى بتقديمها واستعمالها في المكرمات من الأعمال، واليد اليسرى لما سوى ذلك. فأفادت في تربية الأمة على ذلك وجاء استدلالها العقلي والشرعي على هذا من خلال حياتها مع رسول الله ﷺ وملاحظتها له في ذلك.

٨- ومنه ما ورد في سؤال **أم سلمة** -رضي الله عنها- للنبي ﷺ عن دعوات كان لا يدعهن، فأتت الإجابة المفيدة النافعة مربية للأمة جميعاً بلزوم هذه الدعوات أبد الدهر.

٩- ومنه ما ورد في بيان هديه ﷺ في التربية على مخالفة أهل الكتاب ونبذ التبعية والانقياد لهم. تمثل ذلك من خلال رواية **أم سلمة** -رضي الله عنها- لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ يؤكد صومه ﷺ ليومي السبت والأحد معلّلاً ذلك بأنهما يوما عيدٍ للمشركين وهو يحب مخالفتهم. وفي هذا تربية للأمة على مخالفة أهل الكتاب.

١٠- ومنه ما ورد عن أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- في تربيتها الأمة على أمر عظيم وخطير يعتبر من ركائز الدين الثابتة وصماماً للأمان من عذاب الله وسخطه وهو ضرورة التمكين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تمثّل ذلك في روايتها لحديث المصطفى

عليه الصلاة والسلام الدال على قرب خروج يأجوج ومأجوج وتعلق خروجهم بكثرة الخبث وقلة وجود الصالحين الداعين إلى الله الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.

١١- ومنه ما ورد عن أم المؤمنين **ميمونة بنت الحارث** -رضي الله عنها- في استنكارها على ابن أختها اعتزاله فراش زوجته في أيام عادتها الشهرية، واستدلت بأن هديه ﷺ مخالف لذلك. فكان هذا درساً للأمة في حسن العشرة والمودة والألفة مع الأهل في كل الأوقات والأحوال التي تعتري النساء. فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

١٢- ومنها ما ورد عن أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- في تربية الأمة بأسلوب عقلي تربوي على حسن علاقة المؤمن بربه وَبِخَلْقِ الله، خاصة عند اللحظات الأخيرة لرحيله من هذه الدار. تمثّل ذلك من خلال إرسالها لأمهات المؤمنين في اللحظات الأخيرة، وقد طلبت منهن التحلل مما قد كان بينهن من أحوال الضرائر بعضهن مع بعض.

الفصل الثاني

المنهج العاطفي وطرق استخدامه عند أمهات المؤمنين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل : المنهج العاطفي في الدعوة عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

المبحث الأول

المنهج العاطفي في الدعوة عند أمهات المؤمنين

أولاً: أبرز أساليب المنهج العاطفي في الدعوة:

حتى تكون الدراسة واضحة ومقننة يتعين تحديد أبرز أساليب المنهج العاطفي في الدعوة وهي كالتالي:

١- أسلوب الموعظة الحسنة، ويندرج تحته ما يلي:

(أ) الخطابة.

(ب) الترغيب والترهيب.

(جـ) قص القصص العاطفية المؤثرة.

(د) مدح الداعي للمدعو أو ذمه، وذلك بذكر خصائصه ومزاياه، أو بذكر معايبه وأخطائه.

(هـ) الوعد بالنصر والتمكين.

(و) التذكير بنعمة الله على عبده المستوجبة للشكر.

٢- إظهار الرأفة بالمدعوين ويكون بالتالي:

(أ) بكلمة طيبة مؤثرة مثل: يا أبت، يا قوم، يا بني، وما إلى ذلك.

(ب) بمشاركة وجدانية في موقف.

(جـ) بمساعدة شخصية في أزمة... وهكذا[1].

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمَّد أبوالفتح البيانوني (ص٢٠٥-٢٠٦)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

ثانياً: أهمية المنهج العاطفي في الدعوة:

المنهج العاطفي ينمي عاطفة حب الله في القلوب، حيث يربطها بالنعم التي لا تنكر، ويشد القلوب إلى الإحسان، ويغرس في القلوب عاطفة الحب لله ورسوله ﷺ.

فالمنهج العاطفي إذاً ضرورة للاستجابة للدعوة وقبولها، لأنه يوقظ القلوب، وينمّي فيها حبّ الله تعالى وحب رسوله ﷺ، وحب الدعوة وحب المؤمنين، كما يحيط ذلك بسياج قوي من الترغيب والترهيب، حيث يتحقق بهما الخوف والرجاء فيبقى الإنسان مرتبطاً بربه يرجو رحمته ويخشى عذابه، فإذا أحسن الإنسان وغَرَّه إحسانه يذكر الترهيب والوعيد فيقف عند حده، وإن أساء ذكر الترغيب رجاء عفو ربه فيبتعد شبح القنوط ويتجدد نشاطه وإيمانه ليواصل مسيرة العمل الصالح.

إذاً: «فالمنهج العاطفي هو المنهج الذي يعتمد على تحريك الشعور والإحساس وعلى التأثير والانفعال وإثارة كوامن الحس وخبايا النفس من غضب ورضا ورحمة وشفقة وغلظة ولين وسرور وأحزان، لذلك يتطلب من الداعية أن يعرف طبيعة الشخص الذي يدعوه، وأن يعرف أمثل أساليب الترغيب والترهيب»[1].

وإلى هذا يشير قوله تعالى: **{إن هذا القرآنَ يهديْ لِلَّتِي هِي أقومُ ويبشِّرُ المؤمنينَ الذينَ يَعمَلونَ الصالِحات أنَّ لهمْ أجراً كبيراً، وأنَّ الذينَ لايؤمِنُونَ بالآخِرَةِ أعتدْنَا لهمْ عذاباً أليماً}**[2].

---

(١) من محاضرات الدكتور: محمَّد بن عبد العليم العدوي في مادة مناهج الدعوة ١٤٠٣هـ.

(٢) سورة الإسراء، آية: (٩).

فقوله تعالى: {**ويبشِّرُ المؤمنينَ**} وما بعده بيان للترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله وتبشيرهم بحسن المثوبة، والترهيب بوعيد الله للمخالفين الذين تعدَّوا حدوده تعالى.

والترغيب ضربان[1]:

١- الترغيب في جنس الطاعات:

ومنه قوله تعالى: {**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذينَ من قبلهم، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً...**}[2].

فالله سبحانه وتعالى وعد الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح -ومنه نصرة دين الله والجهاد في سبيله والدعوة إليه- أن يجعلهم خلفاءَ في الأرض متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم، ولقد أنجز الله تعالى وعده هذا لصحابة رسول الله ﷺ حيث أظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم، وبذلك رغَّبهم في جنس الطاعة.

ومنه قوله تعالى: {**منْ عمِلَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**}[3].

فإن الله تعالى وعد العامل بالعمل الصالح بحسن الحال والمآل.

---

(١) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ (ص١٩٢-٢٠٠) ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

(٢) سورة النور، آية: (٥٥).

(٣) سورة النحل، آية: (٩٧).

ومنه قوله تعالى: {**لِلَّذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرةِ خيرٌ ولنِعْمَ دار المتقين**}[1]، والمعنى أن للذين أحسنوا أعمالهم في هذه الدار مثوبة حسنة مكافأة لهم فيها على إخلاصهم في العمل، وفي الآخرة خير وأعظم، ترغيباً لهم في الازدياد من صالح العمل مع الإخلاص فيه.

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبوذرٌ -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[2]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والمعنى: «فإن فاعل ذلك يُرجى له في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح»[3].

٢- الترغيب في أنواع الطاعات:

ومنه الصلاة والصدقة والصوم والحج والجهاد لإعلاء كلمة الله وبرّ الوالدين وإصلاح ذات البين... إلخ.

من ذلك قوله تعالى: {**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثلِ حبةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبةٍ والله يضاعِفُ لمن يشاء، والله واسعٌ عليمٌ**}[4].

---

(١) سورة النحل، آية: (٣٠).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم (١٩٨٧) (٤/٣٥٥) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس، والحديث صححه الألباني كما في (ص٣٣٢) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام محمَّد المباركفوري (٦/١٢٣).

(٤) سورة البقرة، آية: (٢٦١).

وقوله تعالى: {وبشر الصابرِينَ الّذينَ إِذا أصابتْهُمْ مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإِنّا إليه رَاجِعُونَ. أولئكَ عليهمْ صلوات مِنْ ربِّهمْ ورحمةٌ وأولئك هم المُهْتَدونَ}[1].

ومن السنة ما جاء عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ في الجنة باباً يقال له الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، أغلق فلم يدخل منه أحد)[2].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: «وفيه أن أبواب الجنة حق غير مجاز، ويؤكده قوله: "فإذا دخل آخرهم، أغلق فلم يدخل منه أحد" فيه نوع من الكرامة لهم، والاختصاص كما اختصوا به حتى لا يزاحموا فيه»[3].

ومن الترغيب في أنواع الطاعات من السنة ما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مئة درجة، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر

(١) سورة البقرة، آية: (١٥٥-١٥٦-١٥٧).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٥٢) (ص٤٤٥) كتاب الصيام، باب: فضل الصيام.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١١٤/٤).

أنهار الجنة)[1].

«وبهذا يُعلم أن القلب هو وعاء العاطفة، بيقظته تنشط، وبخموله تكسل، فنحن في حاجة إلى تحريك القلب نحو الإيمان، وفي حاجة كذلك إلى تنفيره من الكفر والفسوق والعصيان، وتوجيه القلوب إلى الخير يحتاج إلى خبرة بتلك القلوب التي يراد تحريكها، ويفتقر إلى معرفة الدوافع التي جبلت القلوب على التأثر بها. وليس هناك مفاتيح أقرب إلى تحريك القلوب من إثارة العواطف الكامنة في حناياها»[2].

من أجل هذا وضع الإسلام قواعد المنهج العاطفي، لأن العاطفة لها تأثير كبير، وسلطان عظيم على قلوب الذين لم تنحرف فطرهم عن الجادّة، فإذا ما استغلت العاطفة استغلالاً حسناً، ووجهت توجيهاً جيداً، فإنها تكون من أنجح الوسائل لتحقيق الغاية المطلوبة.

والمنهج العاطفي في الإسلام لا يعتمد على مجرد الانفعال والإثارة، لأن الاعتماد على ذلك يجعل العاطفة سريعة التحول، وحينئذٍ لا يستفاد منها ولاتصلح لأن تكون مصدر خير فياض للمسلم في طريقه الطويل، ولكن المنهج العاطفي في الإسلام له ضوابط تحدد نشاطه -وهو ما سبق الحديث عنه من الترغيب والترهيب المدلل عليهما من الكتاب والسنة والمثيرة للعاطفة والتفكير السليم- وبذلك يمكن الانتفاع به ويمكن أن يكون عاملاً هاماً من عوامل نجاح الدعوة في إقناع المدعوين.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٧٤٢٣) (ص١٥٥٨) كتاب التوحيد، باب: (وكان عرشه على الماء).

(٢) انظر: تقنين الدعوة، للدكتور محمَّد السيد الوكيل، (ص٢٠٣).

وفي تحديد أبلغ لمعنى العاطفة الصادقة في الدعوة والمبنية على الكتاب والسنة لا على الجهل والهوى، يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في توضيح ذلك: «أسفت -كما أسف غيري- لصنفين من الناس:

صنف تلمس في قلبه عاطفة حارة، ورغبة في الله عميقة، وحباً لرسوله ﷺ بادياً، ومع ذلك تجده ضعيف البصر بأحكام الكتاب والسنة، يعلم منها قليلاً ويجهل منها كثيراً، ويغريه بالتعصب للقليل الذي يعلمه أنه يأنس من نفسه صدق الوجهة، وقوة محبة لله ورسوله ربما افتقدها في غيره فلم يشعر بها.

وصنف تلمس في عقله ذكاءً، وفي علمه سعةً، وفي قوله بلاغة، يعرف الصواب في أغلب الأحكام الشرعية، ويؤدي العبادات المطلوبة منه أداءً لا بأس به، ولكنه بارد الأنفاس، بادي الجفوة، غليظ القلب، يكاد يتمنى العثار لغيره، كي يندد بأغلاطه، ويستعلي هو بما أوتي من إدراك للحق، وبصرٍ بمواضعه من كتاب وسنة»[1].

ثالثاً: المنهج العاطفي في الدعوة عند أمهات المؤمنين:

لقد عني العلماء من سلف الأمة وإلى وقتنا الحاضر بالحديث عن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- وذلك لأنهن صفة الصفوة من النساء، تُؤخذ من حياتهن مع رسول الله ﷺ كل الفضائل وكريم الشمائل.

لقد كان في مقدمتهن دخولاً للبيت النبوي **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- خير نساء الأرض في عصرها، لقد تبوأت مكانة عظمى في سُدة

---

(١) انظر: الجانب العاطفي من الإسلام للشيخ محمَّد الغزالي (ص١١-١٢) الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

الفضائل لم تتبوأها امرأة غيرها، ولهذا قال عنها ﷺ: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة)[1].

إن الحديث عن المنهج العاطفي في دعوة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها-، عظيم الندى، واسع الآفاق، وذلك لما اشتملت عليه -رضي الله عنها- من جميل الخصال، وصدق العاطفة، ووفرة العقل مع رسوخ الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

وقد عرفنا -مما سبق- أن الموعظة الحسنة هي لب المنهج العاطفي الذي تَمثّل أصدق تمثيل في دعوة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- حين وفقها الله عزَّ وجلّ بأن خففت على نبيه ﷺ حينما نزل عليه ما نزل من أمر الوحي لأول مرة، وذلك عندما عاد إليها خائفاً وهو يقول: زملوني زملوني، فزملته -رضي الله عنها- وغمرته بعاطفة مِلْؤُها الرعاية والحنان، وانتظرت حتى هدأت نفسه الشريفة وذهب عنه ما كان يجد من شدة هول المفاجأة، وعندئذٍ سألته عن سبب ذلك، فقصَّ عليها ﷺ ما رأى وأخبرها بما سمع وقال لها: لقد خشيت على نفسي، فأجابته -رضي الله عنها- إجابة المؤمن الواثق بوعد الله ونصره وتمكينه لدينه ولنبيه ﷺ بقولها: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً"[2]، وفي رواية: "كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً"[3].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٤٣٢) (ص٧٢٨) كتاب أحاديث الأنبياء، باب: {**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...**}.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١٢) كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٩٥٣) (ص١٠٩٠) كتاب التفسير، سورة العلق.

فهذا يدلُّ على صدق العاطفة الفياضة لدى أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- حيث اهتدت بها إلى النتيجة الصحيحة في تثبيت نبيّ الدعوة -عليه الصلاة والسلام- على الحق الذي لا شك فيه ولا مرية فيه، فنالت بذلك من عظيم الأجر ما الله به عليم.

إن الكلمات العظيمة التي قالتها **خديجة** -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ وهو في هذا الموقف المهيب، دليل قويّ على العاطفة الجياشة التي تنبع من قلب طاهر مشرق بنور الهداية والتوفيق إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

لقد قالت كلمات نضرة زكية عبقة بعطر الإيمان والتصديق، فقد ذكّرته ﷺ بنعم الله عليه السابقة من قبل الوحي والرسالة، وقد تقدم معنا بأن التذكير بالنعم أسلوب من أساليب الموعظة الحسنة في المنهج العاطفي في الدعوة، فقد قالت -رضي الله عنها-: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[١].

وهذه **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- تروي للأمة حديثاً عن رسول الله ﷺ في بيان أهمية العاطفة وأثرها في الدعوة إلى الله، فهذا رسول الله ﷺ يغمرها بعاطفته الفياضة ويتعهدها بما يَسُرُّها فقد قالت -رضي الله عنها-: "لقد رأيت رسول الله يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم"[٢].

---

(١) انظر تخريجه الصفحة السابقة.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٤) (ص١١٢) كتاب الصلاة، باب: أصحاب الحراب في المسجد.

لقد كان ﷺ المثل الأعلى في كل ما يفعل، وربما لا تتسع أحلام الصحابة الكرام لمثل هذا، ولكنها النبوة وآدابها، وقد تعلمت الصديقة -رضي الله عنها- من هذا الموقف درساً عظيماً وهي بدورها تُعلّم الأمة كلها هذا الدرس في أثر المنهج العاطفي في نجاح الدعوة من خلال روايتها لهذا الحديث العظيم، ويتضح تأكيدها -رضي الله عنها- لأهمية هذا المنهج في الدعوة من خلال بعض الروايات الأخرى والتي ورد فيها: "وكان يوم عيد، يلعب السودان بالدرق والحراب، فإمَّا سألت النبي ﷺ، وإمَّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي"[1].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفي الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح، وفيه حسن خلقه ﷺ مع أهله وكرم معاشرته»[2].

وتصرح أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بأهمية العاطفة، وأن لها أثراً مهماً في نفوس المدعوين خاصة النساء ومن هم في حكم عاطفتهم، فتقول -رضي الله عنها- بعد روايتها للحديث السابق: "فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو"[3].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٩٥٠) (ص٢٠٥) كتاب العيدين، باب: الحراب والدرق يوم العيد.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥٤٩/١).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢٣٦) (ص١١٥٠) كتاب النكاح، باب: نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.

لقد كانت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تلقى العطف النبوي في شتى المجالات، فتتعلم منه ﷺ وتُعلِّم الأمة، لقد قدَّمت -رضي الله عنها- للأمة درساً نبوياً في أهمية العاطفة وأثرها في الدعوة من خلال روايتها لحديث سباقها مع النبي ﷺ وأظهرت كيف كان يتعاطف معها ويحسن إليها وهي بدورها تنقل هذا الخير إلى الأمة لتعمل وتقتدي به ﷺ، "فعن **عائشة** -رضي الله عنها- أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السَّبقة"[١].

ومما تقرر عند علماء الدعوة أن من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة أسلوب الترغيب والترهيب وذكر الثواب والعقاب، ومن خلال حديث ترويه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- نرى هذا الأسلوب واضحاً جلياً، فقد جمعت إلى الأسلوب السابق استثارة العاطفة لدى الشخص المدعو؛ وذلك بمناداته باسمه، وهذا فيه مزيد عناية واهتمام بالمدعو إذ يتيقن صدق دعوتك له من خلال الحب والعاطفة التي غمرته بها وتحملها في جنباتك له.

وما هذا المنهج عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- بغريب، وهي ممن نهلت من المعين الصافي، وتربت في بيت النبوة وتأدبت بآدابها، فقد روى

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٥٧٨) (٣/٣٠) كتاب الجهاد، باب: في السبق على الرجل، الحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح أبي داود (١١٨/٢).

مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى سالم[1] مولى شداد (قال: دخلت على عائشة زوج النبي ﷺ يوم توفي سعد بن أبي وقاص، فدخل عبدالرحمن ابن أبي بكر فتوضأ عندها، فقالت: يا عبدالرحمن! أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل للأعقاب من النار)[2].

وفي مسند الإمام أحمد "عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا عبدالرحمن أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل للعراقيب من النار"[3].

وأورد مسلم -رحمه الله- في صحيحه من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه، "أنه رأى قوماً يتوضؤون من المطهرة، فقال: أسبغوا الوضوء، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: ويل للعراقيب من النار"[4].

---

(١) هو سالم بن عبدالله النصري: بالنون، أبوعبدالله المدني، ويقال له: مولى النصريين، ومولى مالك بن أوس، ومولى أوس، ومولى المهري، ومولى شداد، والدوسي، وسالم سبلان: بفتح المهملة والموحدة، صدوق، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة، انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٢٨٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٠) (ص١٢٤) كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٤٦٢٤) (ص١٨٠٩). قال الشيخ البنا -رحمه الله- في تخريجه للحديث: أخرجه مسلم والبيهقي وغيرهما، ورواية العراقيب عند مسلم من حديث أبي هريرة. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٤٢/٢).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤١) (١٢٥) كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما.

ومن أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إظهار الرأفة والرحمة بالمدعويين، وهذه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تؤكد هذا المعنى من خلال دعوتها بهذا الأسلوب في حديث ترويه عن رسول الله ﷺ حيث يعتبر بحق قاعدة أساسية في الرحمة والعاطفة بالمدعوين ويتعين على الدعاة إلى الله والمصلحين نهج هذا الأسلوب العاطفي الناجح من خلال دعوتهم ونصحهم لعباد الله، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ[1] منه، فَيُسَرِّبُهُنَّ[2] إليَّ، فيلعبن معي)[3].

ومما ينبغي الإشارة إليه في تأكيد المنهج العاطفي في الدعوة من خلال هذا الحديث، هو أن البخاري -رحمه الله ذكر هذا الحديث تحت باب سماه: باب الانبساط إلى الناس، وصَدَّره بأثرٍ عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- ونصه: "وقال ابن مسعود: خالط الناس ودينك لا تَكْلِمَنَّه[4]،

---

(١) يَتَقَمَّعْنَ: وفي رواية "انْقَمَعْنَ": أي تَغَيَّبن ودخلن في بيت، أو من وراء سِتْر، وأصله من القِمَع الذي على رأس الثمرة، أي يَدْخُلْنَ فيه كما تدخل الثمرة في قِمَعِها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير (٤/١٠٩).

(٢) فيسربهن: أن يبعثهن ويرسلهن إلي. انظر: المصدر السابق (٢/٣٥٦).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦١٣٠) (ص١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس.

(٤) تكلمنه: بفتح أوله وسكون الكاف وكسر اللام وفتح الميم من الكلم، بفتح الكاف وسكون اللام وهو الجرح وزناً ومعنى، وروي بالمثلثة بدل الكاف، والنون مشددة للتأكيد. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٠/٥٢٦).

والدعابة مع الأهل"[1]. ثم أورد حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: "إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخٍ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير[2]"[3]، وختم البخاري -رحمه الله الباب بحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- السابق، وهذا الترتيب من البخاري -رحمه الله- لا يخفى مغزاه على ذوي الفطنة والبصائر من أهل العلم، خاصة ممن شرفهم الله عزَّ وجلَّ بشرف الدعوة إليه سبحانه، حيث يُفهم من هذا تَعَيُّنُ مخالطة الناس والصبر على ذلك ليتحقق هدف الدعوة.

وقد يرد على هذا لبسٌ عند البعض مما قد تسببه الخلطة مع الناس من أمور لا يقبلها أصحاب النفوس الطيبة والهمم العالية، أجاب عن هذا التساؤل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- من خلال شرحه لهذا الحديث فقال: «والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب، قال الغزالي: من الغلط أن يُتخذ المزاح حرفه، ويتمسك بأنه ﷺ مزح، فهو

---

(١) صحيح البخاري (ص١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس.

(٢) النغير: هو تصغير النُّغَر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار، ويُجمع على: نغران. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير (٨٦/٥).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦١٢٩) (١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس، ط. دار الأرقم، بيروت – لبنان.

مزح، فهو كمن يدور مع الريح حيث دار، ويتمسك بأنه ﷺ أذن لعائشة أن تنظر إليهم -أي إلى رقص الحبشة في المسجد-»[1].

هذا ومما أورده القاضي عياض -رحمه الله- من أحكام عند شرحه لحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في بيان حكم جواز اللعب بالبنات؟ فقال -رحمه الله-: «فيه جواز اللعب بهن، وتخصيصهن من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما في ذلك من تدريب النساء في صغرهن على النظر لأنفسهن وبيوتهن، وأبنائهن، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، وروي عن مالك كراهة شرائها، وهذا عندي محمول على كراهة الاكتساب بها للبائع، وتنزيه أولي المروءات عن تولي ذلك من بيع وشراء لا كراهة اللعب بهن، وعلى الجواز بلعب الجواري بهن جمهور العلماء، وذهبت فرقة إلى أنه منسوخ بالنهي عن الصور»[2].

وبهذا القول قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند شرحه للحديث فقال: «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور....، قال الخطابي: في هذا الحديث أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد؛ وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ»[3].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٠/٥٢٧).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٧/٤٤٧-٤٤٨).

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٠/٥٢٧).

وفي تقرير المنهج العاطفي في الدعوة من خلال هذا الحديث، قال النووي -رحمه الله- بعد شرحه للحديث: «وهذا من لطفه ﷺ وحسن معاشرته»[1].

وفي إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين أيضاً تروي لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا حديثاً عن رسول الله ﷺ ترشد من خلاله الدعاة إلى الله إلى هذا الأسلوب العاطفي لكي تثمر ودعوتهم تنجح وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فقد روى مسلم في صحيحه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة[2] الضحى قط، وإني لأسبحها، وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به، خشية أن يعمل به الناس، فيفرض عليهم)[3].

وفي رواية لأبي داود أنها قالت: "ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم"[4].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٢٠٥) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

(٢) سبحة الضحى: يطلق التسبيح على صلاة التطوع والنافلة، ويقال أيضاً للذكر ولصلاة النافلة، سبحة، وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح لأن التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة سبحة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد ابن الأثير (٢/٣٣١).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧١٨) (ص٢٨٣) كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحى.

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم: (١٢٩٣) (٢/٢٨) كتاب الصلاة، باب: صلاة الضحى، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٢٩٣) (١/٣٥٤).

وفي بيان حكم هذه الصلاة ومقدارها ومدى مداومته ﷺ عليها قال النووي -رحمه الله-: «الضحى سنة مؤكدة وأقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وبينهما أربع أوست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان، وأما الجمع بين حديثي **عائشة** -رضي الله عنها- في نفي صلاته ﷺ الضحى وإثباتها فهو أن النبي ﷺ كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ويتركها في بعضها خشية أن تفرض كما ذكرته **عائشة** -رضي الله عنها- ويتأول قولها ما كان يصليها إلا أن يجيء من مغيبه على أن معناه ما رأيته كما قالت في الرواية الأولى وسببه أن النبي ﷺ ما كان يكون عند عائشة في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات، فإنه قد يكون في ذلك مسافراً وقد يكون حاضراً ولكنه في المسجد أو في موضع آخر. وإذا كان عند نسائه فإنما كان لها يوم من تسعه فيصح قولها ما رأيته يصليها وتكون قد علمت بخبره أو خبر غيره أنه صلاها أو يقال قولها ما كان يصليها أي ما يداوم عليها فيكون نفياً للمداومة لا لأصلها، والله أعلم»[1].

وفي توضيح معنى القول المنسوب إلى ابن عمر -رضي الله عنهما- بأنها بدعة، قال القاضي عياض -رحمه الله-: «وقول ابن عمر "إنها بدعة" أي ملازمتها وإظهارها في المساجد، مما لم يكن بعد، لاسيَّما وقد روي عنه: "بدعة ونعمت البدعة" وروي عنه: ما ابتدع المسلمون بدعة أفضل من صلاة الضحى كما قال عمر -رضي الله عنه- في صلاة التراويح، لا على أنها بدعة مخالفة للسنة، وكذلك روي عن ابن مسعود لما أنكرها على هذا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٠).

الوجه، وقال: "إن كان لابدَّ ففي بيوتكم، لِمَ تُحمِّلون عباد الله ما لم يحملهم الله" كل ذلك خيفة أن يحسبها الجاهل من الفرائض، ولهذا رأى جماعة ممن رأى صلاتها في بعض الأيام دون بعض ليخالف بينها وبين الفرائض، واحتجوا بما روي عن أبي سعيد "أن النبي ﷺ كان يصليها حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها"[1]»[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لم تكتفِ بذكرْ الحكم المراد توضيحه للأمة في صلاة الضحى[3]، ولكنها

(١) سنن الترمذي، حديث رقم: (٤٧٧) (٣٤٢/٢) أبواب الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الضحى، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وضعفه الألباني كما في (ص٤٨١) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٥٤/٣).

(٣) وضح الإمام ابن القيم -رحمه الله- مسألة الأحكام المتعلقة بصلاة الضحى غاية التوضيح والبيان حيث استعرض جميع الأحاديث والآثار والأقوال الواردة في صلاة الضحى، وناقش المسألة في كلام طويل مسهب، وسأورد مختصراً لكلامه، فقد قال -رحمه الله-: «اختلف الناس في الأحاديث الواردة في صلاة الضحى على طرق وهي:

القول الأول: منهم من رجَّح رواية الفعل على الترك بأنها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي. قالوا: وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس، ويوجد عند الأقل.

الطائفة الثانية: ذهبت إلى أحاديث الترك، ورجحتها من جهة صحة إسنادها، وعمل الصحابة بموجبها.

الطائفة الثالثة: ذهبت إلى استحباب فعلها غالباً، فتُصلي في بعض الأيام دون بعض.

الطائفة الرابعة: ذهبت إلى أنها تفعل بسبب من الأسباب، وأن النبي ﷺ إنما فعلها بسبب، قالوا: وصلاته يوم الفتح ثمان ركعات ضحى، إنما كانت من أجل الفتح...، وأما قول عائشة: لم يكن رسول الله ﷺ يصلي الضحى إلا أن يقدم من مَغِيبه، فهذا من أبين الأمور أن صلاته لها إنما كانت لسبب، فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، فهذا كان =

علّلت سبب عدم مداومته ﷺ عليها، وما ذاك إلا لبيان الأسلوب العاطفي في الدعوة الذي يجب أن ينتهجه الدعاة إلى الله أسوة بإمام الدعاة ﷺ، فتشير -رضي الله عنها- إلى عاطفته ﷺ ورحمته بأمته في عدم المداومة على النفل من الأعمال بسبب خشيته أن يفرض على أمته نوافل قد يعجزوا عن أدائها. وفي هذا من دروس الدعوة ما يلي:

١- التأكيد على المنهج العاطفي في الدعوة وأنه باب أساس في الدعوة.

٢- يجب على الداعي إلى الله أن لا يحمل الناس من السنن والنوافل ما لا يطيقون خشية أن يتسرب إليهم الملل وينسحب ذلك إلى الفرض لا قدّر الله.

٣- وجوب مراعاة نفوس المدعوين وأحوالهم وتفقد إقبالهم وإدبارهم على الخير ومعالجة كل حالة بما يناسبها.

= هَدْيه، وعائشة -رضي الله عنها- أخبرت بهذا وهذا... وفعل الصحابة -رضي الله عنهم- يدل على هذا، فإن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان يصليها يوماً ويدعها عشرة، وكان ابن عمر لا يصليها، فإذا أتى مسجد قباء صلاها، وكان يأتيه كل سبت، وقال سفيان عن منصور: كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويَدَعون، ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة، وجدها لاتدلُّ إلا على هذا القول)).

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (١/٣٤٥-٣٥٧) بتصرف.

قلت: والذي يظهر والعلم عند الله أن في قول النووي السابق في هذه المسألة زيادة خير وتسابق في الخيرات، حيث أكّد سنيتها وجمع بين حديثي عائشة -رضي الله عنها- السابقين في نفي صلاته ﷺ لصلاة الضحى وإثباتها، وبيّن وجه ذلك، ووضح أن تركه ﷺ لها في بعض الأحيان كان خشية أن تفرض على الأمة، وقد زال هذا المحذور بعد وفاته ﷺ، فيكون نفيها لمداومته ﷺ عليها، لا نفي أصل إثباتها، وبهذا يكون قد فتح باب الخير للراغبين فيه، والمداومة عليه. والله أعلم.

٤- لا حرج بأن يأخذ الداعي إلى الله نفسه بالعزيمة في معالي الأمور كالمحافظة على السنن الرواتب والمواظبة على المستحبات، ولكن شريطة ألا يلزم مدعويه بذلك خشية نفرتهم ومللهم.

٥- سيتحقق للداعي إلى الله -بإذن الله- استجابة الناس إلى المحافظة على النوافل والمستحبات، وذلك عند قيامه والتزامه بذلك فيكون قد دعا إلى الله بعمله، وهذا أبلغ تأثيراً في نفوس المدعوين من القول.

وحيث تقرر أن من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة أسلوب الترغيب والترهيب، وذكر الثواب والعقاب، فقد ضمنته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- دعوتها من خلال روايتها التالية (فقد ورد أنه دخل نسوة من أهل الشام على **عائشة** -رضي الله عنها- فقالت: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشام، قالت: لعلكن من الكُورَةِ[1] التي تدخل نساؤها الحمامات؟ قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى)[2].

وفي رواية (أن نساء من أهل حمص أوْ من أهل الشام دخلن على عائشة فقالت: أنتن اللاتي يدخُلْنَ نساؤكن الحمامات؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[3].

---

(١) الكُورَة: الصقع، ويطلق على المدينة والجمع كُوَر: مثل غرفة وغرف. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) مادة (كور) (٢٠٦/٢).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٠١٠) (٣٩/٤) كتاب الحمام. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٤٩٧/٢).

(٣) سنن الترمذي لأبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٢٨٠٣) (١١٤/٥) كتاب الأدب، باب: ما جاء في دخول الحمام، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن، وصححه الألباني كما في (ص٤٥٠) طبعة بيت الأفكار الدولية.

وبهذا الأسلوب المهيب المنفر من هذا الفعل استطاعت أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن تنفر سامعيها من النساء عن هذا الفعل[1] الذي يتنافى مع المروءة والحياء والعفة.

---

(١) تعرض العلماء -رحمهم الله- من سلف هذه الأمة وخلفها لهذه المسألة، وترددت فيها الأقوال بين الإباحة والكراهة والتحريم، فقد قال النووي -رحمه الله-: ((وجاء في دخول الحمام عن السلف آثار متعارضة في الإباحة والكراهة: فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: نعم البيت الحمَّام يذهب الدرن ويذكر النار. وعن علي وابن عمر -رضي الله عنهم-: بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء، -ثم قال النووي رحمه الله- وأما أصحابنا فكلامهم فيه قليل، وممن تكلم فيه من أصحابنا الإمام الفقيه الحافظ أبوبكر السمعاني المروزي -رحمه الله- فقال: جملة القول في دخول الحمام أنه مباح للرجال بشرط التستر وغض البصر، ومكروه للنساء إلا لعذر من نفاس أو مرض. قال: وإنما كره للنساء لأن أمرهن مبني على المبالغة في التستر، ولما في وضع ثيابهن في غير بيوتهن من الهتك، ولما في خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر)). المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/٢٣٤-٢٣٥).

وقال صاحب المغني -رحمه الله-: ((قال أحمد: إن علمت أن كل من في الحمام عليه إزار فادخله وإلا فلا تدخل. وقال سعيد بن جبير: دخول الحمام بغير إزار حرام، وأما النساء فليس لهن دخوله مع ما ذكرنا من الستر إلا لعذر من حيض أو نفاس أو مرض أو حاجة إلى الغسل ولا يمكنها أن تغتسل في بيتها لتعذر ذلك عليها أو خوفها من مرض أو ضرر فيباح لها ذلك إذا غضت بصرها وسترت عورتها، وأما مع عدم العذر فلا)). المغني للعلامة موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (١/٢٣٠).

ولعل الشوكاني -رحمه الله- قد وفق في هذه المسألة حيث سدَّ هذا الباب مطلقاً على النساء، خوفاً من استغلال الرخصة فيه للمريضة والنفساء إلى التوسع في هذا الأمر، فقال -رحمه الله- تحت حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمتي فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من إناث أمتي فلا تدخل الحمام" -هذا الحديث برقم (٤٩٥) (٢/١٥٠) في الفتح الرباني للشيخ أحمد البنا، وله شاهد في المسند برقم (١٢٥) من رواية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ودرجته حسن. انظر: حاشية تحقيق المسند حديث رقم: (١٢٥) (١/٢٧٧) ط. مؤسسة الرسالة، =

وفي إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، تروي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام موضحة هذا الأسلوب في الدعوة، فقد روى مسلم في صحيحه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: جاءت هند إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يذلهم الله من أهل خبائك، وما على ظهر الأرض أهل خباء أحبّ إليَّ من أن يعزهم الله من أهل خبائك، فقال النبي ﷺ: وأيضاً والذي نفسي بيده، ثم قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل ممسك، فهل عليَّ حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه؟ فقال النبي ﷺ: لا حرج عليكِ أن تنفقي عليهم بالمعروف)[1][2].

=

بيروت - لبنان-. قال الشوكاني -رحمه الله-: ((هذا الحديث يدل على جواز الدخول للذكور بشرط لبس المآزر، وتحريم الدخول بدون مئزر، وعلى تحريمه على النساء مطلقاً واستثناء الدخول من عذر لهن لم يثبت من طريق تصلح للاحتجاج بها، فالظاهر المنع مطلقاً، ويؤيد ذلك ما سلف من حديث عائشة -رضي الله عنها- الذي روته لنساء الكُوَرةِ وهو أصح ما في الباب)). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمَّد بن علي الشوكاني (١/٣٢١).

وقد وافق الشيخ البنا -رحمه الله- قول الشوكاني في هذه المسألة. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (٢/١٥١).

قلت: ولعل في هذا القول مزيد احتياط وعناية ورعاية لحرمة المسلمات من تطلع أصحاب النفوس الضعيفة إليهن وسداً لباب الفتن التي قد تترتب على هذا العمل، ولهن في أمهات المؤمنين أسوة حسنة في ترك ذلك.

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، حديث رقم (١٧١٤) (ص٧١٢) كتاب الأقضية، باب: قضية هند.

(٢) هذا الحديث استنبط منه العلماء فوائد جمة، منها ما أورده النووي -رحمه الله- عند شرحه للحديث حيث قال: ((في هذا الحديث فوائد منها: وجوب نفقة الزوجة، ومنها وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار، ومنها أن النفقة مقدرة بالكفاية لا بالأمداد ومذهب أصحابنا أن نفقة

=

وحديث آخر ترويه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله أثر المنهج العاطفي في نجاح الدعوة وقبولها لدى المدعوين، فقد روى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (أتى رجل إلى رسول الله ﷺ في المسجد في رمضان، فقال: يا رسول الله احترقت، احترقت، فسأله رسول الله ﷺ ما شأنه؟ فقال: أصبت أهلي، قال: تصدَّق. فقال: والله يا نبي الله ما لي شيء، وما أقدر عليه، قال: اجلس، فجلس، فبينا هو على ذلك أقبل رجل يسوق حماراً، عليه طعام، فقال رسول الله ﷺ: أين المحترق آنفاً، فقام الرجل: فقال

=

القريب مقدرة بالكفاية كما هو ظاهر هذا الحديث، ونفقة الزوجة مقدرة بالأمداد على الموسر كل يوم مدان وعلى المعسر مد، وعلى المتوسط مد ونصف..، ومنها جواز سماع كلام الأجنبية عند الإفتاء والحكم وكذا ما في معناه، ومنها جواز ذكر الإنسان بما يكرهه إذا كان للاستفتاء والشكوى ونحوهما، ومنها أن من له على غيره حق وهو عاجز عن استيفائه يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذنه)). شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٢).

وهذه المسألة التي أشار إليها النووي -رحمه الله- تسمى مسألة (الظفر). انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٩/٥٠٩).

قال الإمام الخطابي -رحمه الله- عند شرحه للحديث: ((وفيه جواز الحكم على الغائب...، وفيه جواز أن يقضي الرجل حقه من مال عنده لرجل له عليه حق يمنعه منه، وسواء كان ذلك من جنس حقه أو من غير جنس حقه، وذلك لأن معلوماً أن منزل الرجل الشحيح لا يجمع كل ما يحتاج إليه من النفقة والكسوة وسائر المرافق التي تلزمه لهم. وقد استدل بعضهم من معنى هذا الحديث على وجوب نفقة خادم المرأة على الزوج، قال: وذلك أن أباسفيان رجل رئيس في قومه، ويبعد أن يتوهم عليه أن يمنع زوجته نفقتها ويشبه أن يكون ذلك منه في نفقة خادمها فوقعت الإضافة في ذلك إليها إذا كانت الخادم داخلة في ضمنها ومعدودة في جملتها، والله أعلم)). معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمَّد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) (٣/١٤٢).

رسول الله ﷺ: تصدق بهذا، فقال: يا رسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لجياع، ما لنا شيء، قال: فكلوه)[1].

وفي رواية عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: ثم جلس، فأتي النبي ﷺ بِعَرَقٍ[2] فيه تمر، فقال: تصدق بهذا. قال: أفقر منا؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك)[3].

وهكذا تتضح أهمية استخدام المنهج العاطفي في الدعوة وأنه من الضرورات التي يجب على الدعاة إلى الله الإيمان بها وتنفيذها في ميدان الدعوة إلى الله حتى تميل لهم قلوب الناس وبالتالي يُقبل منهم الحق والهدى الذي يدعون إليه.

وقد اعتنى بهذا الحديث العلماء من الصدر الأول وحتى الآن، وذاك لِعِظم الفوائد الفقهية المستنبطة منه، ومنهم من أفرده بالتأليف فتكلم عليه في

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١١٢) (ص٤٣١) كتاب الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى.

(٢) هو زبيلٌ منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عَرَقٌ وعَرَقَةٌ بفتح الراء فيهما. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٢١٩).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١١١) (ص٤٣٠) كتاب الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى.

مجلدين جمع فيهما ألف فائدة وفائدة[1].

ولقد أطال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في استنباط الفوائد من هذا الحديث فمن ذلك قوله: «وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفاً للشرع، والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم، وفيه استعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه...، وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتألف على الدين، والندم على المعصية، واستشعار الخوف، وفيه الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم، وفيه جواز الضحك عند وجود سببه، وإخبار الرجل بما يقع منه مع أهله للحاجة، وفيه الحلف لتأكيد الكلام، وقبول قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله في جواب قوله: أفقر منا: أطعمه أهلك ويحتمل أن يكون هناك قرينة لصدقه، وفيه التعاون على العبادة والسعي في إخلاص المسلم وإعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة، وإعطاء الكفارة أهل بيت واحد، وفيه أن المضطر إلى ما بيده لا يجب عليه أن يعطيه أو بعضه لمضطر آخر»[2].

ودرس آخر من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تنقله للأمة من

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٧٣/٤). وانظر: التحقيق والتعليق على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لعلي بن محمَّد الهندي (٣٤٢/٣) حيث ذكر أن الذي ألف هذا المؤلف هو الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، حكى ذلك عن نفسه. ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) (١٧٢/٤-١٧٣).

خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مدى عطفه ورأفته ﷺ بالأمة، وفي هذا من الدروس والفوائد للدعاة إلى الله الشيء الكثير فقد روى أبوداود في سننه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ بعث أبا جهم ابن حذيفة مُصَدِّقاً[1] فَلاَجَّهُ[2] رجل في صدقته، فضربه أبوجهم فشجه، فأتوا النبي ﷺ، فقالوا: القود يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: لكم كذا وكذا فلم يرضوا، فقال: لكم كذا وكذا فلم يرضوا، فقال: لكم كذا وكذا فرضوا، فقال النبي ﷺ: إني خاطب العشية على الناس ومخبرهم برضاكم فقالوا: نعم، فخطب رسول الله ﷺ فقال: إن هؤلاء الليثيين أتوني يريدون القود، فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا، أرضيتم؟ قالوا: لا، فهَمَّ المهاجرون بهم، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يكفوا عنهم، فكفوا، ثم دعاهم فزادهم، فقال: أرضيتم فقالوا: نعم، قال: إني خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم قالوا: نعم، فخطب النبي ﷺ فقال: أرضيتم؟ قالوا: نعم)[3].

حقاً إنه لدرس عظيم قدمته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للأمة عامة والدعاة إلى الله خاصة من خلال رواية هذا الحديث الذي يعتبر أصلاً

---

(١) مُصَدِّقاً: المصَدِّق بتخفيف الصاد، هو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/١٨).

(٢) فَلاَجَّهُ: اللجاج: تماحك الخصمين وهو تماديهما، واللَّجَة: بالفتح: كثرة الأصوات. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) مادة (لجج) (٢/٢١١).

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٥٣٤) (٤/١٨١-١٨٢) كتاب الديات، باب: العامل يصاب على يديه خطأ، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٥٣٤) (٣/٩٨-٩٩).

في باب العاطفة، فأيُّ صبر وحلم هذا الذي مَنَّ الله به على رسوله ﷺ.

وإن الأمة مكلَّفة بالاقتداء به والسير على نهجه ﷺ، والدعاة إلى الله من باب أولى وهم حملة النور ومشعل الهداية من بعده عليه الصلاة والسلام.

لقد أيقن هؤلاء الليثيون بهذا الدين يقيناً، واستقوا من معينه درساً لم يكن ليحصل لهم بدون هذا الموقف العاطفي الحاني من رسول الله ﷺ، وصدق الله: ﴿**وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين**﴾(1).

هذا ولقد أفاد الإمام الخطابي -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث فقال: «في هذا الحديث من الفقه وجوب الإقادة من الوالي والعامل إذا تناول دماً بغير حقه كوجوبها على من ليس بوالٍ. وفيه دليل على جواز إرضاء المشجوج بأكثر من دية الشجة إذا طلب المشجوج القصاص. وفيه دليل على أن القول في الصدقة قول رب المال وأنه ليس للساعي ضربه وإكراهه على ما لم يظهر له من ماله. وفيه حجة لمن رأى وقوف الحاكم عن الحكم بعلمه لأنهم لما رضوا بما أعطاهم النبي ﷺ ثم رجعوا عنه فلم يلزمهم برضاهم الأول حتى كان ما رضوا به ظاهراً...، وروى عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- أنهما أقادا من العمال.

وممن رأى عليهم القود الشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه -رحمهم الله-»(2).

«وهكذا عُني الإسلام بالمنهج العاطفي، لأنه دين جاء بالخير، ويحب

---

(1) سورة الأنبياء، آية: (107).

(2) معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي، (19/4).

الخير للناس جميعاً، لا يفرق بين أتباعه وبين غيرهم من الناس، وليس أدلُّ على ذلك من دعوتهم جميعاً بغير استثناء إلى ذلك الخير، والعاطفة هي شيء باطني يدرك به الإنسان ما لا يدركه بشيء من الحواس، فهي تعتبر حاسة سادسة في الإنسان، فكما أن الحواس الخمس تترك الإنسان متأثراً بما تحسه من الجمال والقبح، ومن الحرارة والبرودة، ومن الطيب والخبيث، فكذلك العاطفة تترك الإنسان متأثراً بالانفعالات التي تثار نحوها، ومن هنا كان توجيه العاطفة نحو الخير من أهم الوسائل التي تعين الدعاة على التوجيه، وتصل بهم إلى الغاية»[1].

وفي تأكيد هذا المنهج وأهميته القصوى في الدعوة تروي لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام تُبين من خلاله حرصه ﷺ على زيارة المرضى من أهله وأصحابه والدعاء لهم بالشفاء وإحاطتهم بالعاطفة والرعاية منه ﷺ، بل لقد تعدى الأمر ذلك إلى أن زار عليه الصلاة والسلام المرضى من غير المسلمين رجاء تأليف قلوبهم إلى الإسلام، فقد روى البخاري في صحيحه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يُعَوِّذُ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً)[2].

وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص: أن أباها قال: تَشَكَّيْتُ بمكة

---

(١) تقنين الدعوة، للدكتور: محمَّد السيد الوكيل (ص١٨٩).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٤٣) (ص١٢٤٥) كتاب الطب، باب: رقية النبي ﷺ.

شكواً شديداً، فجاءني النبي ﷺ يعودني، فقلت: يا نبي الله، إني أترك مالاً، وإني لم أترك إلا ابنة واحدة فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث؟ فقال: لا. قلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال: لا. قلت: فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين؟ قال: الثلث، والثلث كثير، ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعداً، وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي -فيما يخال إلي- حتى الساعة)[1].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)[2].

وهكذا يتضح من مجموع الأحاديث السابقة مدى عناية الإسلام بالمنهج العاطفي وأنه أساس مهم في نجاح الدعوة لكل أصناف المدعوين فقد استخدمه ﷺ مع أهله وأصحابه ومع غير المسلمين، وكان له الأثر البالغ في نجاح الدعوة واستمالة قلوب المدعوين واستجابتهم إلى هذا الدين.

وفي مسحه ﷺ على المريض قال النووي -رحمه الله-: «فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له وقد جاءت فيه روايات كثيرة صحيحة»[3].

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (٥٦٥٩) (١٢٣٠) كتاب المرضى، باب: وضع اليد على المريض.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١٣٥٦) (ص٢٨٤) كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يُعرض على الصبي الإسلام.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٠/١٤) كتاب السلام، باب: استحباب رقية المريض.

وقد استنبط الحافظ ابن حجر -رحمه الله- من دعائه ﷺ في قوله (أنت الشافي) فائدة جليلة فقال: «يؤخذ منه جواز تسمية الله تعالى بما ليس في القرآن بشرطين:

أحدهما: أن لا يكون في ذلك ما يوهم نقصاً.

والثاني: أن يكون له أصل في القرآن وهذا من ذاك، فإن في القرآن: ﴿وإذا مرِضْتُ فهو يشفين﴾»[1].

وفي التأكيد على تصحيح العقيدة وتعليق القلب بالله وأنه وحده الشافي وأن الدواء والتداوي وطلب الطب ليست إلا أسباباً مقدرة، والمقَدِّر الفعلي للشفاء هو الله عزَّ وجلَّ، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «قوله لا شافي إلا أنت إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير الله تعالى وإلا فلا ينجع»[2].

وفي بيان معنى قوله ﷺ: (شفاء لا يغادر سقماً) قال المناوي -رحمه الله-: «وفائدة التقييد به أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرض آخر، وكان يدعو له بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء[3]».

وفي التأكيد على المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله من خلال زيارة المريض، أورد ابن القيم -رحمه الله- في هذا كلاماً لطيفاً تحت عنوان: فصل في هديه ﷺ في عيادة المريض، فقال -رحمه الله-: «كان ﷺ يعود من

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢٠٧/١٠)، والآية رقم: (٨٠) من سورة الشعراء.

(٢) المصدر السابق (٢٠٧/١٠).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمَّد المدعو عبد الرؤوف المناوي (٨٦/٥-٨٧).

مرض من أصحابه، وعاد غلاماً كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عَمَّه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسلم عمه، وكان يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله فيقول: كيف تجدك؟ وذُكر أنه كان يسأل المريض عما يشتهيه، فيقول: هل تشتهي شيئاً؟ فإن اشتهى شيئاً وعلم أنه لا يضره، أمر له به، وكان يمسح بيده اليمنى على المريض...، وربما كان يقول: "كفارة وطهور")[1].

وتؤكد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على أهمية تحريك العاطفة نحو الخير لدى المدعوين، وتؤصل ذلك من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ، يتضح من خلاله أثر الهدية الطيب والفاعل في نفس المُهدَى إليه؛ إذ تورث المحبة والألفة بين الداعي والمدعو وتذيب كل الموانع والعوائق التي تحول دون المدعو واستجابته إلى الخير، ولقد نهجت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- هذا المنهج في الدعوة تأسياً به ﷺ، فقد روي عنها -رضي الله عنها- قالت: (كان يحمل ماء زمزم)[2].

وفي رواية: (كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم)[3].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (١/٤٩٤-٤٩٧).

(٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) (٢/١١٦)، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٩٣١) (٢/٨٨٥).

(٣) السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ) (٥/٢٠٢) كتاب الحج، باب: الرخصة في الخروج بماء زمزم، الطبعة الأولى (١٣٥٢هـ). والحديث صححه الألباني في: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (٨٨٣) (٢/٥٤٣).

وفي رواية الترمذي عنها -رضي الله عنها-: (أنها كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله)[1].

وأفرد البخاري -رحمه الله- في صحيحه كتاباً كاملاً للهبة، وما ذاك إلا لِعِظَم أثرها على الناس، وتأكيداً لمشروعيتها فقال -رحمه الله-: (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها)[2]. وساق تحته من الأحاديث والآثار الشيء الكثير، كل ذلك بياناً لأهمية الهبة وأثرها الطيب في نفوس المدعوين، بل لقد تجاوز الأمر تأليف قلوب المسلمين بالهدية إلى تأليف قلوب المشركين، عن طريق الهدية لهم ومواصلتهم لتأليف قلوبهم إلى الإسلام، فقد عقد البخاري باباً في كتاب الهبة سماه: باب الهدية للمشركين، وقول الله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾[3]، وأورد فيه حديثاً عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- (قالت: قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة[4]، أفأصل أمي؟

---

(١) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٩٦٣) (٣/٢٩٥) كتاب الحج، بابٌ، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٢) صحيح البخاري، (ص٥٣٣) كتاب الهبة.

(٣) سورة الممتحنة، آية: (٨).

(٤) المعنى: أنها قدمت طالبة في بر ابنتها لها خائفة من ردها إياها خائبة، وقيل: راغبة في الإسلام، وقيل: راغبة عن ديني. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (٥/٢٣٤).

قال: نعم، صلي أمك»[1].

وفي توضيح المراد بالهبة قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «الهدية هي ما يكرم به الموهوب له...، وتطلق الهبة بالمعنى الأخص على ما لا يقصد له بدل، وعليه ينطبق قول من عرّف الهبة بأنها تمليك بلا عوض»[2].

وفي توضيح المراد من قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنه ﷺ كان يحمل زمزم. قال المناوي -رحمه الله-: «أي من مكة إلى المدينة ويهديه لأصحابه، وكان يستهديه من أهل مكة، فيسن فعل ذلك»[3].

وقيل: «فيه دليل على استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة»[4].

وأما ما يرد من استفسار في موضوع حديث أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في حكم الهدية للمشركين وقبول هداياهم، وهل هذا الأمر على الإطلاق، أم هي حادثة عين؟ أجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «المراد منها بيان من يجوز برّه منهم، وأن الهدية للمشرك إثباتاً ونفياً ليست على الإطلاق، ومن هذه المادة قوله تعالى: **﴿وإن جاهداك على أنْ تشرِكَ بي ما ليس لكَ بهِ علمٌ فلاَ تطعْهُمَا، وصاحبْهُما في الدنيا معروفاً﴾** الآية، ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٢٠) (ص٥٤٤) كتاب الهبة، باب: الهدية للمشركين.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٩٧/٥).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٢١٠/٥).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلا محمَّد بن عبدالرحمن المباركفوري (٣٧/٤).

التحابب والتوادد المنهي عنه في قولـه تعـالى: ﴿**لا تجدُ قوماً يؤمِنُون با للهِ واليومِ الآخِرِ يُوَادُّون منْ حَادَّ ا لله ورسوله...**﴾ الآية، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل»[1].

وهذه أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- تؤكد على أهمية المنهج العاطفي في نجاح الدعوة من خلال أسلوب عاطفي مؤثـر قدمته بين يدي حديث ترويه عن رسول ا لله ﷺ لتصل من خلاله إلى غايـة مهمـة في حياة المسلمين وإلى ركن أساس من أركان الدين.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- قالت: (كان مـن آخر وصيـة رسـول ا لله ﷺ: الصـلاة الصـلاة ومـا ملكـت أيمـانكم، حتـى جعـل نـبي ا لله ﷺ يلجلجهـا[2] في صـدره وما يفيض[3] بها لسانه)[4].

لقد استطاعت **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- من خـلال هـذا الأسلوب المشوق استثارة العاطفة لدى كل مسلم من خلال استماعه لآخر مـا وصّى

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بـن علي بـن حجـر العسقلاني (٥/٢٣٣). والآية الأولى من سورة لقمان برقم: (١٥) والأخرى من سورة المجادلة برقم: (٢٢).

(٢) يلجلجها: أي تتحرك في صدره. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٣٤).

(٣) وما يفيض: أي وما يندفع بها لسانه، ومنه أفاض القـوم في الحديـث يفيضـون إذا اندفعـوا فيـه. انظر: المصدر السابق (٣/٤٨٥).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٠١٦) (ص١٩٦٩)، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (١٣٢٧-١٦٤٨) (٢/٥٢). وانظر: إرواء الغليـل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ الألباني -رحمه ا لله- (٧/٢٣٨).

به رسولنا ﷺ، ويتأكد الخبر بتأكيده هو ﷺ بتكراره الوصية أكثر من مرة لبيان أهميتها وركنها الأساسي في الدين، وحين توهجت العاطفة في نفس السامع، أضافت وصية أخرى إلى الأولى، وهي بحق تحتاج إلى التأكيد عليها نظراً لانكسار جناح أصحابها وهم من في ملك اليمين، حيث يحتاجون إلى الرحمة والعاطفة حتى تتألف قلوبهم للإسلام إن لم يكونوا مسلمين، وتتعين الرحمة بهم والإحسان إليهم إن هم أسلموا وآمنوا وانتظموا إخواناً مع أسيادهم في عبادة إلهٍ واحدٍ واتباع نبي واحدٍ ﷺ.

وقد أكَّد هذا المعنى صاحب الفتح الرباني -رحمه الله- حيث قال: «وأتت الصلاة بالنصب على الإغراء، أي الزموا الصلاة والإحسان لما ملكت أيمانكم من الأرقَّاء، وخصهما لميل الطبع إلى الكسل، وضعف المملوك، وكرر ذلك لمزيد التأكيد والحديث وما ورد في بابه يدل على أن الصلاة فضلها عظيم وثوابها جسيم وأن مؤديها يحوز رضا الرب عزَّ وجلَّ، وأنها قرة عين المؤمنين، وشفاء لأسقام المذنبين، وحصن حصين من كيد الشياطين»[1].

وفي إظهار الرحمة والرأفة بالمدعوين، والذي يعتبر من أسس المنهج العاطفي، تروي أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حديثاً عن رسول الله ﷺ يظهر من خلاله مدى الرحمة والعاطفة التي غمر بها النبي ﷺ أتباعه من المؤمنين والمؤمنات، وهذا بلاشك له أثره البالغ في نفوس المدعوين

---

(١) حاشية الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٢٠٨/٢).

وإقبالهم على هذا الخير ومحبتهم لهذا الدين حين لا يجدون فيه الشدة والآصار والأغلال التي كُتبت على من سبق من الأمم الماضية، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- قالت: (شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، قال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، فطفت، ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت، يقرأ بالطور وكتاب مسطور)(1).

ومن الإفادات الواردة في شرح الحديث قولهم: «إنما أمرها ﷺ بالطواف من وراء الناس لشيئين:

أحدهما: أن سنة النساء التباعد عن الرجال في الطواف.

والثاني: أن قربها يخاف منه تأذي الناس بدابتها، وكذا إذا طاف الرجل راكباً، وإنما طافت في حال صلاة النبي ﷺ ليكون أستر لها، وكانت هذه الصلاة صلاة الصبح»(2).

قال الخطابي -رحمه الله-: «وفيه من الفقه جواز الطواف للمحمول وإن كان مطيقاً للمشي.

ويستدل بهذا الحديث على أن بول ما يؤكل لحمه طاهرٌ لأن البعير إذا بقي في المسجد المدة التي يقضى فيها الطواف لم يكد يخلو من أن يبول فيه،

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٦٤) (ص١١٤) كتاب الصلاة، باب: إدخال البعير في المسجد للعلة.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/٢٠). وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمَّد محمود بن أحمد العيني (ت: ٨٥٥هـ) (٩/٢٦٢).

فلو كان بوله ينجس المكان لنزّه المسجد عن إدخاله فيه»[1].

وتستخدم أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- المنهج العاطفي في الدعوة ضمن ألفاظ تستدر من خلالها عاطفة السامع ثم تقدم له بعد ذلك توجيهاً نبوياً سمعته من رسول الله ﷺ تستفيد منه الأمة كلها، ويكون بمثابة أساس متين ينتهجه كل مسلم في إحسانه وعطفه إلى البنات والأخوات، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن المطلب[2] بن عبد الله المخزومي قال: دخلت على أم سلمة زوج النبي، فقالت: يا بني، ألا أحدّثك بما سمعت من رسول الله ﷺ قال: قلت بلى يا أمه، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق على ابنتين، أو أختين، أو ذواتي قرابة، يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله عز وجل من فضله، أو يكفيهما، كانتا له ستراً من النار)[3].

وفي الصحيحين عن **عائشة** -رضي الله عنها- (قالت: جاءتني امرأة

---

(١) معالم السنن (١٦٦/٢). وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٣٤٨/٤).

(٢) هو المطلب بن عبدا لله بن المطلب المخزومي، روى عن: عمر وأبي موسى الأشعري وزيد بن ثابت وعائشة وأم سلمة، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٧٨/١٠، ١٧٩).

(٣) مسند الإمام أحمد، حديث رقم: (٢٧٠٥١) (ص١٩٧١). وانظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري (ت:٦٥٦هـ) (٦٨/٣) كتاب النكاح، والحديث قال عنه المنذري: "رواه أحمد والطبراني من رواية محمّد بن أبي حميد المدني، ولم يُترك، ومشّاه بعضهم، ولا يضر في المتابعات" الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) ط. دار الإيمان، دمشق - بيروت. وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٢٨/١٠).

معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فَحَدَّثْته فقال: من يَلِي[1] من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار)[2].

وفي رواية عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو، وضمَّ أصابعه"[3].

ويظهر أثر المنهج العاطفي في الدعوة واضحاً جلياً في هذه الأحاديث من خلال التأكيد على العطف والرحمة والحنان الذي يجب أن تحاط به البنات والأخوات والقريبات وبذل الإحسان إليهن بالنفقة عليهن وتعهد شؤونهن، وإلى ذلك أشار النووي بعد ذكره للأحاديث الواردة في باب: فضل الإحسان إلى البنات فقال -رحمه الله-: «في هذه الأحاديث فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن، .....قوله ﷺ: من ابتلي من البنات بشيء إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة. قال الله تعالى: ﴿**وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلّ**

---

(١) في صحيح مسلم (من ابتلي من البنات بشيء) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٢٩) (ص١٠٥٥) كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري، حديث رقم: (٥٩٩٥) (ص١٢٨٨) كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٣١) (ص١٠٥٥) كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات.

وجهه مسوداً وهو كظيم﴾[1]. ....قوله ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضمَّ أصابعه)، ومعنى عالهما: قام عليهما بالمؤونة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه: (ابدأ بمن تعول) ومعناه: جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين»[2].

وقد أفاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في استنباط كثير من الفوائد والأحكام من مثل هذه الأحاديث، فمن ذلك قوله: «وفي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال. قال ابن بطال: وفيه جواز سؤال المحتاج، وسخاء **عائشة** -رضي الله عنها- لكونها لم تجد إلا تمرة فآثرت بها، وأن القليل لا يمتنع التصدق به لحقارته، بل ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قلَّ أو كثُرَ. وفيه جواز ذكر المعروف إن لم يكن على وجه الفخر ولا المنّة»[3].

وتؤكّد أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- على المنهج العاطفي في الدعوة من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله مدى الرأفة والرحمة التي شمل بها الرسول ﷺ المسلمين وأن هذا السبيل

---

(١) سورة النحل، آية: (٥٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٧٩-١٨٠) كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلى البنات.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/٤٢٩) كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

يتعين نهجه على كل داعٍ إلى ا لله، خاصة مع من نزلت عليهم نازلة من المسلمين، فقد روى مسلم في صحيحه عن **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- قالت: (دخل رسول ا لله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذ قبض تبعه البصر، فَضَجَّ[1] ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه"[2].

وفي توضيح معنى الحديث نقل النووي -رحمه ا لله- عن أهل اللغة عند قولها: شق بصره قال -رحمه ا لله-: «ومعناه: أي شخص بصره، وهو الذي حضره الموت وصار ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه. وقولها: "فأغمضه"، فيه دليل على استحباب إغماض الميت وأجمع المسلمون على ذلك. قالوا: والحكمة فيه أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه. وقوله ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" معناه: إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظراً أين يذهب، وفي الروح لغتان التذكير والتأنيث وهذا الحديث دليل للتذكير. قولها: ثم قال: "اللهم اغفر لأبي سلمة" فيه استحباب الدعاء للميت عند موته ولأهله وذريته بأمور الآخرة والدنيا، وقوله ﷺ "واخلفه في عقبه في

---

(١) في رواية أبي داود: (فَصَيَّحَ). سنن أبي داود، حديث رقم: (٣١١٨) (١٩١/٣) كتاب الجنائز، باب: تغميض الميت.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٩٢٠) (ص٣٥٧) كتاب الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِر.

الغابرين" أي الباقين كقوله تعالى: ﴿**إلا امرأته كانت من الغابرين**﴾»[1].

ومما قيل في معنى قوله ﷺ: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير": أي لا تقولوا شراً وواثلاً أو الويل لي وما أشبه ذلك، وقوله: "وارفع درجته في المهديِّين". بتشديد الياء الأولى، أي هم الذين هداهم الله للإسلام سابقاً والهجرة إلى خير الأنام عليه الصلاة والسلام[2].

ومن الآداب المستفادة من هذا الحديث والتي أشار إليها القاضي عياض -رحمه الله- قوله: «وفي الأحاديث التي ذكر مسلم عن **أم سلمة** -رضي الله عنها- في الجنائز- تعليم ما يقال عند الميت وبعده، من الدعاء له، والذكر، والاسترجاع، وقول الخير، والدعاء لمن يخلفه، فيجب التأدب بأدب النبي ﷺ في ذلك، وامتثال ما رسمه من ذلك، وعمل به، وحض عليه»[3].

وها هي أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- ترسم للأمة منهجا عاطفياً يقود صاحبه إلى الإيمان والعمل الصالح والتضحية في ذلك وأن مصير العامل بهما هو الفرج والتيسير وقبل ذلك -رضى الله عز وجل-.

إن الأحداث الكبيرة والمريرة التي مرت بها **أم سلمة** -رضي الله عنها- كُلها دروس وعبر على طريق الدعوة، فهجرتها إلى الحبشة مع زوجها درس

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٢٢٢-٢٢٣) بتصرف، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المريض والميت وإغماض الميت. والآية من سورة العنكبوت برقم: (٣٢).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٨/٣٨٧) كتاب الجنائز، باب: تغميض الميت.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٣/٣٦١).

عظيم في صدق العاطفة لله وتقديم رضى الله ورسوله على رضى النفس، وهجرتها الثانية إلى المدينة، دليل على همتها وصدق إيمانها، لقد صدقت -رضي الله عنها- في محنتها، فما قاسته في التفريق بينها وبين زوجها، وما رأته في نزع ابنها من حجرها حتى خُلعت يداه، وما لزمته من خروجها إلى الأبطح نهارها تبكي سنة أو قريبا منها، مواقف عظيمة تستدر عاطفة كل من سمعها، ولا يتعاظمها إلا احتمالها بالصبر عليها، لقد احتملت وصبرت صبراً جميلاً، حتى قيض الله عز وجل لها فرجاً ومخرجاً.

فكانت **أم سلمة** -رضوان الله عليها- تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة[1].

وها هي **أم المؤمنين زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- تؤكد المنهج العاطفي في الدعوة لكل مؤمنة، بأن تبذل غاية جهدها في رضى زوجها، فقد ضربت في ذلك أروع الأمثلة في رعاية الزوجة لزوجها وعنايتها به وحرصها على إسعاده والاهتمام به في شؤونه الخاصة والعامة فتباشر ذلك بنفسها، طلباً لرضاه، واستدراراً لعاطفته نحوها، فقد جاء في السنن عن **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها-، (أنه كان لها مخضب[2] من صُفرٍ[3]، قالت: كنت أُرجِّلُ رأس رسول الله ﷺ فيه)[4].

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤/٤٣٩).

(٢) المخضب: بالكسر: شبه المِركن، تغسل فيها الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٣٩).

(٣) صفر: معدن من نحاس يعمل منه الأواني. انظر: مختار الصحاح للرازي -رحمه الله- (ص٣٦٤) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٤) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٧٢) (١/١٦٠) كتاب الطهارة، باب: الوضوء في الصفر والحديث صححه الألباني في: صحيح ابن ماجة (١/١٥٤).

وتؤكد -رضي الله عنها- هذا المنهج للمرأة المسلمة بأن تحرص كل الحرص على راحة زوجها في بيته، وتحاول أن تبعد عنه كل ما يعكر صفاءه عند ما يُقْبل عليه الناس في حاجاتهم، فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه في باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة: قال: ("فجاءه بعض آله، وهو يومئذ عند **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها-، وقالوا له: فجئنا لتؤمّرنا على بعض هذه الصدقات". فسكت رسول الله ﷺ طويلاً، وجعلت زينب تُلمع -تشير بيدها- علينا من وراء الحجاب أن لا تكلّماه"؛ ثم قال: (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد...)[1] الحديث.

بهذا الموقف تؤكد أم المؤمنين **زينب** -رضي الله عنها- حرصها على صفو زوجها رسول الله ﷺ، الذي اختط منهجاً في عفة آل بيته عن الصدقات، فباشرت بالإشارة الخفية للقوم بأن هذا الطلب يزعجه ولا ينبغي أن يكلموه في هذا الشأن.

والعجب في بعض النساء اللواتي يعرفن أسباب هناءة أزواجهن من قول وعمل، ولا يحاولن تهيئة هذه الأسباب لنيل رضى الله عز وجل أولاً ثم رضى الأزواج، فرضي الله عن أم المؤمنين زينب بنت جحش وعن أمهات المؤمنين أجمعين.

وهذه **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- تضرب مثلاً أعلى يبرهن على صدق العاطفة في محبة الله ورسوله وتقديم حبهما على محبة النفس

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٠٧٢) (ص٤١٤) كتاب الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة.

ورغباتها والحرص على الخير والسبق إليه، حتى وإن كان في سبيل ذلك ما كان من الغلبة على حظ النفس ومغالبة الهوى، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده، عن **أم حبيبة بنت أبي سفيان** -رضي الله عنها- أنها قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: أو تحبين ذلك؟ فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي....)[1] الحديث.

والحديث يدل على رغبة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- في الخير وحرصها عليه ومحبتها لأن تشاركها أختها فيه، مع أن هذا ليس من طبع النساء في شيء، فمحبة الضرائر من البعد بمكان حتى ولو كانت هذه الضرة من أقرب الناس إلى المرأة، ولهذا تعجب رسول الله ﷺ من هذا الطلب.

لهذا أشار الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث عند قوله ﷺ: "أو تحبين ذلك" قال: «هو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة....وفي معنى قولها -"لست لك بمخلية" أي لست بمنفردة بك ولا خالية من ضره.....وفي معنى قولها- "في خير" قيل المراد به صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين»[2].

لله دَرُّك يا أم المؤمنين، كم سموت وتألقت في سماء الإيمان والعمل

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٠١) (ص١١٢٢) كتاب النكاح، باب: ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم**﴾ ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٤٣/٩) بتصرف.

الصالح حتى تجاوزت طباعك الأنثوية، وفطرتك البشرية فرغبت في إدخال الخير على أختك ومشاركتها لك في زوجك رسول الله ﷺ.

وتؤكد أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- على المنهج العاطفي في الدعوة من خلال العبارات المؤثرة المستجلبة للانقياد من لدن السامع لتقدم له بعد ذلك النصح والتوجيه الذي تريد أن تصل إليه مستدلة على ما تقول بحديث ترويه عن رسول الله ﷺ، فقد روى أبو داود في سننه (أن أبا سفيان [1]بن سعيد بن المغيرة دخل على أم حبيبة فسقته قدحاً من سويق فدعا بماء فتمضمض، فقالت: يا ابن أختي، ألا توضأ؟ إن النبي ﷺ قال: "توضؤوا مما غيرت النار" أو قال "مما مست النار". قال أبو داود: في حديث الزهري "يا ابن أخي")[2].

هذا وقد تناول العلماء من سلف هذه الأمة مسألة حكم الوضوء مما مست النار، وكان حديث **أم حبيبة** -رضي الله عنها- هذا وغيره من الأدلة للقائلين ببقاء حكم الوضوء مما مست النار.

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في هذه المسألة قوله: «وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب: أحدها: لا يجب الوضوء بأكل

---

(١) هو أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي، المدني، مقبول من الثالثة. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٢٩/٢).

(٢) سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (١٩٥) (٥٠/١) كتاب الطهارة، باب: في ترك الوضوء مما مست النار والتشديد في ذلك. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٩٥) (٦١/١).

شيء سواء ما مسته النار، ولحم الإبل وغير ذلك، وبه قال جمهور العلماء.....وقالت طائفة: يجب مما مسته النار......وقالت طائفة: يجب من أكل لحم الجزور خاصة»[1].

وقد تناول -رحمه الله- هذه الأقوال واستعرض أدلة كل فريق ورجح القول بترك الوضوء مما مست النار، فقال -رحمه الله-: «وأما دعواهم نسخ أحاديث ترك الوضوء فهي دعوى بلا دليل فلا تقبل، وروى البيهقي عن الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي شيخ مسلم قال: اختلف في الأول والآخر من هذه الأحاديث، فلم يقف على الناسخ منها ببيان يحكم به، فأخذنا بإجماع الخلفاء الراشدين والأعلام من الصحابة -رضي الله عنهم- في الرخصة في ترك الوضوء مع أحاديث الرخصة[2]. والجواب عن أحاديثهم أنها منسوخة، هكذا أجاب الشافعي وأصحابه وغيرهم من العلماء، ومنهم من حمل الوضوء فيها على المضمضة وهو ضعيف»[3].

وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عند ما تعرض لمسألة الوضوء من اللحوم المحرمة فقال -رحمه الله-: «واختلف عن أحمد: هل يتوضأ من سائر اللحوم المحرمة؟ على روايتين، بناء على أن الحكم مختص بها، أو أن المحرم أولى بالتوضؤ منه من المباح الذي فيه نوع مضرة. وسائر

(١) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦) (٧٠/٢) بتصرف.

(٢) انظر: السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن البيهقي (ت:٤٥٨) (١٥٧/١) كتاب الطهارة، باب: ترك الوضوء مما مست النار.

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٧٣/٢) بتصرف.

المصنفين من أصحاب الشافعي وغيره وافقوا أحمد على هذا الأصل، وعلموا أن من اعتقد أن هذا منسوخ بترك الوضوء مما مست النار فقد أبعد؛ لأنه فرق في الحديث بين اللحمين[1] ليتبين أن العلة هي الفارقة بينهما لا الجامع. وكذلك قالوا بما اقتضاه الحديث: من أنه يتوضأ منه نيئاً ومطبوخاً، ولأن هذا الحديث كان بعد النسخ؛ ولهذا قال في لحم الغنم: "وإن شئت فلا تتوضأ" ولأن النسخ لم يثبت إلا بالترك من لحم الغنم، فلا عموم له. وهذا معنى قول جابر -رضي الله عنه- كان آخر الأمرين منه: ترك الوضوء مما مست النار، فإنه رآه يتوضأ، ثم رآه أكل لحم غنم و لم يتوضأ»[2].

وتستخدم **أم المؤمنين ميمونة** -رضي الله عنها- هذا المنهج العاطفي من خلال الأسلوب الذي نهجته **أم حبيبة** -رضي الله عنها- من قبل، تمثل ذلك في استخدام العبارات العاطفية مثل: يا بني ويا ابن أخي، ويا ابن أختي، ومثل هذه الكلمات لا يخفى أثرها ووقعها في نفس السامع، حيث تستدر مكامن الاستجابة في قلبه حين يشعر بالعاطفة والرحمة في ثنايا عبارات الداعي تجاهه، فتتحقق الاستجابة بإذن الله، ونلاحظ من خلال الحديث التالي تكرار العبارة المستدرة للعاطفة ثلاث مرات من لدن أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- فقد روى الإمام أحمد في مسنده (عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه أتى خالته أم المؤمنين **ميمونة**

---

(١) أي لحم الإبل والغنم.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢١/١١-١٢).

-رضي الله عنها- فقالت: يا بني، ما لك شعثاً رأسك، قال: أم عمار مرجلتي حائض، قالت: أي بني، وأين الحيضة من اليد؟ كان رسول الله ﷺ يدخل على إحدانا وهي حائض، فيضع رأسه في حجرها فيقرأ القرآن وهي حائض، ثم تقوم إحدانا بخمرته[1]، فتضعها في المسجد، وهي حائض، أي بني، وأين الحيضة من اليد)[2].

وفي رواية للنسائي أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يضع رأسه في حجر إحدانا فيتلوا القرآن وهي حائض، وتقوم إحدانا بالخمرة إلى المسجد فتبسطها وهي حائض)[3].

---

(١) الخمرة: هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات، ولا تكون خمرة إلا في هذا المقدار وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها. وقد جاء في سنن أبي داود عن ابن عباس قال: جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة، فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخمرة التي كان قاعداً عليها، فأحرقت منها مثل موضع درهم. وهذا صريح في إطلاق الخمرة على الكبير منها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٧٧-٧٨). وحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٥٢٤٧) (٣/٢٨٨) كتاب الأدب، باب: في إطفاء النار بالليل. وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (١٤٢٦) (٣/٤١٣).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٣٤٦) (ص١٩٩٣). حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية. وانظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (٢/١٦٣). كتاب الحيض والنفاس، باب: جواز قراءة القرآن في حجر الحائض وحكم دخولها المسجد. قال في تخريجه وإسناده جيد وللحديث شواهد في الصحيحين.

(٣) سنن النسائي (١/١٤٧) كتاب الطهارة، باب: بسط الحائض الخمرة في المسجد. والحديث حسنه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن النسائي، حديث رقم: (٣٨٣) (١/١٢٨).

هذا وقد تناول العلماء -رحمهم الله- هذه الأحاديث وما ورد في بابها بالبحث والمناقشة، وكان مدار البحث يتعلق بحكم قراءة القرآن في حجر الحائض، وحكم دخول الحائض المسجد والمكث فيه، وحكم قيامها بما يحتاجه إليه زوجها منها من مصالح وأعمال ضرورية.

ومما قيل في ذلك: «يستفاد من هذه الأحاديث طهارة بدن الحائض، وما يلامسها مما لم تلحقه نجاسة، وجواز ملامستها أيضا، وفيه إشارة إلى أن الحائض لا تقرأ القرآن. لأن قولها "فيقرأ القرآن" إنما يحسن التنصيص عليه إذا كان ثمة ما يوهم منعه. ولو كانت قراءة القرآن للحائض جائزة لكان هذا الوهم منتفيا، أعني توهم امتناع قراءة القرآن في حجر الحائض»[1].

قال النووي -رحمه الله-: «قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع بها فيما فوق السرة وتحت الركبة ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات، ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجيله ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران وكل هذا متفق عليه،.....وفيه جواز قراءة القرآن مضطجعاً ومتكئاً على الحائض»[2].

ورأى القاضي عياض -رحمه الله- أن الحديث ليس فيه حجة لدخول

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٤٩٠/١-٤٩١)، حديث رقم: (٤٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧/٣-٢١١) كتاب الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، وباب: جواز قراءة القرآن في حجر الحائض.

الحائض المسجد فقال: (وقولها: "مـن المسـجد"[1] معنـاه: أن النبي ﷺ قـال ذلك لها من المسجد لتناوله إياها من خارج المسجد، لا أن النـبي ﷺ أمرهـا أن تخرجها له من المسجد؛ لأنه ﷺ إنما كان في المسجد معتكفاً، ولقوله لها: "إن حيضتك ليست في يدك" فإنما حذرت هي من إدخالها يدها في المسـجد لا غير ذلك، ولو كان أمرها بدخول المسجد لم يكن لذكر اليد معنى))[2].

ولعل الراجح والعلم عند الله هو ما عليه ظاهر هذه الأحاديث وخاصـة حديث **ميمونة** -رضي الله عنها-، وإلى هذا ذهب كثـير مـن العلمـاء قـال البغوي -رحمه الله-: ((وفي الحديث من الفقه أن للحائض أن تتناول الشـيء بيدها من المسجد))[3].

وأكد هذا الشوكاني -رحمه الله- بقوله: ((والحديث يـدل علـى جـواز دخول الحائض المسـجد للحاجـة.....وقـد قـال بذلـك طائفـة مـن العلمـاء واستدلوا بـه علـى جـواز دخـول الحـائض المسـجد للحاجـــة تعـرض لهـا إذا لم يكن على جسدها نجاسة، وأنها لا تمنع من المسجد إلا مخافة ما يكون منها.... وأمـا قـراءة القـرآن في حجـر الحـائض فهـي ثابتـة في الصحيحـين

---

(١) هذا اللفظ في صحيح مسلم من رواية أم المؤمنين عائشة -رضـي الله عنهـا-. (قـالت: قـال لي رسول الله ﷺ ناوليني الخمرة من المسجد. قالت فقلت: إني حائض، فقال: إن حيضتك ليست في يدك). صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٨) (ص١٤١) كتاب الحيض، بـاب: جـواز غسـل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه.

(٢) إكمـال المعلـم بفوائـد مسـلم للقـاضي أبـي الفضـل عيـاض بـن موسـى بـن عيـاض اليحصـبي (ت:٥٤٤هـ) (١٣١/٢).

(٣) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (١٣٤/٢) كتـاب الحيض، بـاب: مضاجعة الحائض ومخالطتها.

وغيرهما من حديث **عائشة** -رضي الله عنها- وليس فيها خلاف: وأما وضع الخمرة في المسجد فهو حجة لمن قال بجواز دخول الحائض المسجد للحاجة ومؤيد لتعليق الجار والمجرور في الحديث بقوله: "ناوليني" لأن دخولها المسجد لوضع الخمرة فيه لا فرق بينه وبين دخولها إليه لإخراجها»[1].

وتتابع أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- هذا المنهج من خلال عباراتها العاطفية المؤثرة في نفس السامع، والتي تغمره بالرحمة والإشفاق عليه فيستمع بقلبه وقالبه ومن ثم يكون العمل الذي هو ثمرة العلم، فقد روى الإمام أحمد في مسنده (عن أزهر[2] بن سعيد، عن عبدالرحمن[3] بن السائب -ابن أخي ميمونة الهلالية أم المؤمنين- أنه حدثه، أن ميمونة قالت له: يا ابن أخي، ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قالت: بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل داء فيك،

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) (١/٢٨٦-٢٨٧) كتاب الطهارة، باب: الرخصة في اجتياز الجنب في المسجد ومنعه من اللبث فيه إلا أن يتوضأ وفيه حديث: عائشة إن حيضتك ليست في يدك.

(٢) هو أزهر بن سعيد الحرازي الحميري الحمصي، ويقال: هو أزهر بن عبدالله. روي عن عبدالرحمن بن السائب ابن أخي ميمونة زوج النبي ﷺ وغيره. كان قليل الحديث. مات سنة تسع وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت:٧٤٢هـ) (٢/٣٢٥-٣٢٦).

(٣) هو عبدالرحمن بن السائب ويقال عبدالله الهلالي. روى عن عمته ميمونة زوج النبي ﷺ في الرقية، وروى عنه أزهر بن سعيد الحرازي. ذكره ابن حبان في الثقات. وكان قليل الحديث. تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦/١٨٢).

أذهب البأس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت)[1].

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرها في باب رقية المريض والدعاء له، تؤكد على فعله ﷺ لذلك وتعليمه الأمة لكثير من هذه الأدعية، وقد أفرد لها بعض أهل العلم أبواباً خاصة في كتبهم، وما ذاك إلا لأهمية الوقوف على الأدعية والرقى الصحيحة الثابتة عنه ﷺ والتي ينتفع بها المريض بإذن الله تعالى.

وفي التأكيد على تصحيح العقيدة في هذا الشأن من حيث تعلق القلب بالله وحده والاعتقاد بأن الله هو الشافي وأن الدواء والرقى والتطبب ليست إلا أسباباً مقدرة، وأن المقدِّر الفعلي للشفاء هو الله عز وجل، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير الله تعالى وإلا فلا ينجع»[2].

ومن اللطائف الواردة في تفسير قوله ﷺ في الدعاء "اشف أنت الشافي" قال بعض شراح الحديث: «لم يقل وأنت الممرض أدباً، كما قيل في قوله تعالى: ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ ولمّا لم يفهم كل أحد هذا المعنى صرَّح الصدِّيق -رضي الله عنه- بهذا المعنى فقال: الذي أمرضني يشفيني...قال

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٣٥٨) (ص١٩٩٤). حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، والحديث إسناده حسن. انظر: حاشية الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (١٨٠/١٧) كتاب الطب والرقى والعين، باب: الألفاظ الواردة في الرقى.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٢٠٧/١٠) كتاب الطب، باب: رقية النبي ﷺ.

الطبري -رحمه الله- بعد سياقه الحديث: فيه من الفقه إن الرغبة إلى الله تعالى في صحة الجسد أفضل للتعبد وأصلح له من الرغبة إليه في البلاء، وذلك أنه ﷺ كان يدعو للمرضى بالشفاء من عللهم»[1].

---

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي (ت:١٠٥٧هـ) (٥٩/٣) كتاب أذكار المرض والموت وما يتعلق بهما، باب: ما يقوله المريض ويقال عنده ويقرأ عليه وسؤاله عن حاله، بتصرف، والآية في سورة الشعراء برقم: (٨٠).

المبحث الثاني

المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين

أولاً: أهمية المنهج العاطفي في التربية:

مما ينبغي أن يُعلم أن القرآن الكريم كان له مزيد عناية بالمنهج العاطفي في التربية على المنهج القويم، خاصة في الفترة المكية، حيث أن المتأمل في ذلك يلحظ بأنه لم تخل سورة من السور المكية من ذكر الموت والحساب والجزاء والجنة والنار، وما ذاك إلا لأن القلوب قاسية ولا يحركها إلا الترغيب والترهيب.

لقد نهجت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- هذا المنهج في دعوتهن إلى الله، وركزن من خلالها على إثارة العاطفة في نفوس المدعوين ومن ثم توجيهها الوجهة التربوية السليمة التي تعود على صاحبها بالخير والهدى بإذن الله، والأدلة والشواهد على ذلك أجل من أن تحصى والتي سترد في ثنايا هذا المبحث.

«فنحن إذاً في حاجة ماسة لتحريك القلوب نحو الإيمان، وفي حاجة كذلك إلى تنفيرها من الكفر والفسوق والعصيان، وتوجيهها نحو الخير.

إن ذلك يحتاج إلى خبرة بتلك القلوب التي يراد تحريكها، ويفتقر إلى معرفة الدوافع التي جُبلت القلوب على التأثر بها، وليس هناك مفاتيح أقرب إلى تحريك القلوب من إثارة العواطف الكامنة في حناياها، وقد عُلم بالتجربة أن أقوى العواطف لتحريك القلوب والاستيلاء عليها وتوجيهها

الوجهة التربوية السليمة هي عاطفة الحب ثم عاطفة الترغيب والترهيب، فالذات العلية هي محبوب المؤمن الأول يعمل لرضاه، ويموت حباً في لقائهِ جل وعلا: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾[1]، وأما الترغيب والترهيب فهما تحقيق الخوف والرجاء حتى يبقي الإنسان مرتبطاً بربه يرجو رحمته ويخشى عذابه.

لذلك فالمنهج العاطفي يعتمد على هذه العواطف في التأثير على القلب، وتوجيهه نحو الخير وإلى المثل العليا وليسير على نهج تربوي قويم»[2].

لقد عاش الصحابة -رضوان الله عليهم- مع كتاب الله واستهدوا بهدي رسول الله ﷺ فأورثهم ذلك نوراً في قلوبهم وبصيرة في أعمالهم وأقوالهم.

لقد أورث رسول الله ﷺ أمته منهجاً واضحاً من خلال سيرته العطرة في التربية على العاطفة الإيمانية التي تنفع صاحبها عند الشدائد والمهمات، تمثل ذلك من خلال حديث صحيح تأكد من خلاله أثر المنهج العاطفي في التربية بجلاء في أسلوبه ﷺ وطريقة تأثيره في السامعين من خلال إثارة العاطفة الصادقة التي تورث تربية صادقة على العمل الصالح.

فقد جاء في الصحيح (عن عبدالله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم

---

(١) سورة الأنعام، آية: (١٦٢، ١٦٣).

(٢) تقنين الدعوة، د. محمد السيد الوكيل (ص٢٠٣-٢٠٤) بتصرف.

فقال: "يـا معشـر الأنصـار، ألم أجدكـم ضـلالاً فهداكـم ا لله بـي؟ وكنتـم متفرقين فألفكم ا لله بي؟ وعالة فأغناكم ا لله بي؟ كلما قال شيئا، قالوا: ا لله ورسوله أمنّ، قال: ما يمنعكـم أن تجيبـوا رسـول ا لله ﷺ؟ قـال: كلمـا قـال شيئا، قالوا: ا لله ورسـوله أمـنّ، قـال: لـو شـئتم قلتـم: جئتنـا كـذا وكـذا. أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بـالنبي ﷺ إلى رحـالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثـار، إنكـم سـتلقون بعـدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1].

«هذه التربية النبوية العظيمة، وهذا الأسلوب النبوي العـاطفي يدلنـا مـن الناحية التربوية على أمور أهمها:

١- إن الاعتماد على العواطف الإيمانية في المواقف الخطيرة، يجب أن يسـبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه العواطف، وكـان رسـول ا لله ﷺ قـد ربَّـى هذه العواطف في نفوس الأنصار، حتى أصبح ا لله ورسوله أحب إليهـم من المال والولد والناس أجمعين.

٢- استخدم رسول ا لله ﷺ أسلوباً من أساليب القرآن الكريم لإثـارة العواطف، وكأنه اقتبس من سورة الضحى ذلك القبس الإلهي حين قـال لهم: ألم أجدكم ضلالاً فهداكـم ا لله بـي؟ ومتفرقـين فـألفكم ا لله بـي؟ وعالة فأغناكم ا لله بي؟

٣- راعى رسول ا لله ﷺ أنهم بشر وليسـوا ملائكـة، وأرادهـم أن يدافعـوا

---

(١) متفق عليه واللفـظ للبخـاري. صحيـح البخـاري، حديـث رقـم: (٤٣٣٠) (ص٩٠٠) كتـاب المغازي، باب: غزوة الطائف.

عن أنفسهم بشيء من القول، فلما استحيوا منه، دافع عنهم بالنيابة عن أنفسهم، لئلا يترك في نفوسهم شيئاً من الوجد، وهكذا نجد أن على المربي في المواقف الحرجة أن يشمل أتباعه وطلابه بالعاطفة والرحمة، وألا يصدر حكمه قبل أن يسمع من الذين يربيهم أو يريد أن يحاكمهم، في هفوة ارتكبوها»[1].

ثانياً: المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين:

هذه **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها-، السيدة الكريمة، أول أمهات المؤمنين مكاناً ومكانة، صاحبة الفضل والفضيلة في نساء أهل البيت، تَسطُر -رضي الله عنها- أروع الأمثلة في إبراز المنهج العاطفي في التربية. فلئن كان من أسس هذا المنهج موضوع قضاء الحاجات وتقديم المساعدات مادية كانت أم معنوية فقد ساهمت -رضي الله عنها- وأوفت في هذا المجال بلا منازع. فقد أطبق علماء السيرة سابقاً ولاحقاً على أنه لم يوجد مثلها قط في هذا المضمار. لقد كانت هي الممول الأساسي للدعوة ولنبي الدعوة ﷺ طيلة سنوات عمرها معه ﷺ. ومما قاله الشوكاني -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿**ووجدك عائلاً فأغنى**﴾[2] قال: «وجدك فقيراً لا مال لك فأغناك...وقيل: أي رضاك بما أعطاك من الرزق....وقيل: بمال خديجة بنت خويلد.....»[3].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها. لعبدالرحمن النحلاوي (ص٢٣١) بتصرف.

(٢) سورة الضحى، آية: (٨).

(٣) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) (٤٥٨/٥) بتصرف.

لقد كانت **خديجة** -رضي الله عنها- امرأة عالية الهمة، جياشة العواطف، واسعة الأفق، سخية النفس.

لقد غمرت بعاطفتها نبي هذه الأمة ﷺ حين كان في أمسِّ الحاجة إلى ذلك عند ما نزل عليه من أمر الله ما نزل، فأفاضت عاطفتها عليه وعلى أبنائه وبناته ﷺ، فقد أنجبت له ﷺ البنات والبنين، وإن لم يكن قد مُدَّ في عمر البنين إلا أن الله قد متعه ببنات طاهرات قانتات عابدات، ولا أدلَّ على نهج أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- للمنهج العاطفي في التربية من إدخالها إلى دين الإسلام وسماء المعالي هؤلاء البنات الطاهرات. ولا أحد يشك في مدى الأثر الذي تغرسه الأم في بناتها، فهذه زينب ورقية وأم كلثوم -رضي الله عنهن-، وتلك فاطمة -رضي الله عنها- وما أدراك ما فاطمة، بضعة رسول الله ﷺ. فهذه التربية الصالحة من الأم الصالحة أخرجت مثل أولئك، وهي أعظم شاهد وأقوى دليل على نجاح أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في دعوتها.

لقد وَسِعَ قلب أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- وعاطفتها كل من في بيتها حتى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي لم يكن من أولادها، ناله من العاطفة والتربية على الخير ما نال أبناء المصطفى عليه الصلاة والسلام وذلك عند ما ضمه ﷺ إليه كما ثبت في السيرة، فقد قال ابن إسحاق: «كان من نعمة الله على عَلِيٍّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير -أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه- وكان من أيسر

بني هاشم-: "يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما عنه. فقال العباس: نعم، فانطلقا، حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما....، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمَّه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه عليٌّ -رضي الله عنه-، وآمن به، وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه»[1].

إذاً فأم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- كانت أماً أخرى لعلي -رضي الله عنه- وهو ثمرة من غراسها، حيث كانت تشمله بالمحبة الكاملة والعاطفة الصادقة والتربية الحسنة، حباً لله وحباً لما يحبه رسول الله ﷺ.

وهذه **أم المؤمنين سودة بنت زمعة** -رضي الله عنها- تواصل مسيرة أختها أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في تربية بنات المصطفى عليه الصلاة والسلام، مع علمها الكامل ويقينها أنها لن تستطيع أن تملأ الفراغ الذي خلَّفته أختها الطاهرة **خديجة** -رضي الله عنها- في قلب رسول الله ﷺ، بَيْدَ أن كل سعادتها أن تكون بقرب رسول الله ﷺ الذي أخرجها الله به من الظلمات إلى النور.

ومكثت **سودة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- في مكة إلى أن أذن

---

(١) سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد عبدالملك بن هشام (١/٢٦٤) بتصرف.

ا لله عزَّ وجلَّ لرسوله وللمؤمنين بالهجرة إلى المدينة، ولما استقرَّ رسول ا لله ﷺ بالمدينة المنورة، (بعث رسول ا لله ﷺ من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول ا لله ﷺ وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد....فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان الأنصاري -رضي ا لله عنه-)(1).

وفي المدينة مكثت **سودة** -رضي ا لله عنها- تؤدي دورها السابق، واستطاعت أن تقوم على بيت النبوة، وتخدم بنات النبي ﷺ الطاهرات وأن تُدخل السرور والسعادة إلى قلبه الشريف من خلال العاطفة الجياشة التي غمرت بها بناته ﷺ، وأدَّت شيئاً مما كانت تؤديه أختها أم المؤمنين **خديجة** -رضي ا لله عنها- في التربية الصالحة المقرونة بالعاطفة الصادقة، حباً لله ولرسوله ﷺ ولآل بيته فجزاها ا لله عن ذلك خير الجزاء.

وهذه **أم المؤمنين عائشة** -رضي ا لله عنها- تبرهن على أهمية المنهج العاطفي في التربية. يتضح ذلك للمتأمل في كثير من الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ في هذا الشأن. فها هي تؤكد على هذا المنهج من خلال الحديث التالي، ناقلة للأمة مدى حرصه ﷺ على ملاطفة أهله ومسامرتهم والحديث معهم، وللأمة في ذلك أعظم درس في التربية على هذا الخلق العظيم من خلال العاطفة الصادقة، فقد ثبت في الصحيح (عن أم المؤمنين

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (1/237-238). وانظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:748هـ) (2/269).

عائشة -رضي ا لله عنها-: أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإذا كنت مستيقظة حَدَّثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة)[1].

وفي رواية (عنها -رضي ا لله عنها-: أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين، فإن كنت مستيقظة حدَّثني، وإلا اضطجع)[2].

وفي صحيح مسلم (عن **عائشة** -رضي ا لله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذا صلَّى ركعتي الفجر، فإن كنت مستيقظة، حدثني، وإلا اضطجع)[3].

ويؤخذ من مجموع هذه الأحاديث اضطجاعه ﷺ بعد صلاته في الليل عموماً، وهذا لم يكن محل خلاف بين العلماء، أما الوقت الذي وقع فيه الاضطجاع فقد كان محل بحث عند أهل العلم، فمن رأى أن الاضطجاع كان عقب صلاة الليل وليس بعد ركعتي الفجر فقد ورد ذلك عن القاضي عياض -رحمه ا لله- في شرحه لحديث مسلم السابق فنقل عنه: «استحباب الاضطجاع بعد سنة الفجر عن الشافعي وأصحابه، ثم أنكر عليهم وقال: قال مالك وجمهور العلماء وجماعة من الصحابة: ليس هو سنة، بل سموه بدعة، واستدل بأن أحاديث **عائشة** -رضي ا لله عنها- في بعضها الاضطجاع قبل ركعتي الفجر بعد صلاة الليل، وفي بعضها بعد ركعتي

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري، حديث رقم: (١١٦١) (ص٢٤٥) كتاب التهجد، باب: من تحدَّث بعد الركعتين و لم يضطجع.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١١٦٨) (ص٢٤٧) كتاب التهجد، باب: الحديث -يعني- بعد ركعتي الفجر.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٤٣) (ص٢٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة.

الفجر، وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قبل ركعتي الفجر، فدل على أنه لم يكن مقصوده»[1].

لكن النووي -رحمه الله- ردَّ ذلك وأفاد بأن حَمْلَ فِعْلِه ﷺ على الغالب أولى من التخصيص فقال -رحمه الله-: «والصحيح أو الصواب أن الاضطجاع بعد سنة الفجر لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه)[2] رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم قال الترمذي: هو حديث حسن صحيح، فهذا حديث صحيح صريح في الأمر بالاضطجاع، وأمَّا حديث **عائشة** -رضي الله عنها- بالاضطجاع بعدها وقبلها وحديث ابن عباس قبلها فلا يخالف هذا فإنه لا يلزم من الاضطجاع قبلها أن لا يضطجع بعد، ولعله ﷺ ترك الاضطجاع بعدها في بعض الأوقات بياناً للجواز لو ثبت الترك و لم يثبت فلعله كان يضطجع قبل وبعد وإذا صح الحديث في الأمر بالاضطجاع بعدها مع روايات الفعل الموافقة للأمر به تعين المصير إليه، وإذا أمكن الجمع بين الأحاديث لم يجز رَدُّ بعضها وقد أمكن بطريقين أشرنا إليهما، أحدهما: أنه اضطجع قبل وبعد، والثاني: أنه تركه بعد في بعض الأوقات لبيان الجواز والله أعلم»[3].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٨٢/٣-٨٣) بتصرف.

(٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره (ت:٢٩٧هـ)، حديث رقم: (٤٢٠) (٢٨١/٢)، باب: ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩/٦-٢٠).

وقال البيهقي: «أشار الشافعي -رحمه الله تعالى- إلى أن الاضطجاع المنقول عنه ﷺ إنما هو للفصل بين النافلة والفريضة فيحصل بالاضطجاع والتحدث أو التحول من ذلك المكان أو نحو ذلك، والاضطجاع غير متعين لذلك -وأورد أثراً عن ابن عمر -رضي الله عنهما- بلفظ:- "عن أبي الصديق الناجي أن ابن عمر رأى قوماً قد اضطجعوا بعد الركعتين قبل صلاة الفجر فقال: ارجع إليهم فسلْهم: ما حملهم على ما صنعوا؟ فأتيتهم، فسألتهم فقالوا: نريد السنة، قال ابن عمر: ارجع إليهم فأخبرهم أنه بدعة»[1].

وأورد النووي -رحمه الله في المجموع قول البيهقي السابق وعلق عليه بقوله: «والمختار الاضطجاع لظاهر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وأما ما رواه البيهقي عن ابن عمر أنه قال: "هي بدعة" فإسناده ضعيف[2]، ولأنه نفى فوجب تقديم الإثبات عليه، والله أعلم»[3].

وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر -رحمه الله- حيث قال: «وأرجح الأقوال مشروعيته -أي الاضطجاع- للفصل، لكنه لا بعينه -ثم قال: قوله (باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع) أشار بهذه الترجمة إلى أنه ﷺ لم يكن يداوم عليها، وبذلك احتج الأئمة على عدم الوجوب، وحملوا الأمر

---

(١) كتاب السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ) (٤٦/٣) كتاب الصلاة، باب: ما ورد في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، بتصرف.

(٢) في سنده زيد العمي ضعفه البيهقي في باب النفاس. انظر: المصدر السابق (٤٦/٣).

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) (٣٦/٤) باب: صلاة التطوع.

الوارد بذلك في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند أبي داود وغيره على الاستحباب»[1].

وفي حديث آخر توجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة إلى التربية على العاطفة المضبوطة بميزان الشرع في حالة نزول المصائب بالعبد المؤمن، وهذا من كمال هذه الشريعة الخالدة وتوافقها مع الفطرة البشرية. فالحزن والدموع عند مفارقة الأحباب -خاصة عند الفراق العظيم والوداع الأخير- أمرٌ لا يتعارض مع الشرع، وقد فَعَلَه ﷺ تحقيقاً لبشريته وتوافقاً مع العواطف البشرية التي فطر الله عليها الخلق.

فقد جاء في سنن أبي داود (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّل عثمان بن مظعون وهو ميت، حتى رأيت الدموع تسيل)[2].

وفي رواية عنها قالت: (قبَّل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت، فكأني أنظر إلى دموعه تسيل على خَدَّيه)[3].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٣/٣) بتصرف، كتاب التهجد، باب: الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر، وباب: من تحدَّث بعد الركعتين ولم يضطجع.

(٢) سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (٣١٦٣) (٢٠١/٣) كتاب الجنائز، باب: في تقبيل الميت، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣١٦٣) (٢٨٩/٢).

(٣) سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم (١٤٥٦) (٤٦٨/١) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في تقبيل الميت، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (١٢٠٠-١٤٧٨) (٩/٢).

وفي الصحيح (أن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: أقبل أبوبكر -رضي الله عنه- على فرسه من مسكنه بالسُّنْح[1]، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على **عائشة** -رضي الله عنها- فتيمَّم[2] النبي ﷺ وهو مُسجى[3] بِبُردِ[4] حِبَرةٍ[5]، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله، ثم بكى فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك مَوْتَتين.....)[6] الحديث.

---

(١) السنح: إحدى محالّ المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. انظر: معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٣/٢٦٥).

(٢) فتيمم: أي قصد. وتيممته: تقصَّدته، قوله تعالى: ﴿**فتيمموا صعيداً طيباً**﴾ أي: اقصدوا الصعيد الطيب، ثم كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم في عرف الشرع: عبارة عن استعمال التراب في الوجه واليدين على هيئة مخصوصة. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد الفيومي مادة (يمم) (٢/٣٥٨).

(٣) سَجيت الميت: بالتثقيل: إذا غطيته بثوب ونحوه. انظر: المصدر السابق، مادة (سجا يسجو) (١٠/٢٨٦).

(٤) بِبُرْدِ: البُرد نوع من الثياب معروف. والجمع أبراد وبُرُود، والبُرْدة: الشملة المخططة. وقيل: كساء أسود مُرَبَّع فيه صِغر تلبسه الأعراب، وجمعها: بُرَد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) مادة (برد) (١/١١٦).

(٥) حِبَرة: الحبير من البُرُود: ما كان مَوْشِيّاً مخططاً. يقال: بُرْدُ حَبير، وبُرْدُ حِبَرة بوزن عِنَبة: على الوصف والإضافة، وهو بُرْد يمَان، والجمع حِبَرٌ وحِبَرات. انظر: المصدر السابق، مادة (حبر) (١/٣٢٨).

(٦) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٤١-١٢٤٢) (ص٢٦٢) كتاب الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه.

وفي توضيح هديه ﷺ في هذا الشأن، عقد الإمام ابن القيم -رحمه الله- فصلاً في ذلك قال فيه: «وسَنَّ -ﷺ- الخشوع للميت، والبكاء الذي لا صوت معه، وحزن القلب، وكان يفعل ذلك ويقول: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يُرضي الرب)[1]. وسن لأمته الحمد والاسترجاع، والرضى عن الله، ولم يكن منافياً لدمع العين وحُزن القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه، وأعظمهم له حمدا، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رأفة منه، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلب ممتلئ بالرضى عن الله عزَّ وجلَّ وشكره، واللسان مشتغل بذكره وحمده......وكان من هديه ﷺ تسجية الميت إذا مات، وتغميض عينيه، وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يُقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى، وكذلك الصدِّيق أكب عليه، فقبَّله بعد موته ﷺ»[2].

عقد صاحب النيل -رحمه الله- باباً خاصاً أورد فيه حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- السابق، وحديث الصحيح في تقبيل الصديق -رضي الله عنه- للنبي ﷺ بعد موته فقال -رحمه الله-: «فيه -أي حديث الصديق -رضي الله عنه- جواز تقبيل الميت لأنه لم ينقل أنه أنكر أحد من الصحابة على أبي بكر -رضي الله عنه- فكان إجماعا. قوله "قَبَّل

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٠٣) (ص٢٧٤) كتاب الجنائز، باب: قول النبي ﷺ "إنا بك لمحزونون"، وفي صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣١٥) (ص٩٤٧) كتاب الفضائل، باب: رحمته ﷺ للصبيان والعيال.

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) (٤٩٩/١ و٥٠٢) بتصرف.

رسول الله ﷺ عثمان" فيه دلالة على جواز تقبيل الميت كما تقدم. قوله: "حتى رأيت الدموع" فيه جواز البكاء على الميت»[1].

لقد سمىَّ الحق تبارك وتعالى الموت مصيبة في أكثر من آية من كتاب الله، وما ذاك إلا لأن النفس البشرية يصيبها من هولها ما يذهلها، وقد يخرجها من دائرة الصواب.

إن هذا الموقف النبوي الوارد في حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- يؤكد التربية على ضبط العواطف البشرية بضابط الشرع الذي لا يخرجها إلى دائرة التسخط والاعتراض على قضاء الله وقدره، وفي الوقت نفسه يعطي النفس البشرية حقها في التنفيس عما يخالجها من عواطف وأحزان لفراق الأحباب.

لقد تناول سيد قطب -رحمه الله- هذا المعنى وبينه غاية البيان عند الكلام على قوله تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكي لا تأسوْا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾**[2].

قال -رحمه الله-: «إن هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه، محسوب حسابه في كيانه،

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) (٥٦/٤) بتصرف، كتاب الجنائز، باب: تسجية الميت والرخصة في تقبيله. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٤٤٣/٨-٤٤٤) كتاب الجنائز، باب: في تقبيل الميت.

(٢) سورة الحديد، آية: (٢٢-٢٣).

لا مكان فيه للمصادفة، ولا شيء فيه جزاف. وقبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق، كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور...، فكل مصيبة -من خير أو شر فاللفظ على إطلاقه اللغوي لا يختص بخير ولا بشر- تقع في الأرض كلها وفي أنفس البشر أو المخاطبين منهم يومها، هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورتها التي ظهرت بها..... **﴿إنَّ ذلك على الله يسير﴾**.

وقيمة هذه الحقيقة التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى. قيمتها في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها. فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً وتذهب معه حسرات عند الضراء. ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء: **﴿لكي لا تأسوْا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم﴾**...هذه درجة قد لا يستطيعها إلا القليلون. فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه إلى الله، وذكَّره بهذه وبتلك، والاعتدال في الفرح والحزن. قال عكرمة -رضي الله عنه-: (ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً)......وهذا هو اعتدال الإسلام الميسر للأسوياء»[1].

وتشير أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى المنهج العاطفي في

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب -رحمه الله- (٦/٣٤٩٣).

التربية من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مدى أهمية العاطفة في التربية والرحمة وأن الأخيار والصالحين يجب أن تتوفر فيهم مثل هذه السجايا والخصال الحميدة رحمة بالأمة بدءاً من الصبيان وانتهاءً بالشيوخ، وهذا رسول الله ﷺ وهو قدوة المقتدين يسع الجميع عطفه ورحمته وحلمه، فقد جاء في الصحيح (عن **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها قالت: أُتي رسول الله ﷺ بصبي، فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إياه)[1].

وفي رواية (عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فَيُبَرِّكُ عليهم ويحنكهم، فَأُتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله و لم يغسله)[2].

وقد يقول قائل وأين إدراك الصبي للعاطفة والرحمة من هذا الموقف؟ والجواب على ذلك يتلخص في أن الصبي لا يدرك بعقله بقدر ما يدرك بحواسه، فهو يشعر بمن يحسن إليه، ألا ترى كيف يتعطف على أمه دون غيرها. ثم إن هذا الصبي أتى به وليه يرجو بركة دعاء النبي ﷺ وتحنيكه له، ففي الرفق بهذا الصبي رفق بوالديه، وفي رحمته رحمة لوالديه، والإحسان إليه إحسان لوالديه فما أعظم هذا الخلق الكريم منك يا رسول الله، كيف لا وقد أثنى عليك الحق تبارك وتعالى في كتابه بقوله: **﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيمٍ﴾**[3].

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٢٢) (ص٦٥) كتاب الوضوء، باب: بول الصبيان.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٦) (ص١٣٧) كتاب الطهارة، باب: حكم بول الطفل والرضيع وكيفية غسله.

(٣) سورة القلم، آية: (٤).

ومما يستفاد من فقه هذا الحديث ما أورده النووي -رحمه الله- حيث قال: «وفيه استحباب تحنيك المولود.....وفيه الندب إلى حسن المعاشرة واللين والتواضع والرفق بالصغار وغيرهم وفيه أن بول الصبي يكفي فيه النضح، وقد اختلف العلماء في كيفية طهارة بول الصبي والجارية على ثلاثة مذاهب:

الأول: وهو الصحيح المشهور المختار أنه يكفي النضح في بول الصبي ولا يكفي في بول الجارية بل لا بد من غسله كسائر النجاسات.

الثاني: يكفي النضح فيهما.

الثالث: لا يكفي النضح فيهما»[1].

قال البغوي -رحمه الله-: «بول الصبي الذي لم يطعم: نجس، كبول غيره، غير أنه يكتفي فيه بالرش، وهو أن ينضح عليه الماء بحيث يصل إلى جميعه، فيطهر من غير مرسٍ[2] ولا دلك، وإليه ذهب غير واحد من الصحابة، منهم علي بن أبي طالب، وبه قال عطاء بن أبي رباح، والحسن، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقالوا: ينضح بول الغلام ما لم يطعم، ويغسل بول الجارية»[3].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٤/٣-١٩٥) كتاب الطهارة، باب: حكم بول الطفل الرضيع.

(٢) المرس: الدلك، وهو مصدر مَرَسَ التمر يمرُسُه ومَرَثَه يَمْرُثُهُ إذا دلكه في الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣١٩/٤)، وانظر: لسان العرب لابن منظور مادة (مرس) (٢١٦/٦).

(٣) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (٨٥/٢) كتاب الطهارة، باب: بول الصبي الذي لم يطعم.

وأما مسألة نجاسة البول فمتفق عليها، وهذا الخلاف إنما هو في كيفية تطهير الشيء الذي بال عليه الصبي، أشار إلى هذا النووي -رحمه الله- حيث قال: «واعلم أن هذا الخلاف إنما هو في كيفية تطهير الشيء الذي بال عليه الصبي ولا خلاف في نجاسته، وقد نقل بعض أصحابنا إجماع العلماء على نجاسة بول الصبي وأنه لم يخالف فيه إلا داود الظاهري. قال الخطابي وغيره: وليس تجويز من جوز النضح في الصبي من أجل أن بوله ليس بنجس، ولكنه من أجل التخفيف في إزالته فهذا هو الصواب، وأما ما حكاه أبو الحسن بن بطال ثم القاضي عياض عن الشافعي وغيره أنهم قالوا بول الصبي طاهر فينضح فحكاية باطلة قطعاً»[1].

وفي الإشارة لبعض الفوائد والدروس المستفادة من هذه الأحاديث قال الإمام العيني -رحمه الله-: «ومن الفوائد الرفق بالصغار والشفقة عليهم، ألا ترى أن سيد الأولين والآخرين كيف كان يأخذهم في حجره ويتلطَّف بهم حتى إنَّ منهم من يبول على ثوبه فلا يؤثر فيه ذلك ولا يتغير، ولهذا كان يخفف الصلاة عند سماعه بكاء الصبي وأمه وراءه، وروي عنه أنه قال: "من لم يرحم صغيرنا فليس منا"، ومنها حمل الأطفال إلى أهل الفضل والصلاح ليدعوا لهم»[2].

وتوجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال حديث

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٥/٣).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ) (١٣٣/٣) كتاب الوضوء، باب: بول الصبيان.

ترويه عن المصطفى عليه الصلاة والسلام تؤكد من خلاله على أهمية العاطفة وأثرها على المدعوين، حيث شهد المصطفى عليه الصلاة والسلام بكمال إيمان العبد إذا هو اتصف بخصلتين هما حسن الخلق والرفق واللين بالأهل، فإذا كان هذا مطالب به عامة الناس فكيف بخاصتهم من أهل العلم والدعاة إلى الله فتحلِّيهم بمثل هذه الأخلاق الفاضلة الحسنة من باب أولى؛ حتى تدخل محبتهم قلوب الناس وتبعاً لذلك يحصل النفع وتعظم الفائدة بدعوتهم بإذن الله عزَّ وجلَّ، فقد جاء (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[1].

وفي التأكيد على هذا المعنى، قال بعض شراح الحديث: «وكمال الإيمان يوجب حسن الخلق والإحسان إلى كافة الإنسان. وقوله: "وألطفهم بأهله" أي أرفقهم وأبرهم بنسائه وأولاده وأقاربه وعترته والحديث يدل على أن المؤمنين كلهم ليسوا سواء في الإيمان بل بعضهم أكمل إيماناً من بعض»[2].

وأضاف بعضهم في التأكيد على حسن المعاملة مع الأهل وبذل العاطفة لهم من خلال التربية الحسنة المبنية على المسامحة والعفو والرحمة نظراً لما جُبل

---

(١) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٩٧هـ) حديث رقم: (٢٦١٢) (٩/٥) كتاب الإيمان، باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وضعفه الألباني كما في (ص٤٢٤) طبعة بيت الأفكار الدولية. والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٤٧٠٨) (ص١٨١٤) حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري (ت:١٣٥٣هـ) (٣٥٧/٧).

عليه النساء من قلة الصبر، ونقص العقل. كما تتعين الرحمة كذلك بالصبيان من باب أولى، ويلحق بهم الأهل والأقارب والعشيرة بشكل عام، فقيل في ذلك: «أي -أن الخيرية وكمال الإيمان- لمن يعاملهن بالصبر على أخلاقهن ونقصان عقلهن وطلاقة الوجه والإحسان إليهن، ولهذا كان المصطفى ﷺ أحسن الناس معاشرة لعياله، وهو شامل لكل من ينتمي إلى الرجل من زوجة وأصول وفروع وأقارب أو من تلزمه نفقته منهن، أو الكل والحمل على الأعم أتم»[1].

وقد عنيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بتربية الأمة على العطف والمحبة والتراحم بين أفرادها وجماعاتها، بل لقد وسع ذلك البهائم العجماوات التي لا تعقل، يتضح ذلك من خلال حديث نبوي، تشير من خلاله إلى ما كان يشملها به ﷺ من التربية على هذا الخلق الكريم، وهي في الوقت نفسه تنقل هذا المنهج النبوي في التربية على العاطفة وتورّثه للأمة من خلال روايتها لهذا الحديث الذي يعتبر باباً في هذا المنهج، فقد روي (عن المقدام[2] بن شريح، عن أبيه، قال: سألت **عائشة** -رضي الله عنها- عن

---

(١) بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (١٩/٧٥) بتصرف، كتاب الأخلاق الحسنة وما جاء فيها، باب: الترغيب في محاسن الأخلاق. وهذا الشرح لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ونصه: (قال قال رسول الله ﷺ: "اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم). وحديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أورده صاحب الرباني في كتاب النكاح. أبواب حقوق الزوجين، باب: فضل إحسان العشرة مع الزوجة (١٦/٢٣٦).

(٢) هو المقدام بن شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي الكوفي. روى عن أبيه. قال أحمد وأبو حاتم والنسائي ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (١٠/٢٨٧).

البداوة فقالت: كان رسول الله ﷺ يبدو إلى هذه التلاع، وإنه أراد البداوة مرة فأرسل إليَّ ناقة مُحَرَّمَةً من إبل الصدقة، فقال لي: "يا عائشة! ارفقي"؛ فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلاَّ زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه)[1].

وفي رواية عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه قال: قلت لعائشة: هل كان النبي ﷺ يبدو؟ قالت: نعم، كان يبدو إلى هذه التلاع....)[2] الحديث.

ويؤخذ من هذا الحديث رفقه ﷺ بأهله ووصيته لهم بذلك، كما يتضح ذلك من خلال أسلوبه العاطفي بقوله: "يا عائشة" مستدراً مكامن العاطفة والرحمة في قلبها، وذلك توطئة للنصح والتوجيه الذي يريده في الحث على الرفق والرحمة بخلق الله، وتنقل أم المؤمنين -رضي الله عنها- هذا الدرس العاطفي في التربية للأمة عموماً وللدعاة إلى الله على وجه الخصوص، ليستفيدوا منه وليكون نبراساً لهم على طريق الدعوة.

إن المنهج العاطفي في التربية ليس مقصوراً على عبارات منمقة، وأساليب مشوقة، وخطب رنانة يضمنها الدعاة دعوتهم وهي بعيدة عن

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٤٧٨) (٣/٣) كتاب الجهاد، باب: ما جاء في الهجرة وسكن البدو، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٤٧٨) (٨٩/٢).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٤٨١١) (ص١٨٢١)، وفي الإفادة عن بعض مفردات هذا الحديث قال الإمام الخطابي -رحمه الله-: «البداوة هي الخروج إلى البدو والمقام به، وفيه لغتان: البَداوة بفتح الباء، والبِداوة بكسرها. والناقة المحرمة: هي الناقة التي لم تركب، ولم تذلل، فهي غير وطيئة، ويقال: أعرابي محرَّم، إذا كان جلفاً لم يخالط أهل الحضر. والتلاع: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض وغلظ وكان ما سفل منها مسيلاً لمائها». معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (٢٠٢/٢-٢٠٣) كتاب الجهاد، باب: ومن سكني البدو، حديث رقم: (٦٨٩).

حيز التنفيذ. بل هو سلوك عملي واقعي يراه المدعوون ويحسون به، ويتأثرون به، وبالتالي يكون مفتاحاً للخير الذي يقصده الدعاة إلى الله، ألا وهو استجابة المدعوين والأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد.

لقد أكّدت هذه المعاني أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في كثير من الأحاديث النبوية التي روتها عن رسول الله ﷺ.

وقد شملها عليه الصلاة والسلام بعطف ورعاية أثمرت تربية ناجحة لداعية ملهمة موفقة نفع الله بها الأمة جيلاً بعد جيل. فها هي -رضي الله عنها- تبرهن على واقعية هذا المنهج العاطفي في التربية من خلال سلوكه ﷺ معها ورحمته بها وعطفه عليها، وكم أثرت هذه المعاملة الحسنة من تربية صالحة وأثر طيب عليها وعلى نفس كل مؤمن.

روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرَّقُ الْعَرْقَ وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ)[1].

---

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) حديث رقم: (٣٠٠) (ص١٤١) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، وفي توضيح بعض مفردات الحديث قال القاضي عياض -رحمه الله-: ((وقولها: "أتعرَّقُ العَرْق" بفتح العين وسكون الراء، وهو العظم الذي عليه اللحم، وجمعه عُرَاق، ويقال: عرقتُ العظم واعترقتُه وتعرَّقتُه إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك)). إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (١٣٢/٢).

ودلالة الحديث ظاهرة على طهارة بدن الحائض وسؤرها وجواز مؤاكلتها وغير ذلك من أمور المعيشة الضرورية، وإلى هذا أشار النووي -رحمه الله- بقوله: «قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع بها فيما فوق السرة وتحت الركبة ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجيله ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران وكل هذا متفق عليه، وقد نقل الإمام أبو جعفر محمد بن جرير في كتابه في مذاهب العلماء إجماع المسلمين على هذا كله ودلائله من السنة ظاهرة مشهورة وأما قول الله تعالى: ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**﴾ فالمراد: اعتزلوا وطأهن ولا تقربوا وطأهن والله اعلم»[1].

وتستخدم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- العبارات المستدرة للعاطفة مع مدعويها كما تعلمت ذلك من رسول الله ﷺ، وهي هنا تنادي المدعو بكنيته تَحَبُّباً إليه وتعطيفاً لقلبه لتربي عنده مخافة الله عزَّ وجلَّ ومراقبته، وتذكِّره بأمر مهم حَذَّر منه رسول الله ﷺ، فقد جاء في الصحيحين و غيرهما (عن يحيى[2] بن أبي كثير قال: حدثني محمد[3] بن إبراهيم:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧/٣) كتاب الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، والآية رقم: (٢٢٢) في سورة البقرة.

(٢) هو يحيى بن أبي كثير الطائي روى عن أنس وأبي سلمة بن عبدالرحمن وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة تسع وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي ابن حجر (٢٦٨/١١).

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن الحارث القرشي التيمي. روى عن أبي سعيد الخدري وغير. كان ثقة كثير الحديث. مات سنة عشرين ومائة. انظر: المصدر السابق (٥/٩).

أن أبا سلمة حَدَّثه: أنه كانت بينه وبين أناس خصومة، فذكر لعائشة -رضي الله عنها- فقالت: يا أبا سلمة، اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين)[1].

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في تحديد المراد من قوله ﷺ "طوقه من سبع أرضين" قال -رحمه الله-: «وأمَّا التطويق المذكور في الحديث فقالوا يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقة ذلك، ويحتمل أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾. وقيل معناه: أنه يطوَّقُ إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه، وعلى تقدير التطويق في عنقه يطوِّل الله تعالى عنقه كما جاء في غلظ جلد الكافر وعِظَمِ ضرسه»[2].

وقد زاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على هذه الأقوال فقال -رحمه الله-: «وقيل: معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة، .....ويحتمل أن يكون المراد بقوله "يطوقه" يكلف أن يجعله له طوقا ولا يستطيع ذلك فيعذب بذلك،

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري. انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٣) (ص٥٠٩) كتاب المظالم والغصب، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض، وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٦١٢) (ص٦٥٧) كتاب المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ومعنى قوله ﷺ (قيد شبر: أي قدر شبر، ومنه الحديث حتى ترتفع الشمس قيد رمح أي: قدر رمح) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٣١/٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٨/٦-٤٩) كتاب المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، والآية في سورة آل عمران برقم: (١٨٠).

كما جاء في حق من كذب في منامه كلف أن يعقد شعيرة. -ثم قال رحمه الله- في الجمع بين هذه الأقوال- ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية، أو تنقسم أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها»[1].

وفي استنباط بعض الفوائد من هذا الحديث، قال الإمام العيني -رحمه الله-: «فيه دليل أن من ملك أرضاً ملك أسفلها إلى منتهاها، وله أن يمنع من حفر تحتها سرداباً أو بئراً سواءً أضر ذلك بأرضه أولا، قاله الخطابي، وقال ابن الجوزي: لأن حكم أسفلها تبع لأعلاها، وقال القرطبي: وقد اختلف فيما إذا حفر أرضه فوجد فيها معدنا أو شبهه، فقيل: هو له، وقيل: بل للمسلمين، وعلى ذلك فله أن ينزل بالحفر ما شاء ما لم يضر بجاره، وكذلك له أن يرفع في الهواء، المقابل لذلك القدر من الأرض من البناء ما شاء ما لم يضر بأحد......وفيه تهديد عظيم للغصَّاب. وفيه دليل على أن الأرضين سبع كما قال تعالى: ﴿ومن الأرضِ مثلهنَّ...﴾ الآية»[2].

وفي الرحمة بالأمة والشفقة عليها، تروي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديثاً عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مدى عنايته عليه الصلاة والسلام بأن يجنب أمته المشقة في الدين وسلوكه بها سبل التيسير. وتنقل أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك للأمة، متأسية به ﷺ في ذلك،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٥/١٠٤-١٠٥) بتصرف.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ) (٢٩٨/١٢) بتصرف، كتاب المظالم والغصب، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض.

وناصحة للأمة عامة وللدعاة إلى الله خاصة بنهج هذا السبيل، حتى لا يُحمِّل الناس ما لا طاقة لهم به. فقد جاء في سنن الترمذي عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (خرج النبي ﷺ من عندي وهو قرير العين طيب النفس، فرجع إليَّ وهو حزين، فقلت له، فقال: إني دخلت الكعبة وَوَدِدْتُ أنّي لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي)[1].

وهكذا يفصح المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد دخوله الكعبة عن حزنه في الدخول مبرراً أن سبب ذلك شفقته ورحمته ﷺ بأمته من بعده، لما قد يعرض لهم من مشقة في محاولة التأسي به -عليه الصلاة والسلام- في الدخول وعدم قدرتهم على ذلك، قال تعالى: **﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رءوفٌ رحيمٌ﴾**[2].

وهذا موقف من مواقفه التي لا تعد ولا تحصى في رحمته وشفقته بالأمة، ومنها قوله ﷺ: "لو لا أن أشق على أمتي -وفي رواية على المؤمنين- لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[3]. وقوله ﷺ: "....والذي نفس محمد بيده

---

(١) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٩٧هـ) حديث رقم: (٨٧٣) (٢٢٣/٣) كتاب الحج، باب: ما جاء في دخول الكعبة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وضعفه الألباني كما في (ص١٦١) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) سورة التوبة، آية: (١٢٨).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٢) (ص١٢٧) كتاب الطهارة، باب: السواك. والحديث ورد بروايتين الأولى فيها: (لو لا أن أشق على المؤمنين...) والثانية فيها: (لو لا أن أشق على أمتي....).

لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)[1].

ولحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فوائد عظيمة وأحكام فقهية كثيرة تناولها العلماء بالشرح والتوضيح تطلب في مظانها[2].

وفي بيان أدب النبوة الممتلئ رحمة وعطفاً بالأمة على كافة مستوياتها، غنيها وفقيرها، شريفها ووضيعها، صغيرها وكبيرها، توضح أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ تؤكد من خلاله على دور العاطفة المهم في التربية وأنه من الهدي النبوي الرشيد، فقد روى ابن ماجة في سننه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: عثر أسامة بعتبة الباب. فشج في وجهه. فقال رسول الله ﷺ: "أميطي عنه الأذى" فتقذرته. فجعل يمصُّ عنه الدم ويمجه عن وجهه. ثم قال: "لو كان أسامة جارية لحلَّيته وكسوته حتى أُنَفِّقَهُ)[3].

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (١٨٧٦) (ص٧٨٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٢/٢٩٦-٢٩٧) بحث في دخول الكعبة، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٣/٥٢٠).

(٣) سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (١٩٧٦) (١/٦٣٥) كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (١٦٢٠-٢٠٠٧) (٢/١٥٧).

وفي رواية للإمام أحمد -رحمه الله- عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن أسامة عَثَرَ بعتبة الباب -وفي رواية- عثر بأسكفة[1] الباب، فدمي، فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول: لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أُنْفِقَهَا)[2].

وهكذا أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة بروايتها لهذا الحديث النبوي الذي اتضح من خلاله مدى عنايته ﷺ بالعاطفة وتربية الأمة على ذلك، هذا مع ما أعطاه الله إياه من دماثة الخلق ولين الجانب فيتواضع عليه الصلاة والسلام وهو من هو، فيباشر بفمه الشريف مصَّ الدم الذي سال من جرح أسامة -رضي الله عنه-. وإلى هذا المعنى أشار صاحب الفتح الرباني -رحمه الله- حيث قال: «وهذا من تواضعه وكرم أخلاقه ﷺ حيث باشر مص الدم بفمه الشريف ثم يمجه حتى لم يبق من أثر الدم شيء -وفي توضيح قوله ﷺ "لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أُنَفِّقَه" قال -رحمه الله-: أي حتى يرغب الناس خطبته والزواج به لأن أسامة كان أسود لا يرغب فيه إذا كان جارية إلا بالكسوة الجميلة والحلية العظيمة ويؤيد ذلك التفسير ما رواه أبو يعلى وابن عساكر عن عائشة -رضي الله عنهما- قالت: أمرني رسول الله ﷺ أن أغسل وجه أسامة بن زيد وهو صبي وما ولدت ولا أعرف كيف يغسل الصبيان، فأخذته فغسلته غسلاً

---

(١) أسكفة الباب: بضم الهمزة: عتبته العليا، وقد تستعمل في السفلى، والجمع: أسكفات. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت:٧٧٠هـ) مادة (سكف) (٣٠٢/١).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٥٥٩٥-٢٦٣٨٦) (ص١٨٧٢-١٩٢٥).

ليس بذلك، فأخذه فجعل يغسل وجهه ويقول لقد أُحسن بنا إذ لم تكن جارية ولو كنت جارية لحلّيتُك وأعطيتُك»[1].

ومما هو مقرر أن من الأساليب الناجعة في نجاح المنهج العاطفي، إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، وأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تؤصل هذا المنهج التربوي لكل الدعاة إلى الله كي ينهجوا هذا المنهج المُستقى من الهَدْي النبوي، لقد روت -رضي الله عنها- حديثاً نبوياً صححت من خلاله فتوى أفتى بها أحد فضلاء الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-. لكنها لم تبادر إلى التخطئةِ ولا إلى التجهيل، بل بادرت -رضي الله عنها- إلى الدعاء والترحُّم على صاحبها. وهذا فيه ما فيه من فتح القلوب وإقبالها وانقيادها إلى الحق، ثم أدلت بحجتها مستدلة بحديث روته عن رسول الله ﷺ أظهرت من خلاله هَدْيَه ﷺ في هذه المسألة فهو المبلغ للأمة عليه الصلاة والسلام، وليس بعد ذلك دليل أو برهان. فقد جاء (عن إبراهيم[2] بن المنتشر، عن أبيه أنه سأل ابن عمر عن الطيب عند الإحرام، فقال: لأن أتطيب بقطران أحب إليَّ من أن أفعل ذلك. قال: فذكرته

---

(١) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، حاشية كتاب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (٢٢/٢٠١) كتاب المناقب، باب: ما جاء في فضل أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-، بتصرف.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني الكوفي، روى عن أبيه وأنس بن مالك وقيس بن مسلم وغيرهم. وروى عنه شعبة والثوري وغيرهم. قال أحمد وأبو حاتم: ثقة صدوق وقال النسائي: ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (١/١٥٧).

لعائشة. فقالت: يرحم الله أبا عبدالرحمن كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضخ طيباً)[1].

وفي رواية للبخاري (عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه، قال: ذكرته لعائشة فقالت: يرحم الله أبا عبدالرحمن، كنت أطيب رسول الله فيطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً[2] ينضخ طيباً)[3].

وفي مسلم (عنه، قال: سألت عبدالله بن عُمر، عن الرجل يتطيب ثم يصبح محرماً؟ فقال: ما أحب أن أصبح محرما أنضخ طيبا، لأن أَطَّلِيَ بقطران أحب إليَّ من أن أفعل ذلك، فدخلت على عائشة فأخبرتها أن ابن عمر قال: ما أحب أن أصبح محرماً أَنْضَخُ طيبا، لأن أطَّلِيَ بقطران أحبُّ إليَّ من أن أفعل ذلك، فقالت عائشة: أنا طَيَّبتُ رسول الله ﷺ عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرما)[4].

وتظهر العاطفة والتربية في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين ترحَّمت على عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عند ما أفتى بعدم جواز التطيب للمحرم قبل إحرامه والْتَمَسَتْ له العذر، وفي ذلك قال الحافظ

---

(١) صحيح ابن خزيمة للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت:٣١١هـ) حديث رقم: (٢٥٨٨) (١٥٧/٤) كتاب المناسك، باب: استحباب الاغتسال بعد التطيب عند الإحرام، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) النضخ: قريباً من النضح. وقيل: النضخ بالمعجمة أكثر من النضح بالمهملة. والنضح: هو الرشح، والمعنى: أي يفوح طيباً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٧٠/٥).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٧) (ص٧٣) كتاب الغسل، باب: إذا جامع ثم عاد.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٩٢) (ص٤٦٦) كتاب الحج، باب: الطيب للمحرم عند الإحرام.

ابن حجر -رحمه الله- : «وقولها: "يرحم الله أبا عبدالرحمن" يعني ابن عمر، استرحمت له **عائشة** -رضي الله عنها- إشعاراً بأنه قد سها فيما قاله، إذ لو استحضر فعل النبي ﷺ لم يقل ذلك»[1] -ثم قال -رحمه الله- في بيان موضع الاستدلال بالحديث- «واستدل به على استحباب التطيب عند إرادة الإحرام، وجواز استدامته بعد الإحرام، وأنه لا يضر بقاء لونه ورائحته»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وكذلك إن شاء المحرم أن يتطيب في بدنه فهو حسن، ولا يؤمر المحرم قبل الإحرام بذلك، فإن النبي ﷺ فعله، ولم يأمر به الناس»[3].

ومما يرد في هذه المسألة قصة صاحب الجبة الذي استفتى رسول الله ﷺ عن عمرته وقد تضمخ بالطيب، فقد جاء في صحيح مسلم (أن يعلى[4] بن أمية كان يقول لعمر بن الخطاب: ليتني أرى نبي الله ﷺ حين ينزل عليه، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة[5]، وعلى النبي ﷺ ثوب قد أُظلَّ به عليه، معه

---

(١) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٣٧٧/١) كتاب الغسل، باب: إذا جامع ثم عاد. ومن دار على نسائه في غسل واحد.

(٢) المصدر السابق (٣٩٨/٣) كتاب الحج، باب: الطيب عند الإحرام.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٠٧/٢٦).

(٤) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همَّام التميمي، حليف قريش، وهو يعلى بن مُنْيَةَ، بضم الميم وسكون النون بعدها تحتانية مفتوحة، وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٧٧/٢).

(٥) الجعرانة: بكسر أوله وسكون عينه مع تخفيف الراء. ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها عليه الصلاة والسلام. انظر: معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (١٤٢/٢).

ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه رجل عليه جبة صوف، متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة، ثم سكت، فجاءه الوحي، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية، تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ مُحْمَرٌّ الوجه، يغط ساعة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: أين الذي سألني عن العمرة آنفا. فالتُمِس الرجل فجيءَ به، فقال النبي ﷺ: أمَّا الطِّيبُ الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأمَّا الجُبَّةُ فَانْزِعها، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجِّك)[1].

فهذا الحديث قد تكلم عنه العلماء وقرروا بأنه متقدم على حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وبهذا يكون العمل على المتأخر ويكون الأول منهما منسوخاً، أشار إلى ذلك صاحب شرح المنتهى فقال -رحمه الله-: «ويسن -للمحرم- تطيب في بدنه بما تبقى عينه، كمسك، أو أثره. كماء ورد، ويجوز لقول **عائشة** -رضي الله عنها-: (كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم) متفق عليه. قال ابن عبدالبر: لا خلاف بين جماعة أهل العلم بالسير والآثار أن قصة صاحب الجبة كانت عام حنين والجعرانة سنة ثمان. وحديث **عائشة** -رضي الله عنها- في حجة الوداع سنة عشر. أي فهو ناسخ»[2].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٨٠) (ص٤٦٠) كتاب الحج، باب: ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه.

(٢) شرح منتهى الإرادات المسمى: دقائق أولي النهي لشرح المنتهى للعلامة الشيخ منصور بن يونس ابن إدريس البهوتي (ت:١٠٥١هـ) (١٢/٢) باب الإحرام. الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

ومما يستفاد من حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «ومن فوائده أيضاً وقوع رد بعض الصحابة على بعض بالدليل، واطّلاع أزواج النبي ﷺ على ما لا يطلع عليه غيرهن من أفاضل الصحابة، وخدمة الزوجات لأزواجهن، والتطيب عند الإحرام»[1] وفي موضع آخر قال -رحمه الله-: «ويؤخذ منه أن المفزع في النوازل إلى السنن وأنه مستغنى بها عن آراء الرجال وفيها المقنع»[2].

وتشير أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى العاطفة والرحمة التي كان يغمر بها ﷺ أمته من خلال حديث نبوي وضحت فيه بأنه ﷺ **لم يعمد إلى استخدام العنف والضرب مع الخدم ولا النساء ومن تحت يده من المسلمين إلا ما كان في الجهاد في سبيل الله، وأشارت إلى عفوه وصفحه حتى لمن أساء إليه، فلا يجازي بالسيئة السيئة، وبينت كذلك أخذه ﷺ بالتيسير في جميع الأحوال ما لم يكن إثماً**، فقد جاء في الصحيح عنها **-رضي الله عنها- أنها قالت**: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن **إثماً**، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)[3].

وفي رواية عنها -رضي الله عنها- قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٣٨١).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٣/٣٩٨).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٥٦٠) (ص٧٥١) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عزَّ وجلَّ)[1].

وفي بيان معنى قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- (ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما) قال القاضي عياض -رحمه الله-: «فيه الأخذ بالأيسر والأرفق، وترك التكلف وطلب المطاق، إلا فيما لا يحل الأخذ به كيف كان، ويحتمل أن يكون التخيير هنا من الله تعالى مما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو فيما يخبره فيه المنافقون من المواعدة والمحاربة، أو أمته من الشدة في العبادة أو القصد. وكان يذهب في كل هذا إلى الأيسر»[2].

وفي بيان العاطفة والرحمة التي اشتمل عليها توجيه هذا الحديث النبوي قال النووي -رحمه الله- في تفسير قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله) قال -رحمه الله-: «فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب فتركه أفضل»[3].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣٢٨) (ص٩٥١) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٢٩١/٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٤/٨) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.

وأما قولها -رضي الله عنها- (وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) فقد فسرها الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «قولها: "وما انتقم لنفسه" أي خاصة، فلا يَرِدُ أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله، وقيل: أرادت أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثَّر في كتفه»[1].

وقد أفاد -رحمه الله- في استنباط بعض الفوائد والأحكام من هذه الأحاديث فقال -رحمه الله-: «وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء لعسر، والاقتناع باليسر، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه. ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى، والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه، وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة»[2].

وقد حكى القاضي عياض -رحمه الله- الإجماع في هذه المسألة الأخيرة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر -رحمه الله-. فقال القاضي -رحمه الله-:

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٥٧٥/٦) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

(٢) المصدر السابق (٥٧٦/٦) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

«وقد أجمع العلماء أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادة له»[1].

ويتضح المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في كثير من أقوالها وأفعالها التي كانت مرجعاً للدروس والعبر للناظر إليها بعين الفائدة والاعتبار.

وللمرأة نصيب كبير في نصائح أم المؤمنين -رضي الله عنها- حيث لم تترك باباً من الأبواب المفيدة إلا وطرقته وأبدعت فيه، وهذا يدلُّ على أن أم المؤمنين تريد من المرأة المسلمة أن تكون مفتاح خير في مسارات الحياة وعوناً للرجل على المضي في طاعة الله.

ولم تنطق أم المؤمنين -رضي الله عنها- بنصائحها وتوجيهاتها من فراغ، بل كانت عن دراية وتجربة وكأنها تشير إلى المرأة الصالحة التي عناها رسول الله ﷺ بقوله: (الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا، المرأة الصالحة)[2].

فها هي -رضي الله عنها- تربي المؤمنات على حسن التبعل للزوج، وتوجه إلى أن ذلك من الدين والعقل، ولا عجب، فقد ورثت ذلك -رضي الله عنها- من ميراث النبوة، فتقول -رضي الله عنها- ناصحة ومربية لمؤمنة من المؤمنات: (أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه، وإذا أقسم عليك فأبريه، ولا تأذني في

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٢٩٤/٧) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٧) (ص٥٨٥) كتاب الرضاع، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

بيته لمن يكره)[1].

أيُّ درس في التربية أعظم من هذا، بل وأيُّ عقل أوتيته أم المؤمنين -رضي الله عنها-، حيث أفادت وأجادت في هذه الكلمات القليلة، فلو أُخذت هذه المقالة مأخذ التنفيذ من قبل النساء وعملن بها لسعد المجتمع سعادة لا حدَّ لها وانتهت مشكلاته الزوجية.

وما هذا بغريب عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- التي نهلت من نبع النبوة الفياض، ولعلها تشير بهذا إلى قوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع حيث قال ﷺ: "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله....."[2] الحديث.

ومن أقوالها المأثورة الدالة على العاطفة الصادقة، والتي تُعد أساساً مهماً في التربية على الإيمان والعمل الصالح لكل الأمة، قولها -رضي الله عنها-: (إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سرَّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفَّ نفسه عن كثرة الذنوب)[3].

وفي هذا القول تظهر العاطفة الصادقة والتربية على الاستعداد للقاء الله عزَّ وجلَّ وأخذ أسباب النجاة من عذاب الله، ثم وجهت أولي الأحلام والنهى إلى أقصر وأسهل الطرق لنيل ذلك الخير، فجمعته -رضي الله عنها- في الكفِّ عن الذنوب والمعاصي، وجعلت ذلك أفضل عمل يقدمه

---

(١) المصنف لعبدالرزاق الصنعاني (٣/١٤٦) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى: ١٩٧٢م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢١٨) (ص٤٨٤) كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

(٣) صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (١/٣٥٠).

العبد بين يدي ربه، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائرَ الإثمِ والفواحشَ وإذا ما غَضِبوا هم يغفرون﴾[1].

وفي صحيح البخاري عن طلحة بن عبيد الله: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصيام؟ فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الزكاة؟ قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك بالحق، لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق)[2].

ودلالة الحديث ظاهرة في أن قلة النوافل مع المحافظة التامة على الفرائض توصل صاحبها إلى الجنة، وهذا قطعاً مع اجتناب الذنوب والمعاصي، فتوجيه أم المؤمنين -رضي الله عنها- كان توجيهاً ملؤه العاطفة والإشفاق على الأمة في الأخذ بأسباب الوقاية من عذاب الله بترك الذنوب، ولا يتبادر إلى الذهن أن اجتناب الكبائر كافياً لتحقيق ما وجهت به أم المؤمنين -رضي الله عنها-، بل كان الحديث شاملاً للذنوب عامة الكبائر والصغائر، لأن التحقير من شأن الصغائر موقع في الهلكة فقد ورد في الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ (يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال؛ فإن لها من الله طالباً)[3].

---

(١) سورة الشورى، آية: (٣٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٨٩١) (ص٣٩٤) كتاب الصوم، باب: وجوب صوم رمضان.

(٣) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٢٤٣) (١٤١٧/٢) كتاب الزهد، باب: ذكر الذنوب، والحديث صححه الألباني في: صحيح ابن ماجة، حديث رقم:(٣٤٤٠-٤٣١٩) (٣٨١/٣).

ومن أقوالها المأثورة، والتي تعتبر منهجاً متكاملاً للأمة لو أحسنت التربية والتعليم على أساسه، قولها -رضي الله عنها-: (خلال المكارم عشر، تكون في الرجل، ولا تكون في أبيه ولا في ابنه وقد تكون في العبد، ولا تكون في سيّده، يقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم[1] للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن كلهن الحياء)[2].

وهكذا يظهر أثر المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في عطفها وإشفاقها على تربية الأمة على جميل الخصال، فهي تغرف من بحر الحكمة ومن نبع النبوة هذه المكارم والأخلاق النبيلة التي دعت إليها أم المؤمنين -رضي الله عنها- كلها وأساسها من الدين وتدعوا إلى الدين، ومن عمل بها سار على صراط مستقيم، فمن وفقه الله لصدق الحديث، وحسن التعامل مع الناس، وصلة الرحم التي هي مصدر كل خير، وحفظ الأمانة التي هي عنوان الإيمان وحفظ ذمم الجار، والبذل والعطاء للسائل، ومكافأة صانعي المعروف، وإكرام الضيف، والوفاء بالعهد فقد هدي إلى الخير والهدى.

ثم نظرت أم المؤمنين -رضي الله عنها- إلى تلك الصفات الحميدة التي دعت الأمة إلى نهجها والسير عليها، فأجملت دعوتها باختصار عبارتها،

---

(١) التذمم للجار أو للصاحب، هو أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري، مادة (ذمم) (١٢/٢٢٢).

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر (١/٦٠١-٦٠٢) تحقيق: محمد موسى الخولي، ط. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

فجمعت تلك الخصال في وصف واحد مشتق من أدب النبوة الرفيع الذي عاشت في كنفه، فقالت -رضي الله عنها-: ورأسهن كلهن الحياء، فكأنها تشير بذلك إلى قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "الحياء من الإيمان"[1]، وقوله ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"[2]، وقوله ﷺ: "الحياء خير كله"[3].

وهذه **أم المؤمنين حفصة** -رضي الله عنها- تُعلمنا خلقاً نبوياً كريماً تعلمته من رسول الله ﷺ ونقلته في حديث نبوي ملؤه الأدب والعاطفة والتربية على مكارم الأخلاق وبيان مكانة ذلك من الدين، فقد روي عنها -رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله ﷺ ذات يوم قد وضع ثوبه بين فخذيه، فجاء أبو بكر فاستأذن، فأذن له وهو على هيئته، ثم عمر بمثل هذه القصة، ثم عليٌّ، ثم ناس من أصحابه، والنبي على هيئته، ثم جاء عثمان فاستأذن، فأذن له، فأخذ ثوبه فتجلَّلَه[4] فتحدثوا ثم خرجوا، قلت: يا رسول الله، جاء أبو بكر وعمر وعلي وسائر أصحابك وأنت على هيئتك، فلما جاء عثمان تجلَّلت بثوبك؟ فقال: ألا أستحيي ممن تستحيي

---

(١) صحيح مسلم، الأحاديث رقم: (٣٦-٣٧) (ص٤٨) كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

(٢) نفس المصدر السابق (ص٤٨).

(٣) نفس المصدر السابق (ص٤٨).

(٤) جلَّلْتُ الشيء: إذا غطيته، وجلَّلَ المطر الأرض: بالتثقيل: عَمَّها وطَبَّقها، فلم يدع شيئا إلا غطى عليه. والمعنى: أنه ﷺ أخذ ثوبه فغطى ما كان منكشفا منه. انظر: المصباح المنير للشيخ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) مادة (جلل) (١/١١٥).

منه الملائكة)[1].

إلى هذا الخلق العظيم والتربية الفاضلة يشير النووي -رحمه الله- عند شرحه لبعض روايات هذا الحديث الواردة في صحيح مسلم، فقال -رحمه الله-: «وفي هذا الحديث جواز تدلل العالم والفاضل بحضرة من يدل عليه من فضلاء أصحابه واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحي منه...، وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان -رضي الله عنه- وجلالته عند الملائكة وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة»[2].

ولقد أخذت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- نفسها بالعزيمة وعلو الهمة في طاعة ربها، وضربت بذلك أروع الأمثلة في مجال تربية الأمة على ذلك، فالفعل له أبلغ الأثر في النفوس من القول. لقد كانت -رضي الله عنها- تقوم بواجبها على أكمل وجه، تصوم النهار، وتقوم الليل، حتى جاءتها شهادة عالية زكية، حملها جبريل الأمين عليه الصلاة والسلام إلى رسول الله ﷺ فيها كرامة ومكرمة **لحفصة** -رضي الله عنها-. قال

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (٢٦٩٩٩) (ص١٩٦٧) حديث حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، والحديث درجته حسن. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (١٠٢/٢٣) كتاب الإمارة والخلافة، باب: ما جاء في حياته -أي عثمان بن عفان -رضي الله عنه- واستحياء الملائكة منه -رضي الله عنه-، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ آخر من رواية أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، حديث رقم: (٢٤٠١) (ص٩٧٧) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٨/١٥-١٦٩) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

جبريل عليه السلام عن حفصة أم المؤمنين: "إنها صوّامة قوّامة، وهي زوجتك في الجنة"[1]. وفي رواية: "إنها صؤوم قؤوم، وإنها من نسائك في الجنة"[2]، وقد شهد لها نافع مولى أخيها عبدا لله بن عمر -رضي ا لله عنهما- بحسن صلتها با لله عزّ وجلّ بكثرة الصيام فقال: (إنها ما ماتت حتى ما تفطر)[3].

فهذا وأمثاله يؤكد على التزامها -رضي ا لله عنها- بما تدعوا إليه من الهدّي النبويّ الذي ورّثته للأمة.

وفي موقف عاطفي تربوي ورد عنها -رضي ا لله عنها- يتأكد من خلاله مدى عاطفتها ورحمتها وشفقتها على أبيها أمير المؤمنين -رضي ا لله عنه- حين طلبت منه أن يتوسع في العيش، ويقلل من الزهد الذي حَمَل نفسه عليه، ولكن الفاروق -رضي ا لله عنهما- وهو من هو يوجهها إلى ما كان عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام وصاحبه الصديق -رضي ا لله عنه- من بعده، ويأبى إلا أن يتم السير في طريقهما والنهج على نهجهما ليرد موردهما، فقد جاء عنها أنها قالت: (يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع ا لله عزّ وجلّ

---

(١) انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا (١٣١/٢٢)، قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣٣٨/٢). وانظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للشيخ محمد بن علاّن الصديقي الشافعي (ت:١٠٥٧هـ) (٣٢٣/١).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٢٦٥/٤).

من الرزق، وأكثر من الخير؟ فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقي رسول الله ﷺ من شدة العيش، فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: والله إن قلت ذلك أما والله لئن استطعت لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرَّخِيَّ)[1].

وهذه أم المؤمنين **زينب بنت خزيمة الهلالية** -رضي الله عنها- والتي استشهد عنها زوجها عبدالله بن جحش -رضي الله عنه- في أحد[2]، لا تكاد تذكر إلا وتمتلئ القلوب عليها عاطفة وحنيناً، فقد كانت حياتها مضرب مثل للعاطفة الحانية والتربية على الرحمة والشفقة، ذلكم أنها كانت دائمة الحزن على فقيدها يوم أحد، ونظرت فرأت نفسها وحيدة في المدينة، ليس لها من معيل أو معين سوى الله عزَّ وجلَّ. لكنها أسلمت أمرها إلى الله واستسلمت لقضائه، فما أن انقضت عدتها إلا ورسول الله ﷺ جاء يخطبها، وهي تعلم وتدرك أن رسول الله ﷺ ضمَّها إلى البيت النبوي رحمة منه وعطفاً، وبراً منه وإحسانا. وبهذا أضحت إحدى أمهات المؤمنين، وإحدى اللواتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيراً.

ويبدو أن كنية **زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- بأم المساكين، كنية قديمة، قد تعود إلى ما قبل هجرتها إلى المدينة، فقد كانت تعرف

---

(١) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت:٤٣٠هـ) (٤٨/١).

(٢) في هذا تكون زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها- زوج الصحابي الشهيد عبدالله بن جحش -رضي الله عنه- هذا ما ذهب إليه القسطلاني في المواهب اللدنية. انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت:٩٢٣هـ) (٨٩/٢) تحقيق: صالح أحمد الشامي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

بأم المساكين قبل قدومها المدينة.

قال البلاذري -رحمه الله-: «وكُنِّيتْ بذلك في الجاهلية»[1] -أي أم المساكين-، وقال القسطلاني -رحمه الله-: «كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم»[2]. وأورد ابن زبالة -رحمه الله- بإسناد رجاله ثقات عن الزهري -رحمه الله- «أن رسول الله ﷺ تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله، أحد نساء بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكان يقال لها أم المساكين»[3].

وقال محمد بن إسحاق -رحمه الله- في السيرة «وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث.....، وكانت تسمى أم المساكين؛ لرحمتها إياهم ورقتها عليهم»[4].

وفي السمط الثمين للطبري قال -رحمه الله-: «تزوجها قبل ميمونة، وكانت تدعى أم المساكين في الجاهلية»[5].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (وتزوج -رسول الله ﷺ- زينب بنت خزيمة وهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ويقال لها أم المساكين[6].

---

(١) انظر: التاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري (ت:٢٧٩هـ) (٤٢٩/١) تحقيق: محمد حميد الله، ط. دار المعارف، مصر.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت:٩٢٣هـ) (٨٩/٢).

(٣) منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لمحمد بن الحسن بن زبالة (ت:١٩٩هـ) رواية الزبير بن بكار (ت:٢٥٦هـ) (ص٤٨).

(٤) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٣٢٥/٤).

(٥) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (ص١٨٥).

(٦) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) (٢٥٧/٥).

لقد كانت -رضي الله عنها- من أرحم وأرق النساء للفقراء والمساكين في الجاهلية والإسلام وزادت من حنانها عليهم بعد أن أنعم الله عليها بنعمة الإيمان، وبعد أن أكرمها الله بدخول البيت النبوي الطاهر، لكي تصبح من أمهات المؤمنين الطاهرات -رضي الله تعالى عنهن-.

وبهذا تكون -رضي الله عنها- قد سطرت في منهجية العاطفة والتربية أعظم درس في البذل والنوال والرحمة والشفقة، مما جعلها في صنف الخالدات وفي صف الفضليات، وفي عالم الكرم والمكرمات، الداعيات إلى الله على نور وبصيرة.

ولا يرد على النفس أن أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- كانت تلقب كذلك بهذا اللقب الندي، ولا مطعن في ذلك لما يلي:

أولاً:

دخلت أم المؤمنين **زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- البيت النبوي قبل أم المؤمنين زينب بنت جحش كما سبق تقريره في تمهيد هذا البحث.

ثانياً:

سبقت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة إلى هذا اللقب من الجاهلية كما سبق تقرير ذلك من قبل.

ثالثاً:

لا مشاحة في نسبة هذا اللقب لكل منهما، فالأولى قد شُهد لها بهذا الخير من الجاهلية أثبته لها أهل السير والتاريخ والحديث، والثانية قد شهد لها سيد الأولين والآخرين ﷺ بذلك، حين وصفها بقوله: "أسرعكن لحاقاً بي

أطولكن يداً"[1]،و قد كان ذلك لها حيث كانت تعمل بيدها وتتصدق، وكانت أول زوجاته ﷺ لحاقاً به بعد موته ﷺ، ولا حرج على فضل الله.

وهذه أم المؤمنين أم **سلمة** -رضي الله عنها- تسطر نماذج فريدة، ومثلاً عليا من حياة النبي ﷺ تؤكد من خلالها على أهمية العاطفة وأثرها المهم والفاعل في التربية، فقد جاء في الصحيح (عن أبي سلمة[2] بن عبدالرحمن، أن زينب[3] بنت أم سلمة حدثته أن أم **سلمة** -رضي الله عنها- حدثتها قالت: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي، فقال لي رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة. قالت: وكانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان في الإناء الواحد من الجنابة)[4].

وعن عمر ابن أبي سلمة: (أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبل الصائم؟

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٥٢) (ص٩٩٦) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين، ونصه: (عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: "أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا" قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا. قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتَصَدَّق).

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٠٧).

(٣) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد، المخزومية، ربيبة النبي ﷺ، أمها أم سلمة أم المؤمنين، من أفقه نساء المدينة وقتها، ماتت سنة ثلاث وسبعين، وحضر ابن عمر -رضي الله عنهما- جنازتها قبل أن يحج ويموت بمكة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٤٢١/١٢) وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (٦٠٠/٢).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٦) (ص١٤٠) كتاب الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد.

فقال له رسول الله ﷺ: "سَلْ هذه" (لأم سلمة) فأخبرته، أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: (أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)(١).

ويتضح من خلال هذين الحديثين مدى اهتمامه ﷺ بالعاطفة، وأنها منهج نبوي في غرس المحبة، وجني ثمرة الاستجابة، فهذا رسول الله ﷺ وهو من هو يشمل أهله بالعاطفة والشفقة، كما أنه لا يجعل ما يعرض للنساء من موانع الصلاة من حيض وغيره سبباً في الجفوة والنفرة من المرأة. فها هو ﷺ يدعو أم سلمة إلى العودة والنوم معه في نفس الخميلة؛ بعد أن عرض لها ما يعرض للنساء، كما يؤكد عليه الصلاة والسلام هذا المنهج الذي ترويه أم المؤمنين في موقف آخر، فيسأله عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه- أيقبل الصائم؟ فلا يكتفي ﷺ بالإجابة المباشرة منه، بل يؤكد تحقق ذلك الفعل منه بإحالة السائل على أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حتى لا يبقى في نفس السائل مثقال ذرة من شك في صحة وجواز ذلك الفعل للصائم.

وهذا العمل منه ﷺ مع أنه تشريع من الله لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولكنه في الوقت نفسه يبرهن على تأصيل منهجية العاطفة في التربية، وجعلها باباً مهما جداً يتعين المصير إليه لكل داع وداعية إلى الله عزَّ وجلَّ، خاصة مع أقرب الناس من الأهل والعشيرة.

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في حديث **أم سلمة** -رضي الله

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (١١٠٨) (ص٤٢٩) كتاب الصيام، باب: بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

عنها- الأول قوله: «وفيه جواز النوم مع الحائض والاضطجاع معها في لحاف واحد إذا كان هناك حائل يمنع من ملاقاة البشرة فيما بين السرة والركبة أو يمنع الفرج وحده عند من لا يحرم إلا الفرج»[1].

وقد أكّد الإمام ابن القيم -رحمه الله- على أهمية هذا المنهج العاطفي في التربية من خلال الحديث الثاني والذي أفاد بتقبيله ﷺ لبعض أزواجه وهو صائم فقال -رحمه الله-: «وكان يقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان، وشبَّه قبلة الصائم بالمضمضة بالماء»[2].

ولعله يشير إلى حديث أبي داود في ذلك، فقد جاء (عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: قال عمر بن الخطاب: هششت فقبلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله صنعت اليوم أمراً عظيماً؛ قَبَّلْتُ وأنا صائم، قال: أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به، قال: فَمَهْ؟!)[3].

وقد أفادت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في التأكيد على أهمية المنهج العاطفي في التربية من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ وضحت من خلاله مدى العاطفة النبوية التي كان يغمر بها -ﷺ- أهله، وفي هذا من الدروس التربوية الشيء الكثير، فقد روى مسلم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧/٣).

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية (٥٧/٢)، فصل في هديه ﷺ في الصوم جنباً وحكم تقبيل الرجل زوجته وهو صائم.

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٣٨٥) (٣١١/٢) كتاب الصوم، باب: القبلة للصائم، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٣٨٥) (٦٤/٢).

في صحيحه (عن عبدالملك[1] ابن أبي بكر ابــن عبدالرحمن، أن رسـول ا الله ﷺ حين تزوج أم سلمة، وأصبحت عنده قـال لها: ليـس بك علـى أهلـك هوان، إن شئت سبعت عندك، وإن شئت ثلثت ثم دُرْت. قالت: ثلث)[2].

وفي رواية (أن رسول ا الله ﷺ حين تزوج أم سلمة فدخل عليهـا، فـأراد أن يخرج أخذت بثوبه، فقال رسـول ا الله ﷺ: إن شئت زدتـك وحاسبتك به، للبكر سبع وللثيب ثلاث)[3].

قال الإمام النووي -رحمـه ا الله-: «ومعنـى قولـه ﷺ: "ليس بـك علـى أهلك هــوان"، فمعنـاه لا يلحقـك هـوان ولا يضيـع مـن حقـك شـيء بـل تأخذينه كاملاً، ثم بين ﷺ حقها، وأنها مخيرة بـين ثـلاث بـلا قضـاء وبـين سبع ويقضي لباقي نسائه، لأن في الثـلاث مزيـة بعـدم القضـاء، وفي السـبع مزية لها بتواليها وكمال الأنـس فيهـا فاختـارت الثـلاث لكونهـا لا تقضـى وليقرب عوده إليها فإنه يطوف عليهن ليلة ليلة ثم يأتيها ولو أخـذت سـبعاً طاف بعد ذلك عليهن سبعاً سبعاً فطالت غيبته عنهـا، قـال القـاضي: المـراد بأهلك هنا نفسه ﷺ أي لا أفعل فعلاً بـه هوانـك علـي، وفي هـذا الحديـث

---

(١) هو عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد ا الله بن عمرو ابن مخزوم المخزومي المدني. روى عن أبيه وخارجة بن زيد بن ثابت وأبي هريرة علـى خـلاف فيه وأم سلمة وغيرهم. قال النسائي ثقة. مات في أول خلافة هشـام. انظـر: تهذيـب التهذيـب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٨٧/٦).

(٢) صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) حديث رقـم: (١٤٦٠-١٤٦١) (ص٥٨٢) كتـاب الرضـاع، بـاب: قـدر مـا تسـتحقه البكـر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف.

(٣) المصد السابق (ص٥٨٢).

استحباب ملاطفة الأهل والعيال وغيرهم، وتقريب الحق من فهم المخاطب ليرجع إليه، وفيه العدل بين الزوجات، وفيه أن حق الزفاف ثابت للمزفوفة وتقدم به على غيرها، فإن كانت بكراً كان لها سبع ليال بأيامها بلا قضاء، وإن كانت ثيباً كان لها الخيار إن شاءت سبعاً ويقضي السبع لباقي النساء، وإن شاءت ثلاثاً ولا يقضي، هذا مذهب الشافعي وموافقيه وهو الذي ثبتت فيه هذه الأحاديث الصحيحة، وممن قال به: مالك وأحمد وإسحاق وأبو ثور وابن جرير وجمهور العلماء، وقال أبو حنيفة والحكم وحماد: يجب قضاء الجميع في الثيب والبكر، واستدلوا بالظواهر الواردة بالعدل بين الزوجات وحجة الشافعي هذه الأحاديث وهي مخصصة للظواهر العامة»[1].

وإشارة لأهمية العاطفة والدروس المستفادة منها في هذين الحديثين ربط الإمام الخطابي -رحمه الله- ذلك بقوله تعالى: ﴿**وعاشروهنّ بالمعروف**﴾ وأكّد على أهمية العاطفة في معاشرة الأهل وضرورة تربية الأمة على ذلك فقال -رحمه الله-: «ويشبه أن يكون هذا -أي حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- من المعروف الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ وذلك أن البكر لما فيها من الحياء تحتاج إلى فضل إمهال وصبر وحسن تأنٍ ورفق ليتوصل الزوج إلى الأرب منها، والثيب قد جربت الأزواج وارتاضت بصحبة الرجال فالحاجة إلى ذلك في أمرها أقل، إلا أنها تخص بالثلاث تكرمة لها وتأسيساً للألفة فيما بينه وبينها»[2].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٤٣-٤٤).

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (١٨٤/٣) كتاب النكاح، باب: ومن باب المقام عند البكر، والآية رقم: (١٩) من سورة النساء.

وفي حديث آخر ترويه أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مقدار العاطفة النبوية التي كان يشمل بها ﷺ نساء الأمة، وفي هذا من الدروس التربوية والدعوية للدعاة إلى الله وللأمة كلها الشيء الكثير، فها هو ﷺ يجلس في مصلاه بعد انقضاء الصلاة وبجلوسه يجلس الرجال، وفي بيان سبب جلوسه ﷺ لتلك البرهة من الزمن، تبرر **أم سلمة** -رضي الله عنها- ذلك بانصراف النساء اللائي صلين معه ﷺ ويثبت الرجال في أماكنهم بثباته ﷺ في مكانه، فإذا قام عليه الصلاة والسلام من مصلاه قام الرجال معه، وبذلك يكون قد انصرف النساء إلى بيوتهن وهن في كامل حشمتهن وسترتهن عن أعين الرجال، وهذا من كريم عطفه بهن وتربيته للأئمة خاصة والأمة كافة على ذلك، فقد جاء في الصحيح (عن الزهري[1] قال: حدثتني هند[2] بنت الحارث: أن أم سلمة زوج النبي ﷺ أخبرتها: أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كُنَّ إذا سلمن من المكتوبة قمن، وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال)[3].

قال النووي -رحمه الله-: (ويستحب للإمام إذا سلّم أن يقوم من

---

(١) سبقت ترجمته (ص٣٦٤).

(٢) هي هند بنت الحارث الفراسية ويقال القرشية، كانت تحت معبد بن المقداد بن الأسود، روت عن أم سلمة وكانت من صواحباتها وروى عنها الزهري. ذكرها ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٤٥٧/١٢).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٨٦٦) (ص١٨٩) كتاب الصلاة، باب: انتظار الناس قيام الإمام العَالِم.

مصلاه عقب سلامه إذا لم يكن خلفه نساء. وعلل ذلك بعلتين إحداهما: لئلا يشك هو أو من خلفه هل سلّم أم لا. والثانية: لئلا يدخل غريب فيظنه بعد في الصلاة فيقتدي به. أما إذا كان خلفه نساء فيستحب أن يلبث بعد سلامه، ويثبت الرجال قدراً يسيراً يذكرون الله تعالى حتى تنصرف النساء بحيث لا يدرك المسارعون في سيرهم من الرجال آخرهن. ويستحب لهن أن ينصرفن عقب سلامه، فإذا انصرفن انصرف الإمام وسائر الرجال»[1].

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث ما ذكره الإمام العيني -رحمه الله- بقوله: «وفيه خروج النساء إلى المساجد، وسبقهن بالانصراف، وفيه أن الاختلاط بهن مظنة الفساد، وفيه استحباب مكث الإمام في مصلاه والحالة هذه، فإن لم يكن هناك نساء فالمستحب للإمام أن يقوم من مصلاه عقيب صلاته...وفيه وجوب غض البصر»[2].

وتضرب أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- أمثلة عديدة تؤكد على أهمية العاطفة في التربية، تستفاد من خلال سيرتها العطرة -رضي الله عنها-.

من ذلك رحمتها وشفقتها على من تحت يدها من موالي وصبيان وغيرهم وتربيتهم على ذلك، فقد ذكرت كتب السير والتراجم أن أم الحسن البصري -رحمه الله- كانت مولاة لأم المؤمنين **أم سلمة**

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) (٤٥٣/٣) كتاب الصلاة، باب: يستحب للإمام إذا سلم أن يقوم من مصلاه عقب سلامه إذا لم يكن خلفه نساء.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ) (١٢٢/٦) بتصرف.

-رضي الله عنها-[1].

كما جاء أنه (كانت أم سلمة زوج النبي ﷺ تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي، فتسكته بثديها...وكانت تخرجه إلى أصحاب النبي ﷺ وهو صغير وكانت منقطعة إليها، فكانوا يدعون له فأخرجته إلى عمر بن الخطاب، فدعا له، وقال: اللهم فقهه في الدين وحبِّبه إلى الناس)[2].

وقال صاحب الحلية -رحمه الله-: (كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاءً شديداً فَرَقَّت عليه **أم سلمة** -رضي الله عنها-، فأخذته فوضعته في حجرها فألقمته ثديها فدرَّ عليه فشرب منه، فكان يقال إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي ﷺ)[3].

وموقف آخر يتضح من خلاله أثر المنهج العاطفي في التربية يسطر لأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- بمداد من نور، ولا يُنسى لها ما بقي الدهر، ذلكم حين كلمت رسول الله ﷺ بأسلوب عاطفي ركزت من خلاله على استثارة الرأفة والرحمة والعاطفة عند رسول الله ﷺ تجاه رجلين تربطه بهما صلة القرابة والمصاهرة وكانا من الذين يؤذون رسول الله ﷺ، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ) (٥٦٤/٤).

(٢) أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان (ت:٣٠٦هـ) (٥/٢) بتصرف.

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت:٤٣٠هـ) (١٤٧/٢).

ابن أبي أمية بن المغيرة، فقد لقيا رسول الله ﷺ بموضع بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته **أم سلمة** -رضي الله عنها- فيهما، ورَجَتْ أن يصفح عن زلتهما فيما مضى، فقالت: يا رسول الله لا يكن ابن عمك، وابن عمتك وصهرك أشقى الناس بك. قال: لا حاجة لي بهما، أمَّا ابن عمي فهتك عرضي، وأمَّا ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال[1]، فلما بلغهما قوله، قال أبو سفيان بن الحارث: والله ليأذنن لي، أو لآخذن بيد بُني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعاً. وعند ما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لها وأذن لهما، فدخلا وأسلما)[2]، وإذ ذاك سُرت أم سلمة بقبول شفاعتها وانضمام هذين الرجلين إلى دوحة الإسلام، فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولا يفوتنا أن نفيد من الدرس العاطفي التربوي الذي روته لنا أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في هجرتها إلى المدينة، حين خرجت وليس معها إلا الله وولدها في حجرها، حتى إذا كانت بالتنعيم، لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدَّار، فقال لها: إلى أين

---

(١) هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي، وهو أخو أم سلمة لأبيها، وأمُّه عاتكة بنت عبد المطلب، وقوله ﷺ: قال لي بمكة ما قال، فإنه قال بمكة: لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه، وقد ذكر الله ذلك في سورة الإسراء مفصلاً. انظر: أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ) (ص١٧٠) ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) الكامل لابن الأثير (١٦٤/٢). وانظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (٤٠٠/٣).

يا بنت أبي أمية؟ فقالت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا والله إلا الله، وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق يهوي بها، تقول: فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل، أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطَّ عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرَّواح، قام إلى بعيري، فقدَّمه فرحَّله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي؛ فإذا ركبت، واستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلاً- فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة[1].

إن ما رأته **أم سلمة** -رضي الله عنها- من صحبة هذا الرجل المشرك حينئذٍ جعلها تقول: وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

فهذه الصفات وهي كرم النفس، ونخوة الرجوله، وتحمل المشقة البالغة في سبيل النجدة، وعظيم المروءة، أخلاق لا تجتمع إلا في الرجل بعد الرجل وفضائل لا توجد إلا في الأكرمين أحساباً الأكرمين أنساباً، فإذا كان هذا الثناء من **أم سلمة** -رضي الله عنها- على رجل مشرك آنئذ[2]، فإن في

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤/٤٤٠).

(٢) أسلم عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي، وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص إلى المدينة، كان حاجب البيت الحرام، دفع إليه النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، توفي سنة إحدى وأربعين، وقيل اثنتين وأربعين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/١٠).

هذا من الدروس التربوية للمسلمين الشيء الكثير والعظيم، والمعنى أليس أحرى بالمسلمين أن يكونوا كذلك في حفظ الأمانة والتحلي بصفات الشهامة والمروءة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وفي ربوع المدينة هبطت **أم سلمة** -رضي الله عنها- تعيش إلى جانب زوجها يعبدان الله تعالى، ويتزودان بزاد التقوى من رسول الله ﷺ، وعكفت -رضي الله عنها- على رعاية أولادها وتربيتهم وتغذيتهم بحب الله عزَّ وجلَّ وحب النبي ﷺ، ولقد أثَّرت هذه الرعاية والتربية في ذريتها -رضي الله عنها-، فهذه ابنتها زينب كانت من أفقه نساء أهل زمانها[1].

وتبرهن **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- على أهمية المنهج العاطفي في التربية من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله كيف كان ﷺ يشملها بالعاطفة والرحمة والمداراة، وهذا فيه ما فيه من الدروس التربوية لكل مؤمن ومؤمنة للسير على هذا المنهج النبوي العظيم، فقد كان ﷺ يلاطف أهله في جميع الأحوال، في هذا روى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده (عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قلت لأم حبيبة زوج النبي ﷺ: أكان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي ينام معك فيه؟ قالت: نعم، ما لم ير فيه أذى)[2].

---

(١) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام الطبري (ص١٤٧).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٢٩٦) (ص١٩٨٩) حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان، والحديث رجال إسناده كلهم ثقات. انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٢/٣).

وفي رواية لأبي داود (عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- أنه سأل أخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامعها فيه؟ فقالت: نعم، إذا لم ير فيه أذى)[1].

وقيل في توضيح معنى قول أم المؤمنين -رضي الله عنها- (إذا لم ير فيه أذى): «أي مستقذر أو نجاسة، أي إذا لم ير في الثوب أثر المني أو المذي أو رطوبة فرج المرأة»[2].

وفي التأكيد على عدم الأخذ بالظن في هذه المسألة، قال الشيخ البنا -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «ومن فوائد هذا الحديث أنه لا يجب العمل بمقتضى المظنة، لأن الثوب الذي يجامع فيه مظنة لوقوع النجاسة فيه، فأرشد الشارع إلى أن الواجب العمل بالمئنة دون المظنة، وفيه أن الاحتياط والأخذ باليقين جائز غير مستنكر في الشرع، وإن ترك المشكوك فيه إلى المتيقن المعلوم جائز؛ وليس من نوع الوسواس، وحديث عائشة عند مسلم وأبي داود وابن ماجة وغيرهما (قالت كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعليّ مرط وعليه بعضه) يدل على عدم وجوب تجنب ثياب النساء وإنما هو مندوب فقط عملاً بالاحتياط كما يدل عليه حديث الباب -وهو حديث **أم حبيبة** -رضي الله عنها- وبهذا يجمع

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٦٦) (١/١٠٠) كتاب الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٣-٣٦٦) (١/١٠٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٢/٢٧) كتاب الطهارة، باب: الصلاة في الثوب الذي يصيب أهله فيه.

بين الأحاديث»[1].

هذا وقد نحى بعض أهل العلم إلى كراهة الصلاة في الثوب الذي يصيب الرجل فيه أهله؛ تحوطاً لما قد يكون فيه، وفي توضيح وجه الأخذ بالكراهة لمن قال بها في هذه المسألة، قال الإمام البغوي -رحمه الله-: «ومن كره، فلخوف أن يكون قد أصابه أذى من دم حيض أو غيره، كما كره بعضهم الصلاة في ثياب اليهود والنصارى. ولم ير الحسن بأساً بالثياب التي ينسجها المجوس»[2].

ومما أفادت به أم المؤمنين **ميمونة بنت الحارث** -رضي الله عنها- في التأكيد على هذا المنهج العاطفي وتربية الأمة عليه، وبيان أهميته وضرورته، ما أُثر عنها في روايتها لحديث من أحاديث النبي ﷺ تبين فيه كيف كان يعاملها ﷺ هي وأخواتها من أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- معاملة ملؤها العطف والحنان والشفقة، وهن بالتالي ينقلن ذلك إلى الأمة، فقد روى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده (عن ميمونة زوج النبي ﷺ. قالت: أجنبت أنا ورسول الله ﷺ، فاغتسلت من جفنة، ففضلت فضلة، فجاء رسول الله ﷺ ليغتسل منها، فقلت: إني قد اغتسلت منها، قال: إن الماء ليس عليه جنابة، أو لا ينجسه شيء، فاغتسل منه)[3].

---

(١) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٤/٣) كتاب الصلاة، باب: في الصلاة في ثوب النوم وشُعر النساء وحكم ثوب الصغير، بتصرف.

(٢) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (٤٣١/٢) كتاب الصلاة، باب: الصلاة في لحف النساء.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٣٣٨) (ص١٩٩٣) حديث ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، قال الشيخ البنا -رحمه الله- في تخريجه: «قال الحافظ أخرجه أصحاب السنن
=

وفي صحيح ابن خزيمة: (فجاء النبي ﷺ يتوضأ من فضلها، فقالت له، فقال: الماء لا ينجسه شيء)[1].

وهذا الحديث وما ورد في بابه يدل دلالة واضحة على طهارة سؤر المرأة، وهو قول الجمهور، وحملوا الأحاديث التي وردت بالنهي على كراهة التنزيه[2].

وتبرهن أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- على أهمية المنهج العاطفي في التربية من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله كيف كان ﷺ يشملها بالعاطفة والرحمة حتى وإن تصرفت تصرفاً عاجلاً في بعض ما تحت يدها وكان الأفضل خلافه، ولكن المصطفى عليه

= والدارقطني وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما من حديث ابن عباس عن ميمونة قالت: أجنبت فذكر الحديث بلفظ حديث الباب إلا قوله لا ينجسه شيء فليس فيه وعزاه للدارقطني قلت -أي الشيخ البنا -رحمه الله-: وحديث الباب أخرجه أيضاً الدارمي عن يزيد بن عطاء والطحاوي والحاكم عن سفيان كلهم عن سماك بن حرب عن عكرمة. قال الحاكم قد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأحاديث سماك بن حرب وهذا حديث صحيح في الطهارة و لم يخرجاه و لم يحفظ له علة وأقره الذهبي)). بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١/٢١٢) بتصرف.

(١) صحيح ابن خزيمة، حديث رقم: (٨٤) (١/٥٨) كتاب الوضوء، باب: إباحة الوضوء بفضل غسل المرأة من الجنابة.

(٢) انظر: شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي (١/٢٤، ٢٦) كتاب الطهارة، باب سؤر بني آدم. وانظر: معالم السنن للإمام الخطابي (١/٣٦) كتاب الطهارة، باب: الوضوء بفضل وضوء المرأة. وانظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للعلامة الصنعاني (١/٢٩) كتاب الطهارة، باب: المياه. وانظر: بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (١/٢١٣) كتاب الطهارة، باب: في النهي عن الطهارة بفضل الطهور وفصل في الرخصة في ذلك.

الصلاة والسلام لا يعنف ولا يزجر بل يدعو لها ويرشدها إلى الأفضل والأكمل. وهذا فيه من الدروس التربوية الشيء الكثير، فقد جاء (عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: كانت لي جارية فأعتقتها، فدخل علي النبي ﷺ فأخبرته، فقال: آجرك الله، أما إنك لو كنت أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)[1].

والحديث يدل على إنفاذ الشرع لتصرف المرأة العاقلة الراشدة في مالها بدون إذن زوجها وإلا لأبطل عليه الصلاة والسلام هذا التصرف، وأما استدراكه ﷺ وتوجيهه فقد كان من باب الوصية بالأقارب وفضل الصدقة عليهم، وفي هذا يقول النووي -رحمه الله-: «وفيه فضيلة صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب وأنه أفضل من العتق...، وفيه الاعتناء بأقارب الأم إكراماً بحقها، وهو زيادة في برها، وفيه جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها»[2].

قال صاحب عون المعبود: «ومعنى قوله ﷺ "آجرك الله" أي أعطاك الله جزاء عملك، وقوله ﷺ: "كان أعظم لأجرك" لأن في إعطائها صلة الرحم والصدقة، وفي الإعتاق الصدقة فقط»[3].

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي، وهذا لفظ أبي داود. انظر: سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (١٦٩٠) (١٣٢/٢) كتاب الزكاة، باب: في صلة الرحم.

والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- حديث رقم: (١٦٩٠) (٤٦٩/١) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٦/٧) كتاب الزكاة، باب: فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (١١٠/٥).

المبحث الثالث

الدروس المستفادة للواقع المعاصر

تستفاد هذه الدروس من خلال دراسة وتحليل المنهج العاطفي في الدعوة وفي التربية لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

إن حياة أمهات المؤمنين الطاهرات المطهرات -رضي الله تعالى عنهن- صورة مشرقة للمرأة المسلمة عموماً والدعاة إلى الله على وجه الخصوص، لقد كانت مُثُلاً عليا للحياة الزوجية الكاملة ودروساً عملية تكتشف من خلالها الجوانب الدعوية المؤصلة من المنهج العاطفي في الدعوة والتربية لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

ومن هذه الدروس الدعوية والتربوية المبنية على المنهج العاطفي في دعوتهن ما يلي:

أولاً: الدروس المستفادة من المنهج العاطفي في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-:

١- صدق العاطفة والتفاني في بذلها لله ولرسوله ﷺ سبب من أسباب سلامة الدعوة ونجاحها، تمثل ذلك في موقف أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- حين غمرت النبي ﷺ بحنانها وكريم عاطفتها حين نزل عليه من أمر الله ما قد نزل، فكان لهذا أعظم الأثر في تهدئة روعه وسكون فؤاده، وبالتالي استمراره في طريق الدعوة.

٢- الحث على بذل العاطفة والرحمة وخاصة لمن هم في سن مبكرة فيعطون

حقهم من اللهو المباح مراعاة لسنهم وقدرات تفكيرهم، تمثل ذلك في رحمته ﷺ بأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في إذنه لها بالنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، وكذلك في مسابقته ﷺ لها مرتين.

٣- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- العبارات العاطفية المؤثرة النابعة من صدقها مع الله في تبرئتها نفسها بين يدي رسول الله ﷺ ووالديها، وذلك عندما نسب إليها ما نسب من حديث الإفك، فما لبثت أن جاءها الفرج والنصر ببراءتها وصدقها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

٤- الحث على الرفق في انتقاء العبارات العاطفية لاستمالة قلوب المدعوين عند تصحيح أخطائهم أو حثهم على الخير، يستفاد من حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند نصحها بإسباغ الوضوء لمن لم يحسن الوضوء.

٥- الحثّ على الرفق ولين الجانب خاصة مع الصبيان ومن في حكمهم ممن لم يدرك، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من خلال روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حين كان يشفق عليها ويراعي طفولتها فلا يمنعها من اللعب المباح هي وصواحبها، بل كان عليه الصلاة والسلام يبعثهن إليها ليلعبن معها.

٦- إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين وعدم حمل الناس على ما لا يطيقون، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الدال على تركه العمل أحياناً وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.

٧- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب وذكر الثواب والعقـاب في التنفير من بعض الأمور المخالفة للشرع، وهـذا مـا نهجتـه أم المؤمنـين **عائشـة** -رضي الله عنها- في توجيهها لبعض نساء حمـص حـين بلغهـا دخـول النساء إلى الحمامـات في تلـك الديـار، وأكّـدت نهيهـا لهـن باستدلالها بحديث من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الزاجـرة عـن ذلـك أبلغ النهي والزجر.

٨- الحثّ على إظهار التـودد والمحبـة للمدعويـن، بغيـة هدايتهـم واسـتجابة قلوبهم، أكّدت هذا أم المؤمنين **عائشة** -رضـي الله عنهـا- مـن خـلال روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسـلام حـين جاءتـه هنـد بنـت عتبة، **فأظهر لها من المودة والمحبة**، حتى يضمن ثباتها على الدين وزيـادة محبتها للإسلام.

٩- **العطف والشفقة بالجهال والعوام** من المسلمين، خاصة عند وقوعهـم في شيء مـن المحذورات الشـرعية وأخذهـم بـالحلم والرحمـة وتعليمهـم **ما جهلوه**، أشارت **لذلك** أم المؤمنين **عائشـة** -رضـي الله عنهـا- عنـد روايتها لقصة الرجل الذي جامع أهله في نهار رمضـان، وكيـف عاملـه ﷺ بالحلم والرحمة وعلّمه كيف يكفر عن ذلك المحذور.

١٠- مراعاة الناس ورحمتهم والعفو عنهم والتدرج معهـم في فهمهـم حتـى يصل بهم الداعي إلى بَرِّ الأمـان وموطـن الإقنـاع في الحق الـذي يريـد الوصول إليه، تمثل ذلك في رواية أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنهـا- لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيـث ثبـت مـن خلالـه مـدى

حلمه وعطفه وتدرجه مع الليثيين في إرضائهم حتى وصل إلى القدر الذي وافقوا عليه من القود في شأن صاحبهم المشجوج من لدن عامل الصدقة الذي بعثه رسول الله ﷺ إليهم.

١١- الحث على تأليف قلوب المدعوين بتفقد أحوالهم والعطف عليهم وزيارة مرضاهم والدعاء لهم، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لعدد من الأحاديث النبوية الدالة على ذلك، ومنها زيارته ﷺ لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- والدعاء له في مرضه الذي مرضه وهو بمكة.

١٢- الحثّ على استخدام الوسائل المستجلبة لاستجابة المدعو، وإظهار العطف عليه وذلك من خلال الهدية له وتفقده بالمنح بين الفينة والأخرى، تمثل ذلك في حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في بيان هديه ﷺ في حمل ماء زمزم من مكة وإهدائه لأصحابه وصَبِّه على المرضى وسقيهم منه.

١٣- ضرورة التمهيد بمقدمات مؤثرة عاطفية بين يدي الموعظة والنصيحة للوصول إلى قلب السامع وبالتالي تتم استجابته وانقياده إلى الحق الذي يُدعى إليه بإذن الله، تمثل ذلك في حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- الذي ترويه عن رسول الله ﷺ ووصيته بالصلاة وملك اليمين وقد كان هذا من آخر ما وصى به أمته وهو في مرض موته ﷺ.

١٤- إظهار الرحمة والشفقة بالمدعوين خاصة المرضى منهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقون من أمور العبادة، خاصة ما كانت الرخصة فيه موجودة أشارت لذلك أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حين كانت

تشتكي المرض فأذن لها ﷺ بالطواف وهي راكبة من خلف الناس وهم يصلون صلاة الفجر.

١٥- التأكيد على استخدام بعض الألفاظ المستدرة لعاطفة السامع بين يدي التوجيه النبوي المراد تبليغه للمدعو، أُثر ذلك عن أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- عند توجيهها الأمة إلى الرفق والإحسان إلى البنات والأخوات مستدلة بحديث روته عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن.

١٦- الحث على الرأفة والرحمة بالمسلمين خاصة مع من نزلت بهم نازلة كمصيبة الموت وغيرها، وتذكيرهم بالله وعدم التسخط والجزع وعدم الدعاء إلا بالخير لأن الملائكة تؤمن على الدعاء في تلك الحالة التي يشق فيها بصر الميت، تمثل ذلك في حديث **أم سلمة** -رضي الله عنها- الذي روته عن رسول الله ﷺ حين دخل على أبي سلمة وقد شق بصره، حيث بينت كيف وجّه عليه الصلاة والسلام إلى الاسترجاع والتجلد وعدم التسخط.

١٧- الحث على الثبات والصبر على ما يصيب المؤمن في ذات الله ومن أجل دين الله، تمثل ذلك من خلال الأحداث المريرة التي روتها أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- بأسلوب عاطفي مؤثر، ذلكم هو ما أصابها وزوجها وابنها في ذات الله عند الهجرة.

١٨- التأكيد على المرأة المسلمة بأن تبذل غاية جهدها في رضى زوجها والحرص على إسعاده والاهتمام به استدراراً لعاطفته نحوها، تمثل ذلك في عناية أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- بزوجها عليه الصلاة والسلام حيث كانت مخصصة له إناءً خاصاً لترجيل رأسه ﷺ

مبالغة منها في عنايتها به وتأكيداً على صدق العاطفة وحسن التبعل للزوج، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

١٩- الحث على بذل الندى وطيب العشرة والحرص على راحة الزوج في بيته ومحاولة البعد عن كل ما يعكر صفاءه، وشموله بالعاطفة والمودة ودفء الزوجية الهادئ، تمثل ذلك في موقف أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- عند ما أقبل عليه بعض الناس في حوائجهم، فكأنه ﷺ قد ناله شيء من العنت في ذلك، فأشارت إليهم من وراء الحجاب بألاّ يكلماه، عطفاً وإشفاقاً عليه عليه الصلاة والسلام.

٢٠- التأكيد على صدق العاطفة في محبة الله ورسوله وتقديم حبهما على محبة النفس ورغباتها، تمثل ذلك في عرض أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- على رسول الله ﷺ الزواج بأختها، وهذا مع ما فيه من حرمة لم تكن تعلمها -رضي الله عنها- إلا أن فيه درساً عظيماً ملؤه العاطفة والرغبة في نفع الغير والسبق إلى مكارم الأخلاق وصدق العاطفة في تقديم حب الله ورسوله على محبة النفس ورغباتها.

٢١- الحث على انتقاء العبارات العاطفية المؤثرة في نفس المدعو ليسهل انقياده وطاعته في الاستجابة للنصح والتوجيه، أشارت لهذا أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- من خلال حديث روته عن رسول الله ﷺ نصحت ووجهت من خلاله لقضية مهمة من أمور العبادة؛ وهي مسألة الوضوء مما مست النار، وهي من المسائل الخلافية، فبدأت بالدعاء للشخص المدعو ثم وجهت له النصح، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

٢٢- الحث على اللطف واللين مع المدعو عموماً والأقارب خصوصاً؛ طمعاً في استجابتهم وتحبيباً لهم في الخير، تمثل ذلك في نصح أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- لابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فكررت معه العبارات العاطفية ثلاث مرات في حديث واحد روته عن رسول الله ﷺ حثته من خلاله على تعلم حكم شرعي كان قد خفي عليه وهو طهارة بدن الحائض، فرضي الله عنهم أجمعين.

ثانياً: الدروس المستفادة من المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهم أجمعين-:

١- البذل والعطاء في سبيل الله وقد ظهر ذلك في بذل أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- لكل ما تحتاجه الدعوة ونبي الدعوة عليه الصلاة والسلام من دعم مادي ومعنوي، فقد كانت بلا منازع هي الممول الأساس للدعوة طيلة سنوات عمرها معه ﷺ، توافر ذلك مع طيب النفس، وكرم السجية، والعاطفة الصادقة الندية مع الإسلام ورسول الإسلام ﷺ.

٢- بيان أثر العاطفة التربوي في سرعة الاستجابة لدين الله والانقياد لشرعه واتباع رسوله ﷺ، تمثل ذلك في مقدار الأثر الإيماني الذي غرسته أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في بناتها، فكانت استجابتهن للإسلام دونما تردد أو تلكؤ، فلا أدلَّ على نجاح هذا المنهج العاطفي في التربية من ذلك.

٣- الحث على حسن التأسي بالأخيار والسير على نهج الأبرار وترسم

خطاهم وإكمال مسيرتهم في الخير والهدى، تمثل ذلك في موقف أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- حين واصلت مسيرة أختها أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في بذل العاطفة الصادقة في تربية بنات المصطفى عليه الصلاة والسلام، وذلك حين أضحت من أمهات المؤمنين.

٤- الحرص على ملاطفة الأهل ومسامرتهم والحديث معهم، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في حديث روته عن رسول الله ﷺ، أوضحت من خلاله فعله ﷺ لذلك معها.

٥- توجيه الأمة إلى التربية على العاطفة المضبوطة بميزان الشرع عند نزول المصائب بالعبد المؤمن، تمثل ذلك في حديث روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أكدت من خلاله هديه ﷺ في ذلك عند ما زار عثمان بن مظعون -رضي الله عنه- وقد مات فسالت دموعه ﷺ على خديه ولم يقل إلا خيراً، وهذا من كمال هذه الشريعة الموافقة للفطرة.

٦- دعوة الأمة عموماً والأخيار والدعاة إلى الله خصوصاً إلى الرحمة بالمسلمين بدءاً بصبيانهم وانتهاءً بشيوخهم، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث نبوي وضحت من خلاله رحمته ﷺ بالغلام الذي بال في حجره ﷺ، فشمله بعطفه ورحمته وعفوه وهو ﷺ القدوة لكل مؤمن ومؤمنة.

٧- الحث على أهمية العاطفة وبيان عِظَمِ أثرها على المدعوين وأن ذلك دليل على كمال الإيمان أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث نبوي اتضح من خلاله ذلك حيث شهد النبي ﷺ بكمال الإيمان لمن حسن خلقه وتلطف في معاملته مع أهله.

٨- العناية ببذل الرحمة لكل ذات روح وتربية الأمة على ذلك، تمثل ذلك في الهدي النبوي الذي روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين أرسل لها ﷺ ناقة من إبل الصدقة وأوصاها بالرفق والرحمة بها، فهذا العطف شمل البهائم العجماوات فكيف ببني آدم وخاصة المسلمين منهم.

٩- الحث على الرفق بالأهل وبذل مزيد من العناية لهم والرحمة بهم وإظهار العاطفة والود لهم، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند ما روت عن رسول الله ﷺ أنها كانت تشرب من الإناء وهي حائض وتناوله النبي ﷺ فيضع فاه موضع فيها فيشرب، ويصنع ذلك كذلك حين يتتبع أثر فيها على موضع العظم الذي عليه اللحم. وذلك مبالغة منه ﷺ في زيادة الود ونبذ أسباب الجفوة بينه وبين أهله حتى في أيام الحيض.

١٠- الحث على إثارة العاطفة الصادقة في مراقبة الله عزَّ وجلَّ والتربية على خشيته تمثل ذلك في توجيه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لأبي سلمة وتحذيره من مغبة الاعتداء والخصومة المتعلقة بالأرض، وأكدت نصحها بحديث روته عن رسول الله ﷺ يشير إلى التحذير من ذلك.

١١- الحث على الرحمة والشفقة بالأمة في أمور الدنيا والدين والنهج بهم منهج التيسير، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من خلال حديث روته عن رسول الله ﷺ بينت فيه أسفه ﷺ على دخوله الكعبة وخشيته من أن يكون قد حَمَّل أمته ما لا طاقة لهم به، وهذا من أبلغ الدروس للدعاة إلى الله في التربية على العاطفة والرحمة بالأمة.

١٢- بذل العطف والحنان لجميع أفراد الأمة، تمثل ذلك في الحديث الذي روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، عند ما عثر أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- بعتبة الباب فشج وقد كان وقتها صغيراً فجعل ﷺ يمص عنه الدم ويمجه، وهذا من أعظم الدروس النبوية الفريدة في العاطفة.

١٣- التأكيد على بذل الرحمة على من تحت اليد من الخدم والنساء والصبيان وغيرهم وجهت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين روت عن رسول الله ﷺ أنه ما ضرب ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله.

١٤- الحث على التماس العذر للمخطئين والرحمة بهم والدعاء لهم، أكدت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند ما بلغتها فتوى عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما- بكراهته الطيب للمحرم عند إحرامه، فلما ذُكر ذلك لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، دعت له بخير ثم بينت هديه ﷺ في جواز ذلك للمحرم قبل إحرامه.

١٥- حث نساء المسلمين على الإقبال على طاعة الله، وحسن التبعل للزوج والعناية بمظهرها، وحفظها لبيت زوجها عن كل ما يكره، أوضحت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين نصحت المسلمات في قولها: (أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه...) إلخ.

١٦- الحث على إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين أوضحت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في قولها: (إنكم لن تلقوا الله بشيء خير

لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب).

١٧- الوصية بكريم الخصال وجميل الفعال والعمل على إصلاح الفرد والمجتمع من خلال ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، إلى ذلك أشارت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في رحمتها بالأمة وتربيتها للمسلمين على خلق كريم حين قالت: (خلال المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب، صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل...) إلخ.

١٨- الحث على الأخلاق الفاضلة والخصال الكريمة ويزداد بذل ذلك مع من يغلب عليهم الحياء والخجل، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- في تربيتها الأمة على ذلك من خلال خلق نبوي كريم، ذلكم عند ما دخل عليه أصحابه وهو على هيئة معينة فلم يغير جلسته إلا عند دخول عثمان -رضي الله عنه-، وعلل ذلك ﷺ لما جُبل عليه عثمان -رضي الله عنه- من الحياء الذي قد يمنعه من إبلاغ حاجته له ﷺ لو كان قد بقي على هيئته الأولى ﷺ.

١٩- حمل النفس بالعزيمة على طاعة الله، اتضح ذلك من خلال اجتهاد أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- في العبادة جهداً بالغاً ضربت فيه أروع الأمثلة في مجال تربية الأمة على الطاعة، فالفعل له أبلغ الأثر في نفوس المدعوين من القول.

٢٠- الحث على بذل العاطفة والرحمة حتى لمن هم أكبر قدراً وأرسخ قدماً في طاعة الله عزَّ وجلَّ، تمثل ذلك في شفقة أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- على والدها حين عطفت عليه ورحمته من شدة ما أخذ به نفسه من قسوة المعيشة وشظف العيش.

٢١- بذل الرحمة والشفقة على ضعفاء المسلمين وفقرائهم وشملهم بمزيد العناية والرحمة، تمثل ذلك في حياة أم المؤمنين **زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- حين وطَّنت نفسها على ذلك وفرغت قلبها وبيتها للمساكين حتى لقبت بأم المساكين.

٢٢- حث الأمة وتربيتها على العاطفة والرحمة بالأهل خاصة عندما يعرض للزوجة ما ينتاب النساء من حيض وغيره، أشارت لذلك أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حيث بينت كيف كان ﷺ يشملها بالعاطفة والرحمة حتى عند ما يعرض لها ما يعرض للنساء، فها هو ﷺ يدعوها للنوم معه في نفس الخميلة بعد أن عرض لها الحيض وهي معه ﷺ.

٢٣- بذل العطف والرحمة بالنساء عند الدخول بهن على مختلف أحوالهن سواءً كن ثيبات أم أبكاراً، أوضحت ذلك أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حين دخل بها وأمضى عندها ثلاثة أيام وبين لها الحق الواجب للبكر والثيب. وفي هذا توضيح للحقوق وبذل للعاطفة والرحمة كل على قدر حاجته إليها.

٢٤- الحث على تربية الأمة عامة والدعاة إلى الله خاصة من الأئمة

والعلماء والمصلحين على نهج أسباب الرحمة والعطف بالمأمومين خاصة النساء منهن، صرحت بذلك **أم سلمة** -رضي الله عنها- في حديث روته عن رسول الله ﷺ بينت فيه بأنه ﷺ كان يمكث في مصلاه بعد انقضاء الصلاة وبجلوسه يجلس الرجال حتى ينصرف النساء إلى بيوتهن قبل الرجال وهن في كامل حشمتهن وسترتهن.

٢٥- الحث على بذل العاطفة والرحمة بالصبيان وتربية نساء الأمة على ذلك، أشارت لهذا أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- فيما ورد عنها أن أم الحسن البصري كانت مولاة لأم سلمة وكانت ربما تبعثها في الحاجة فيبكي الغلام فترق عليه وتضعه في حجرها وتلقمه ثديها وربما تدر عليه فيشرب منه، رحمة به وعطفاً عليه.

٢٦- بذل العطف والرحمة من خلال الشفاعة الحسنة وتربية الأمة على ذلك، تمثل ذلك في شفاعة أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة عند رسول الله ﷺ فكلمته ورجت أن يصفح عنهما وقد كان ذلك وأسلما وحسن إسلامهما.

٢٧- الحث على الرحمة بالمنكوبين وتربية الأمة على ذلك أشارت لذلك أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- عندما قصت خبر هجرتها من مكة إلى المدينة وما وجدته من مروءة عثمان بن طلحة وقد كان على دين قومه، فهذا درس لكل مسلم بأن يلتزم الرحمة بالمصاب ويتصف بصفات النبل والمروءة.

٢٨- الحث على الرحمة وملاطفة الأهـل في جميـع الأحـوال مـا لم يكـن في ذلك إثم، أشارت لذلك أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- حيـث روت كيف كان ﷺ يلاطفها إلى حد أنه كان يصلـي في الثـوب الـذي ينام معها فيه ما لم ير فيه أذى.

٢٩- التأكيد على الرحمة وحسن المعاملة مع الأهل، تمثل ذلـك في مـا جـاء عن أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- أنه ﷺ قـد اغتسـل مـن بقيـة ماء كانت في جفنة قد اغتسلت منها، يـدل هـذا علـى الرحمـة وحسـن المعاملة مع الأهل منه ﷺ.

٣٠- التربيـة علـى العفـو والصفـح والتسـامح، أشـارت لذلـك أم المؤمنـين **ميمونـة** -رضـي الله عنهـا- في حديـث روتـه عـن رسـول الله ﷺ عنـد مـا أعتقـت جاريتهـا في غيبتـه ﷺ، فلمـا حضـر أخبرتـه بـالأمر فلم يعنف ولم يزجر عليه الصلاة والسـلام، بـل دعـا لهـا وأرشـدها إلى الأفضل وهو أن لو أعطتها لأخوالها لكان أعظم لأجرها.

الفصل الثالث

أساليب الدعوة عند أمهات المؤمنين

المبحث الأول: أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين.

سبق الحديث عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من كلمتي الأسلوب والحكمة في تمهيد هذا البحث[1]، وإتماماً لما سبق أقول:

أولاً: الأسلوب:

الأساليب في اللغة جمع أسلوب، وقد أتى في لغة العرب على عدة معان منها:

١- الطريق[2].

٢- الوجه[3].

٣- المذهب[4].

٤- الفن[5].

٥- الطريقة[6].

---

(١) راجع (ص١٢) من التمهيد.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة سلب (٤٧٣/١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري (٤٣٥/١٢).

(٤) انظر: تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي (٧١/٣) تحقيق: إبراهيم الترزي. ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٥) لسان العرب لابن منظور (٤٧٣/١).

(٦) المصدر السابق (٤٧٣/١).

وعُرِّفَ في الاصطلاح بعدة تعريفات منها:

١- هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته[١].

٢- هو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير[٢].

يؤخذ من مجموع هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية أن تعريف الأسلوب هو: الطريقة المقنعة المؤثرة في الشخص المناسبة لحاله.

ثانياً: الحكمة:

تقدم أن الحكمة في اللغة جاءت بعدة معان[٣].

وجاءت الحكمة في القرآن الكريم على معانٍ منها:

الإصابة في القول والفعل[٤]، وقيل: العقل[٥]، وقيل: المعرفة بالدين والفقه فيه[٦]، وقيل: تفسير القرآن والفقه به ومعرفة محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه[٧]، وقيل: هي الخشية[٨]، وقيل: هي المقالة المحكمة

---

(١) خصائص القرآن. للدكتور: فهد الرومي (ص١٨) الطبعة الرابعة: ١٤٠٩هـ.

(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، تأليف: أحمد الشائب (ص٤٤) الطبعة السابعة: ١٣٩٦هـ. ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر.

(٣) راجع (ص١٢-١٣) من التمهيد.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٨٩/٣).

(٥) المصدر السابق (٩٠/٣).

(٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) (٢٦٨/١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣٠/٣).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٩٠/٣).

الصحيحة[1]، وقيل: هي توفيق العمل بالعلم[2]، وقيل: هي السنة[3]، وقيل: هي النبوة[4]، وقيل: هي القرآن[5].

قال القرطبي -رحمه الله- بعد أن استعرض كثيراً من التعريفات السابقة للحكمة: «وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض، لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه. فقيل للعلم حكمه؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح....»[6].

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في تعريف الحكمة قوله: «وأما الحكمة ففيها أقوال.... قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم

---

(١) تفسير النسفي للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٢/٣٠٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (ت:٥٣٨هـ) (١/١٦٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) (١/١٨٤).

(٤) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي (ص١١٢) طبعة عام (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (٢/٤١٧) تحقيق: خضر محمد خضر.

(٦) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٣/٣٣٠).

من له ذلك. قال أبوبكر بن دريد: «كل كلمة وَعَظَتْك وزَجرتْك أوْ دَعَتْك إلى مكرمة أوْ نَهَتْكَ عن قبيح فهي حكمة وحكم»[1].

ولو أمعنا النظر في تلك الأقوال لوجدنا أنها تدخل ضمن القول بأنها هي الإصابة في القول والفعل ووضع كل شيء في موضعه أوضح ذلك الإمام الطبري -رحمه الله- عند تأويل قوله تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتِيَ خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾[2].

فقال -رحمه الله-: «قد بينا فيما مضى معنى الحكمة، وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء، وأنها الإصابة بما دل على صحته فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع، وإذا كان كذلك معناه كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهّماً خاشياً لله فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه؛ لأن الأنبياء مسددون مُفَهَّمون ومُوَفَّقُون لإصابة الصواب في الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة، فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد أوتي خيراً كثيراً»[3].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٣).

(٢) سورة البقرة، آية: (٢٦٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣/٩١) ط. دار الفكر، بيروت – لبنان.

ويمكننا في ضوء ما تقدم أن نعرِّف أسلوب الحكمة في الدعوة إلى ا لله بأنه «العلم الذي تعرف به كافة المحاولات لهداية الناس وتبليغهم الإسلام بعيداً عن الحماقات والأهواء بإعطاء كل أمر ما يناسبه، وبوضع الأشياء في مواضعها»[1].

فالدعوة بأسلوب الحكمة ميدان ناجح لكسب المناوئين والمحرومين من نور الهداية وذلك «بالنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، كما يختار الطريقة التي يخاطبهم بها وينوعها حسب مقتضيات الحال، فلا يستبد به الحماس والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه»[2].

والدعوة بالحكمة هي الأسلوب الأمثل والأفضل الواجب اتباعه في أي أمر من أمور الدعوة وما يتعلق بها، بعيداً عن ردود الفعل الخالية من التعقل والخطوات غير المدروسة مجهولة النتائج.

ثالثاً: أثر أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين.

لقد بين القرآن الكريم كثيراً من طرق وأساليب الدعوة إلى ا لله تعالى، وتعتبر الحكمة في الدعوة إلى ا لله في مقدمة هذه الطرق والأساليب الدعوية، يؤكد ذلك أمر ا لله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالدعوة إلى ا لله تعالى بالحكمة،

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني (ص١٧) الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ط. دار عمار، عمان - الأردن.

(٢) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب -رحمه ا لله- (٢٢٠٢/٤) سورة النحل، آية رقم: (١٢٥).

قال سبحانه: ﴿**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[1].

ومما يثبت أثر أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله، وأنه من أعظم الأمور الأساسية في الدعوة، ثبوت اختصاص الله عزَّ وجلَّ نبيه به، فقد ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان أبوذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: "فُرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست[2] من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء..." الحديث[3].

وفي تأكيد شأن الحكمة وعظم أمرها ما أشار إليه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾[4].

وقد كان لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- أوفر النصيب في هذا الشأن، فقد سلكن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة من أول بدء الوحي على رسول الله ﷺ، جاء ذلك في مواقف جليلة سُطرت **لأم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- من خلال أقوالها وأفعالها وتصرفاتها الحكيمة مع

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

(٢) إناء كبير مستدير. انظر: المعجم الوسيط، مادة (طست) (٢/٥٥٧).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٦٣) (ص٩١) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٦٩).

رسول الله ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام في أمسِّ الحاجة لذلك في تلك الفترة التي بدأ فيها نزول الوحي عليه ﷺ وجَدَّ به السير في بث رسالة الإسلام الخالدة إلى البشرية.

إن من دلائل وفور العقل والحكمة في دعوة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- مؤازرتها التامة والكاملة له ﷺ قبل بعثته، حيث كانت نعم الزوجة لزوجها في طاعته والبِرِّ به.

ومن ذلك بذلها النفس والنفيس له ﷺ، حيث كانت توفر له كل ما يحتاج إليه في تعبده وخلوته في غار حراءٍ حتى نزل عليه الوحي وأكرمه الله بالرسالة.

ومما يدل على حكمتها -رضي الله عنها- ونور بصيرتها، تصديقها وتسليمها له لما بدأه الله بالوحي والنور.

ومن دلائل حكمتها -رضي الله عنها- سرعة استجابتها للإسلام، إذ كانت سباقة الخلق إلى الإسلام[1]، ولم تكتف -رضي الله عنها- بذلك بل شرعت في الدعوة إليه فعرضت الإسلام على بناتها فاستجبن لله ورسوله وكن من السابقات[2] إلى الإسلام.

---

(١) قال ابن عبدالبر: «هي أول من آمن بالله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، وهذا قول قتادة والزهري وعبد الله بن محمد بن عقيل وابن إسحاق وجماعة، قالوا: خديجة أول من آمن بالله عزَّ وجلَّ من الرجال والنساء، ولم يستثنوا أحداً». انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبدالبر (٢٧٤/٤)، ونقل الإمام النووي عن الثعلبي -رحمهما الله- اتفاق العلماء على أسبقية خديجة إلى ساحة الإيمان بالله ورسوله، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها. وقال الإمام النووي: إنه الصواب عند جماعة المحققين. وقال النووي أيضاً: ذكر الزهري وخلائق من العلماء أنها أول من أسلم وآمن بالنبي ﷺ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣٤١/٢).

(٢) قال ابن سعد عند ترجمة كل واحدة منهن: (وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١/٨-٣٦-٣٧).

وضمت -رضي الله عنها- إلى دورها السابق الذي قامت به في تثبيت النبي ﷺ وتبشيره، دوراً جديداً برز من خلاله ما وهبها الله عزَّ وجلَّ من الحكمة والبصيرة والنظر في عواقب الأمور ووزنها بميزان التقوى فآثرت الآخرة على الدنيا، لقد وقفت -رضي الله عنها- بجانبه في مرحلة تبليغ الدعوة، ومواجهة عناد المشركين وإعراضهم وعدوانهم تشد أزره وتواسيه وتقويه، وما أكثر ما لقي عليه الصلاة والسلام من عناد المشركين وأذاهم، وصبرت -رضي الله عنها- وهي بجانبه عليه الصلاة والسلام وصابرت، لقد كانت محنة النبي ﷺ والمسلمين في سنوات المقاطعة الظالمة الثلاث أقسى المحن التي مرّت بها الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة قبل الهجرة، وكان لأم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- دور كبير في تخفيف المحنة وفي مواساة النبي ﷺ والمسلمين في أثنائها، حيث دخلت -رضي الله عنها- معه في شعب أبي طالب وقت المحاصرة والمعاهدة المشئومة التي دامت ثلاث سنوات[1].

وهذه **أم المؤمنين سودة** -رضي الله عنها- تتنازل عن ليلتها مع رسول الله ﷺ لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- رغبة منها في الحرص على الخير العظيم المتمثل في بقائها تحت مسمى أمهات المؤمنين، ذلك حين رأت كبر سنها، وقلة رغبته ﷺ فيها، فآثرت حبه ورغبته ﷺ على حبها

---

(١) قال ابن إسحاق: ((وقد كان أبو جهل ابن هشام -فيما يذكرون- لقي حكيم بن حزام بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب)) انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٧٥-٣٧٦).

ورغبتها، وقد كان هذا منها من الحكمة والإصابة في القول والعمل.

ولقد تبوأت أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- منزلة عالية في التقوى والورع، وذلك بشهادة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لها بقولها: (ما رأيت امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة...)[1] الحديث.

لقد وُفِّقتْ أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- إلى العمل بالعلم فقد ورد عنها في هذا الشأن شدة حرصها على اتباعه ﷺ وتنفيذ أمره، فقد جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- (أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال: "إنما هي هذه الحجة، ثم الزمن ظهور الحصر")[2]. فكن كلهن يحججن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش[3]-رضي الله تعالى عنهن-.

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣) (ص٥٨٣) كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٩٧٦٤) (ص٧٠٣). انظر حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: مجموعة من العلماء، وقد حسنوا إسناده، (١٥/٤٧٦).

(٣) توضيحاً لهذه النقطة أورد كلام أهل العلم في توضيح المراد من الحديث السابق وأنه لا يقدح في مكانة أمهات المؤمنين الأخريات لأن الكل مجتهد. فمما روى في ذلك: «أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال: ثبت أنه قيل لسودة -رضي الله عنها-: ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت وأمرني الله تعالى أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. وذلك مبني على اجتهادها كما أن خروج الأخوات مبني على اجتهادهن، -والمراد من قوله ﷺ في الحديث السابق- هو أنكن لا تعدن تخرجن بعد هذه الحجة من بيوتكن وتلزمن الحصر وهو جميع حصير الذي يبسط في البيوت من القصب، وهو في معنى النهي عن الخروج للحج، وهذا يشكل في خروج سائر الأزواج. وأجيب بأن الخبر ليس نصاً في =

ولقد كان لأم المؤمنين **سودة** -رضي ا لله عنها- من اتباع هديه ﷺ في الإنفاق في سبيل ا لله أوفر نصيب، فقد وُفقت في باب العمل بالعلم أعظم توفيق، (فقد روي في السير أن عمر -رضي ا لله عنه- بعث إلى **سودة** -رضي ا لله عنها- بغرارة[1] دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت في الغرارة مثل التمر؛ يا جارية: بلغيني القُنْع[2]، ففرقتها)[3].

النهي عن الخروج للحج بعد تلك الحجة، وإلا لما خرج لـه سائر الأزواج الطاهرات من غير نكير أحد من الصحابة -رضوان ا لله تعالى عليهم- بل جاء أن عمر -رضي ا لله عنه- أرسلهن للحج في عهده وجعل معهن عثمان وعبد الرحمن بن عوف -رضي ا لله عنهما- وقال لهما: إنكما ولدان باران لهن فليكن أحدكما قدام مراكبهن والآخر خلفها، و لم ينكر أحد فكان إجماعاً سكوتياً على الجواز، فكأن زينب وسودة -رضي ا لله عنهما- فهما من الخبر: قُضِيَتْ هذه الحجة أو أُبيحت لكن هذه الحجة بخصوصها ثم الواجب بعدها عليكن لزوم البيوت فلم يحجا بعد ذلك، وغيرهما فهم منه المناسب لَكُنَّ أو اللائق بِكُنَّ هذه الحجة أي جنسها، أو هذه الحالة من السفر للحج أو لأمر ديني مهم ثم بعد الفراغ المناسب أو اللائق لزوم البيوت، فيكون مفاده إباحة الخروج لذلك، ومن أنصف لا يكاد يقول بإفادة الخبر الأمر بلزوم البيوت والنهي عن الخروج منها مطلقاً بعد تلك الحجة بخصوصها، فإن النبي ﷺ مرض في بيت عائشة -رضي ا لله عنها- وبقي مريضاً فيه حتى توفي عليه الصلاة والسلام ولا يكاد يشك أحد في خروج سائرهن لعيادته، أو يتصور استقرارهن في بيوتهن غير بالّين شوقهن برؤية طلعته الشريفة حتى توفي ﷺ فإن مثل ذلك لا يفعله أقل النساء حباً لأزواجهن الذين لا قدر لهم فكيف يفعله الأزواج الطاهرات مع رسول ا لله ﷺ .... ». روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للشيخ محمود الآلوسي (١٢/٢٢).

(١) الغِرارَةُ: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. وجمعه غرائر. المعجم الوسيط (٦٤٨/٢).

(٢) القنع: هو الطبق من عُسُب النخل يؤكل عليه، أو تجعل فيه الفاكهة وغيرها. المصدر السابق (٧٦٣/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٩/٢) الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

ولقد فسرت الحكمة بالسنة، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات ا لله والحكمة إن ا لله كان لطيفاً خبيراً**﴾[1].

قاله ابن عباس[2] وقتادة[3] والحسن[4] ومقاتل[5] بن حيان وأبو مالك[6] والشافعي[7].

وإذا تقرر ذلك فكل ما ورَّثته أمهات المؤمنين -رضوان ا لله تعالى عنهن- من العلم الشرعي المتمثل في الأحاديث النبوية التي روينها عن رسول ا لله ﷺ يدخل في ذلك، فبهذا التفسير البليغ لمعنى الحكمة يشمل وصف الحكمة جميع أمهات المؤمنين اللائي نقلن السنة المطهرة من داخل حجراته ﷺ. وقد كان لأم المؤمنين **سودة** -رضي ا لله عنها- كغيرها من أمهاتِ المؤمنين في ذلك نصيب، فقد قال الإمام الذهبي -رحمه ا لله- في ذلك: «يروى لسودة خمسة أحاديث: منها في الصحيحين حديث واحد عند البخاري»[8].

وتشير **أم المؤمنين عائشة** -رضي ا لله عنها- إلى أهمية الحكمة وضرورة

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١٤٦/١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تفسير آي القرآن للإمام الطبري (٩/٢٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٨٤/١).

(٥) المصدر السابق (١٨٤/١).

(٦) المصدر السابق (١٨٤/١).

(٧) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (ص٣٢، ٧٦-٧٩، ٩٣، ١٠٣).

(٨) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢٦٩/٢).

تحصيلها والعمل بها للمؤمن، خاصة لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين حيث يتعين ويتوجب الأخذ بالحكمة لمن كان كذلك. أوضح ذلك الإمام البخاري -رحمه الله- في الصحيح، فقد أورد في كتاب العلم بابا سمَّاه: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، وذكر حديثاً لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا الشأن، فقد روى بسنده (عن الأسود[1] قال: قال لي ابن الزبير: كانت **عائشة** -رضي الله عنها- تُسِرُّ إليك كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: "يا عائشة لولا قومك حَدِيثٌ عَهْدُهم -قال ابن الزبير- بكفرٍ، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يَدْخُلُ الناسُ وباب يخرجون" ففعله ابن الزبير)[2].

وقد أكَّدَ الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على أهمية الحكمة عند استنباطه لفوائد هذا الحديث، وتعرض لأمر مهم جداً يهم كل الدعاة إلى الله والمحتسبين، ألا وهو موضوع ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في منكر أكبر منه، وهذا هو الحكمة بعينها، فقد قال -رحمه الله-: «وفي الحديث معنى ما ترجم له -أي البخاري رحمه الله- لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً، فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غَيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن

---

(١) تقدمت ترجمته (ص٢٠٩).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٦) (ص٤٥) كتاب العلم، باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه.

الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً»[1].

وتفيد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في جانب جدُّ خطير يتعلق بحقيقة مهمة وركن راسخ في الدين، وذلك من توفيق الله عزَّ وجلَّ لها وفضله عليها بما وهبها سبحانه من الحكمة والبصيرة في الدين.

فقد جاء عنها -رضي الله عنها- في صحيح مسلم حديثاً أثبتت من خلاله صِدْق النبي ﷺ في تبليغه لرسالة ربه وعدم كتمه شيئاً مما هو مؤتمن عليه، وقد كان لهذا الحديث أعظم الأثر على الأمة كلها، فأهل الإيمان والهدي زادهم إيماناً مع إيمانهم، وأهل الضلال والأهواء كان حجة دامغة لأهوائهم وضلالاتهم.

فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى مسروق[2] قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، -ومما ذكرته في ذلك قولها- قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...**﴾[3] الآية.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٢٢٥) بتصرف.

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، الإمام القدوة العلم، قال أبونعيم: مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٦٣)، وطبقات ابن سعد (٦/٧٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم جزء من حديث رقم: (١٧٧) (ص٩٧) كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

وفي زواية: قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: **﴿وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا لله وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه﴾**[1].

ولقد زين ا لله سبحانه وتعالى أم المؤمنين عائشة -رضي ا لله تعالى عنها- بالعقل السليم الذي يرشد صاحبه إلى الهدى والرشاد وسعادة الدارين بإذن ا لله عزَّ وجلَّ، ومما يدل على توفيق ا لله لأم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- في ذلك، عند ما نزلت آيات التخيير من رب العالمين على رسوله ﷺ في شأن أزواجه عليه الصلاة والسلام. بدأ ﷺ بأم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- وعرض عليها ما أنزل ا لله عزَّ وجلَّ، فبادرت مبادرة العاقل الحكيم العامل بما يسعده في الدنيا والآخرة واختارت ا لله ورسوله، فقد جاء في الصحيح: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: (لما أُمِرَ رسول ا لله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن ا لله جل ثناؤه قال: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾** -إلى- **﴿أجراً عظيماً﴾** قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد ا لله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت)[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٩٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب: **﴿وإن كنتن تردن ا لله ورسوله والدار الآخرة فإن ا لله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾**.

وفي رواية لمسلم: أن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك، فقال لها النبي ﷺ: (إن الله أرسلني مبلغاً و لم يرسلني متعنتاً)[1].

وفي توضيح منقبة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا الحديث ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث حيث قال: «وفيه فضل عائشة -رضي الله عنها- لبداءته بها... وفيه منقبة عظيمة **لعائشة** -رضي الله عنها- وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها لسؤالها النبي ﷺ أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه ﷺ لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها لم يسعفها بما طلبت من ذلك»[2].

وقد يقول قائل إن ظهور هذه الحكمة في الاختيار قد وفق لها جميع أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، فأي وجه لاختصاص أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بها؟ والجواب على ذلك يتلخص في التالي:

١- صغر سنها حين اختارت الله ورسوله، وهذا لم يتأت لغيرها من أمهات المؤمنين.

٢- أسبقيتها لهذا الاختيار يدل على أنها هي القدوة في هذا العمل الصالح

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٧٥) (ص٥٩٦) كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى: ﴿**وإن تظاهرا عليه...**﴾.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد على بن حجر العسقلاني (٥٢٢/٨) بتصرف.

وهن لها تبع. يدل على ذلك طلبها منه ﷺ أن لا يخبر أزواجه برأيها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ.

٣- عدم تأجيلها الأمر لحين مشاورة والديها كما عرض عليها ﷺ، يدل على بعد نظرها وحكمتها حيث بادرت إلى اختيار الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة.

وفي موقف آخر لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- يتضح من خلاله حكمتها في تثبتها من الأمور وتحققها منها، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني، أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزلْ أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية؟ قال: وما تقول؟ قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مداً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر...)[1] الحديث.

ومن خلال هذا الحديث تتضح ثمار هذا الموقف الحكيم من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في حبسها للمرأة اليهودية وتلهيتها لحين مجيء النبي ﷺ لِتُسمعه ما سمعت وتعلم علم اليقين مدى مصداقية هذه الدعوات التي دعت بها اليهودية، كما استفادت الأمة من هذا الموقف تقريره ﷺ لهذه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٥٦٠٢) (ص١٨٧٢) حديث السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- والحديث رجاله رجال الصحيحين. انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٣/٨) أبواب عذاب القبر.

الدعوات من اليهودية وأنها حق وتعلمتها الأمة بهذه المناسبة، كما ثبت بها إقرار هذا الأمر الغيبي من أمور الآخرة، المتعلق بنعيم القبر وعذابه، وكذلك فتنة الدجال التي هي من أشراط الساعة نسأل الله السلامة والعافية.

ولقد أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة في كثير من أقوالها وإجاباتها الحكيمة الموفقة المسددة إذ غدت بمثابة منهج حياة لكل مسلم، والتي تدل على نور الحكمة الذي آتاها الله عزَّ وجلَّ، فقد روى الحاكم -رحمه الله- عن جبير[1] بن نفير قال: حججت فدخلت على **عائشة** -رضي الله عنها- فقالت لي يا جبير: تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه)[2].

وفي رواية المسند (...وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: القرآن)[3].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي. روى عن أبيه وأبي ذر وأبي الدرداء وغيرهم وروى عنه ابنه عبد الرحمن ومكحول وأبو الزاهرية وغيرهم. قال أبو حاتم: ثقة من كبار تابعي أهل الشام، وقال أبو زرعة: ثقة. مات سنة ٧٥هـ وقيل: ٨٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦٤/٢).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٣١١/٢) كتاب التفسير. تفسير سورة المائدة. قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٦٠٦٣) (ص١٩٠٣) حديث السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي. انظر: بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا -رحمه الله- (١٢٥/١٨). وانظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢/٢).

ومن خلال هذا الحديث يظهر ما وهب الله عزَّ وجلَّ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من العلم والحكمة، فقد أفادت الزائر لها بفائدة عظيمة، إذ دَلَّتْهُ على باب من العلم منبعه الأحكام الواردة في سورة المائدة معللة ذلك بأن هذه السورة من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ، وهذا من دلائل حكمتها -رضي الله عنها-.

ولما أفاضت العلم على زائرها، تولدت عنده الرغبة الشائقة في زيادة التعلم والتبصر بالهدي النبوي الذي كان عليه ﷺ فسألها عن خلقه ﷺ، وأتت الإجابة الحكيمة الموفقة من أبلغ ما سمعه البشر بعد حديث رسول الله ﷺ، إذ غدا جوابها هذا معلوماً لدى الأمة كلها تتناقله جيلاً بعد جيل ويعلمه الصغير والكبير، ذلكم حين أجابته بكلمة واحدة فقط هي قمة البلاغة ومنتهى الإيجاز حيث قالت -رضي الله عنها-: "القرآن" أي أن خلقه وآدابه مصدرها القرآن، وتكون بهذا قد وجَّهت الأمة كلها إلى مصدر الحكمة ومنبعها الفياض وهو كتاب الله.

ولقد نهلت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من معين النبوة الصافي الشيء الكثير، فكانت من علماء الأمة الذين نفع الله بهم فعلموا وعلَّموا، بالحكمة التي وهبهم الله، وكانت -رضي الله عنها- مضرب مثل في ذلك، إذ حباها الله عزَّ وجلَّ حباً وشغفاً بالعلم، فقد كانت لا تمر بها مسألة أو حادثة تستطيع أن تفيد بها الأمة إلا وسألت عنها رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما رواه الحاكم -رحمه الله- عن **عائشة** -رضي الله عنها-

قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال: سبحانك اللهم ربي وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، فقلت له يا رسول الله!: ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت، قال لا يقولهن من أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه[1].

وفي توضيح المعنى المقصود بالمغفرة الوارد في الحديث وأن عمومه مخصوص بما عدا الكبائر وغيرها من تبعات العباد قيل في ذلك: «عموم المغفرة الوارد مخصوص بما عدا الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة أو بالفضل الإلهي وبما عدا تبعات العباد، لأن إسقاطها موقوف على رضا ذي الحق، وهذا التخصيص مأخوذ من أحاديث أخر، ...وترتب على هذا الذكر مغفرة ما كسب في ذلك المجلس لما فيه من تنزيه المولى سبحانه والثناء عليه بإحسانه والشهادة بتوحيده ثم سؤال المغفرة من جنابه وهو الذي لا يخيب قاصد بابه»[2].

ولئن كان وصف الحكمة يشمل كل من أخذ من العلم ونقل شيئاً من الميراث النبوي، فقد تبوأت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في ذلك

(١) المستدرك على الصحيحين في الحديث للحاكم النيسابوري (١/٤٩٦-٤٩٧) كتاب الدعاء، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر: تلخيص المستدرك في حاشية المستدرك للإمام الذهبي (١/٤٩٧).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين وهو شرح كتاب رياض الصالحين للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي (ت:١٠٥٧هـ) (٣/٣١٥) بتصرف.

أعلى المنازل وأرقى الدرجات وأسمى المقامات، **فهي إذاً** من أئمة الحكماء والعلماء الذين وَرَّثوا للأمة معظم شريعة الإسلام التي استقوها من رسول الله ﷺ، ومن ذا الذي يستطيع أن يباري أو يجاري أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا المضمار، لقد كانت بلا منازع هي فارس الحلبة، وهي (جُذَيْلُها المحكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ)[1]، فقد «بلغ مسند حديثها الذي روته عن رسول الله ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين»[2].

هذا ولقد شاركت **أم المؤمنين حفصة** -رضي الله عنها- في هذه المنقبة، فنقلت للأمة من ميراث النبوة الشيء الكثير، وامتثلت -رضي الله عنها- لأمر الله في نقلها الحكمة التي أمرهن الله بذكرها والواردة في قوله تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان**

---

(١) هذا القول ينسب لسعيد بن عُطارد، وقيل بل هو للحباب بن المنذر، والمعنى: أنه قصد بالجذيل ههنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يشتفي بهما كما تشتفي هذه الإبل الجَرْبـي بهذا الجِذْل، وصَغَّره على جهة المدح. ومعنى عذيقها المرجب: تصغيراً لعذق النخلة وهو تصغير تعظيم، والترجيب هنا إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط، إذا خيف عليها أن تقع لطولها وكثرة حملها، والتصغير للتعظيم. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (جذل) (١٠٧/١١)، ومادة (عذق) (٢٣٨/١٠)، ومادة (رجب) (٤١٢/١).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) بتصرف.

لطيفاً خبيراً﴾[1]. فقد تلقى عنها هذا الميراث النبوي الرجال والنساء، وكان على رأس الرجال أخوها الصحابي الجليل عبد الله بن عمر وهي أكبر منه بست سنين، وقد أطنب وأجاد، وغُبط من بعض الصحابة لمكانته من رسول الله ﷺ، ولكثرة دخوله على **حفصة** -رضي الله عنها- وسؤالها في كثير من أمور الدين، وممن روى عنها -رضي الله عنها- من الرجال: حارثة بن وهب، وشتير بن شكل، والمطلب بن أبي وداعة[2] وغيرهم. وقد تلقت جماعة من النساء الحديث الشريف عن أُمنا **حفصة** -رضي الله عنها- ورويته وحفظنه، منهن الصحابية الكريمة أم مبشر الأنصارية، وامرأة أخيها صفية بنت أبي عبيد، وغيرهما[3].

ومما يؤكد سبقها -رضي الله عنها- في هذا الشأن ونجاحها في دعوتها إلى الله بأسلوب الحكمة المفسرة بأنها هي السنة[4]؛ شهادة العلماء لها بذلك فقد أورد الإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري أسماء طائفة من الصحابة الذين رويت عنهم مسألة أو مسألتان أو أكثر بقليل من الفتيا، وسرد أسماء عدد من أعيان الصحابة، كما سرد أسماء عدد من الصحابيات

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٢٧).

(٣) تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٢/٤١٠).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) (١/١٨٤).

وذكر منهن أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها-[1].

ويشهد لذلك ما أورده الذهبي -رحمه الله- حيث ذكر أن مسندها -رضي الله عنها- في كتاب بقي بن مخلد ستون حديثاً، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث[2].

ولقد شهد لها الفاروق -رضي الله عنه- بالحكمة، وذلك حين أوكل إليها رعاية أملاكه والإشراف عليها، (فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن عمر أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما أصبت مالاً أنفس منه عندي فما تأمر؟ فقال ﷺ: "إن شئت تصدقت بها وحبست أصلها"، فجعلها عمر -رضي الله عنه- صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتَصَدَّق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل والغزاة في سبيل الله والضعيف وفي الرقاب، لا جناح على من وَلِيها أن يأكل منها، ويطعم صديقاً غير متمولٍ مالاً. قال: وأوصى لمتابعة أمر هذه الأملاك إلى حفصة أم المؤمنين. ثم إلى الأكابر فالأكابر من ولده)[3].

ومما يزين الرجل في عقله، ويؤكد رسوخ قدمه في صواب الرأي وسداده؛

---

(١) بتصرف من كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١/١٢-١٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٠).

(٣) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (ص١٤٨) تحقيق: د. إحسان صدقي، الطبعة الأولى. ١٩٨٩م. ط. مؤسسة الشراع العربي، الكويت. وانظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (٢/٣٦٤) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. وهذا الحديث أصله في صحيح البخاري الحديث رقم (٢٧٣٧) (ص٥٧٥) كتاب الشروط، باب: الشروط في الوقف.

استشارته لأصحاب العقول الوافية والآراء السديدة؛ ليستنير برأيهم ويغرف من بحر حكمتهم. وإذا كانت المشورة في الأمور الخاصة تعتبر وسام شرف للمستشار حيث جُعل مكان الثقة ومصدر الرأي والحكمة فكيف إذا كانت المشورة في الأمور العامة للمسلمين، وكيف إذا كان طالب المشورة هو عمر -رضي الله عنه- وما أدراك ما عمر أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، فإن الأمر إذا كان كذلك فهذا دليل على المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي يتمتع بها هذا المستشار، وقد كان هذا الشرف وهذه الشهادة بالحكمة لأم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها-، وذلك حين دخل عليها أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه-، فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمَّني فافرجيه عني. في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت **حفصة** -رضي الله عنها- رأسها واستحيت. فقال: إن الله لا يستحي من الحق. فأشارت بيديها أربعة أشهر. فكان لا يُغْزي جيشاً له أكثر من أربعة أشهر -وفي رواية- ستة أشهر[1].

ولقد اكتفت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- بالإشارة دون القول في الإجابة على سؤال أبيها لها، وهذا يدل على حكمتها في الإجابة الموفقة

---

(١) انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لابن الجوزي (ص٨٤) تحقيق: ابراهيم القاروط. ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. وهذه الحادثة سببها حين تفقد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رعيته ليلاً فسمع امرأة من نساء المسلمين وهي تنشد أبياتاً من الشعر في شوقها وحنينها لفراق زوجها الذي خرج مجاهداً في سبيل الله. فكان سؤال أمير المؤمنين -رضي الله عنه- لابنته للعلم بهذا الأمر حتى لا يكون -رضي الله عنه- سبباً في تأخير الغزاة عن نسائهم مدة طويلة.

وعلى أدبها وحيائها وكيف لا يكون هذا وقد تربت في بيت النبوة، وَنَهَلَتْ من معينه ﷺ وتخرجت من مدرسته.

ومما اختص الله به **أم المؤمنين زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- في هذا الشأن؛ تميزها بجانب مهم كان من أبلغ الأدلة على اتصافها بالحكمة فقد كانت -رضي الله عنها- لها حظ كبير في ذلك؛ حيث تفرغت لعبادة ربها ومراقبته وخشيته سبحانه وتعالى، وأقبلت بقلبها وقالبها على ذلك، فلم تذكر عنها كتب السير والتراجم أي موقف لها فيه تنافس أو تنازع مع أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- مما قد يفرضه الحال بين الضرائر من الطباع البشرية، وإن لم تكن الحكمة في مثل هذا النهج الذي اختطته أم المؤمنين **زينب** -رضي الله عنها- لنفسها فأين تكون. وقديما قيل: (الصمت حكم وقليل فاعله)[1].

نعم لقد كانت أُمُّنا **زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- خَيِّرةً من الخيِّرات، طيبة من ذوي النفوس الطيبة، وما كان يخرج من حجرتها إلا الصدقات، وإلا الطاعات، فأكرم وأعظم بذلك.

لقد دخلت -رضي الله عنها- بيت رسول الله ﷺ في هدوء الأبرار وصمت العابدين، وخرجت في صمت الخاشعين، الحكماء العابدين، فرضي الله

---

(١) والحكم: الحكمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمَ صَبيّاً﴾ ومعنى المثل: استعمال الصمت حكمة، ولكن قَلَّ من يستعملها، انظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني (٢/٢٢٩) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

عنها وعن أمهات المؤمنين.

ولا شك أن هناك قاسماً يجمع بين أمهات المؤمنين، وذلك لأن قُرْبَهُنَّ من النبي الكريم ﷺ منحهن خصائص عظيمة من الحكمة والعقل والطهر، بيد أن كل واحدة منهن اتسمت بسمة مميزة تبوأت من خلالها فضلاً خاصاً عرفت به، وسوف أعرض للسمات الخاصة التي ميزت **أم المؤمنين أم سلمة** -رضي الله عنها- بالحكمة والعقل، واشتهرت من خلالها، وليس معنى ذلك أن باقي الزوجات الطاهرات خَلَوْنَ من هذه الصفات، ولكن هذه السيدة الجليلة حباها الله خصائص أكثر من غيرها، أو هي في تلك الصفة ذات منزلة متميزة.

فأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- تميزت بِسِمَةٍ رجاحة العقل، وسداد الرأي، والحكمة في تصريف الأمور.

ولدى التأمل في العوامل الطبيعية الوراثية نجد أنها سليلة آباء كرام سادة، وكثيراً ما يسود الرجل قومه بفعل العوامل الوراثية، فأبوها مثلاً هو سهيل الملقب بزاد الراكب[1] وهو أبو أمية كان سيداً في قومه، عُرِف بأنه أحد الأجواد الذين يشار إليهم بالبنان، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزاد.

ويذكر النسَّابون أن من أجدادها لأمها: علقمة ويلقبونه بأنه كان جِذْلُ الطعان[2]، وقد اكتسب ذلك اللقب لشجاعته المتميزة.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٢/٢).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٦/٨). ومعنى جذل الطعان: الجذل: هو الواتد الثابت الذي لا يبرح مكانه، والمعنى: أنه ثابت ثبوت الوتد الطعان، كناية عن شجاعته. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (جذل) (١٠٧/١١).

وأم سلمة -رضي الله عنها- مع كونها سليلة آباء لهم شهرتهم بين أفراد قومهم اكتسبت صفة النسب العالي الصريح، فهي مخزومية من قريش، وهي زوجة المجاهد الصابر أبو سلمة -رضي الله عنه-، وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة إلى أن رحل عنها.

استفادت **أم سلمة** -رضي الله عنها- من هذه العوامل الفاعلة، وخبرتها في البيت المسلم، ثم ما اكتسبته في بيت النبوة، وأضافت إلى ذلك كله أنها أضحت بعد وفاة الرسول ﷺ مرجعاً من مراجع المسلمين في الفتوى والفقه والمشورة، حيث تُعد -رضي الله عنها- من الصحابيات الفقيهات العالمات بأحكام الشرع ومقاصده، فقد كانت مرجعاً للصحابة والتابعين، يسألونها عَمَّا بَدَرَ لهم من مشكلات وقضايا تهم الأمة، فأم سلمة في مجال الرواية روت عن النبي ﷺ وعن أبي سلمة وعن فاطمة بنت محمد ﷺ. وروى عنها ابنها عمر وابنتها زينب وأخوها عامر ومكاتبها نبهان وخلق كثير[1].

وإذا كان يستحق العالم بالسنة أن يوصف بوصف الحكيم فكيف بمن كان سبباً في نزول بعض الآيات القرآنية وورود بعض الأحاديث النبوية.

لقد كانت أم سلمة سبباً مباشراً لنزول بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم، حيث كانت تحاور الرسول ﷺ في بعض القضايا التي كانت طرفاً فيها، سألته مرة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٤/٤٤٠).

فأنزل الله تعالى: ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض...**﴾[1].

وأخرج أحمد عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يَرُعْني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت: كنت أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: يا أيها الناس إن الله يقول في كتابه: ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.... أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾[2].

ومما يشهد لها برسوخ القدم في العلم ما ذكره الذهبي في ترجمتها حيث قال: وبلغ مسندها ثلاث مائة و ثمانية وسبعين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر. وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر[3].

وقد أدرك أزواج النبي ﷺ ما تملكه **أم سلمة** -رضي الله عنها- من ملكات وقدرات وحكمة في موازنة الأمور، وسعة الأفق والخبرة فكنَّ يتحاكمن إليها[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم: (٣٠٢٢) (ص٤٨٢)، كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة النساء، وصححه الألباني كما في (ص٤٨٢) طبعة بيت الأفكار الدولية. والآية: (٣٢) من سورة النساء.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧١٣٨) (ص١٩٧٨). والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٢٣٩/١٨). والحديث أخرجه الترمذي من رواية أم عمارة الأنصارية. وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٢١١) (٣٥٤/٥)، وصححه الألباني كما في (ص٥١٠) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٠/٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٦٩/١-٧٠) طبعة عام ١٣٥١هـ، مصر.

وهذا يدلُّ على تسليم مقاليد الحكمة والرأي والإقرار الكامل بالعقل والبصيرة لأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- وهذا بشهادة أقرانها من أمهات المؤمنين.

ومن المواقف التي ظهرت فيها حكمة أم المؤمنين -رضي الله عنها- مشورتها في صلح الحديبية ففي صلح الحديبية وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من مسألة كتابة وثيقة الصلح وشرع في الوفاء بأحد بنودها التي تنص على العودة من غير عمرة وطواف بالبيت، وقف ﷺ أمام أصحابه آمراً قائلاً: "قوموا فانحروا ثم احلقوا"[(١)]، ولكن لم يستجب واحد منهم، وما أصعب أن يلمس القائد من جنوده تباطؤاً وتقاعساً وهو رسول الله ﷺ الذي تعوَّد منهم المحبة والطاعة والولاء، فشق عليه ذلك، فدخل على **أم سلمة** -رضي الله عنها- فقال: "هلك المسلمون، أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا"[(٢)].

وهنا ظهرت الحكمة والعقل والرأي السديد من لدن أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- حيث قالت: "يا نبي الله، أتحب ذلك؟....أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة، حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك[(٣)]" وتظهر حكمتها مرة أخرى حين تعتذر لهم -رضي الله عنها- مشفقة عليهم شفقة الأم الحنون على أبنائها العالمة بصدق نياتهم

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣١-٢٧٣٢) (ص٥٧١ إلى ٥٧٤) كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٥٧١ إلى ٥٧٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص٥٧٣).

فتقول: "يا رسول الله، لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح"[1].

وفعلاً، فقد حدث الذي توقعته أم سلمة (فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما)[2].

وهكذا جلّى الله عن الأمة هذا الموقف العصيب بأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- وظهر ما آتاها الله من الحكمة والبصيرة في تصريف الأمور، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفيه فضل المشورة، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة ووفور عقلها»[3].

ولقد تميزت **أم سلمة** -رضي الله عنها- بحكمة القول، فقد أُثرت عنها مقالات عدة تؤكد ذلك، ومن ذلك حين كلّمت رسول الله ﷺ بأسلوب ملؤه الحكمة والكياسة في شأن رجلين من قومه تربطه بهما صلة القرابة والمصاهرة، وكانا من الذين يؤذون رسول الله ﷺ في مكة وهما: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقد لقيا رسول الله ﷺ بموضع بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلّمته **أم سلمة** -رضي الله عنها- فيهما، ورَجَتْ أن يصفح عن زلتهما فيما مضى، فقالت: يا رسول الله لا يكن ابن عمك، وابن عمتك وصهرك

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٤٧/٥).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣١-٢٧٣٢) (ص٥٧٣).

(٣) فتح الباري بشرح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٤٧/٥).

أشقى الناس بك. قال: لا حاجة لي بهما، أمَّا ابن عمي فهتك عرضي، وأمَّا ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال[1]، فلما بلغهما قوله، قال أبو سفيان بن الحارث: وا لله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بُني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، وعند ما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لهما وأذن لهما، فدخلا وأسلما[2]) وإذ ذاك سُرت أم **سلمة** -رضي ا لله عنها- بقبول شفاعتها وانضمام هذين الرجلين إلى دوحة الإسلام، فجزاها ا لله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولقد كانت أم المؤمنين أم **سلمة** -رضي ا لله عنها- مضرب مثل في الإصابة والإتقان لكثير من الأمور، ومن ذلك ما وهبها ا لله عزَّ وجلَّ في ميدان البلاغة، لقد رزقت ملكةً نادرة في رصف المعاني، وسبك العبارة، وجودة الوصف، وقوة الأسلوب، ولا غرو ولا عجب، فقد نشأت -رضي ا لله عنها- في بيئة عربية صافية تتميز بالفصاحة والبلاغة، وقبيلتها من القبائل التي شُهد لها بالبيان العربي البليغ. وإذا تأملنا النصوص التي تركتها أم **سلمة** -رضي ا لله عنها- وأقوالها ورواياتها المختلفة، يلاحظ تميزها -رضي ا لله عنها- بالفصاحة والبلاغة التي أتت من وراء عقل ناضج حكيم، وأوضح مثال على ذلك ما نقله عنها أصحاب السير والمغازي، وعلى رأسهم ابنِ إسحاق -رحمه ا لله- حيث نقل عنها حدثاً تاريخياً مهماً

---

(١) راجع (ص٥٢٥) حاشية (١) و(٢).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (٣/٤٠٠).

جداً في تاريخ الإسلام صوَّرته أم **سلمة** -رضي الله عنها- تصويراً بلاغياً نادراً، يعتبر من عيون البلاغة والأدب، ذلكم هو روايتها للمحاورة التي تمت في مجلس النجاشي بين مندوبين من كفار قريش وبعض المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وهذا الحدث التاريخي نقلته كتب السير والمغازي بل ولا يكاد يخلو منها كتاب من كتب السيرة النبوية، ومما جاء في ذلك، «قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ، قال: قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤْذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه من الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدَوْا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، فَأَمَرُوهُمَا بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلِّما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سَلاَه أن يُسْلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى[1] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين

(١) ضَوَى: أوى ومال وانضم إليه. انظر: المعجم الوسيط، مادة (ضوى) (٥٤٧/١).

مُبْتَدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم؛ فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم،.... وتوالت القصة بكمالها إلى أن نصر الله المسلمين وخذل سفيري كفار قريش إلى أن قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءوا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار»[1].

ويتصف المؤمن بصفات الكمال والرجاحة في العقل والحكمة في تصريف الأمور؛ إذا أخذ نفسه بالعزيمة في طاعة الله، واتصف بصفات أهل الحكمة من العدل والقضاء به، وإنصاف الناس منه كما ينصف نفسه منهم.

ولقد مكن الله عزَّ وجلَّ بفضله **لأم المؤمنين زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- فكانت من الموفقات في هذا الباب، واستحقت أن توسم بوسام الحكمة في ميدان العدل والقضاء به. ذلكم عندما استشارها ﷺ في شأن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند ما ابتليت في حديث الإفك.

ولو لم تكن أم المؤمنين **زينب** -رضي الله عنها- قد عُرفت بالعقل والرأي الحكيم لما استشارها ﷺ، وإذ لم تكن صاحبة دين وعدل وإنصاف لما كانت مشورته ﷺ لها في أمر يمسها من قرب؛ لأنها وأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كفرسي رهان في سباق المودة والحب عنده ﷺ.

وجاءت شهادتها -رضي الله عنها- كما هو متوقع منها، لقد حَكَمَتْ

(١) انظر: الرواية بكمالها في سيرة النبي ﷺ لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٣٥٧-إلى-٣٦١).

فعدلت وأنصفت، وقَدَّمت خشيتها لله عزَّ وجلَّ عن رغبات النفس وأهوائها، ففي حديث الإفك الطويل الذي روته أمنا **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: "يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟" فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع...)[1] الحديث.

وتتميز أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- بكثرة عبادتها وخشيتها لله عزَّ وجلَّ، لقد كان ذلك ظاهراً في سيرتها -رضي الله عنها-، وذلك بشهادة أقرانها من أمهات المؤمنين وعلماء الملة، فقد أثنت عليها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بخير ما يُثنى من كريم الصفات، وفضائل المكرمات، ومحاسن الشمائل، فقد ورد في الصحيح ثناء أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على أم المؤمنين **زينب** -رضي الله عنها- في حديث طويل قالت فيه -رضي الله عنها-: (فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى....)[2] الحديث.

---

(١) قطعة من حديث البخاري، رقم: (٤٧٥٠) (ص١٠١٩) كتاب التفسير، باب: **﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾**.

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم، برقم: (٢٤٤٢) (ص٩٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة.

وإذا ما ذُكرت أم المؤمنين زينب أمام عائشة أم المؤمنين، أكثرت الثناء عليها، وأكثرت من ذِكْر ونَشْر محاسنها، ففي تهذيبه ذكر الإمام النووي -رحمه الله- أن عائشة قالت: (يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله عزَّ وجلَّ زوجها نبيه ﷺ في الدنيا ونطق به القرآن)[1].

وشهادة أخرى من **أم سلمة** -رضي الله عنها- لأم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- تشير فيها إلى صلاحها وصلاتها وخشيتها لله عزَّ وجلَّ فتقول: (كانت امرأة صالحة صوامة قوامة)[2].

وهذه الشهادة ترفع أم المؤمنين زينب عالياً، وتجعلها تتصدر مكانة سامقة في العبادة والصلاح.

كما ذكرت زينب بنت أم سلمة قالت: سمعت أمي أم سلمة تقول: وذكرت زينب بنت جحش، فترحمت عليها -وذكرت بعض ما كان يكون بينها وبين عائشة- فقالت **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها-: (إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ، إنهن زُوجن بالمهور، وزوَّجهن الأولياء، وزوجني الله رسوله، وأنزل فيَّ الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدَّل ولا يغيَّر: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه....**﴾ الآية. قالت أم سلمة: وكانت لرسول الله معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت امرأة صالحة صوامة قوامة صنعاً تتصدق بذلك كله على المساكين)[3].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/٣٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٤٥).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٠٣) ط. دار بيروت ، بيروت - لبنان.

وتعتبر أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- من رواة الحديث اللاتي وعين الحديث وحفظنه، ورويته عن رسول الله ﷺ.

وهذا يدل على عنايتها بالسنة، بيد أنها لم تكن -رضي الله عنها- من المكثرات في الرواية، وإنما أحصى لها أصحاب الأحاديث؛ أحد عشر حديثاً روتها عن النبي ﷺ، اتفق لها الإمامان البخاري ومسلم على حديثين[1]. وبالإضافة إلى وجود أحاديثها في الصحيحين، فإن أحاديثها منشورة في بقية الكتب الستة[2] والمسانيد[3].

وممن روى عنها من الرجال: ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأرسل عنها القاسم بن محمد بن أبي بكر[4].

ومن الصحابيات: زينب بنت أبي سلمة، وأمها أم المؤمنين أم سلمة، كما روت عنها: كلثوم بنت المصطلق، وأم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-[5].

ومن المواقف التي ظهرت من خلالها رجاحة عقل **أم المؤمنين جويرية بنت الحارث** -رضي الله عنها- وحكمتها؛ موقفها التاريخي الذي لا يُنسى لها أبد الدهر، ذلكم عند ما قسمت غنائم بني المصطلق، ووزع

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٨).

(٢) المصدر السابق (٢/٢١٢).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد. حديث زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ (ص١٩٨٨).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٢).

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤/٣٠٧)، والمجتبى من المجتنى لابن الجوزي (ص٩٤) تحقيق: د. علي حسين البواب. ط. دار الفرقان، عمان. وتلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (ص٣٦٩ و٤٠٤) ط. مكتبة الآداب، مصر.

الأسرى والسبايا والذراري بين المجاهدين، وكانت من بين السبايا السيدة العاقلة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري -رضي الله عنه-، وهنا ظهرت نجابتها وحكمتها -رضي الله عنها- حيث بادرت إلى طلب عقد المكاتبة من ثابت -رضي الله عنه- ولو كان المتفق عليه فوق المعتاد، فكاتبها على تسع أواق من الذهب[1]. وكانت هذه الخطوة الأولى في الخلاص من ربقة الأسر والسبي، حيث وافقت بما كاتبت عليه على الرغم من كثرته، لأنها كانت تَتَطَلَّعُ بحكمة إلى معالي الأمور، لقد كان من سمو نفسها، ورفعة تصوراتها، وطموح آمالها، أنها بعد أن كاتبت على نفسها بذلك القدر الباهظ من المال، جاءت وآمال الفراسة الصحيحة تقودها إلى صاحب المكرمات وأكرم البشر، وأعلمهم بمنازل الناس ومقاماتهم، لانتشالها وقومها من هذه الهاوية، فقد حباها الله فصاحة، تعرف مواقع الكلام، وتدرك تأثيره في النفوس الكريمة، إذ عاشت في بيت من أعز البيوت العربية وأفصحها.

وقفت **جويرية** -رضي الله عنها- أمام الرسول الكريم ﷺ تستعينه على الخروج من سجن حريتها لتتنفس عبير الكرامة، وطلبت منه ﷺ أن يعينها فقالت: (يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث، وكان من أمري ما لا يخفى عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، وجئت أسألك في كتابتي. فقال رسول الله ﷺ: فهل لك إلى ما هو خير!!؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٧/٨).

وأتزوجك. قالت: قد فعلت، قالت عائشة: فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق)[1].

وهكذا تجلّت مظاهر النجابة والحكمة في تصرف أم المؤمنين **جويرية** -رضي الله عنها- من خلال هذا الموقف، حيث بدأت بتعريف نفسها له ﷺ حتى يعرف قدرها وينزلها منزلتها -وهو أعلم الناس وأعرفهم بقدر الناس ومنازلهم-، ثم عرضت -رضي الله عنها- الموضوع بهذا الأسلوب الحكيم الرزين حيث استطاعت من خلاله أن تمهد لموضوعها بهذه المقدمة الموفقة، وفي ذلك الموقف النبيل أضحت **جويرية** -رضي الله عنها- بكلمة واحدة أُمًّا للمؤمنين.

لقد كانت جويرية حين تكلّم النبي ﷺ، وتسمع كلامه، مليئة الفؤاد بالأمل، تتكلم وتسمع وهي رابطة القلب، ثابتة الجأش، ساكنة الفؤاد، تنظر بعين الأمل إلى المستقبل المشرق القريب، فأجابت رسول الله ﷺ إجابة موفقة، ملؤها الإيمان والعقل والحكمة، فلم تتلعثم ولم تتردد، بل أسرعت بكل مشاعرها وهي تقول: نعم، يا رسول الله، قد فعلت.

وبهذه الإجابة الحكيمة الموفقة نزلت عليها وعلى قومها الرحمة التي

---

(١) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ص١٩٧-١٩٨). والحديث أخرجه أبوداود في سننه، حديث رقم: (٣٩٣١) (ص٤٣١)، كتاب العتق، باب: في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة، وحسنه الألباني كما (ص٤٣١) طبعة بيت الأفكار الدولية.

لم تكن لتنزل لولا توفيق الله عزَّ وجلَّ لها، ثم حكمتها في الإجابة الصحيحة، والتي هي ثمرة من ثمرات الحكمة، ومعنى من معانيها.

وإذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعبد خيراً، أكرمه بالإقبال على العلم يقتبس من نوره ما شاء، كيما يكون من المقبولين الفائزين، ومن العلماء الحكماء العاملين. وأمَّنا **جويرية** -رضي الله عنها- ممن أراد الله بها خيراً، فقد زانها الله عزَّ وجلَّ كمالاً فوق كمالها، ونبلاً فوق سيادتها؛ حيث جعلت حصافة عقلها، ونور حكمتها، ونقاء سريرتها بين يدي رسول الله ﷺ، وهي تَرْقُبُه في عبادته، وتنصت إليه وهي تسمع عذب أحاديثه، وتحفظ وتفهم أحكامه وشرائعه، فتعي ذلك كُلَّه وعياً ضابطاً محكماً يرويه عنها من أصحابه الذين وهبوا حياتهم للعلم، لقد كانت -رضي الله عنها- تروي من حديث رسول الله ﷺ وسننه، فقد روى عنها كبار علماء الصحابة الكرام ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمر -رضي الله عنهم-، وروى عنها من الفضلاء، كريب مولى ابن عباس، والطفيل ابن أخيها، وعبيد بن السَّبَّاق، ومجاهد... وآخرون[1].

ولما أكرم الله **أم المؤمنين صفية** -رضي الله عنها- وأضحت أُمَّا للمؤمنين، وكانت وقت ذلك لم تتجاوز السبعة عشر ربيعاً[2] من عمرها حين دخل بها ﷺ، وكانت علامات النجابة والحكمة في اختيار

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤/٢٥٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٧). وانظر: المستدرك للحاكم (٤/٢٩).

الأرشد من الأمور ظاهرة عليها، تأكد ذلك في اختيارها لله ورسوله على دين آبائها وأجدادها، فحظيت بذلك وعلت منزلتها وسما شأنها عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين بهذا الاختيار الموفق، فقد جاء في الطبقات في سيرتها -رضي الله عنها- (أنه لما غزا رسول الله ﷺ خيبر وغنّمه الله أموالهم سبى صفية بنت حيي وبنت عم لها فأمر بلالاً يذهب بها إلى رحله، فكان لرسول الله ﷺ صفي من كل غنيمة، فكانت صفية مما اصطفى يوم خيبر، وعرض عليها النبي ﷺ أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله، فقالت: أختار الله ورسوله. وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها)[1].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «ومن خصائص **صفية** -رضي الله عنها-: أن رسول الله ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها[2]. قال أنس بن مالك -رضي الله عنه- أمهرها نفسها، وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة، يجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها، وتصير زوجته، على منصوص الإمام أحمد»[3].

هذا وقد كانت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- ممن اختصهم الله بالعقل والحكمة في سياسة الأمور وتصريفها، فها هي ذي قد أخذت على

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢١/٨).

(٢) انظر في هذا صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٢٠٠) (ص٨٧٨) كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر. وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٦٥) (ص١٤٢٧) كتاب النكاح، باب: فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها.

(٣) جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية (ص١٩٨-١٩٩).

نفسها عهداً أن تصافي جميع أهل البيت، وتكون صديقة وفية لهن، وهذا لعمري هو عين العقل والرشد والحكمة، فبدأت -رضي الله عنها- في استجلاب واستمالة القلوب، بتقديم الهدية التي تعجب النساء.

وبدأت صفية بِدُرَّةِ البيت النبوي الطاهر فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-، فوهبت لها حلية من ذهب كانت في أذنيها اعترافاً بحبها وولائها للرسول الكريم ﷺ، ووهبت كذلك لبعض النساء حولها[1].

ولما اتصلت **صفية** -رضي الله عنها- برسول الله ﷺ، ودخلت في عقد أمهات المؤمنين-رضي الله عنهن-، أخذت تنهل من العلم والمعرفة، فقد أثر عنها بأنها ذات دين وحب للكتاب العزيز فقد قال عنها الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «كانت من سيدات النساء عبادة، وورعاً، وزهادة، وبراً وصدقة -رضي الله عنها- وأرضاها»[2].

وأما حياتها مع السنة ورواية الحديث الشريف، فكانت ممن نقل أقوال رسول الله ﷺ عملاً بقوله عزوجل ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة....**﴾[3] الآية، فاستحقت وصف الحكمة بسبب حفظها ونقلها للسنة المطهرة.

هذا وقد ورد لها من حفظها عشرة أحاديث روتها عن النبي ﷺ، منها حديث واحد متفق عليه في الصحيحين عند البخاري ومسلم، وحدَّث عنها

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٧/٨).

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) (٤٧/٨) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٣٤).

ثلة من أكابر التابعين منهم: علي بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث، وكنانة مولاها، وابن أخيها وآخرون[1].

وإن الذي يستعرض سيرة **أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان** -رضي الله عنها-، يجد أنها على جانب كبير من رجاحة العقل، وجزالة الرأي، والحكمة في تصريف الأمور، فإيمانها المبكر في مكة وهي بنت أبي سفيان رأس الكفر في وقته، دليل ساطع على فضل الله عليها بالاصطفاء وفي الوقت نفسه دليل على نور البصيرة وحكمتها -رضي الله عنها- في حسن اختيار طريق الرشاد والسعادة الأخروية.

وهجرتها إلى الحبشة مع زوجها فراراً بدينهما من الفتن، دليل على العقل والحكمة، وأعظم من هذا وذاك ثباتها على دينها وهي في الحبشة بعد أن ارتد زوجها عن الإسلام، وقد كانت في غربة وحاجة، دليل على إيمان بالله راسخ ويقين به صادق بأنه لن يضيعها وقد كان ذلك كذلك.

وموقفها مع والدها أبي سفيان حين دخل بيتها وأراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ وطيها الفراش دونه، وما دار بينه وبينها من حوار، يشير إلى مدى ما وهبها الله من العقل، لقد نبهت والدها لأمر جد خطير، ذلكم هو أن العز الحقيقي في طاعة الله ورسوله، والذلّ كل الذلّ في معصية الله ورسوله ﷺ.

ومما تميزت به أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها-؛ حبها للعلم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٢). والإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤/٣٣٩). وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (١٢/٤٢٩).

ورواية الحديث، فقد كانت من حافظات النساء، وواحدة من اللاتي شغلن أنفسهن بالعلم، فراحت بعد عودتها من الحبشة تنهل من معين الآيات القرآنية وتحفظ من الأحاديث الشريفة لتعوض ما قد فاتها من ذلك زمان هجرتها، الأمر الذي جعلها إحدى المكثرات من الرواية، فلم يسبقها في الحفظ والرواية من أمهات المؤمنين إلا أمنا عائشة وأمنا أم سلمة -رضي الله عنهما-، ولعلَّ مردَّ هذا إلى أن **أم حبيبة** -رضي الله عنها- تُعَدُّ إحدى الفصيحات من نساء قريش، وممن عُرفن بالبلاغة وحسن الخطاب، كما كانت من ذوات الرأي والحصافة والحكمة، ولا غرو فهي ابنة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وهي من بنات عم رسول الله ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها[1]، بلغ مسندها خمسة وستين حديثاً. اتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين[2].

ومن المواقف التي تميزت بها **أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية** -رضي الله عنها- وتجلى من خلالها مدى ما وهبها الله عزَّ وجلَّ من الحكمة والتبصر في الأمور والنظر السديد إلى عواقبها، ذلك حين بذلت ما في وسعها لبلوغ درجة عالية وهي أن تكون في مصاف أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- كيما يكون لبني هلال شرف مصاهرته، كما نال هذا الشرف قبلها: بنو تيم، وبنو عَدِيٍّ، وبنو أمية، وبنو مخزوم،

(١، ٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢١٩). وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤/٣٠٠).

وبنو أسد، وبنو المصطلق وغيرهم.

ولم يكن ذلك ليتم لها، لو لا فضل الله عزَّ وجلَّ أولاً، ثم حكمتها ورشدها حيث وُفقت في تحديد هدفها، ونيل مرادها بأن أوصلت هذه الرغبة لرسول الله ﷺ عن طريق من تحب، وكان لها ذلك، وفيها وفي أمثالها ذكر أهل التفسير بأنه نزل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها النبيُّ إنا أحلَلْنا لك أزواجكَ اللاتي آتيت أُجورَهنَّ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لكَ من دون المؤمنين قد علمناَ ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرجٌ وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[1].

ومن دلائل وفور عقلها وحكمتها -رضي الله عنها- معرفتها بالدين والفقه فيه، إذ كانت -رضي الله عنها- ممن وعين الحديث الشريف وتلقينه من رسول الله ﷺ، وقد جمع الله لها إلى ذلك ملكة الفقه والقدرة على الاستنباط من النصوص الشرعية، وقد أجادت في ذلك ونفعت، فها هي -رضي الله عنها- تدخل على امرأة مؤمنة قد شُفيت من مرضٍ ألمَّ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٠). وانظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٤/٢٠٨-٢٠٩) ونصه: «حين خطبها النبي ﷺ فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ». قال ابن شهاب الزهري وقتادة -رحمهما الله- ميمونة هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في تعليقه على ذلك، «وقيل: الواهبة غيرها، وقيل إنهن تعددن، وهو الأقرب». انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤/٣٩٨).

بها وكانت قد نذرت لئن شفاها الله لتخرجن إلى بيت المقدس للصلاة فيه، فبينت لها أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- الأفضل من ذلك مستنبطة من حديث رسول الله ﷺ ما يؤكد قولها، فقد جاء في الصحيح ...عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (أن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: لئن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، فتجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها، فأخبرتها ذلك، فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة)[1].

وهذا الحديث الذي ورد في فضائل المساجد الثلاثة، أورده البعض في كتاب الأيمان والنذور، ويظهر فيه فقه أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- حيث استدلت على فتواها بما ورد عنه ﷺ في فضل المسجد النبوي الشريف على المسجد الأقصى.

وإذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعبده خيراً، أكرمه بالإقبال على العلم يقتبس من نوره ما شاء كيما يكون من المقبولين ومن الفائزين ومن العلماء والحكماء العاملين، وأمُّنا **ميمونة** -رضي الله عنها- ممن أراد الله بها خيراً، فقد كانت ممن وعين الحديث الشريف، وتلقينه من رسول الله ﷺ، ورغم تأخر دخولها -رضي الله عنها- إلى البيت النبوي، إلا أنها كانت من

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٣٩٦) (ص٥٤٧) كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

السابقات المكثرات لرواية الحديث النبوي الشريف من أمهات المؤمنين الطاهرات، روت عن رسول الله ﷺ ستة وسبعين حديثاً[1]، في الصحيحين ثلاثة عشر حديثاً، المتفق عليه منها سبعة، وانفرد البخاري بحديث واحد لها، بينما انفرد مسلم بخمسة أحاديث[2].

وقد روى عنها كبار علماء الصحابة الكرام ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وعبيد بن السباق، ويزيد بن الأصم. وعبد الرحمن بن السائب الهلالي، وكريب مولى ابن عباس، وربيبها عبيد الله الخولاني، ومولاها سليمان بن يسار، وأخوه عطاء بن يسار، ومولاتها: ندبة، والعالية بنت سبيع وغيرهم[3].

---

(١) انظر: المجتبى من المجتنى لابن الجوزي (ص٩٦) تحقيق: د. علي حسين البواب.

(٢) انظر: تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (ص٣٦٥-٤٠٣). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٤٥).

(٣) تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٢/٤٥٣). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٣٩).

المبحث الثاني

أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين

أولاً: تعريفه:

سبق الحديث عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الأسلوب في التمهيد من هذا البحث[١]، وأما معنى الموعظة في اللغة فقيل فيها:

الموعظة في اللغة: مشتقة من وعظه يعظه وعظاً وعِظَـةً: نصحه وذكره بالعواقب[٢]. وقيل: هي التخويف والزجر[٣].

وقيل: هي التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه[٤].

وفي المصباح: إن الوعظ هو الوصية والأمر، والموعظة اسم منهما[٥].

والموعظة: ما يوعظ به من قول أو فعل، والجمع: مواعظ، والواعظ: من ينصح ويذكّر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والجمع: وُعَّاظ[٦].

والموعظة في الاصطلاح: «هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب

---

(١) راجع (ص١٢).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (وعظ) (٤٦٦/٧)، وانظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ص٧٢٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٦/٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤٩/٣) ط. الدار المصرية للتأليف، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٤١٥/٢) ط. دار الجيل، بيروت – لبنان.

(٥) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٣٤٢/٢) ط. مصطفى البابي الحلبي، مصر.

(٦) المعجم الوسيط، مادة (وعظ) (١٠٤٣/٢) ط. دار الفكر.

«كما يجب مراعاة مقومات شخصية كل مستهدف بـالدعوة كمكانته الاجتماعية، واستعداداته النفسية، لغرض صياغة الموعظة بما يتناسب وهذه المقومات»[1].

فيخاطب عوام الناس بخطاب يختلف عن خواصهم، والمؤمنين بخلاف ما يخاطب الفاسقين، كذلك يخاطب الرؤساء بخلاف المرؤوسين، فمخاطبة الرؤساء بالأمر اللين مطلوب شرعاً وعقلاً. «لذلك نجد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل، وتأمل امتثال موسى عليه السلام بما أُمر به وكيف قال لفرعون: ﴿**فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى**﴾[2] فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مخرج الأمر، فقال: ﴿**إلى أن تزكى**﴾، ولم يقل إلى أن أزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره، لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال: ﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ فأكون كالدليل الذي يسير أمامك، وقال: ﴿**إلى ربك**﴾. استدعاءً لإيمانه بربه الذي خلقه ورزقه، ورباّه بنعمه صغيراً ويافعاً وكبيراً. وكذلك قول إبراهيم الخليل لأبيه: ﴿**يا أبت لم تعبد ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغنِي عنكَ شيئاً**﴾[3]. فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره ولم يسمه باسمه، ثم أخرج الكلام معه

---

(١) انظر: كتاب نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية للشيخ عبد الحي الكتاني (٣٨٨/١) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) سورة النازعات، الآيات: (١٨-١٩).

(٣) سورة مريم، الآية: (٤٢).

مخرج السؤال فقال: ﴿**لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**﴾ ولم يقل لا تعبد.

وكذلك سائر خطاب الأنبياء لأمتهم في القرآن إذا تأملته وجدته ألين خطاب وألطفه، بل خطاب الله لعباده ألطف خطاب وألينه كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[1]، ونظيره كثير»[2].

وعلى الجملة فالوعظ والإرشاد هو العلاج الوحيد لصلاح العالم، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من أمراضها، ولا سلامة من مخاطر الشقاء إلا به.

والبرهان الحسي قائم على أن الأمة التي تُعنى بالوعاظ ومواعظهم الحسنة، تحيا بمقدار كثرتهم وتأثيرهم، وأن المعنى الذي يتناولونه في نصحهم وإرشادهم يكون أكثر انتشاراً وأشد رسوخاً في نفوس تلك الأمة. وأن الأمة إذا فرطت أو أفرطت في شيء، يستعان دائماً على اعتدالها بوعاظها[3].

ثالثاً: طرق وأساليب الموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة لها أشكال عديدة، منها:

١- القول الصريح اللطيف اللين، قال تعالى: ﴿**وقولوا للناس**

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١).

(٢) بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) (٣/١٠٥-١٠٦).

(٣) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ (ص٧٤).

حسناً...﴾[1].

٢- التعريض، والكناية المؤدية، والتورية.

٣- الإشارة اللطيفة المفهومة.

٤- القصة، والخطابة المؤثرة.

٥- التذكير بالنعم المستوجبة للشكر.

٦- المدح والذم.

٧- الترغيب والترهيب.

٨- الوعد بالنصر والتمكين.

٩- التحمل والصبر.

١٠- ضرب الأمثال والتشبيهات[2].

وما إلى ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة.

وقد كان لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- من ذلك أوفر النصيب، فقد سلكن طريق الدعوة إلى الله بأسلوب الموعظة الحسنة بمعانيها المترادفة والمتعددة من أول بدء الوحي على رسول الله ﷺ.

رابعاً: أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين:

لقد سلكت **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- في دعوتها مسلك التذكير بالخير وترقيق القلب لفضل الله ورحمته، فكانت خير معين

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٨٣).

(٢) بتصرف من كتاب المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبوالفتح البيانوني، (ص٢٥٩)، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، لقد كانت عباراتها قوية في الوعد بالنصر والتمكين لرسول الله ﷺ بأنه هو نبي هذه الأمة، وأن الله ناصره ومؤيده ولن يخذله أبداً.

ومما هو مقرر عند أهل العلم بأنه لا يشترط في الموعظة الحسنة أن تكون خُطباً رنانة، أو مؤلفات مطولة متقنة حتى يصدق عليها لفظ الموعظة، بل كل كلمة دعت إلى خير وحَثَّت عليه وكانت سبباً في فتح باب الهداية والخير هي من الموعظة الحسنة.

ومما هو معلوم أن الواعظ الصادق في موعظته يكون هو أول الناس التزاماً بما يدعو إليه ويرغب الناس فيه، ولئن كان ذلك كذلك، فإن من صدق أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في دعوتها ونجاحها في أسلوب الموعظة الحسنة هو نهجها لهذا السبيل وسبقها إلى الإسلام قبل الخلق أجمعين(1)، وهذا العمل في الدعوة يعتبر من أجل وأعظم وأبلغ المواعظ والخطب النافعة في هذا الشأن.

ومما يدل على نجاح **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها في دعوتها، سرعة استجابة بناتها لهذا الدين، وهذا لم يكن ليتم دون الوعظ والنصح بالخير من أمهم مع التزامها الكامل بكل ما تدعوهم إليه، فما ذكره أهل السير والطبقات عن كل واحدة منهن قولهم: "وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء"(2).

---

(1) راجع (ص552) حاشية (1).

(2) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (31/8، 36، 37).

ومما ذكره أهل السيرة ونقلوه عنها -رضي الله عنها- في طاعتها له ﷺ وامتثال أمره ما يذهل العقول ويأخذ بالألباب، وهذا فيه عظيم الموعظة لكل مؤمن ومؤمنة في حسن الانقياد والطاعة لله ولرسوله ﷺ، ومن وُفِّق فعمل بمثل ما عملت -رضي الله عنها- في تقديم طاعة الله ورسوله ﷺ على طاعة كل مخلوق، فقد فاز وظفر، فقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح قال: «كان لـ**خديجة** -رضي الله عنها- من الاستواء ما ليس لغيرها؛ إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها»[1].

وتأكيداً لذلك، فقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بأن إيمان **خديجة** -رضي الله عنها- كان مفتاحاً للخير وموعظة حسنة وسنة حسنة لكل مؤمنةٍ دخلت في دين الله، ويكون بهذا قد كُتب لها أجر كل مؤمنة آمنت بالله وبرسوله ﷺ، كما حصل ذلك الفضل لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- حين كان أول المؤمنين إيماناً من الرجال، فقال -رحمه الله-: «**ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت "أن من سنَّ سنةً حسنةً" وقد شاركها في ذلك أبوبكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ**»[2].

وفي باب الصبر والتحمل على مشاق الدعوة وأعبائها، كان لأم المؤمنين

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٨/٧).

(٢) المصدر السابق (١٣٧/٧).

خديجة -رضي الله عنها- أوفر نصيب، وضربت بذلك أعظم مثل، موعظةً وذكرى لكل مؤمن ومؤمنة، تمثل ذلك في مواقف كثيرة منها:

١- تَحَمُّلُها لمشاق الدعوة بتخفيفها على رسول الله ﷺ كل ما كان يلقاه من أذى المشركين.

٢- صبرها على قضاء الله في وفاة أبنائها[١] واحتسابها في ذلك الأجر على الله عزَّ وجلَّ.

٣- صبرها على أذى المشركين لها عندما طُلِّقت ابنتاها رقية وأم كلثوم من ولدي أبي لهب عتبة وعتيبة[٢]، وكان في ذلك الخير والعافية.

٤- صبرها على مكابدة المعاهدة الظلوم التي حُصر فيها المسلمون ومعهم رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب[٣] وكانت معهم **خديجة** -رضي الله عنها.

٥- صبرها على فراق ابنتها رقية عند هجرتها إلى الحبشة مع زوجها عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فراراً بدينها من أذى قريش[٤].

---

(١) ابناؤها الذكور منه ﷺ هم القاسم، وعبدالله وهو الطيب وهو الطاهر سمي بذلك لأنها ولدته في الإسلام. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٧٤/٤). وانظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ص٢٤١).

(٢) انظر: البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (٢٦٨/٥).

(٣) قال ابن إسحاق: "وقد كان أبوجهل ابن هشام -فيما يذكرون- لقي حكيم بن حزام بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب". انظر: سيرة ابن هشام (٣٧٥/١، ٣٧٦).

(٤) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٦٨/٥)، ونصه: "وتزوج عثمان بن عفان -رضي الله عنه- رقية، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة...".

وفي هذا أعظم موعظة لكل مؤمن ومؤمنة ولكل داعٍ وداعية في الصبر على الدعوة إلى الله وتحمل مشاقها. لهذا كله استحقت -رضي الله عنها- أن يبشرها جبريل عليه السلام ويبلغها سلام ربها عليها وبشراها ببيتٍ في الجنة من قصب[1] لا صخب فيه ولا نصب، وفي هذا أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كلاماً نفيساً في ذلك حيث قال: «لما دعا ﷺ إلى الإسلام أجابت **خديجة** -رضي الله عنها- طوعاً فلم تحوجه إلى رفع الصوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهَوَّنت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها»[2].

ومما تقرَّر عند أهل العلم أن الواعظ الصادق في موعظته لا تبلغ موعظته القلوب ولا تتمكن فيها وتؤتي ثمارها إلا إذا رافق ذلك عمل الواعظ بما يعظ به ويدعو إليه ويرغب الناس فيه، ولئن كان ذلك كذلك، فإن من صدق **أم المؤمنين سودة وأم المؤمنين زينب بنت جحش** -رضي الله عنهما- في دعوتهما ونجاحهما في أسلوب الموعظة الحسنة هو نهجهما لهذا الطريق. تمثل ذلك في اعتصامهما بالسنة وتقيدهما الكامل في تنفيذ أقواله ﷺ في

---

(١) قال في النهاية: "القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوَّف واسع كالقصر المنيف، والقصب من الجوهر: ما استطال منه في تجويف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٦٧/٤).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٨/٧) شرح الحديث رقم (٣٨١٩) كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها-.

حياته وبعد وفاته ﷺ، فقد جاء في المسند عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ لما حَجَّ بنسائه قال: "إنما هي هذه الحجة، ثم الْزَمْنَ ظُهُورَ الحُصُرِ"(١). قال أبوهريرة -رضي الله عنه-: وكان كُلُّ نساء النبي ﷺ يحججن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش، قالتا: لا تحركنا دابة بعد رسول الله ﷺ(٢).

وبهذا تبوأت أم المؤمنين سودة وزينب بنت جحش -رضي الله عنهما- منزلة العالمات العاملات، الواعظات الناصحات لكل مؤمن ومؤمنة في العمل بسنته ﷺ في حياته وبعد وفاته. فرضي الله عنهما وعن أمهات المؤمنين.

ومما وعظت به **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- الأمة فَخَوَّفت من أهوال يوم القيامة، وأيقظت القلوب للاجتهاد في العمل الصالح استعداداً لذلك اليوم العصيب، ما جاء عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: ما لك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتب حتى يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٩٧٦٤) (ص٧٠٣)، والحديث إسناده حسن. انظر: الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٧٦/١٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٥/٨).

وهذا الفعل منهما مبني على اجتهادهما، كما أن خروج باقي أمهات المؤمنين مبني على اجتهادهن، والكل مصيب. انظر: روح المعاني للآلوسي (١٢/٢٢).

ظهري جهنم حافتاه كلاليب[1] كثيرة وحسك[2] كثير يحبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا)[3].

وفي التقلل من الدنيا والزهد فيها وفي متاعها الزائل، وفي التذكير بالآخرة ونعيمها المقيم تؤكد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله زهده ﷺ وتقلله من هذه الدنيا وكيف كانت همته ﷺ منصرفة إلى الآخرة والشوق إلى ما عند الله، وفي هذا أبلغ درس وأعظم موعظة لكل مؤمن ومؤمنة في التأسي برسول الله ﷺ في ذلك، فقد جاء في السنن عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء)[4].

---

(١) الكلاليب: جمع الكَلُّوب، بالتشديد: حديدة معوجة الرأس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (١٩٥/٤).

(٢) الحسَك: جمع حَسَكة، وهي شوكة صلبة. المصدر السابق (٣٨٦/١).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٥٧٨/٤)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة -رضي الله عنها-. وأخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب: في ذكر الميزان، حديث رقم: (٤٧٥٥)، وقوله: عند الميزان سقط من لفظ الحاكم، والحديث ضعفه الألباني كما في (ص٥١٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٢٦٩٥) (٩٠٠/٢) كتاب الوصايا، باب: هل أوصى رسول الله ﷺ، ورواه أبوداود في سننه حديث رقم: (٢٨٦٣) (١١٢/٣) كتاب الوصايا، باب: ما جاء في ما يؤمر به من الوصية. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (٢١٩٨، ٢٧٤٥) (٣٦٢/٢). وصحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٨٦٣) (٢٠٥/٢).

ودلالة الحديث ظاهرة في تقلله ﷺ من الدنيا، بدليل عدم وجود شيء من المال لكي يوصي به ﷺ عند موته، وفي هذا يقول الإمام الخطابي -رحمه الله-: «قولها: "ولا أوصى بشيء" تريد وصية المال خاصة لأن الإنسان إنما يوصي في مال سبيله أن يكون موروثاً وهو ﷺ لم يترك شيئاً يورث فيوصي به، وقد أوصى بأمور منها ما روي أنه كان عامة وصيته عند الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم. وقال ابن عباس -رضي الله عنه- أوصى رسول الله ﷺ عند موته: أخرجوا اليهود عن جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»[1].

وفي أسلوب ملؤه التخويف والزجر من عقاب الله وسخطه تعظ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- المؤمنات وتوجههن إلى أمر جد خطير، ألا وهو الحرص على التستر وذلك بعدم وضعهن ثيابهن في غير بيوتهن. وهذه الموعظة فيها من الخير الشيء الكثير لو عملت بها المؤمنات وتمسكْنَ بها، لأن فيها سداً لباب الفتنة وأسباب الفساد بشتى صوره وأشكاله. فقد جاء في السنن عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (...سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[2].

---

(١) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (٧٧/٤).

(٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٢٨٠٣) (١١٤/٥) كتاب الأدب، باب: ما جاء في دخول الحمام. قال أبوعيسى: هذا حديث حسن. وانظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٣٩/٤) كتاب الحمام. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٤٩٧/٢).

وتقدم بعض فوائد وأحكام هذا الحديث[1].

وتوجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- المؤمنين والمؤمنات للعمل الصالح والاجتهاد فيه، وذلك من خلال روايتها لحديث عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله مقدار الأجر الذي يعطيه الله عزَّ وجلَّ لمن يتقن قراءة كتاب الله ويكثر من تلاوته، وفي هذا من عظيم الموعظة للمؤمن ما لا يخفى أثره ويعظم أجره ونفعه، فقد جاء في صحيح البخاري (عن **عائشة** -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة[2] الكرام، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران)[3].

وفي رواية لمسلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة[4]، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع[5] فيه، وهو عليه شاق، له أجران)[6].

ومما قيل في معنى قوله ﷺ: "مع السفرة الكرام البررة"، أي: «كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب»[7].

---

(١) راجع (ص٤٣٩) حاشية (١).

(٢) هم الملائكة، جمع سافر، والسافر في الأصل: الكاتب، سُمِّي به لأنه يبين الشيء ويوضحه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (سفر) (٢/٣٧١).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٣٧) (ص١٠٨٣) كتاب التفسير، سورة عبس.

(٤) يقال: بَرَّ يَبَرُّ فهو بارٌّ، وجمعه بَرَرَة، وجمع البَرّ أبرار، وهو كثيراً ما يُخَصُّ بالأولياء والزهاد والعبَّاد، وهو هنا يخص الملائكة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/١١٦-١١٧).

(٥) أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه. انظر: المصدر السابق (١/١٩٠).

(٦) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٩٨) (ص٣١٢) كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه.

(٧) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨/٦٩٣). وانظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني (١٩/٢٨٠).

وفي المفاضلة بين الفريقين وأيهما أفضل عند الله قال القاضي عياض -رحمه الله-: «ليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه، والله أعلم»[1].

وتفيد -رضي الله عنها- الأمة وتحذرها من خلق ذميم لا يفعله إلا من ضعفت نفسه وتدنّى خلقه ونسي الله والدار الآخرة، تمثل ذلك في موعظتها -رضي الله عنها- من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله أن أبعد الناس وأبغض الخلق إلى الله هم أصحاب الجدل المذموم الموغلون في الخصومة والنزاع والمحاجّة بالباطل، فقد جاء في الصحيحين (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم)[2].

وتوضيحاً لذلك قال النووي -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «الألدّ شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه لأنه كلما احتجَّ عليه بحجة أخذ في جانب آخر، وأمّا الخصم فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في دفع حق أو إثبات باطل»[3].

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٨٥).

(٢) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٧) (ص٥١٠) كتاب المظالم والغصب، باب: قول الله تعالى: ﴿**وهو ألد الخصام**﴾. وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٦٨) (ص١٠٧٠) كتاب العلم، باب: في الألد الخصم.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢١٩).

وتنظر أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- نظرة الأم الحنون على أولادها، فتقدم وصية نبويةً هي في حقيقتها موعظة حسنة لكل من وَلِيَ شيئاً من أمور المسلمين بأن يضع أمام عينيه عِظَمَ هذه المسئولية وأنه سيسأل عنها بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فإن أحسن ورفق بمن تحت يده وَجَدَ ذلك حسناً عند الله، وإن كانت الأخرى فالجزاء من جنس العمل، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده (...عن عبدالرحمن[1] بن شماسة قال: أتيت **عائشة** -رضي الله عنها- أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير، فيعطيه البعير، والعبد، فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد ابن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفقْ به")[2].

وقد ذكر صاحب فيض القدير كلاماً نفيساً عند شرحه لهذا الحديث، حيث قال -رحمه الله-: «وهذا دعاء مجاب، وقضية لا يشك في حقيقتها عاقل ولا يرتاب، فَقَلَّما ترى ذا ولاية عسف وجار وعامل عيال الله بالعتو

---

(١) هو عبدالرحمن بن شِماسة، بكسر المعجمة وتخفيف الميم بعدها مهملة، المهري بفتح الميم وسكون الهاء، المصري، ثقة، مات سنة إحدى ومائة أو بعدها. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٨٤/١).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٨٢٨) (ص٧٦٣) كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحثّ على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

والاستكبار وإلا كان آخر أمره الوبال وانعكاس الأحوال، فإن لم يعاقب بذلك في الدنيا قصرت مدته وعُجِّل بروحه إلى بئس المستقر سقر، ...وهذا كما ترى أبلغ زجر عن المشقة على الناس، وأعظم حثٍّ على الرفق بهم، وقد تظاهرت على ذلك الآيات والأخبار»[1].

وتهتم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بركن أساس في الدين وقاعدة مهمة من قواعد الدين لا يقوم الدين ولا يُحفظ إلا بها، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوعظت ونصحت وحذرت وخوفت من فقد هذا الركن العظيم من الدين، ووجهت إلى العناية به والقيام به من لدن جميع أفراد الأمة؛ لأنه سفينة النجاة ومرسى الأمان، وتستدل على ذلك بحديث ترويه عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن، فقد جاء عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: ...سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[3].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي (١٠٧/٢) بتصرف.

(٢) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٠٠٤) (١٣٢٧/٢) كتاب الفتن، باب: الأمر المعروف والنهي عن المنكر، والحديث حسنه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٣٢٥١-٤٠٧٥) (٣١٢/٣).

(٣) صحيح مسلم، جزء من حديث رقم: (٤٩) (ص٥١) كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تناوله العلماء بالشرح والبحث والاستنباط وتقرير الأحكام، ورحم الله النووي، فقد أطنب وأفاد عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- السابق، وما ذاك إلا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعِظَمِ مكانتهما في الدين، ومما قاله في ذلك: «واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم به قوامُ الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، ﴿**فليحذَر الذينَ يخالفونَ عن أمرِه أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهمْ عذابٌ أليمٌ**﴾[1]، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عزَّ وجلَّ أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه، وليخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿**ولينصرنَّ الله من يَنْصُرُه**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**ومَنْ يعْتَصم بالله فقدْ هدي إلى صراطٍ مستقيمٍ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**والذينَ جاهَدوا فينا لنهدينهم سبلَنَا**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**أحسِبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفْتَنون. ولقدْ فتنّا الذين من قبْلِهمْ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين**﴾[5]، واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته

---

(١) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٢) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٠١).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: (٦٩).

(٥) سورة العنكبوت، الآية: (٢-٣).

ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمةً وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدَّى ذلك إلى نقص في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها...، وبسطت الكلام في هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة إليه وكونه من أعظم قواعد الإسلام»[1].

ومما يشهد برسوخ قدم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في باب الخطب والمواعظ، -حيث يتطلب ذلك مقومات كثيرة للوصول إلى مصافِّ الخطباء والوعاّظ المؤثرين- شهادة المعاصرين لها من أهل الفضل والفصاحة بذلك، ولا غرو فهي بنت الصديق -رضي الله عنه- وزوجة رسول رب العالمين أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء عليه أفضل الصلاة والتسليم، روي «عن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة»[2].

«وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة»[3].

«وعن سفيان قال: سأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٤-٢٦).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٩١).

(٣) المصدر السابق، (٢/١٩١).

أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك. قال: إذا عزمت عليٌّ فعائشة. فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته، ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته»[1].

وإن الذي يقرأ في سيرتها العطرة ليجد نماذج عدة تؤكد مقدرتها -رضي الله عنها- على الخطابة، وأخذها بزمام البلاغة والفصاحة، والتأثير عند الوعظ والإرشاد، ومن ذلك على سبيل المثال عند ما بلغها أن أقواماً ينالون من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فأرسلت إلى أزفلةٍ[2] منهم. فلما حضروا سدلت أستارها، ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلّت على نبيه محمد ﷺ، وعذلت[3] وقَرَّعت[4]، ثم قالت: (أبي وما أبيه؟ أبي والله لا تعطوه[5] الأيدي، ذاك طود منيف، وفرع مديد -إلى أن قالت- فلما قُبض ﷺ نصب الشيطان رواقه ومدَّ طنبيه[6]، ونصب حبائله، وظن رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات حين مناص، وأبي الصدِّيق بين أظهرهم، فقام حاسراً مشمراً، فجمع حاشيته ورفع قطريه[7]، فردَّ نشر الإسلام على غُرْبه،

---

(١) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي (٣٥٢/١).

(٢) الأزفلة: هي الجماعة. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (زفل) (١٥/٣).

(٣) العذل: هو اللوم أي لامتهم على سوء صنيعهم. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (عذل).

(٤) قَرَّع: بتشديد الراء: أوجع باللوم والعتاب. انظر: المعجم الوسيط، مادة (قرع) (٧٢٨/٢).

(٥) لا تعطوه: أي لا تناوله. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عطو) (٣٥٣/٤).

(٦) الطُّنُبُ: حبل يشد به الخباء والسرادق والجمع أطناب. وطنب بالمكان: أقام به. انظر: المعجم الوسيط (٥٦٧/٢).

(٧) رفع قطريه: أي جانبي برديه. كناية عن الجد والتشمير. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (قطر) (١٦٧/٢).

ولمَّ شعثه[1] بطيه[2]، وأقام أوده[3] بثقافه[4]، فاندفر[5] النفاق بوطأته، وانتاش[6] الدّين فنعشه[7]، فلما أراح الحق إلى أهله وقرَّر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها[8]، أتته ميتته فسد ثلمته[9] بنظيره في المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة. ذاك عمر بن الخطاب، لله أمٌ حملت به ودرَّت عليه...، -إلى أن قالت- فأروني ما تريبون، وأي يوم تنقمون؟ أيوم إقامته إذْ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم)[10].

ومن أحاديثها الشَّيِّقَةِ ومواعظها المؤثرة روايتها لحديث الإفك الطويل بأسلوب بلاغي مؤثر لا يكاد يقرؤه مؤمن إلا وتفيض عيناه وتنسكب عبرته تأثراً وحزناً لما أصابها -رضي الله عنها- وفي الوقت نفسه كان حديثها

---

(١) الشعث: انتشار الأمر. يقال: لمَّ الله شعثك أي: جمع أمرك المنتشر. مختار الصحاح للرازي (ص٣٣٩).

(٢) طوى الشيء طياً: ضم بعضه على بعض. انظر: المعجم الوسيط، مادة (طوى) (٥٧٢/٢).

(٣) أود: هو العطف والانثناء والتعوّج. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٤/١).

(٤) ثقفته: بالتثقيل: أقمت المعوج منه. انظر: المصباح المنير للفيومي (٩١/١).

(٥) دَفِرَ دَفَراً واندفر: بمعنى ذلَّ. انظر: المعجم الوسيط، مادة (دفر) (٢٨٨/١).

(٦) النتش: الاستخراج والجذب. وأنتش النبات: أخرج رأسه من الأرض. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣٠٠/٢).

(٧) نعشه: أي رفعه، وجبره بعد فقر وانتهضه من عثرته. انظر: المصدر السابق، مادة (نعش) (٣٠١/٢).

(٨) أهب جمع الإهاب: وهو الجلد ما لم يدبغ. مختار الصحاح للرازي (ص٣١).

(٩) الثلمة: في الحائط وغيره: الخلل. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (ثلم) (٩٢/١).

(١٠) انظر: الخطبة بكمالها في كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥١/١).

منصباً في باب تفويض الأمر لله والإنابة إليه والتوكل عليه وأنه سبحانه هو المغيث لكل ملهوف، والمفرج عن كل مكروب، وفي هذا أعظم درس وأبلغ موعظة لكل مؤمن ومؤمنة.

وتفيد **أم المؤمنين حفصة** -رضي الله عنها- الأمة بحديث ترويه عن رسول الله ﷺ مضمونه الوعظ والتذكير للأمة وحثها على التأسي بنبيها ﷺ في حرصه واجتهاده على العبادات وكثرة الطاعات ومنها أداء الصلوات على أكمل وجه وأتم صورة من قيام وركوع وسجود واستكمال لجميع الأركان والواجبات، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليدع القيام في صلاته للنوافل مطلقاً إلا ما كان في آخر أيامه حين كبرت سنه ﷺ، فكان يترخص في الجلوس لصلاة النافلة مع محافظته على ورده وحزبه الذي كان يخصصه للقراءة، فيؤديه على أكمل وجه من ترتيل وتدبر وتفكر، فقد جاء عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (لم أر رسول الله ﷺ يصلي في سبحته جالساً قط، حتى إذا كان قبل موته بعام، أو بعامين فكان يصلي في سبحته جالساً، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها)[1].

قال الزرقاني -رحمه الله-: «وإنما سميت النافلة بذلك لاشتمالها على التسبيح من تسمية الكل باسم بعضه وخصت به دون الفريضة -كما أفاد -رحمه الله- بأن فعله ﷺ للصلاة قاعداً إنما كان إبقاءً على نفسه ليستديم الصلاة، فكان مع ذلك يرتل السورة ويتمهل ويترسَّل في قراءتها ليقع مع

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس، حديث رقم: (١٥٧) (ص١٢٠) كتاب الصلاة، باب: ما جاء في صلاة القاعد في النافلة، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان.

ذلك التدبر كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً﴾- وفي توضيح معنى قولها -رضي الله عنها- (حتى تكون أطول من أطول منها) قال -رحمه الله- أي إذا قرئت بلا ترتيل»[1].

وفي موعظتها -رضي الله عنها- الأمة في المبادرة إلى صوم النافلة، تشير -رضي الله عنها- إلى ذلك من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ تبين من خلاله حرصه ﷺ على صيام النفل، وذلك بتخصيصه لبعض أيام من الشهر لا يفرط في صومها، وإذا كان رسول الله ﷺ وهو قدوتنا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يحرص على هذا الباب من نوافل العبادة، فكيف بنا وقد أثقلتنا الذنوب والمعاصي، أفلا يجدر بنا أن يكون لنا من هذا العمل الصالح زاد نتزود به ليوم المعاد، فرضي الله عن أم المؤمنين حفصة حين وعظت وذكرت الأمة بهذا الخير من خلال روايتها لهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره، فقد جاء عنها (أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر: يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الاثنين من الجمعة الأخرى)[2].

وهذا يعني أنه كان يصوم أول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه ثم

---

(١) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للإمام سيدي محمد الزرقاني (٢٨١/١-٢٨٢) بتصرف.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٦٩٩٢) (ص١٩٦٧) حديث حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، والحديث رواه النسائي في السنن في كتاب الصوم، باب: صوم النبي ﷺ وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك. وحسنه الألباني في: صحيح سنن النسائي، حديث رقم: (٢٣٦٥) (١٥٥/٢).

الاثنين الذي يليه[1].

كما تتجلى عندها ملكة الخطابة وقوة العبارة في الوعظ، وذلك بعد استشهاد أبيها -رضي الله عنه-، حيث ظهرت مقدرتها على نظم الألفاظ، وقوة الاستدلال، إذ كان جُلُّ تركيزها على اجتماع كلمة المسلمين، وقطع دابر الشرك والفساد، فمما قالته في ذلك: (الحمد لله الذي لا نظير له، والفرد الذي لا شريك له، أما بعد: فكل العجب من قوم زين الشيطان أفعالهم، ونصب حبائله لختلهم[2]، حتى هَمَّ عدو الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد دَرّسِه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى، وانتهاك محارم الله بعد تحصينها...، -إلى أن قالت عن والدها- فلم يزل سراجه زاهراً، وضوؤه لامعاً، ونوره ساطعاً، له من الأفعال الغرر، ومن التقدم في طاعة الله اللباب)[3].

وتفيد **أم المؤمنين أم سلمة** -رضي الله عنها- الأمة بنصائحها ومواعظها المقتبسة من الهدي النبوي المتضمنة لقراءة بعض الأذكار والأوراد النبوية التي ترويها عن رسول الله ﷺ، وما ذاك إلا رغبة منها في نشر الخير، وتعميم النفع، وحب التأسي به ﷺ في أقواله وأفعاله، فمن ذلك ما جاء عنها -رضي الله عنها-: (أن النبي ﷺ كان يقول في دبر الفجر: اللهم إني

---

(١) انظر: بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٠/٢١٤).

(٢) أي لخداعهم، والختل: الخداع. انظر لسان العرب (١١/١٩٩).

(٣) للمزيد من روائع هذه الخطبة. انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (١/٢٧٦-٢٧٧).

أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً)[1].

وهذه الدعوات المباركات قد جمعت خيري الدنيا والآخرة، إذ تضمنت سؤال الله تعالى العلم النافع والذي هو من أشرف الغايات الموصلة لأعلى الدرجات، وبه كانت الرسل تُبعث بالشرائع من لدن رب الأرض والسماوات. ثم جاءت الدعوة الثانية بأن يتقبل الله العمل الصالح، وهذا غاية كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة، وهو مراد عباد الله المتقين. قال تعالى: ﴿**إنما يَتَقَبَّلُ الله منَ المتّقين**﴾[2]. فكم من عامل وعمله مردود عليه والعياذ بالله. ثم جاءت الدعوة الثالثة وهي سؤال المولى سبحانه وتعالى الرزق الحلال الطيب، إذ هو عصب الحياة، وبه تقوم مصالح العباد، وجاءت هذه الدعوة مشروطة بالطيب من الرزق الذي هو مطلوب الصالحين، والأتقياء من عباد الله؛ لأن نفوسهم الطيبة لا تقبل إلا الحلال الطيب، لعلمهم بأن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

وفي باب جمع كلمة المسلمين على إمام واحد، ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف تعظ أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- الأمة بلزوم وحدة الصف واجتماع الكلمة حتى وإن كان في الأئمة والأمراء ما ينكره المؤمن، وإن كان ذلك فعليه معالجة الوضع بالرفق في الإنكار عليهم إن قدر على ذلك، وإن عجز فليكره فعلهم وليستقبحه ولينكره بقلبه؛ حتى يخرج من

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٠٥٦) (ص١٩٧١) حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ. والحديث رواه ابن ماجة وصححه الألباني في: صحيح ابن ماجة، حديث رقم: (٧٦٢-٩٣٥) (٢٧٧/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما يقال بعد التسليم.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٢٧).

دائرة المداهنة لهم والمتابعة لأفعالهم حتى لا يرد موردهم في سوء العاقبة والمستقر والعياذ بالله، وهذه الخطوات والدرجات التي يسلكها المؤمن مشروطة بإقامة هؤلاء الأمراء للصلاة التي هي ركن الدين، وعماده القويم، وفي هذا تروي -رضي الله عنها- حديثاً عن رسول الله ﷺ جاء فيه أنها قالت: (قال رسول الله ﷺ: إنه ستكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد بريء، ومن كره فقد سَلِمَ، ولكن من رضي وتابع. قالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ قال: لا. ما صلوا لكم الخمس)[1].

وتأكيداً لما ورد في الحديث قال صاحب التحفة -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «وإنما منع عن مقاتلتهم ما داموا يقيمون الصلاة التي هي عنوان الإسلام حذراً من هيج الفتن واختلاف الكلمة وغير ذلك مما يكون أشد نكاية من احتمال نكرهم والمصابرة على ما ينكرون منهم»[2].

كما تعظ -رضي الله عنها- الأمة بحديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ فيه الوعيد الشديد لمن يقدم على استعمال آنية الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء، حيث شُبه الوعيد لمن يشرب في هذه الآنية بمن يملأ بطنه من نار جهنم نسأل الله السلامة والعافية، وفي هذا أعظم موعظة وأبلغ زجر في الانتهاء عن هذا العمل المحرم، فقد جاء في الصحيحين (عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "الذي

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع...، حديث رقم: (١٨٥٤) (ص٧٧٤). وأخرجه أبوداود وهذا لفظه حديث رقم: (٤٧٦٠) (٢٤٢/٤) كتاب السنة، باب: في قتل الخوارج.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمد المباركفوري (٥٤٤/٦).

يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر[1] في بطنه نار جهنم")[2].

وفي رواية لمسلم عنها -رضي الله عنها- (قالت: قال رسول الله ﷺ: من شرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم)[3].

قال النووي -رحمه الله-: «الإجماع منعقد على تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة والأكل بملعقة من أحدهما والتجمر بمجمرة منهما والبول في الإناء منهما وجميع وجوه الاستعمال ومنها المكحلة والميل...، وغير ذلك، ويستوي في التحريم الرجل والمرأة بلا خلاف، وإنما فُرِّق بين الرجل والمرأة في التحلي لما يقصد منها من التزين للزوج والسيد»[4].

ومما وعظت به أم المؤمنين **جويرية بنت الحارث** -رضي الله عنهما- نصحها بتجنب أمر نهى عنه رسول الله ﷺ رجال هذه الأمة وصَرَّح بالوعيد الذي يلحق مرتكب هذا العمل وهو تعمد لبس الحرير للرجال؛ لأنه دليل على الترفه والنعومة التي لا تليق إلا بالإناث، ومن تجرأ على هذا

---

(١) الجرجرة: صوت البعير عند الضجر، ولكنه جعل صوت جرع الإنسان للماء في هذه الأواني المخصوصة لوقوع النهي عنه واستحقاق العقاب على استعمالها كجرجرة نار جهنم في بطنه، أي يحدر فيها نار جهنم، والمعنى: كأنما يجرع نار جهنم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٥٥/١).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٦٣٤) (ص١٢٢٥) كتاب الأشربة، باب: آنية الفضة.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٠٦٥) (ص٨٥٦) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٩/١٤) بتصرف.

العمل من الرجال من غير عذر كان مصيره الوعيد الوارد في الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ومنها حديث أم المؤمنين جويرية -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "من لبس ثوب حرير ألبسه الله ثوباً من النار يوم القيامة"(١).

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة)(٢).

وفي رواية (عن عقبة(٣) بن عامر -رضي الله عنه- أنه قال: أهدي لرسول الله ﷺ فَرُّوج(٤) حرير، فلبسه ثم صلّى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعاً

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٢٩٣) (ص١٩٨٩) حديث جويرية بنت الحارث -رضي الله عنهما- والحديث في سنده جابر الجعفي وقد وُثّق. انظر: حاشية تقريب التهذيب للأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف (١٢٣/١) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان. وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٣٧٩/١) الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان. وانظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ: أحمد بن عبد الرحمن البنا (٢٦٧/١٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٨٣٢) (ص١٢٦٢) كتاب اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه.

(٣) هو عقبة بن عامر الجهني، صحابي مشهور، اختلف في كنيته على سبعة أقوال، أشهرها: أبوحمَّاد، وليَ إمرةَ مصر لمعاوية ثلاث سنين، وكان فقيهاً فاضلاً، مات في قرب الستين، انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (٢٧/٢)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤٨٢/٢).

(٤) فَرُّوج حرير: هو الثوب من الحرير يلبس فوق الثياب وفيه شق من خلفه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٢٣/٣). وانظر: المعجم الوسيط (٧١٣/٢).

شديداً، كالكاره له، ثم قال: لا ينبغي هذا للمتقين)[1].

وقد تكلم العلماء -رحمهم الله- من سلف هذه الأمة على مسألة لبس الحرير للرجال، ومما أفاد به الإمام النووي -رحمه الله- في هذه المسألة عند شرحه للأحاديث الواردة في صحيح مسلم قوله: «وأما لبس الحرير فحرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر، وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه سواء المزوجة وغيرها والشابة والعجوز والغنية والفقيرة، وهذا الذي ذكرناه من تحريم الحرير على الرجال وإباحته للنساء هو مذهبنا ومذهب الجماهير، وحكى القاضي عياض عن قوم إباحته للرجال والنساء، وعن ابن الزبير تحريمه عليهما، ثم انعقد الإجماع على إباحته للنساء وتحريمه على الرجال، ويدلُّ عليه الأحاديث المصرحة بالتحريم مع الأحاديث التي ذكرها مسلم في تشقيق علي -رضي الله عنه- الحرير بين نسائه وبين الفواطم خُمراً لهن، وأن النبيّ ﷺ أمره بذلك كما صرح به في الحديث[2]،

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٠٧٥) (ص٨٦٢) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٧١) (ص٨٦١) ونصه: "عن علي -رضي الله عنه- أن أكيدر دومة أهْدَى إلى النبي ﷺ ثوب حرير، فأعطاه علياً، فقال: "شققه خُمُراً بين الفواطم".

قال النووي -رحمه الله-: «وأما أكيدر: بضم الهمزة وفتح الكاف، هو أكيدر بن عبد الملك الكندي كان نصرانياً فلما صالحه النبي ﷺ عاد إلى حصنه ثم قتله خالد بن الوليد بعد ذلك لنقضه العهد مع المرتدين، ودوما: هي مدينة لها حصن، وهي عن المدينة على نحو ثلاث عشرة =

وا لله أعلم»[1].

وقد تكلّم الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- عن متعلقات العقوبة الأخروية التي تلحق صانع هذا الفعل فقال -رحمه ا لله-: «وفي هذه الأحاديث بيان واضح لمن قال يحرم على الرجال لبس الحرير للوعيد المذكور...، وحاصل أعدل الأقوال أن الفعل المذكور مقتضٍ للعقوبة، وقد يتخلف ذلك لمانع كالتوبة والحسنات التي توازن، والمصائب التي تكفر، ...وكذا شفاعة من يؤذن له في الشفاعة، وأعم من ذلك كله عفو أرحم الراحمين»[2].

كما توجه أم المؤمنين **جويرية** -رضي ا لله عنها- في باب الموعظة والحث على فضل الذّكر وضرورة ملازمته على الصورة الصحيحة المشروعة الموافقة لهديه ﷺ في ذلك، فقد روت في ذلك حديثاً عن رسول ا لله ﷺ في هذا الشأن بيَّنتْ خلاله فضيلة التقيد بالألفاظ النبوية الواردة في الأذكار

=

مرحلة وعن دمشق على نحو عشر مراحل وعن الكوفة على قدر عشر مراحل أيضاً، وأما المقصود بالفواطم فالجمهور أنهن ثلاث فاطمة بنت رسول ا لله ﷺ، وفاطمة بنت أسد وهي أم علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب، والرابعة هي فاطمة بنت شيبة ابن ربيعة امرأة عقيل بن أبي طالب، قال القاضي عياض يشبه أن تكون الرابعة فاطمة بنت شيبة بن ربيعة امرأة عقيل بن أبي طالب لاختصاصها بعلي -رضي ا لله عنه- بالمصاهرة وقربها إليه بالمناسبة، وهي من المبايعات شهدت مع النبي ﷺ حنيناً ولها قصة مشهورة في الغنائم تدل على ورعها» انظر: شرح النووي على صحيح مسلم -رحمه ا لله- (١٤/٥٠، ٥١).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٣٢، ٣٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٠/٢٩٠) بتصرف.

النبوية، وأن فيها الخير والقبول وزيادة الأجر ومضاعفة الثواب، فضلاً عن التأسِّي به ﷺ ونيل فضيلة التزام أوامره والتقيد بها في هذا الشأن، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن **جويرية** -رضي الله عنها- (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلَّى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال: النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)[1].

وفي فضيلة هذا الذكر النبوي قال بعض شراح الحديث: «وفيه شرف هذا الذكر بأي صيغة من صِيَغِه الصحيحة المذكورة الواردة، ...وأن الأجر ليس على قدر النصب، بل لله أن يأجر على العمل القليل بالأجر الجزيل -كما هو في هذا الحديث-»[2].

ولقد كانت **أم المؤمنين صفية** -رضي الله عنها- مرجعاً للمؤمنين والمؤمنات في كثير من مسائل العلم والفقه، وكانت -رضي الله عنها- تفتح بيتها وقلبها للسائلين والسائلات عن أمور الدين، وكانت تضمن إجاباتها بعضاً من المواعظ والفوائد التي يحتاج إليها كل مؤمن ومؤمنة، فقد جاء أنه دخل عليها بعض النسوة فسألْنها عن بعض أمور دينهن فأفتتهن

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧٢٦) (ص١٠٩١) كتاب الذكر والدعاء، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للشيخ محمد بن علاّن الصديقي الشافعي (٤/٢٣٨).

-رضي الله عنها- وضمنت فتواها الوعظ والنصح والإرشاد لهن، فقد روى الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده بسنده (عن صخيرة [1] بنت جيفر... قالت: حججنا ثم انصرفنا إلى المدينة، فدخلنا على صفية بنت حيي، فوافقنا عندها نسوة من أهل الكوفة، فقلن لها: إن شئتن سألتن وسمعنا، وإن شئتن سألنا وسمعتن؟ فقلن سلن، فسألن عن أشياء من أمر المرأة وزوجها، ومن أمر المحيض، ثم سألن عن نبيذ[2] الجر[3]؟ فقالت: أكثرتن علينا يا أهل العراق في نبيذ الجر، حَرَّم رسول الله ﷺ نبيذ الجر، وما على إحداكن أن تطبخ تمرها ثم تدلكه، ثم تصفيه فتجعله في سقائها وتوكئ عليه، فإذا طاب شربت وسقت زوجها)[4].

ودلالة الحديث ظاهرة في تقصِّي الناس في السؤال عن أمور دينهم، وفي موعظة أم المؤمنين -رضي الله عنها- لمن جاء يسألها عن نبيذ الجر، حيث وضحت الحكم الشرعي، ودلَّت على الطريق الصحيح الذي يسلم

---

(١) هي صخيرة بنت جيفر من أهل البصرة، دخلت على صفية بنت حيي وروت عنها حديثاً عن النبي ﷺ في نبيذ الجر. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٨٢/٨).

(٢) "النبيذ": هو ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك، يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً، وانتبذته: اتخذته نبيذاً، وسواء كان مسكراً أو غير مسكر فإنه يقال له نبيذ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦/٥).

(٣) الجرُّ والجرار: جمع جَرَّة، وهو الإناء المعروف من الفخار، والنهي ورد في الجرار المدهونة؛ لأنها أسرع في الشدة والتخمير. انظر: المصدر السابق (٢٦٠/١).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٤٠٢) (ص١٩٩٦) حديث صفية أم المؤمنين، والحديث رجاله رجال الصحيح. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٧/١٧).

منه المسلم من الوقوع في المحذور.

هذا ولقد تكلم العلماء -رحمهم الله- عن هذا الحديث وما ورد في بابه من الانتباذ في بعض الآنية التي كانت مشتهرة في ذلك الوقت ومنها نبيذ الجر، وبين النووي -رحمه الله- أصل هذه المسألة وما وقع فيها من رخصة بعد ذلك فقال -رحمه الله-: «ومختصر القول فيه أنه كان الانتباذ في هذه الأوعية منهياً عنه في أول الإسلام خوفاً من أن يصير مسكراً فيها ولا يُعلم به لكثافتها...، وربما شربه الإنسان ظاناً أنه لم يصر مسكراً فيصير شارباً للمسكر وكان العهد قريباً بإباحة المسكر، فلما طال الزمان واشتهر تحريم المسكر وتقرر ذلك في نفوسهم، نسخ ذلك، وأبيح لهم الانتباذ في كل وعاء بشرط أن لا يشربوا مسكراً»[1].

وفي باب التقيد ببعض النصائح النبوية والأوامر الشرعية، تعظ أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- من خلال حديث نبوي روته عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله حرصه ﷺ على الأمة ودلالتها على الخير، ومن ذلك وصيته ﷺ بألا تعلق الأجراس في رقاب الدواب، ويعلل ﷺ المنع حتى لا يُحرم الركب من فضيلة صحبة الملائكة لهم، والمقصود بهم هنا ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة[2] كما قال النووي -رحمه الله-، وفي ذلك روى أبو داود -رحمه الله- في سننه عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/٣-١٥٩). وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني -رحمه الله- (٧٠/٩).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩٥/١٤).

المبحث الثالث

أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين

أولاً: تعريفه.

القدوة لغة: اسم لمن يُقتدى به، إذا فُعل مثل فعله تأسّياً، وفلان قدوة: أي يقتدى به، والضم أكثر من الكسر، ويقال: إن القدوة الأصل الذي يتشعب منه الفروع[1].

وبهذا لا يكون قدوة للناس إلا من دعا إلى السجايا الحميدة، والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن وفق الدين القويم، ويكون هو أول العاملين والمنفذين لما يدعو الناس إليه.

ولذلك جعل الله تعالى نبينا محمد ﷺ هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى لكل مؤمن ومؤمنة فقال سبحانه: ﴿**لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ...**﴾[2]. وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة: «هو الأسلوب الذي يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً سواءً كان نبياً رسولاً، أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً نهجهم في عمله وعبادته لربه»[3].

وقد كان ﷺ هو أعظم وأزكى قدوة للمؤمنين والمؤمنات، يُعَبِّر عن ذلك قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند ما سُئلت عن خلق

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (٥/٦٦)، وانظر: لسان العرب، مادة (قدو) (١٧١/١٥) وانظر: المعجم الوسيط، مادة (قدو) (٧٢٧/٢).

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٢١).

(٣) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٧٢).

رسول الله ﷺ (قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[1].

وفي هذا يقول الأستاذ محمد قطب في وصفه لهذا الجانب والأسلوب الدعوي من حياته ﷺ: «لقد كان خلقه -ﷺ- القرآن، وكان الترجمة الحية لروح القرآن وحقائقه وتوجيهاته...، لذلك كان ﷺ أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل. وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به، سواء في ذلك القرآن المنزل وحديث الرسول ﷺ»[2].

ومما ذكر في تعريف القدوة قولهم: «القدوة: هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن سارًّا وإن ضاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿**لقد كانَ لكم في رسول اللهِ أسوةٌ حسنةٌ**﴾ فوصفها بالحسنة»[3].

والشخص القدوة: «هو الذي يدعو إلى أنواع الفضائل والكمالات السلوكية، والأفكار السليمة الصحيحة، وقد عمل بها واتصف بها من قبل»[4].

وقيل: «هو الذي يعمل بعلمه، فلا يكذب فعلُه قولَه، ولا يخالف ظاهره باطنه، ولا يأمر بشيء إلا وهو أول عامل به، ولا ينهى عن شيء

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٤٦) (ص٢٩٣) كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل.

(٢) منهج التربية الإسلامية للشيخ محمد قطب (١/١٨١-١٨٣).

(٣) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) (ص١٨).

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية للدكتور زياد محمود العاني (ص٣٢٧) الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ط. دار عمار، عمان – الأردن.

إلا وهو أول تارك له»[1].

ولهذا قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: «إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب»[2].

ثانياً: أهمية أسلوب القدوة الحسنة وأثره في دعوة أمهات المؤمنين.

تعتبر القدوة الحسنة من أهم الأساليب الناجعة في نجاح الدعوة إلى الله، وهذا ما فعله إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ حين طبق الكتاب والسنة تطبيقاً عملياً في حياته الخاصة والعامة. فقد كان حسن السيرة والسلوك، بل كان أعظم خلق الله في حسن خلقه، ولا غرابة فقد مدحه ربه بقوله: ﴿**وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم**﴾[3].

لهذا فإن للقدوة أثراً كبيراً في التأثير على الآخرين، فالقول إن لم يصدقه العمل -وخاصة من الدعاة الذين نصبوا أنفسهم لهذه المنزلة السامقة- يعتبر في الحقيقة تضييعاً لقيمة القول واستخفافاً بما ورد فيه من معان، لهذا أتى التوجيه الرباني للعلماء بأن يكونوا خير قدوة للناس حيث قال سبحانه: ﴿**ولكن كونوا ربَّانيين بما كنتم تعلّمونَ الكتابَ وبما كنتم تَدْرُسونَ**﴾[4].

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ (ص٩٠).

(٢) مع الله -دراسات في الدعوة والدعاة- للشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- (ص٢٩٨) الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ط. المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر.

(٣) سورة القلم، آية: (٤).

(٤) سورة آل عمران، آية: (٧٩).

«فالدعاة إلى الله هم الذين يجمعون إلى علمهم العمل به والتقوى والورع، فتحسن بهم القدوة وتعظم الأسوة، وتستفيد منهم الدعوة، وهم يؤثّرون بسلوكهم وثبات أخلاقهم، ولا يكاد الناس يرون نموذجاً طيباً إلا سارعوا إلى الالتفاف حوله؛ ذلك لأن التقليد عريق في بني الإنسان يميل إليه بفطرته، فإذا ما وجد المثل العليا أمامه زاد شوقاً إليها، وتضاعفت همته على الإقتداء بها»[1].

لذلك أمر الله المؤمنين أن يتخذوا رسول الله ﷺ أسوة وقدوة لهم في عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم، فقال سبحانه: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجوا الله واليومَ الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[2].

بل أمر بذلك كذلك بالنسبة لنبي الله إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فقال سبحانه: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيمَ والذينَ معه إذْ قالوا لقومهم إنّا بُرَءَاؤُ منكم ومما تعبُدون من دونِ اللهِ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وحدَه إلا قول إبراهيمَ لأبيهِ لأستغفِرَنَّ لك وما أملك لك من اللهِ من شيءٍ ربنا عليكَ توكلناَ وإليكَ أنبناَ وإليكَ المَصير. ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا واغفِرْلنا ربنا إنّك أنت العزيزُ الحكيمُ. لقد كان لكم فيهم أسوة حسنةٌ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتولَّ فإنَّ الله**

---

(١) معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني للدكتور خليفة حسين العسال (ص٤٣٩) الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٢١).

هو الغنيُّ الحميدُ﴾[1].

وأنكر سبحانه وتعالى على اليهود لأمرهم الناس بالخير ونسيانهم لأنفسهم فقال سبحانه: **﴿أتأمرون الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم وأنتم تتلونَ الكتابَ أفلا تعقلون﴾**[2].

ونبه سبحانه المؤمنين إلى الحذر من مثل ذلك بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون. كَبُرَ مقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[3].

والقدوة مهمة ومطلوبة وقديمة في النفوس قدم البشرية وهي من الضرورات الأساسية في قبول الدعوة، لهذا قال نبي الله شعيب عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه: **﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**[4].

«ويعتبر حب التقليد من ثمرات القدوة وحسناتها، فالنفوس جُبلت على التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل، والضعيف، والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل، والقوي، والرئيس كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده إلى اتباع قائده واقتفاء أثره.

---

(١) سورة الممتحنة، الآيات: (٤-٦).

(٢) سورة البقرة، آية: (٤٤).

(٣) سورة الصف، آية: (٣).

(٤) سورة هود عليه السلام، آية: (٨٨).

وهكذا نجد هناك رغبة مُلحة خفية تدفع البعض إلى محاكاة من يُعجب به من لهجة الحديث، وأسلوب الحركة، والمعاملة والكتابة، ومعظم عادات السلوك، دون أن يقصد، وهذا التقليد غير المقصود لا يقتصر على حسنات السلوك بل يتعداها إلى غيرها، فالشخص المتأثر يتقمص عن طريق لا شعوري شخصية المؤثر كلها أو جُلّها، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك القدوة لأنه بذلك يحمل وزر من يقلده»[1].

والدعاة إلى الله إذا أرادوا أن يضمنوا لدعوتهم النجاح فعليهم أن يجمعوا بين القول والعمل حتى يكونوا قدوة حسنة ومثلاً يحتذى به لأن القدوة من أنجح الأساليب الدعوية لكسب الناس في طريق الخير والهداية، وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: «إن الدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال، أعني ثماره في أتباعه المؤمنين به، ويومئذ تُرجى الإجابة ويرتقب الاهتداء...، وحين تتابع أوصاف المسلمين الفاتحين -كما شرحها بعض المنصفين من المستشرقين[2]- نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الظافرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل، فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحموهم عليها»[3].

إن للقدوة سواء كانت حسنة أم سيئة أثراً في مضاعفة الحسنات أو السيئات، ولهذا قال ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني (ص٣٣٠).

(٢) على الرغم من عدائهم للإسلام.

(٣) انظر كتاب: مع الله، للشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- (ص٢٩٨-٢٩٩).

وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

وتوعد رسول الله ﷺ من يخالف فعله قوله، ففي الحديث الذي رواه أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق[2] أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى[3] فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه)[4].

وفي هذا يقول ابن القيم -رحمه الله-: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا لهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق»[5].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٠١٧) (ص٣٩٢) كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

(٢) الاندلاق: خروج الشيء من مكانه والمراد خروج أمعائه من جوفه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٣٠/٢).

(٣) أي الطحانة التي يطحن بها. المصدر السابق: (٢١١/٢).

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم. انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٨٩) (ص١١٩٧) كتاب الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وصحيح البخاري، حديث رقم: (٣٢٦٧) (ص٦٨٨) كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار.

(٥) الفوائد لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) (ص١١٢) الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا.

وجاء في الأمثال: «إذا زَلَّ العَالِمُ زَلَّ بزلّتِهِ عَالَمٌ»[1].

وفي مثل هذا يقول الشافعي -رحمه الله-:

يا واعظ الناس عما أنت فاعله ... يا من يعد عليه العمر بالنفس

احفظ لشيبك من عيب يدنسه ... إن البياض قليل الحمل للدنس

كحامل لثياب الناس يغسلها ... وثوبه غارق في الرجس والنجس

تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجري على اليبس[2]

«وعلى الجملة فحق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصّر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون دفتراً يفيد ولا يستفيد، وَمِسَنًّا يستحد ولا يقطع وسراجا يضيء للناس ويحرق نفسه. فمن الحكم المأثورة "مثل العالم يعلم الناس وهو غير عامل كشمعة موقودة تضيء للناس وتحرق نفسها، بل يكون كالشمس تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده، وكالنار تحمي الحديد ولها من الحَمْو أكثر مما تفيد، وكالمسك يطيب غيره وهو غير طيب في نفسه، ويجب ألا ينقض مقاله بفعاله، ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: **﴿ومن الناس من يعجبُكَ قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام. وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسدَ فيها ويهلكَ الحرْثَ والنسلَ والله لا يحبُّ الفساد﴾**[3][4].

(١) مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (٧٣/١).

(٢) ديوان الإمام الشافعي، (ص١٠٨-١٠٩) جمع وتحقيق: زهدي يكن، ط. دار الثقافة، ١٩٦١م، بيروت-لبنان.

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٠٤-٢٠٥).

(٤) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ -رحمه الله- (ص٩٤).

ومما يؤكد دور القدوة الصالحة في نجاح الدعوة وضرورة أن يتمثل الداعي إلى الله بهذا الأسلوب في الدعوة، ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم حين كرم سبحانه وتعالى أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة حيث خاطبهن بقوله: **﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينةٍ يضاعَفْ لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. ومن يَّقْنتْ منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾**[1].

فنجد أن هذه الآيات تشير إلى عظم الواجبات الملقاة على عاتق زوجات النبي ﷺ؛ لأنهن في مكان القدوة الصالحة لكل مؤمن ومؤمنة، إذ تكشف عما يترتب على معصيتهن وطاعتهن من مضاعفة هذا الذنب وثواب الطاعة، وذلك لو حدث منهن الفعل -عياذاً بالله من ذلك-، ليزداد حذرهن وشكرهن لله عزَّ وجلَّ، فجعل لمن تأتي منهن بفاحشة ظاهرة العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. أي كان ذلك على الله سهلاً لا يمنعه جل شأنه عنه كونهن نساء النبي ﷺ، ولا أنهن أمهات المؤمنين، بل هذه المنزلة وهذا المكان الرفيع هو سبب لمضاعفة ذلك العذاب حتى يكن قدوة لغيرهن.

فكون الله جل جلاله ضاعف العذاب على نساء نبيه لأنهن في مكان الأسوة والقدوة، لهذا كان العالم يؤخذ عليه ما لا يؤخذ على الجاهل[2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٠-٣١).

(٢) بتصرف من كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للشيخ محمود الآلوسي (١٨٢/٢١).

وقوله: ﴿**نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً**﴾ إنما ذلك في الآخرة[1].

والمعنى أن أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- وأرضاهن إذا أطعن الله ورسوله وعملن العمل الصالح الذي كلفن به، أكرمهن الله بمضاعفة الثواب فكما أن العذاب يضاعف لهن ضعفين فمن كرم الله أن يضاعف الأجر لهن. وذلك لسمو منزلتهن ولأنهن أشرف نساء العالمين فهن بذلك قدوة للمقتدين.

ومما نقل عن بعض أهل العلم في بيان معنى قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين...**﴾[2] الآيات. «أي: مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، ولأن ما قبح في سائر النساء كان منهن أقبح، فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل. وليس لأحد في النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد في العاصي الجاهل، لأن المعصية من العالم أقبح، ولذا فضل حد الأحرار على العبيد، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات. وقال قوم: لو قدر الله الزنى من واحدة -وقد أعاذهن الله من ذلك- لكانت تحد حدين؛ لعظم قدرها، فمعنى الضعفين: معنى المثلين والمرتين. وقال مقاتل: هذا التضعيف في العذاب إنما هو في الآخرة كما أن إيتاء الأجر مرتين فيها. وهذا حسن؛ لأن نساء النبي ﷺ لم يأتين بفاحشة توجب حداً. قال ابن عباس

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٣٠-٣١).

-رضي الله عنهما-: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت في الإيمان والطاعة»[1].

وإن أصول القدوة الصالحة التي يكون بها الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع إلى أمرين: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول، فإذا تحقق هذان الأمران حسنت سيرة الداعي وأصبحت سيرته الطيبة دعوة صامتة إلى الإسلام، وبدراسة سيرة أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- نراهن نعم الأسوة والقدوة في الدعوة إلى الله، وحسبهن شرفاً وكرماً وصلاحاً وتقوى، اتخاذهن الصادق المصدوق ﷺ أسوتهن الحسنة وقدوتهن الطيبة، فصرن نبراساً لكل الدعاة في الاستنارة بسنته والسير على هديه ﷺ، لقد تعدَّدت مواقف القدوة وكثرت في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، فقد كانت حياتهن مدرسةً للمتعلِّمين في كل الميادين، فسبقهن إلى الإسلام، **وتحمُّلهن الأذى في سبيل ذلك،** وتقديمهن حبَّ الله ورسوله على كل غالٍ ورخيص، وبذلهن ما يملكن في نصرة الدعوة وهجرة بعضهن إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة، ومشاركتهن معه ﷺ في غزواته، وصبرهن على شظف العيش معه ﷺ، واختيارهن لله ولرسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها، وحسن تبعُّلهن له ﷺ بطاعته الطاعةَ الكاملةَ، وحفْظهن لسنته ﷺ ونقْلها إلى الأمة كاملة وافية من غير نقصان، وتمسُّكهن بهديه وأمره ﷺ في حياته وبعد وفاته، وسَيرهن على نهجه في حياة الزهد

---

(١) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري (ت:١٣٠٧هـ) (ص١٨٥) باب: ما نزل في تضعيف عذاب أهل البيت النبوي على فرض وقوع المعصية منهن. تحقيق: د. مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو، الطبعة الثامنة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

والكفاف والبذل والعطاء، وقرارهن في حجراتهن بعد وفاته ﷺ.

كل ذلك وغيره غيض من فيض للمتتبِّع لمواقف القدوة الحسنة في سيرتهن، وسيرد في الدروس المستفادة من أسلوب القدوة الحسنة في دعوتهن إشارة إلى شيء من ذلك لكل واحدة منهن -رضوان الله تعالى عنهن-.

المبحث الرابع

الدروس المستفادة للواقع المعاصر

أولاً: الدروس المستفادة من أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين.

١- يعتبر أسلوب الحكمة في الدعوة من أخصب الأساليب الدعوية أثراً في صلاح الفرد والمجتمع، وإن النتائج التي حققت من خلال هذا الأسلوب في صدر الدعوة وتاريخها الطويل أعظم شاهد على ذلك.

٢- تعددت التعاريف الواردة لهذا الأسلوب من علماء السلف والخلف، ومن أجمع التعاريف الشاملة لمعانيه من وجهة نظر الباحث: (أنه هو العلم الذي تعرف به كافة المحاولات لهداية الناس وتبليغهم الإسلام بعيداً عن الحماقات والأهواء بإعطاء كل أمر ما يناسبه، وبوضع الأشياء في مواضعها)[١].

٣- تظهر أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله من خلال الآيات القرآنية والأحاديث القولية والفعلية المستفادة من حياته ﷺ في هذا الشأن.

٤- كان لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- نصيبٌ وافرٌ في الدعوة إلى الله من خلال هذا الأسلوب الأمثل، تبين ذلك من خلال دراسة مفردات هذا المبحث.

٥- سلكت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- هذا الأسلوب منذ بزوغ فجر الدعوة، حيث وفقها الله لأن تكون أقوالها وأفعالها وتصرفاتها مع

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني (ص١٧).

رسول الله ﷺ ملؤها الحكمة والفهم، إذ كان ﷺ في أمسِّ الحاجة لذلك في الفترة التي بدأ فيها نزول الوحي، وعندما جَدَّ به السير في بث رسالة الإسلام الخالدة إلى البشرية.

٦- من دلائل وفور العقل والحكمة في دعوة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- مؤازرتها التامة والكاملة له ﷺ قبل البعثة وبذلها النفس والنفيس له ﷺ وسرعة استجابتها لله ولرسوله ﷺ، إذ كانت سَبَّاقة الخَلْقِ إلى الإسلام بلا منازع، وكلماتها الرشيدة له ﷺ في تثبيته وشد أزره عند نزول الوحي عليه، وتصرفها الحكيم بأخذها له عليه الصلاة والسلام عند ابن عمها ورقة بن نوفل دون غيره، كل ذلك شاهد على رسوخ قدمها في هذا الأسلوب من أساليب الدعوة.

٧- من دلائل أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- تضحيتها بليلتها مع رسول الله ﷺ لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، رغبة منها وحرصاً على البقاء تحت مسمى أمهات المؤمنين، وخشيتها لله عز وجل، وشدة حرصها على اتباعه وتنفيذ أمره ﷺ، وكثرة إنفاقها في سبيل الله ومساهمتها في نقل الميراث النبوي للأمة بأحاديثها التي في الصحيحين وغيرهما.

٨- مما روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله وبالذات لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين، هو ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، وذكرت حديثاً في الصحيح، فيه تركه ﷺ لنقض الكعبة لئلا يقع

بعض الناس فيما هو أشد منه وهو التكذيب والكفر.

٩- ومن دلائل الحكمة في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، قيامها بتقرير أصل من أصول الدين وهو تبليغ الرسول ﷺ لرسالة ربه كاملة من غير نقصان وعدم كتمه لشيء من ذلك، وحكمتها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ لما نزلت آيات التخيير، وفي أقوالها وإجاباتها الحكيمة، وفي حبها للعلم حتى غدت موئلاً للعلماء وطلاب العلم، وهذا مسندها أعظم شاهد على ذلك حيث بلغ مجموع أحاديثه ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.

١٠- من دلائل الحكمة في دعوة **أم المؤمنين حفصة** -رضي الله عنها- أن أضحت مكان استشارة والدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في كثير من الأمور الخاصة والعامة.

١١- تميزت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- برجاحة العقل وسداد الرأي والحكمة في تصريف الأمور، ومن ذلك مشورتها الحكيمة على رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ونصحها لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بعدم الخروج إلى العراق للمطالبة بدم عثمان -رضي الله عنه- وشفاعتها عند رسول الله ﷺ في رجلين من قومه والتماسها لهما العفو منه والدخول عليه.

١٢- تُعتبر قوة العبارة، والبراعة في الوصف من الأسس المهمة في الدعوة إلى الله، وقد كانت **أم سلمة** -رضي الله عنها- كذلك، وأصدق مثال على ذلك حديثها الذي تناقلته كتب السير والمغازي في هجرة

المسلمين إلى الحبشة ومحاورة النجاشي لرسولي قريش في شأن المسلمين.

١٣- من دلائل الحكمة في دعوة أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- إنصافها لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عندما استشارها النبي ﷺ في شأنها لما وقع خبر الإفك، وخشيتها لله عز وجل حتى شهد لها بعض أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- بذلك.

١٤- يعتبر حضور البديهة والتوفيق لاختيار الرأي الأصوب دلالة من دلالات أسلوب الحكمة في الدعوة، تمثل ذلك في توفيق الله لأم المؤمنين **جويرية** -رضي الله عنها- حيث كان ذلك سبباً في عتق رقبتها وقومها بني المصطلق.

١٥- من دلائل الحكمة لدى أم المؤمنين **جويرية** -رضي الله عنها- حبها للعلم وروايتها للحديث، فقد روى عنها كبار علماء الصحابة والتابعين.

١٦- اتصفت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- بالحكمة والرشد ومن ثمرات ذلك اختيارها -وبدون تردد- لله ورسوله ﷺ فكان لها من وراء ذلك الخير العظيم والمجد التليد الذي لا يبلى ولا ينسى إلى يوم الدين.

١٧- تعتبر الهدية باباً من أبواب أسلوب الحكمة في الدعوة، وقد كانت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها-ممن أسس قواعد هذا الباب في الدعوة، حيث بدأت بإهداء ما كانت تملكه من حُلي لابنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ولضرائرها من أمهات المؤمنين، رغبة في بذل الحب وتأليف القلوب.

١٨- تعددت مواقف الحكمة في دعوة أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله

عنها- فإيمانها المبكر وهجرتها إلى الحبشة وثباتها على دينها في أرض الحبشة بعد ارتداد زوجها، وموقفها مع والدها أبي سفيان -وقت أن كان مشركاً- عندما طوت دونه فراش رسول الله ﷺ، وحبها للعلم واستزادتها منه، حتى غدت حجرتها موئلاً لطلاب العلم ورواة الحديث من كبار الصحابة وأئمة التابعين.

١٩- من المواقف الدالة على حكمة أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- في الدعوة وتبصرها لعواقب الأمور، بذلها ما في وسعها لأن تكون في مصاف أمهات المؤمنين وقد كان لها ذلك الشرف حتى ذكرها بعض أهل التفسير بأنها من الواهبات أنفسهن له ﷺ.

٢٠- أفادت أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- من أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله في فهمها واستنباطها لبعض الأحكام الشرعية التي أشكلت على بعض نساء الأمة، ومن ذلك فتواها للمرأة التي نذرت أن تصلي في بيت المقدس بأن تصلي في مسجد رسول الله ﷺ لتحقق الأفضلية في مسجده ﷺ عن المسجد الأقصى.

ثانياً: الدروس المستفادة من أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين.

١- يعتبر أسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة من الأساليب المهمة التي اعتمدها رسول الله ﷺ في دعوته، وسار على نهجه فيها الدعاة والداعيات إلى الله وعلى رأسهن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

٢- مما ثبت في علم الدعوة أن الموعظة الحسنة من الأساليب الناجحة

ذات الأثر الكبير في نجاح الدعوة وفي الإعداد والتوجيه وتصويب السلوك مشروطة بالأسلوب المحبب والوجه المقبول، مع ملاحظة ضرورة الصبر وصدق الحديث، وتقديم التبشير قبل الإنذار والوعيد في غالب الأوقات.

٣- يجب مراعاة مقومات شخصية كل مستهدف بأسلوب الموعظة الحسنة، كمكانته الاجتماعية، واستعداداته النفسية لغرض صياغة الموعظة بما يتناسب وهذه المقومات.

٤- لأسلوب الموعظة الحسنة طرائق متعددة منها: القول الصريح اللطيف اللين، والتعريض، والكناية المؤدية، والتورية، والقصة، والخطابة المؤثرة، والتذكير بالنعم، والمدح والذم، والترغيب والترهيب، والوعد بالنصر والتمكين، والتحمل والصبر، وضرب الأمثال وغير ذلك.

٥- سلكت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في دعوتها من خلال أسلوب الموعظة الحسنة مسلك التذكير بالخير ونعم الله على رسوله ﷺ من قبل البعثة، كما كانت عباراتها قوية في الوعد بالنصر والتمكين له ﷺ وأنه نبي هذه الأمة وأن الله ناصره ومؤيده ولن يخذله أبداً.

٦- من دلائل صدق أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- في دعوتها بأسلوب الموعظة الحسنة، التزامها بما دعت الناس إليه ورغبتهم فيه، وذلك في سبقها إلى الإسلام قبل الخلق أجمعين، وفي خلقها الكريم معه ﷺ وحسن تبعُّلها له ﷺ، وفي صبرها وتحملها مشاقّ الدعوة وأعبائها حيث ضربت أعظم مثل، موعظة وذكرى لكل مؤمن ومؤمنة.

٧- التزمت أم المؤمنين سودة وأم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنهما- التزاماً حرفياً كاملاً بتوجيهاته ﷺ، فضربن بذلك أعظم مثل في الدعوة إلى الله بالعمل قبل القول تمثل ذلك في تركهن الحج من بعده ﷺ حتى لقين الله عزَّ وجلَّ امتثالاً لقوله في ذلك.

٨- أَثْرَتْ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله من خلال أحاديث نبوية فيها التخويف والوعيد والتذكير بأهوال يوم القيامة، وفيها الحثّ على الزهد في الدنيا والتقلل من متاعها الزائل، وفيها حثّ المؤمنات على التستر والحشمة بعدم وضع ثيابهن في غير بيوتهن، وفيها التحذير من خلق ذميم هو التوغُّل في الخصومة والنزاع والمحاجة بالباطل.

٩- وعظت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ولاة أمور المسلمين موعظة بليغة من خلال حديث نبوي روته عن رسول الله ﷺ وضحت فيه بأنه يجب على كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين أن يضع نصب عينيه عِظَمَ هذه المسؤولية، وأنه سيسأل عنها بين يدي الله عزَّ وجلَّ فإن أحسن ورفق بمن تحت يده من المسلمين وجد ذلك حسناً عند الله، وإن كانت الأخرى فالجزاء من جنس العمل.

١٠- اهتمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بركن أساس وقاعدة مهمة من قواعد الدين هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فروت في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ وعظت من خلاله، ونصحت وحذرت من مغبة فقد هذا الركن العظيم والتساهل في إقامته وتنفيذه.

١١- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أسلوب الخطابة الذي يُعد من أشهر أساليب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، فقد شهد لها برسوخ القدم في هذا الباب أرباب الفصاحة والبيان، فَسَخَّرت ذلك في الوعظ والإرشاد والحث على الخير، ومن ذلك خطبتها في قوم بلغها عنهم أنهم ينالون من والدها الصديق -رضي الله عنه- بعد وفاته، وكذلك روايتها لحديث الإفك الطويل الذي يُعد بحق قطعة أدبية نادرة من عيون البلاغة والأدب.

١٢- أفادت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال أسلوبها في الموعظة الحسنة بأحاديث روتها عن رسول الله ﷺ في الوعظ والتذكير والحث على التأسي به ﷺ في حرصه واجتهاده في الطاعة، ومنها المبادرة إلى صوم النافلة وغير ذلك.

١٣- أفادت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال أسلوبها في الموعظة الحسنة بأحاديث روتها عن رسول الله ﷺ فيها الإحسان إلى البنات والأخوات، وفيها قراءة بعض الأذكار النبوية الواردة عنه ﷺ، وفيها الحثّ على اجتماع كلمة المسلمين ووحدة الصف ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف، وفيها النهي عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة.

١٤- وعظت أم المؤمنين **جويرية** -رضي الله عنها- الأمة في دعوتها إلى الله بأسلوب الموعظة الحسنة من خلال حديث نبوي روته عن رسول الله ﷺ مضمونه التصريح بالوعيد الشديد لمن يتعمد لبس الحرير من رجال هذه الأمة من غير ضرورة، لأنه دليل الترف والنعومة التي

لا تليق بالرجال، ومن خلال حديث نبوي روته عن رسول الله ﷺ مضمونه الحث على ذكر الله وضرورة ملازمته على الصورة الصحيحة المشروعة الموافقة لهديه ﷺ ومنها التقيد بالألفاظ النبوية الواردة في هذا الشأن.

١٥- كانت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- مرجعاً للمؤمنين والمؤمنات في كثير من مسائل العلم والفقه، وكانت تضمن إجاباتها بعضاً من المواعظ والفوائد زيادة في الخير، فمن ذلك حين أجابت نسوة دخلن عليها من أهل الكوفة عن أشياء من أمر المرأة وزوجها، وعن المحيض وعن نبيذ الجَرّ، فوضَّحت -رضي الله عنها- تحريمه ﷺ لنبيذ الجر، وَدَلَّتهم على ما هو مشروع بقولها: وما على إحداكن أن تطبخ تمرها ثم تدلكه، ثم تصفيه فتجعله في سقائها وتوكئ عليه، فإذا طاب شربت وسقت زوجها.

١٦- أفادت أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال دعوتها بأسلوب الموعظة الحسنة بحديث روته عن رسول الله ﷺ وعظت من خلاله بألا تعلق الأجراس في رقاب الدواب، وَعَلَّلَ ﷺ ذلك حتى لا يحرم الركب من فضيلة صحبة الملائكة لهم، والمقصود بهم هنا ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة كما قال النووي -رحمه الله-.

١٧- تميزت أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- بأسلوب مميز في الوعظ والإرشاد، بحيث تقدم الموعظة المناسبة في الوقت المناسب، وتؤيد موعظتها بالأدلة الثابتة عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن، فمن ذلك

عندما وعظت ابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- وبينت له جواز النوم مع زوجته الحائض في فراش واحد، وأن ذلك من هديه وسنته ﷺ مع نسائه إذا عرض لهن ذلك.

ثالثاً: الدروس المستفادة من أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أمهات المؤمنين.

١- لا يكون الداعية إلى الله قدوة للناس إلا إذا دعا إلى السجايا الحميدة، والأخلاق الفاضلة والسلوك الحسنِ وفق الدين القويم، وكان هو أول العاملين المنفذين لما يدعو الناس إليه.

٢- لقد كان نبينا محمد ﷺ هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى لكل مؤمن ومؤمنة بشهادة رب العالمين في كتابه الكريم حيث قال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[١].

٣- مما نقل في تعريف أسلوب القدوة الحسنة في الدعوة (أنه هو الأسلوب الذي يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً سواءً كان نبياً رسولاً أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً نهجهم في عمله وعبادته لربه)[٢].

٤- أجمل الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- القول في أسلوب القدوة الحسنة في الدعوة بقوله: (إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم: (٢١).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتاح البيانوني (ص٢٧٢).

الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب)[1].

٥- تعتبر القدوة الحسنة من أهم الأساليب الناجعة في نجاح الدعوة إلى الله، وهذا ما فعله إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ حين طبق الكتاب والسنة تطبيقاً عملياً في حياته الخاصة والعامة، حتى مدحه الله عزَّ وجلَّ بقوله: **﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيمٍ﴾**[2].

٦- للقدوة الحسنة أثر كبير في التأثير على الآخرين، لهذا أتى التوجيه الرباني للعلماء والدعاة إلى الله على وجه الخصوص بأن يكونوا خير قدوة للناس حيث قال سبحانه: **﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾**[3].

٧- التقليد عريق في بني آدم يميل إليه بفطرته، فإذا ما وجد المثل العليا أمامه زاد شوقاً إليها، وتضاعفت همته على الاقتداء بها؛ لذلك أمر الله سبحانه المؤمنين أن يتخذوا رسول الله ﷺ أسوة وقدوة حسنة لهم في عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم.

٨- إن للقدوة -سواءً كانت حسنة أم سيئة- أثراً في مضاعفة الحسنات أو السيئات، لذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك الداعية لأنه بذلك يحمل وزر من يقلده.

---

(١) مع الله – دراسات في الدعوة– للشيخ محمد الغزالي، (ص٢٩٨).

(٢) سورة القلم، آية رقم: (٤).

(٣) سورة آل عمران، آية: (٧٩).

٩- توعَّد رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث الصحيحة من يخالف فعله قوله، وذلك لما فيه من عظيم المفسدة والشر، فأمثال هؤلاء كما قال ابن القيم -رحمه الله-: «هم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق»[1].

١٠- لأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- منزلة عالية لأنهن في مكان القدوة الحسنة للمؤمنين والمؤمنات، فقضى الله عزَّ وجلَّ في كتابه بأن لهن المضاعفة في أجر الحسنات، والمضاعفة في كَتْبِ السيئات -أعاذهن الله من ذلك- وذلك لعظم الأمانة والواجب الملقي على عاتقهن في باب القدوة.

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص١١٢).

الفصل الرابع

وسائل الدعوة عند أمهات المؤمنين

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل : الوسائل المعنوية في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني : الوسائل الحسية في دعوة أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث : الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

تمهيد:

أولاً: تعريف الوسيلة في اللغة:

الوسيلة: القربة. والجمع: وسائل. قيل: وَسَّلَ فلان إلى ا لله وسيلة، إذا عمل عملاً تقرب به إليه[1]. وقيل: هي ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوُسُل والوسائل[2]. وقيل: وَسَلَ: الرغبة والطلب، والواسل: الراغب إلى ا لله[3].

ثانياً: تعريف الوسيلة في الاصطلاح:

تناول المفسرون معنى الوسيلة عند تفسيرهم لقول ا لله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾[4].

ففسرت بما يلي:

١- أنها القربة التي ينبغي أن يطلب بها[5].

٢- هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[6].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله-: «الوسيلة هي ما يتقرب به إلى

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٧٢٤/١١)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٦٥/٤).

(٢) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ص٣٠٧). وانظر: لسان العرب (٧٢٥/١١)، وانظر: مختار الصحاح للجوهري (ص٧٢١).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٠/٦).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣٥).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (٥٦٧/٤)، ومعالم التنزيل للإمام البغوي (٣٤/٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤٨/٢).

الكبير»[1]. وقيل: «هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به»[2].

ومما عرفت به الوسيلة عند بعض الكتاب المعاصرين ما يلي:

١-هي ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر[3].

٢-هي العمل الذي يحقق أهداف الدعوة إلى الله[4].

٣- هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية[5].

٤- ومما قيل في ذلك: "بأنها القنوات أو أدوات التوصيل لأساليب الدعوة. وإن الوسائل من حيث الترتيب تأتي في القاع وأعلى منها الأساليب، وفي القمة المناهج"[6].

ولقد تناول أحد الكتاب هذا الموضوع بدقة أكثر في التمييز بين الوسائل والأساليب وذلك من خلال ذكر نماذج لكل منهما. فذكر من وسائل الدعوة المباشرة: المسجد، الحج، الجهاد، الأسواق، المناداة، ثم ذكر بعض الأساليب، منها: الدعوة بالقدوة، الحوار، الوعظ والدروس

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/٩٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/١٨٥).

(٣) أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان (ص٤٤٧) الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود (١/٢٣٤)، الطبعة الثانية (١٤١١هـ) ط. دار الوفاء، مصر.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٤٩).

(٦) مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة (ص١٦).

والندوات[1].

ثالثاً: أنواع الوسائل الدعوية:

من خلال التعاريف السابقة يمكن تقسيم الوسائل الدعوية إلى قسمين أساسين:

١- الوسائل المعنوية.

٢- الوسائل الحسية.

ويقصد بالوسائل المعنوية: جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة مثل التواضع وحب الخير للناس والزهد فيما في أيدي الناس، والصبر والإخلاص وغير ذلك، ويقصد بالوسائل الحسية: جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة على دعوته[2].

ومن خلال هذا التقنين لكل من الوسائل الحسية والمعنوية في الدعوة، ستكون دراسة هذا الفصل واضحة ومحددة بإذن الله تعالى.

رابعاً: مشروعية الوسائل الدعوية:

لكي تكون الوسيلة مشروعة ومستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة يتعين أن تكون منضبطة بأحكام الإسلام.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير يوسف (ص١٠-٢٧)، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) ط. دار طويق للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٣)، وانظر: وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، (ص٢٩،٤٦) الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ).

وفي التأكيد على المشروعية في الوسائل الدعوية تتعين الإشارة إلى وجوب شرف الوسيلة تبعاً لشرف الغاية، أخذاً بقاعدة (للوسائل أحكام المقاصد)[1]، وبذلك تبطل دعوى أن الغاية تبرر الوسيلة.

إن الإسلام لا يعرف فصلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل ولا يقر الدعوى السابقة -أن الغاية تبرر الوسيلة- كما هو الحال في المبادئ البشرية، بل إن للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج وهكذا[2].

وتبعاً لذلك لا يُعني بالانضباط السلامة من جميع العيوب والأخطاء، فهذا أمرٌ متروك لمستخدم الوسيلة لأنه يجب الأخذ بالقواعد التالية:

(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ودفع أحد الضررين بأخفهما وما لا يدرك كله لا يترك جله)[3]، والتأمل فيما يترتب على الموقف الدعوي من نتائج.

ومن خلال النظر في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- تتضح المثالية في استخدامهن لهذه الوسائل المشروعة في دعوتهن.

---

(١) قواعد الأحكام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (٤٦/١) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان. وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٣٦/٣)، وانظر: القواعد والأصول الجامعة للشيخ ابن سعدي بمجموعة الفقه (٢٥/٢) طبعة عام (١٤١١هـ) مركز صالح بن صالح للثقافة، عنيزة - المملكة العربية السعودية. وانظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا (ص٢٠٥)، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ) ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

(٢) بتصرف من المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٥).

(٣) قواعد الأحكام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (٤٦/١)، وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٣٦/٣) ط. دار الجيل، بيروت. وانظر: القواعد والأصول الجامعة للشيخ ابن سعدي بمجموعة الفقه (٢٥/٢) طبعة عام (١٤١١هـ) مركز صالح بن صالح للثقافة، عنيزة - المملكة العربية السعودية. وانظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا (ص٢٠٥)، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ) ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

المبحث الأول

الوسائل المعنوية في دعوة أمهات المؤمنين

لقد عُني العلماء من سلف هذه الأمة وإلى وقتنا الحاضر بالحديث عن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، وذلك لأنهن صفة الصفوة من النساء، تؤخذ من حياتهن مع رسول الله ﷺ كل الفضائل وكريم الشمائل.

ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله، وعملاً أساسياً من أعمال رسول الله ﷺ، كان لا بد أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، منضبطة بأحكام الإسلام في جميع أسس الدعوة ومنها الوسائل بنوعيها المادية والمعنوية.

وقد سبق الحديث عن ماهية وسائل الدعوة، وتم التوضيح للمعطيات التي ستسير عليها الدراسة في هذا المبحث، ونعني بها الوسائل المعنوية، والتي تتجلى فيما قامت به أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- وأولاهن السيدة **خديجة** -رضي الله عنها-.

لقد حبا الله **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- حسن التفكير وسلامة التخطيط واللذين هما من الركائز الأساسية للوسائل المعنوية في الدعوة، تمثل ذلك في التالي:

١- نجاحها في تجارتها[(١)]، وحسن تصرفها في تنمية أموالها بالطرق المشروعة من التكسب.

---

(١) «قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم». سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢٠٣/١). وانظر: المستدرك للحاكم (عن جابر -رضي الله عنه- قال: استأجرت خديجة -رضوان الله عليها- رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٨٢/٣).

٢- حسن اختيارها للزوج الصالح، تمثل ذلك في تخطيطها[1] للزواج به ﷺ، وقد كان لها ذلك.

٣- تثبيتها له ﷺ عند بدء نزول الوحي بأقوالها السديدة[2] والمبشـرة لـه ﷺ بأنه سيكون نبي هذه الأمة بإذن الله.

٤- تصرفها الرشيد بـأخذه[3] ﷺ إلى ابـن عمهـا ورقـة بـن نوفـل لمشـورته لَمَّا بدأه نزول الوحي ﷺ.

٥- صواب رأيها في سبقها[4] إلى الإيمـان بـه ﷺ لَمّـا رأت العلامـات الدالـة على صدق نبوته ﷺ.

هذا ومـن دلائـل كريـم أخلاقهـا وجميـل صفاتهـا -رضـي الله عنهـا- ما يلي:

١- كرمها وجودها ببذلها مالها كله لرسول الله ﷺ قبل البعثة[5] وبعدها.

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢٠٤/١) وانظر: السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (٢٢٧/١-٢٢٨) الطبعة الأولى:١٩٦٤م، ط. مطبعة البابي الحلبي، مصر.

(٢) انظر: صحيـح البخـاري، حديـث رقـم: (٣) (ص١٢) كتـاب بـدء الوحـي، ط. دار الأرقـم، بيروت. وانظر: صحيـح مسلم، حديـث رقـم: (١٦٠) (ص٨٨) كتـاب الإيمـان، بـاب: بـدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: صحيح البخـاري، حديـث رقـم: (٣) (ص١٢) كتـاب بـدء الوحـي، وصحيـح مسـلم، حديث رقم: (١٦٠) (ص٨٨) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٤) انظر: سيرة النبي ﷺ لابـن هشـام (٢٥٩/١) وأسـد الغابـة لابـن الأثـير (٧٨/٦) ترجمـة رقـم: (٦٨٦٧)، وانظر: الكامل في التـاريخ لابـن الأثـير (٣٧/٢) وانظـر: تهذيـب الأسمـاء واللغـات للنووي (٣٤١/٢)، وانظر: الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص٢١).

(٥) انظر: فتح القدير من علم التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني (٤٥٨/٥)، عند تفسير قولـه تعالى: ﴿**ووجدك عائلاً فأغنى**﴾، (قيل: أغناك بمال خديجة بنت خويلد).

٢- حبها له ﷺ وحبها لمن يحب، فقد أحبت عليا -رضي الله عنه-، ووهبت غلامها زيد بن حارثة له ﷺ[١].

٣- صبرها على فراقه ﷺ الليالي والأيام وهو في خلوته[٢] في غار حراء.

٤- صبرها على مشاق الدعوة وأذى المشركين وتخفيفها[٣] على رسول الله ﷺ مما يلقى في ذلك.

٥- دعوتها بناتها إلى الإسلام فأسلمن[٤] جميعاً.

٦- مؤازرتها لرسول الله ﷺ بدخولها معه في الشعب وقت المحاصرة[٥].

أثمر ذلك محبته ﷺ لها ووجده على فراقها، أُخِذَ ذلك مما يلي:

١- عدم إدخاله الضرائر عليها طيلة حياتها معه ﷺ.

٢- مبادلتها الحب والتقدير طيلة مكثه معها.

٣- تبشيرها ببشارة الله لها ببيت في الجنة من قصب.

٤- سلام الله عليها بواسطة جبريل الذي طلب من رسول الله ﷺ أن يبلغها سلامه كذلك.

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (١/٢٦٤). وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٥٤٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣) (ص١٢) كتاب بدء الوحي ونصه: (ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق...) الحديث.

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٢٧٥).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٣١، ٣٦، ٣٧) قال في ترجمة كل واحدة منهن: (وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء).

(٥) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (١/٣٧٥، ٣٧٦).

٥- صلة النبي ﷺ إلى صدائق **خديجة** -رضي الله عنها- بعد وفاتها.

٦- غضبه ﷺ لها عندما ذكرتها بعض أمهات المؤمنين بشيء.

ومما ورد في دعوة **أم المؤمنين سودة** -رضي الله عنها- والتي وهبها الله من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ما يلي:

١- حياؤها وأدبها، من ذلك عندما رجعت إلى رسول الله ﷺ وذكرت له مناداة عمر -رضي الله عنه- لها وتعرفه عليها[(١)].

٢- شهادة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لها بالتقوى[(٢)] والخلق الحسن.

٣- موافقتها لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في حب الاستئثار به ﷺ دون بعض نسائه[(٣)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٩٥) (ص١٠٣٤) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**لا تدخلوا بيوت النبي إلاَّ أن يؤذن لكم...**﴾ الآية، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت، فقالت: يا رسول الله ﷺ إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: (إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن)، ورواه مسلم في صحيحه برقم: (٢١٧٠) كتاب السلام، باب: إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣) (ص٥٨٣) كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها. وبعض نصه: عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (...وما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢٦٨) (١١٥٦) كتاب الطلاق، باب: ﴿**لم تحرم ما أحل الله لك...**﴾، وفي بعض نصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله =

٤- مبادرتها للاعتذار من رسول الله ﷺ حيث غلبت عليها محبة قومها وقبوله ﷺ لعذرها[١].

٥- تمسكها والتزامها بأمره ﷺ في حياته وبعد وفاته ﷺ ومن ذلك:

=

ﷺ يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرفُط، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، قالت: تقول سودة، فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أباديَهُ بما أمرتِني به فرقاً مِنْك، فلما دنا قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. فقالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُط، فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة، قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: والله لقد حَرَمْناه، قلت لها: اسكتي). ومعنى (جرست): أي: أكلت: يقال للنحل الجوارس، والعرفط: شجر الطَّلْح، وله صمغ كريه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٢٦٠-٣/٢١٨).

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/٢٨٨) ونصه: (قالت سودة: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي أن قلت: أي أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً، فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟ قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت).

(أ) احتجابها من ولد زمعة[1] فما رآها حتى لقي الله عزَّ وجلَّ.

(ب) ملازمتها حجرتها وقرارها[2] فيها حتى لقيت الله عزَّ وجلَّ.

هذا ومن دلائل حسن التفكير لدى أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- تنازلها[3] عن ليلتها مع رسول الله ﷺ إلى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٣٣) (ص٥٢٦) كتاب العتق، باب: أم الولد. ونصه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص: أن يقبض إليه ابن وليدة زمعة، قال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ زمن الفتح أخذ سعد ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه بعبد بن زمعة، فقال سعد: يا رسول الله هذا ابن أخي، عهد إلي أنه ابنه، فقال عبد بن زمعة: يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة زمعة، ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس به، فقال رسول الله ﷺ: "هو لك يا عبد بن زمعة". من أجل أنه ولد على فراش أبيه، قال رسول الله ﷺ "احتجبي منه يا سودة بنت زمعة مما رأى من شبهه بعتبة). وفي ورواية: فما رآها حتى لقي الله. صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٠٥٣) (ص٤٢٧).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٣٢٤/٦) ونصه: (عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: "هذه ثم ظهور الحصر، قال: فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، فكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا ذلك منه ﷺ.

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣) (ص٥٨٣) كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما رأيت امرأة أحَبَّ إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، من امرأة فيها حدة، قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله قد جعلت يومي منك لعائشة، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة).

٢- توفيق الله لها بأن كانت سبباً في التيسير على الأمة في بعض أحكام مناسك الحج[١].

٣- نقلها لهديه ﷺ في بعض الأحكام التي يختص بها النساء[٢].

ولقد سطرت أم **المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- أروع الأمثلة في كريم الأخلاق ونبيل الصفات فمن ذلك:

١- صبرها على شظف العيش وضيق الحال التي كان يعيشها[٣] ﷺ مع زوجاته الطاهرات -رضوان الله تعالى عنهن-.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٦٨١) (ص٣٥٣) كتاب الحج، باب: من قدم ضعفة أهله بليل، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة، أحب إليَّ من مفروح به). ورواه مسلم في صحيحه برقم: (١٢٩٠) كتاب الحج، باب: استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن.

(٢) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٨١) (٧٣/١) كتاب الطهارة، باب: في المرأة تستحاض، ومن قال تدع الصلاة في عدة الأيام التي كانت تحيض. ونصه: (وروى العلاء بن المسيب عن الحكم عن أبي جعفر أن سودة -رضي الله عنها- استحيضت، فأمرها النبي ﷺ إذا مضت أيامها اغتسلت وصلت)، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، الحديث (٢٨١) (٨٢/١).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٤٩٤) (ص٣١٦) كتاب الزكاة، باب: إذا تحولت الصدقة، ونصه: (عن أم عطية الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: دخل النبي ﷺ على عائشة -رضي الله عنها- فقال: هل عندكم شيء؟ فقالت: لا إلا شيء بعثت به إلينا نسيبة من الشاة التي بعثت بها من الصدقة، فقال: إنها قد بلغت محلها).

٢- أدبها مع رسول الله ﷺ ومعرفتها قدره حتى عند اشتداد غيرتها[1] من بعض نسائه -رضوان الله تعالى عنهن-.

٣- شدة تواضعها وانكسارها بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وذلك من خلال ما ورد عنها في قصة الإفك حيث استبعدت نزول قرآن يتلى

---

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٥٢١١) (ص١١٤٥) كتاب النكاح، باب: القرعة بين النساء إذا أراد سفراً، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، تنظرين وانظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً) وفي رواية لمسلم: (...رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً) انظر: صحيح مسلم: حديث رقم: (٢٤٤٥) (ص٩٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة -رضي الله عنها-.

ومن ذلك ما روي في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ ...، قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وارقب طرفه هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها، قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: "إنها ابنة أبي بكر" . انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٨٠) (ص٥٣٥) كتاب الهبة، باب: من أهدى إلى صاحبه، وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤٢) (ص٩٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة -رضي الله عنها-. واللفظ لمسلم.

في شأنها[1] -رضي الله عنها-.

٤- أدبها وسمو خلقها -رضي الله عنها- في ردها السلام على جبريل عليه السلام، وثنائها عليه[2].

٥- بِرُّها برسول الله ﷺ وأدبها معه بتأخيرها قضاء ما عليها من رمضان حتى يدركها شعبان لمكان رسول الله ﷺ منها[3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، جزء من الحديث رقم: (٤٧٥٠) (ص١٠١٧) كتاب التفسير، باب: **﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ﴾**. وبعض نصه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (...ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه...) الحديث. وانظر: في تأكيد أدب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وتواضعها. كتاب جلاء الأفهام لابن القيم (ص١٨٣-١٨٤).

(٢) انظر: الحاكم في المستدرك (٧/٤) (عن مسروق قال: قالت لي عائشة لقد رأيت جبريل عليه الصلاة والسلام واقفاً في حجرتي هذه ورسول الله ﷺ يناجيه فلما دخل قلت: يا رسول الله من هذا؟ قال بمن شبهتيه؟، قلت؛ بدحية الكلبي، قال: لقد رأيت خيراً كثيراً ذاك جبريل عليه السلام فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام. قالت: قلت: وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيراً)، كما أخرج -رحمه الله- في خلال أم المؤمنين عائشة حديثاً من رواية عبد الله بن صفوان عن عائشة -رضي الله عنها-، وذكر فيه: (...ورأيت جبريل عليه الصلاة والسلام ولم يره أحد من نسائه غيري...) الحديث، صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك للحاكم (١٠/٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٥١) (ص٤٤٢) كتاب الصيام، باب: قضاء رمضان في شعبان، ونصه: عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها تقول: (كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ).

٦- من كريم أخلاقها رغبتها في مرافقته ﷺ في الدنيا والآخرة وذلك باتباعها لهديه ﷺ في حياته وبعد وفاته[(١)].

٧- من أدبها وتواضعها مع ربها عزَّ وجلَّ رفضها دخول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عليها عند موتها حتى لا يزكيها فتعظم عليها نفسها في تلك اللحظات الأخيرة من عمرها[(٢)].

---

(١) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٣٥٧) (٥٧٩/٤) كتاب الزهد، باب: ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وجاء في الموطأ عن عائشة زوج النبي ﷺ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا، أهدى لنا أهل بيت ما كان يُهدي لنا، شاة وكفنها، فدعتني عائشة أم المؤمنين، فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك. انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٨٣١) باب: الترغيب في الصدقة، ومعنى: وكفنها: أي ما يسترها من الرغفان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٩٣/٤).

(٢) انظر: المستدرك للحاكم (٨/٤-٩) كتاب معرفة الصحابة، باب: فضائل عائشة على لسان ابن عباس. ونصه: (عن ابن أبي مليكة قال جاء ابن عباس يستأذن على عائشة -رضي الله عنها- في مرضها فأبت أن تأذن له، فقال لها بنو أخيها ائذني له فانه من خير ولدك، قالت: دعوني من تزكيته، فلم يزالوا بها حتى أذنت له، فلما دخل عليها قال ابن عباس: إنما سميت أم المؤمنين لتسعدي وإنه لاسمك قبل أن تولدي، إنك كنت من أحب أزواج النبي ﷺ إليه ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً وما بينك وبين أن تلقي الأحبة إلا أن تفارق الروح الجسد، ولقد سقطت قلادتك ليلة الأبواء فجعل الله للمسلمين خيرة في ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى آية التيمم، ونزلت فيك آيات من القرآن فليس مسجد من مساجد المسلمين إلا يتلى فيه عذرك آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني من تزكيتك لي يا ابن عباس فوددت أني كنت نسياً منسياً). صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٨- حياؤها -رضي الله عنها- من عمر -رضي الله عنه- بعد وفاته، وذلك بعدم دخولها حجرتها إلا وثيابها مشدودة عليها[(١)].

٩- حياؤها وتواضعها مع ربها عزَّ وجلَّ بوصايتها أن لا تدفن في حجرتها مع رسول الله ﷺ وصاحبيه مع قدرتها على ذلك[(٢)].

هذا ومن دلائل حسن التفكير لدى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- نظرتها الصحيحة في معرفة فضل الصحابة بعضهم من بعض، وذلك بعدم إذنها لغير عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بأن يدفن في حجرتها[(٣)].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٦١/٣) كتاب المغازي، (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر -رضي الله عنه-). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وصوبت بعض الكلمات من رواية أحمد في المسند (٢٠٢/٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٩١) (ص٢٩٢) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها-: أنها أوصت عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما-: لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبي بالبقيع، لا أُزكّى به أبداً).

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٧٣٢٨) (ص١٥٤٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما ذَكَرَ النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم...، ونصه: (عن هشام عن أبيه: أن عمر أرسل إلى عائشة: ائذني لي أن أُدْفَنَ مع صَاحِبَيَّ، فقالت: إي والله، قال: وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة قالت: لا والله، لا أوثرهم بأحدٍ أبداً).

٢- تثبتها من حديث رواه عبدا لله بن عمرو بن العاص، وذلك بإعادة السؤال عليه بعد عام، فوافق قوله ما قال من قبل، فتبين لها -رضي الله عنها- تمكنه وتثبته من الرواية(١).

٣- حسن تصرفها في الستر الذي فيه تصاوير بجعله وسادتين، فأُخذ الجواز من عدم إنكاره ﷺ على ذلك(٢).

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٧٣) (١٠٧٣) كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ونصه: (عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، بلغني أن عبدا لله بن عمرو مَارٌّ بنا إلى الحج، فَالْقَه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً، قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ، قال عروة: فكان فيما ذكر، أن النبي ﷺ قال: "إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً، يفتونهم بغير علم، فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّون)، قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك، أعظمت ذلك وأنكرته، قالت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟ قال عروة: حتى إذا كان قابل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم، فالقه، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فساءلته، فذكره لي نحو ما حدثني به في مَرَّتِه الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٩٥٤) (ص١٢٨٠) كتاب اللباس، باب: ما وُطِئ من التصاوير. ونصه: (حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان قال: سمعت عبد الرحمن بن القاسم، وما بالمدينة يومئذ أفضل منه، قال: سمعت أبي قال: سمعت عائشة -رضي الله عنها-: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله). قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين.

٤- صواب رأيها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ دون مشاورة والديها[١].

٥- قيامها بضيوفه ﷺ قبل مجيئه، فأمرت لهم بما تستطيعه من إكرام الضيف، فسر ﷺ بصنيعها حيث كفته القيام بهذا الواجب، ثم زاد ﷺ في إكرامهم فأمر الراعي بأن يذبح لهم[٢].

٦- حسن توجيهها وصواب جوابها لما سألها العراقي عن نوع الكفن وجمع المصحف، فوجهته إلى أهمية غرس الإيمان وتصحيح الاعتقاد ثم العناية بالأحكام التفصيلية للحلال والحرام حتى لا ينفر الناس من الدين[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، سورة الأحزاب. ونصه: (أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها**﴾ -إلى- ﴿**أجراً عظيماً**﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت).

(٢) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (١٤٢) (١/٣٥) كتاب الطهارة، باب: في الاستنثار، ونصه: (عن لقيط بن صَبِرَة، قال: كنت وَافِدَ بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ، قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة أم المؤمنين، قال: فأمرت لنا بخزيرة فَصُنعت لنا، قال: وأُتينا بقناعٍ -ولم يقل قتيبة: القناع؛ والقناع: الطبق فيه تمر-، ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: هل أصبتم شيئاً؟ أو أُمر لكم بشيء؟ قال: قلنا: نعم يا رسول الله، قال: فبينا نحن مع رسول الله ﷺ جلوس؛ إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح، ومعه سخلة تيعر، فقال: ما ولدت يا فلان؟ قال: بهمة، قال: فاذبح لنا مكانها شاة...) الحديث. صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود برقم: (١٤٢) (١/٤٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٩٣) (ص١١٠٢) كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن. ونصه: (عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك. قال: يا أم المؤمنين =

٧- اجتهادها ألا يتقدم والدها للصلاة في مرض رسول الله ﷺ خشية أن يتشاءم الناس به[١].

٨- نباهتها ودقة ملاحظتها حين فطنت برغبة رسول الله ﷺ في السواك في مرض موته[٢].

= أريني مصحفك، قالت: لِمَ؟ قال: لَعلّي أُؤَلِّف القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أَيَّهُ قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أَوَّلَ شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر). وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السورة). قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: ((ومعنى قوله: باب تأليف القرآن، أي: جمع آيات السورة الواحدة، أو جمع السور مرتبة في المصحف)). فتح الباري (٣٩/٩).

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٤٤٥) (ص٩٢٤) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ونصه: (أخبرني عبيد الله: أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر).

(٢) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٤٤٩) (ص٩٢٥) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ونصه: (عن عمر بن سعيد قال: أخبرني ابن أبي مليكة: أن أبا عمرو، ذكوان مولى عائشة أخبره: أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل عَلَيَّ عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت أُلَينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصب يده، فجعل يقول في الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده).

٩- ضربها الأمثلة والقياس عليها لتظهر لرسول الله ﷺ بأنها فوق نسائه في المنزلة[١].

١٠- حسن تفكيرها بولايتها لأمر اليتيمين من أولاد أخيها محمد بعد قتله، حتى كبرا ثم دفعتهما لأخيها عبد الرحمن وطيبت خاطره في ذلك[٢].

١١- نصحها لمعاوية -رضي الله عنه- حين طلب منها الوصاية، فأوصته

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٠٧٧) (ص١١١٧) كتاب النكاح، باب: نكاح الأبكار، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: "في الذي لم يرتع منها". تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها).

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٥٨٩) (ص١٢٤) كتاب الزكاة، باب: زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها، ونصه: (عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كانت عائشة تليني وأخاً لي يتيمين في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير، حديث رقم: (٢٧١٥) (٣٤٢/٥). ومما ورد في ذلك عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قوله: (لما قتل معاوية بن حديج الكندي وعمرو بن العاص أبي محمداً بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاي من مصر فقدم بنا المدينة. فبعثت إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والداً أبر منها، فلم نزل في حجرها على فخذها، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن. فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله عزَّ وجلَّ وأثنت عليه فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها. ثم قالت: يا أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ولا تهمة لك فيهما ولا لشيء تكرهه ولكنك كنت رجلاً ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذَّرون به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق لولايته، فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فها هما هذان فضمهما إليك...). انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (١١٦/٣-١١٧).

بما فيه الخير له وللمسلمين[1].

ومما ورد في دعوة أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- من مكارم الأخلاق وحميد الصفات ما يلي:

١- أدبها مع والدها -رضي الله عنه- حين كان يدعو بالشهادة في سبيل الله والموت في المدينة، فلم ترد عليه قوله بنفي حدوث ذلك واستحالة وقوعه، ولكنها جعلت ذلك عن طريق الاستفسار منه في كيفية تحقق ذلك[2].

٢- سمو خلقها وكرمها بإسكانها لابنة زيد بن الخطاب -رضي الله عنه- بيتها ما عاشت، حرصاً منها على سترها وسد حاجتها[3].

---

(١) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٤١٤) (٦٠٩/٤) كتاب الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان، ونصه: (كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن اكتبي إلي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت عائشة -رضي الله عنها- إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام عليك) والحديث صححه الألباني. انظر (ص٣٩٥) ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٨٩٠) (ص٣٩٤) كتاب فضائل المدينة، بابٌ: ونصه: (عن عمر -رضي الله عنه- قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ). وفي رواية عن حفصة وأسلم -رضي الله عنهما-: أن عمر -رضي الله عنه- قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك، قالت حفصة: فقلت: أنّى يكون هذا؟ قال: يأتيني به الله إذا شاء). انظر: جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري، حديث رقم: (٢٣٧٨) (١٢٠/٥).

(٣) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٤٣٩) (ص٤١٥) كتاب الأقضية، باب: القضاء في العمرى. ونصه: (عن نافع أن عبد الله بن عمر ورث من حفصة بنت عمر دارها قال وكانت حفصة قد أسكنت بنت زيد بن الخطاب ما عاشت فلما توفيت بنت زيد قبض عبد الله بن =

٣- أدبها مع رسول الله ﷺ في تأخيرها قضاء رمضان حتى يدركها شعبان من العام المقبل، رغبة في تلبية احتياجاته ورغباته ﷺ منها(١).

٤- أدبها مع والدها -رضي الله عنه- ورضاها بأن تكون آخر من يُقسم لها من نساء النبي ﷺ ولو كان نصيبها أقل منهن(٢).

٥- أدبها مع أخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- حين استجابت لطلبه بعدم خروجها إلى العراق للمطالبة بدم عثمان -رضي الله عنه-

---

= عمر المسكن ورأى أنه له). والعمري: بضم المهملة وسكون الميم مع القصر، يقال: أعمرته داراً أو أرضاً أو إبلاً إذا أعطيته إياها وقلت له هي لك عمري أو عمرك فإذا مت رجعت إليّ. واصطلاحاً: قال الباجي: هي هبة منافع الملك عمر الموهوب له أو مدة عمره وعمر عقبة لا هبة الرقبة. انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤٨/٤).

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٤٦) (ص٤٤٢) كتاب الصيام، باب: قضاء رمضان في شعبان. ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ، فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ حتى يأتي شعبان).

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٦١٩) (ص١٤٠) كتاب الزكاة، باب: جزية أهل الكتاب والمجوس، ونصه: (عن زيد بن أسلم عن أبيه، أنه قال لعمر بن الخطاب: إن في الظهر ناقة عمياء، فقال عمر: إدفعها إلى أهل بيت ينتفعون بها. قال: فقلت: وهي عمياء؟ فقال عمر: يقطرونها مع الإبل. قال: فقلت: كيف تأكل من الأرض؟ قال: فقال عمر: أمن نعم الجزية هي أم من نعم الصدقة؟ فقلت: بل من نعم الجزية، فقال عمر: أردتم والله أكلها، فقلت: إن عليها وسم الجزية، فأمر بها عمر فنحرت، وكان عنده صحاف تسع فلا تكون فاكهة، ولا طُرَيْفَةٌ إلا جعل منها في تلك الصحاف، فبعث بها إلى أزواج النبي ﷺ، ويكون الذي يبعث به إلى حفصة ابنته من آخر ذلك، فإن كان فيه نقصان كان في حظ حفصة. قال: فجعل في تلك الصحاف من لحم تلك الجزور فبعث به إلى أزواج النبي ﷺ وأمر بما بقي من لحم تلك الجزور، فصنع فدعا عليه المهاجرين والأنصار).

وكان في ذلك الخير والرشد لها[1].

ومن دلائل حسن تفكيرها ما يلي:

١- أمرها بكتابة مصحف لها، حرصاً منها على التثبت والضبط والحفظ لكتاب الله[2].

٢- صواب تفكيرها في نصحها لوالدها بأن يستخلف للرعية، وذلك بحملها لأخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- على الحديث معه في هذا الشأن[3].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤٥١/٤). ونصه: (وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد، فقعدت، وبعثت إلى عائشة: أن عبد الله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبد الله).

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٣١١) (ص٧٠) كتاب الصلاة، باب: الصلاة الوسطى. ونصه: (عن عمرو بن رافع أنه قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة أم المؤمنين، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ فلما بلغتها آذنتها، فأملت عليَّ: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [وصلاة العصر] وقوموا لله قانتين**﴾ . وقد ورد مثل هذا عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وانظر (ص١٣٩ و١٤٠) من هذا البحث.

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٨٢٣) (ص٧٦١) كتاب الإمارة، باب: الاستخلاف وتركه. ونصه: (عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: دخلت على حفصة فقالت: أعلمت أن أباك غير مستخلف؟ قال: قلت: ما كان ليفعل، قالت: إنه فاعل، قال: فحلفت أني أكلمه في ذلك، فسكتُّ حتى غدوت، ولم أكلمه، قال: فكنت كأنما أحمل بيميني جبلاً، حتى رجعت فدخلت عليه، فسألني عن حال الناس، وأنا أخبره، قال: ثم قلت له: إني سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك: زعموا أنك غير مستخلف، وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيع، فرعاية الناس أشد، قال: فوافقه قولي، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إليَّ، فقال: إن الله عزَّ وجلَّ يحفظ دينه، وإني لئن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف، قال: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف).

٣- ذكاؤها وحسن تصرفها حين استطاعت أن تستأثر برسول الله ﷺ وقت مسيره ومسامرته ليلاً دون بعض أزواجه[١].

٤- حضور بديهتها لمبادرتها بسؤاله ﷺ قبل أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وشهادة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لها بسبقها وحرصها على الخير[٢].

٥- محبتها للعلم ورغبتها في أن تكون وسيط خير بين رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢١١) (ص١١٤٥) كتاب النكاح، باب: القرعة بين النساء إذا أراد سفراً. ونصه: (عن عائشة: أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، تنظرين وانظر؟ فقالت: بلى، فركبتْ، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول: يا رب سلّط عليَّ عقرباً أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً). وفي رواية لمسلم: (...رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً)، انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤٥) (ص٩٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٦٨١) (ص١٥٥) كتاب الصيام، باب: قضاء التطوع. ونصه: (عن ابن شهاب: أن عائشة وحفصة زوجي النبي ﷺ أصبحتا صائمتين متطوعتين، فأهدي إليهما طعام فأفطرتا عليه، فدخل عليهما رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فقالت حفصة: -وبدرتْني بالكلام وكانت بنت أبيها- يا رسول الله: إني أصبحت أنا وعائشة صائمتين متطوعتين، فأهدي إلينا طعام فأفطرنا عليه، فقال رسول الله ﷺ: "اقضيا مكانه يوماً آخر". قال الزرقاني -رحمه الله-: «والأصل في الأمر الوجوب وبه قال أبو حنيفة وأبو ثور ومالك، وقال الشافعي وأحمد وإسحاق لا قضاء عليه ويستحب أن لا يفطر». شرح الزرقاني على الموطأ (١٩٠/٢) قلت: ولكلٍ دليله ولعل الراجح هو قول الشافعي وأحمد وإسحاق -رحمهم الله- وذلك لصحة الأحاديث الواردة بعدم القضاء، وعدم قيام حجة القائلين بخلافه نظراً لضعف هذا الحديث حيث ضعفه الألباني -رحمه الله-، كما في سنن الترمذي، حديث رقم: (٧٣٥) (ص١٤١) ط. بيت الأفكار الدولية.

والمؤمنين، ومن ذلك حين قَصَّت رؤيا أخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- على رسول الله ﷺ، ونقلت تأويلها لأخيها فكان في ذلك الخير والنفع لأخيها وللمسلمين[1].

٦- إرسالها لعاصم بن عبد الله بن سعد إلى أختها فاطمة بنت عمر لترضعه، ليدخل عليها عند كبره بدون تحرج ولا حجاب، حتى لا يفوته الخير بجلوسه معها والتزود من علمها[2].

٧- حسن تفكيرها بنصحها لأخيها بعدم التعرض لابن صياد[3] بالأذى، حتى لا يكون ذلك من أسباب فتح باب الشر والفتنة على المسلمين واستدلالها على صحة ذلك بقوله ﷺ: (إنما يخرج من غضبة يغضبها).

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٧٣٨) (ص٧٨٥) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، ونصه: (عن ابن عمر قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في المنام، كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة، وفي رواية: (فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً). وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لها: "إن عبد الله رجل صالح".

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٢٧٩) (ص٣٢٢) كتاب الرضاع، باب: رضاعة الصغير. ونصه: (عن نافع، أن صفية بنت أبي عبيد أخبرته: أن حفصة أم المؤمنين أرسلت بعاصم بن عبد الله بن سعد إلى أختها فاطمة بنت عمر بن الخطاب ترضعه عشر رضعات ليدخل عليها، وهو صغير يرضع، ففعلت، فكان يدخل عليها).

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٣٢) (ص١١٧٤) كتاب الفتن، باب: ذكر ابن صياد. ونصه: (عن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، =

٨- شهادة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لها بحسن التفكير، وذلك حين عهد إليها بالتصرف في أمواله بعد وفاته[1].

٩- حسن تفكيرها في حرصها على اجتماع كلمة المسلمين وحملها لأخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- على أن يكون مع الجماعة ونبذ الفرقة[2].

فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: "إنما يخرج من غضبة يغضبها". ومعنى فانتفخ: أي امتلأ كبراً وغضباً حتى كاد يملأ السكة من شدة غضبه وكبره لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نَفْسَه ونَفَسَه، فهو منتفخ مستعد لأن يعمل عمله من الشر. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٩٠)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (نفخ) (٣/٦٤).

(١) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، برقم: (٩٢٢١) (١٢/٢٨٥) كتاب الوصية، ونصه: (عن يحيى بن سعيد قال عن صدقة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: نسخها لي عبد الحميد ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إن حدث به حدث: أن ثمغاً وصِرْمة ابن الأكوع، والعبد الذي فيه والمائة السهم الذي بخيبر، ورقيقه الذي فيه، والمائة السهم الذي أطعمه محمد ﷺ بالوادي: تليه حفصة ما عاشت. ثم يليه ذوو الرأي من أهلها. أن لا يباع ولا يشترى، ينفقه حيث رأى، من السائل والمحروم وذي القرابة. ولا حرج على من وليه إن أكل، أو آكل، أو اشترى رقيقاً منه). قال ابن الأثير: وفي حديث صدقة عمر -رضي الله عنه- (إن ثمغاً وصرمة ابن الأكوع...) قال: هما مالان معروفان بالمدينة كانا لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فوقفهما. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤١٠٨) (ص٨٦١) كتاب المغازي، باب: حدثني إبراهيم بن موسى. ونصه: (عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: دخلت على حفصة ونَسْوَاتُها تَنْطُفُ، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يُجعل لي من الأمر شيء. فقالت: الْحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تَدَعْهُ حتى ذهب،

هذا ومما تميزت به أم المؤمنين **زينب بنت خزيمة** -رضي الله عنها- في كريم الأخلاق وحميد الصفات، إنعام الله عليها بخلةِ الرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين، لقد كانت تحس سعادة عظيمة في رحمة المساكين ورقتها عليهم ورفقها بهم والإحسان إليهم، لقد جعلت وقتها كله في عبادة الله عزَّ وجلَّ، ثم في رعاية ثلة المساكين وإطعامهم والتصدق عليهم، ولهذا غلب عليها تسمية أم المساكين(1).

ومما ورد في دعوة **أم المؤمنين أم سلمة** -رضي الله عنها- وما وهبها الله من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ما يلي:

١- أدبها مع رسول الله ﷺ حين كَلَّمته في شأن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فلم يرد عليها، ولو لا إصرار بعض أمهات المؤمنين

=

فلما تفرق الناس خطب معاوية، قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فَلْيُطْلِعْ لنا قَرْنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة: فهلاً أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تُفَرِّق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حُفظت وعصمت). قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: «قوله (ونسواتها) بفتح النون والمهملة. قال الخطابي: كذا وقع، وليس بشيء، وإنما هو (نوساتها) أي ذوائبها، ومعنى تنطف أي تقطر، كأنها قد اغتسلت)، ومعنى (فلما تفرق الناس)، أي: عندما تفرق الحكمان لعلي ومعاوية -رضي الله عنهما-، وقيل غير ذلك». انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٣/٧).

(1) انظر: المعارف لابن قتيبة (ص١٣٥) تحقيق: د. ثروت عكاشة. الطبعة الرابعة، ط. دار المعارف، مصر. وانظر: أنساب الأشراف للبلاذري (٤٢٩/١). وانظر: دَرُّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة للشوكاني (ص٣٢٨) تحقيق: د. حسن العمري، الطبعة الأولى:١٩٨٤م، ط. دار الفكر، دمشق.

عليها لما أعادت عليه الحديث ثلاث مرات، وحين أجابها ﷺ في المرة الثالثة ببيان منزلة **عائشة** -رضي الله عنها- عنده، بادرته بقولها: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله[1].

٢- سمو خلقها في عنايتها بشأن كعب بن مالك -رضي الله عنه- حين وقع له ما وقع، قبل أن تنزل توبة الله عليه وعلى من معه[2].

٣- كرم أخلاقها مع زوجها أبي سلمة -رضي الله عنه- حين طلبت منه

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٨١) (ص٥٣٦) كتاب الهبة، باب: من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض. ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- أن نساء رسول الله ﷺ كُنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخَّرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فَكَلَّم حزب أم سلمة، فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية، فليهده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئاً. فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئاً. فقلن لها فكلميه، قالت: فكلمته حين دار إليها ايضاً، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال لها: "لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة" قالت: فقالت: أتوب إلى الله مِنْ أذاك يا رسول الله...) الحديث.

(٢) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، حديث رقم: (٦٦٠) (ص٢/٢٦٢) كتاب التفسير، سورة براءة. وبعض نصه: (قال كعب -رضي الله عنه-: فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ، حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنةً في شأني معنيةً بأمري، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة، تيب على كعب، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: إذاً يحطمكم الناس، فيمنعونكم النوم سائر الليل، حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر، آذن رسول الله ﷺ في توبة الله علينا).

المعاهدة على ألا تستبدل به غيره، ولا يستبدل بها غيرها أبدا، فلم يجبها لذلك[1].

٤- حياؤها من رسول الله ﷺ بسترها وجهها -رضي الله عنها- عند سؤال أم سليم -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ عن وجوب الغسل على المرأة إذا هي رأت ما يرى الرجل في المنام[2].

٥- حياؤها منه ﷺ حيث انسلت من فراشه ﷺ عندما فجأها الحيض وهي مضطجعة معه في خميلة واحدة[3].

٦- أدبها مع رسول الله ﷺ إذ لم تحتجم حين احتاجت لذلك إلا بعد أخذ

---

(١) انظر: الطبقات لابن سعد (٨٨/٨) ونصه: (قالت أم سلمة لأبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها. فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. قال أتطيعيني؟ قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. قال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها. قال: فلما مات أبو سلمة قلت: من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت ثم جاء رسول الله ﷺ فقام على الباب فذكر الخطبة...). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٠) (ص٤٦) كتاب العلم، باب: الحياء في العلم، ونصه: (عن زينب ابنة أم سلمة، عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: "إذا رأت الماء" فَغَطَّت أم سلمة -تعني وجهها- وقالت: يا رسول الله! وتحتلم المرأة؟ قال: "نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها").

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٣٢٢) (ص٨٤) كتاب الحيض، باب: النوم مع الحائض وهي في ثيابها. ونصه: (عن زينب ابنة أبي سلمة، أن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: حضت وأنا مع النبي ﷺ في الخميلة، فانسللت، فخرجت منها، فأخذت ثياب حيضتي فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني، فأدخلني معه في الخميلة. قالت: وحدثتني: أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم، وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من الجنابة).

الإذن منه ﷺ فأذن لها[1].

٧- حياؤها وكمال أدبها حين استفتت رسول الله ﷺ بأنها تشتكي، فأفتاها بأن تطوف من وراء الناس وهي راكبة، فاختارت وقت صلاة الفجر والنبي ﷺ يصلي بالناس ليكون ذلك أبلغ في الستر والصون والحياء[2].

٨- من كريم أخلاقها، شفاعتها لاثنين من قومها عند رسول الله ﷺ، فأكرمهما الله بالدخول على رسول الله ﷺ والإسلام على يديه[3].

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٢٠٦) (ص٩٠٦) كتاب السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي. ونصه: (عن أبي الزبير، عن جابر، أن أم سلمة استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة، فأمر النبي ﷺ أبا طيبة أن يحجمها. قال: حسبت أنه قال: كان أخاها من الرضاعة، أو غلاماً لم يحتلم).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٦١٩) (ص٣٤١) كتاب الحج، باب: طواف النساء مع الرجال. ونصه: (عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة -رضي الله عنها-، زوج النبي ﷺ قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنّي أشتكي، فقال: "طوفي من وراء الناس وأنت راكبة". فطفت ورسول الله ﷺ حينئذ يصلي إلى جنب البيت، وهو يقرأ: **﴿والطور . وكتاب مسطور﴾**. قال في الفتح: وفي رواية هشام "والناس يصلون" وبين فيها أنها صلاة الصبح. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤٨١/٣).

(٣) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (٤٠٠/٣) ونصه: (وكان ممن لقيه في الطريق ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية لقياه بالأبواء، وهما ابن عمه وابن عمته، فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال علي لأبي سفيان فيما حكاه أبو عمر: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: **﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾** فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا، ففعل أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ: **﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾**. فأنشد أبو سفيان أبياتاً منها:

=

ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين أم **سلمة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- رجاحة عقلها في توضيحها لرسول الله ﷺ المبررات التي تمنعها من قبول خطبته ﷺ لها، فلم تخف شيئاً مما في نفسها حتى تكون الأمور واضحة أمامه ﷺ في هذا الشأن(١).

٢- صواب رأيها حيث اشترطت في عتق مولاها سفينة خدمته لرسول الله ﷺ ما عاش(٢).

لعمرُك إني حين أحمل راية ... لتغلبَ خيلُ اللات خيل محمد

لكالمُدْلج الحيران أظلم لَيْلُه ... فهذا أواني حين أُهْدي فأهتَدِي

هداني هادٍ غير نفسي وَدَلَّني ... على الله من طَرَّدْت كُلَّ مُطَرَّدِ

فضرب رسول الله ﷺ صدره، قال: "أنت طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّد"، وحسن إسلامه، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياء منه، وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة). أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٤٣-٤٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٠٤) ونصه: (أن أم سلمة لما انقضت عدتها، خطبها أبوبكر، فردته، ثم عمر، فردته، فبعث إليها رسول الله. فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله أني غَيْرَي، وإني مصبية، وليس أحد من أوليائي شاهداً. فبعث إليها: "أما قولك: إني مصبية؛ فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء؛ فليس أحد منهم إلا سيرضى بي..." الحديث. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٩٠)، ومسند الإمام الأحمد (٦/٣١٣-٣١٤-٣١٧) وإسناده صحيح كما قال الحافظ في الإصابة (٤/٤٠٧)، وصححه ابن حبان (١٢٨٢) والحاكم في المستدرك (٤/١٧)، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٩٣٢) كتاب العتق، باب: في العتق على الشرط. ونصه: (عن سفينة، قال: كنت مملوكاً لأم سلمة، فقالت: أعتقك وأشترط عليك أن تخدم رسول الله ﷺ ما عشت؟ فقلت: وإن لم تشترطي عليَّ، ما فارقت رسول الله ﷺ ما عشت، فأعتقتني واشترطت عليَّ). والحديث حسنه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٩٣٢) (٢/٤٨١).

٣- مشورتها الموفقة على رسول الله ﷺ يوم الحديبية فكان فيها الخير للمسلمين جميعاً[١].

٤- حسن تصرفها في إفهام الجارية بكيفية تذكيره ﷺ لنهيه عن الصلاة بعد صلاة العصر، وذلك بتوضيحها لمكان وقوفها منه، وفهمها لطريقة جوابه ﷺ[٢] وغير ذلك.

٥- حسن جوابها الدَالِّ على رجاحة عقلها حين سُئلت عن غسل المرأة مع زوجها[٣].

---

(١) راجع (ص٣٦٨ و ٣٦٩) من هذا البحث.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٣٣) (ص٢٦٠) كتاب السهو، باب: إذا كُلِّم وهو يصلي فأشار بيده واستمع، ونصه: (عن كريب: أن ابن عباس، والمسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن أزهر، -رضي الله عنهم-: أرسلوه إلى عائشة -رضي الله عنها-، فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً، وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أُخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها. وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها. فقال كريب: فدخلت على عائشة -رضي الله عنها-، فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة -رضي الله عنها-: سمعت النبي ﷺ ينهى عنها، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فأرسلت الجارية، فقلت: قومي بجنبه، قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله، سمعتك تنهى عن هاتين، وأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه. ففعلت الجارية، فأشار بيده، فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: "يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان).

(٣) انظر: سنن النسائي، حديث رقم: (٢٣٧) (ص٤١) كتاب الطهارة، باب: ذكر اغتسال الرجل والمرأة من نسائه من إناء واحد. ونصه: (أن أم سلمة -رضي الله عنها- سُئلت أتغتسل المرأة مع الرجل قالت: نعم إذا كانت كَيِّسَة، رأيتني ورسول الله ﷺ نغتسل من مركن واحد نفيض على أيدينا حتى ننقيهما ثم نفيض عليها الماء). والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: سنن النسائي (ص٤١) ط. بيت الأفكار الدولية.

٦- حسن توجيهها لمكاتبها حين طلق امرأته الحرة تطليقتين، فأحالته مع أمهات المؤمنين إلى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ليفتيه في ذلك[1].

٧- علمها وفقهها بالدين إذ كانت مرجعاً للصحابة في كثير من مسائل العلم، ومنه حين سئلت عن عدة المتوفى عنها زوجها فوجدوا عندها علماً بذلك[2].

٨- ومن دلائل علمها جوابها للسائلة عن حكم الكحل للمعتدة[3].

---

(١) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٢٠٨) (ص٣٠٥) كتاب الطلاق، باب: ما جاء في طلاق العبد. ونصه: (عن سليمان بن يسار: أن نفيعاً -مكاتباً كان لأم سلمة زوج النبي ﷺ أو عبداً لها- كانت تحته امرأة حرة، فطلقها اثنتين، ثم أراد أن يراجعها، فأمره أزواج النبي ﷺ أن يأتي عثمان بن عفان فيسأله عن ذلك، فلقيه عند الدرج آخذاً بيد زيد بن ثابت، فسألهما، فابتدراه جميعاً فقالا: حرمت عليك، حرمت عليك).

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٨٥) (ص٦٠١) كتاب الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل. ونصه: (أن أبا سلمة بن عبد الرحمن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة -رضي الله عنهم- وهما يذكران المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال، فقال ابن عباس عدتها آخر الأجلين، وقال أبو سلمة قد حلّت، فجعلا يتنازعان ذلك، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي -يعني أبا سلمة- فبعثوا كريباً -مولى ابن عباس- إلى أم سلمة يسألها عن ذلك؟ فجاءهم فأخبرهم؛ أن أم سلمة قالت: إن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال، وإنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج).

(٣) انظر: سنن النسائي، حديث رقم: (٣٥٤١) (ص٣٧٤) كتاب الطلاق، باب: النهي عن الكحل للحادة، ونصه: (عن زينب بنت أبي سلمة أن امرأة سألت أم سلمة وأم حبيبة أتكتحل في عدتها من وفاة زوجها؟ فقالت: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال: قد كانت إحداكن في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها أقامت سنة ثم قذفت خلفها ببعرة ثم خرجت وإنما هي أربعة أشهر وعشر حتى ينقضي الأجل). والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: المصدر نفسه (ص٣٧٤) ط. بيت الأفكار الدولية.

٩- ومن ذلك جوابها للسائلة بعدم قضاء الصلاة على الحائض والنفساء[١].

١٠- ومن حسن تفكيرها سؤالها النبي ﷺ عن حكم نقض الضفائر في غسل المرأة الجنب[٢].

١١- ومن حسن تفكيرها سؤالها النبي ﷺ عن حكم المكره في الجيش الذي سيخسف به[٣].

١٢- رسوخ قدمها في الشريعة علماً وعملاً، حتى غدا فعلها وقولها حجة للمحتجين[٤].

---

(١) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٣١٢) (٨٤/١) كتاب الطهارة، باب: ما جاء في وقت النفساء. ونصه: (عن مُسَّةَ الأزدية قالت: حججت، فدخلت على أم سلمة، فقلت: يا أم المؤمنين إن سمرة بن جندب يأمر النساء يقضين صلاة المحيض؟ فقالت: لا يقضين؛ كانت المرأة من نساء النبي ﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة، لا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس). والحديث حسنه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣١٢) (٩٣/١).

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٣٠) (ص١٤٩) كتاب الحيض، باب: حكم ضفائر المغتسلة. ونصه: (عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي، فأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين).

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٢٨٨٢) (ص١١٥٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ونصه: (عن عبيد الله بن القبطية قال: دخل الحارث ابن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول الله ﷺ: "يعوذ عائذ بالبيت فَيُبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم". فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: "يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته").

(٤) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٧٩) (١٠٣/١) كتاب الطهارة، باب: بول الصبيان يصيب الثوب، ونصه: (عن خيرة -أم الحسن البصري- أنها أبصرت أم سلمة تصب الماء على بول الغلام ما لم يطعم، فإذا طعم غسلته، وكانت تغسل بول الجارية). والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود (١١٢/١).

ومما ورد في دعوة **أم المؤمنين زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ما يلي:

١- كريم خلقها وأدبها مع الله ورسوله ﷺ حين سَلَّمت لأمر الله وأمر رسوله ﷺ في قبولها الزواج بزيد بن حارثة -رضي الله عنه- وذلك بعد رفضها الشديد لذلك في بادئ الأمر[1].

٢- أدبها مع ربها في تسليمها أمرها له جل شأنه، وذلك حين بشرها زيد -رضي الله عنه- بخطبة رسول الله ﷺ لها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن[2].

٣- كرم خلقها في رحمة المساكين والإحسان إليهم، فكانت تعمل بيدها وتتصدق عليهم[3].

٤- أدبها مع ربها في خضوعها وخشوعها، فكثرت عبادتها له عزَّ وجلَّ،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤٨٩/٣) ونصه: (...فخطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: بل فانكحيه، قالت: يا رسول الله أُؤَامر في نفسي. فبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم...**﴾ الآية. قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. قالت: إذاً لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي).

(٢) راجع (ص٦٢ و٦٣) من هذا البحث.

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٢٤٥٢) (ص٩٩٦) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين، ونصه: (عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: "أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً". قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً. قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق).

حتى أشفق عليها رسول الله ﷺ، فأمرها بما تطيق، وترك ما سوى ذلك[1].

٥- كرم خلقها معه ﷺ في تلبية حاجاته منها، مهما عرض لها من مشاغل دنيوية تمنعها من ذلك[2].

٦- كرم خلقها معه ﷺ عندما رضي عنها بعد فراق دام أكثر من شهرين، ففرحت بذلك فرحاً شديداً، وقالت: يا رسول الله، ما أدري ما أصنع، هذه جاريتي فلانة لك[3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٥٠) (ص٢٤٤) كتاب التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة. ونصه: (عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: "لا، حُلُّوه، لِيُصَلِّ أَحَدُكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد).

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٠٣) (ص٥٥٠) كتاب النكاح، باب: ندب من رأى امرأة، فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها. ونصه: (عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تمعس منيئة لها، فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه، فقال: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه". ومعنى: (تمعس منيئة لها): أصل المعس: المعك والدَّلك، والمعنى: أنها تدبغ إهاباً لها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٤٢/٤-٣٦٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٣/٢). ونصه: (قال ثابت البناني: حدثتني سمية -عن صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ حج بنسائه، فبرك بصفية جملها، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ لَمَّا أخبروه، فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تبكي، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس؛ فلما كان عند الرواح، قال لزينب بنت جحش: أفقري أختك جملاً- وكانت من أكثرهن ظهرا- فقالت: أنا أفقر يهوديتك. فغضب ﷺ فلم يكلمها، حتى رجع إلى المدينة، ومحرم وصفر؛ فلم يأتها، ولم يقسم لها، ويئست منه، فلما كان ربيع الأول دخل عليها؛ فلما رأته، قالت: يا رسول الله، ما أصنع؟ قال: وكان لها جارية تخبؤها من رسول الله، فقالت: هي لك،

ومن دلائـل حسـن التفكـير في دعـوة أم المؤمنـين **زينـب بنـت جحـش** -رضي ا لله عنها- ما يلي:

١- حسن استنباطها في إثبات خيريتها على بعض أزواج النبي ﷺ وذلك في موقفين هما:

(أ) عند حديثها مع أزواجه ﷺ[1].

(ب) عند حديثها معه ﷺ[2].

٢- استخدامها الطيب لبيان الحكم الشرعي بأن الإحداد على الميت لا يزيد على ثلاث ليال، إلاَّ على الزوج أربعة أشهر وعشراً[3].

=

قال: فمشى النبي ﷺ إلى سريرها، وكان قد رُفِع، فوضعه بيده، ورضي عن أهله). والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٣٣٧، ٣٣٨) وشمسية أو سمية لا تعرف، وبقية رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١٢٦، ١٢٧). انظر: حاشية سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٢٣٤).

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٧٤٢٠) (ص١٥٥٨) كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء. ونصه: (عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: "اتق ا لله وامسك عليك زوجك". قالت عائشة: لو كان رسول ا لله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني ا لله تعالى من فوق سبع سماوات) الحديث.

(٢) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤/١٤٨) ونصه: (عن مغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد -تعني عبد المطلب فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب- وإني أنكحنيك ا لله عزَّ وجلَّ من السماء، وإن السفير جبريل عليه السلام). وانظر: أنساب الأشراف للبلاذري (١/٤٣٥).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٣٥) (ص١١٧١) كتاب الطلاق، باب: تُحِدُّ المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً. ونصه: (قالت زينب بنت أبي سلمة: فدخلت على

=

٣- حسن تفكيرها عندما استفسرت منه ﷺ عن الهلاك العَامٌ الذي سيكون في آخر الزمان، هل ينزل مع وجود الصالحين؟[(١)].

٤- حسن تصرفها في تغطيتها المال المقسوم لها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حتى لا تتبعه نفسها، ففرقته على الفقراء والمساكين[(٢)].

٥- حسن تفكيرها في كيفية التصرف في كفنها عند موتها[(٣)].

=

زينب ابنة جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فَمَسَّتْ منه، ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليالٍ، إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشراً).

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٧١٣٥) (ص١٥٠٣) كتاب الفتن، باب: يأجوج ومأجوج. ونصه: (عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٢/٢). ونصه: (عن عبد الله بن رافع، عن برزة بنت رافع، قالت: أرسل عمر إلى زينب بعطائها، فقالت: غفر الله لعمر، غيري كان أقوى على قسم هذا. قالوا: كلُّه لك. قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب وقالت: صُبّوهُ واطرحوا عليه ثوباً، وأخذت تفرقة في رحمها، وأيتامها، وأعطتني ما بقي، فوجدناه خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٩/٨-١١٠). وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٤٨/٢-٤٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٧/٢). ونصه: (قالت زينب بنت جحش -رضي الله عنها- حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفن، فتصدقوا بأحدهما...) وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٩/٨).

ومما ورد في دعوة أم المؤمنين **جويرية بنت الحارث** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من كريم الأخلاق وجميل الصفات ما يلي:

١- أدبها مع رسول الله ﷺ حين تزوجها فلم تثقل عليه بطلب فكاك قومها من الأسر، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم[١].

٢- من دلائل كرم خلقها وحميد صفاتها صبرها مع رسول الله ﷺ على حياة الزهد وضيق العيش ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ﷺ[٢].

٣- استجابتها لأمر رسول الله ﷺ حين أمرها بالفطر من صومها يوم الجمعة، فنفعت الأمة بنقل ذلك العلم[٣].

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٤/٢٧) كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر جويرية بنت الحارث أم المؤمنين -رضي الله عنها-. ونصه: (قالت جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس، حتى قدم رسول الله ﷺ فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقني وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله عزَّ وجلَّ).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد، حديث رقم: (٢٧٩٦٥) (ص٢٠٤٦) حديث جويرية بنت الحارث. ونصه: (عن الزهري عن عبيد بن السباق. عن جويرية بنت الحارث، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: هل من طعام؟ قلت: لا، إلا عظم أُعْطِيَتْهُ مولاة لنا من الصدقة. قال ﷺ: فقربيه، فقد بلغت محلها). وانظر: المستدرك للحاكم (٤/٢٨) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٩٨٦) (ص٤١٤) كتاب الصوم، باب: صوم يوم الجمعة. ونصه: (عن جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال: أصمت أمس؟ قالت: لا، قال: تريدين أن تصومي غدا؟ قالت: لا، قال: فأفطري).

٤- سمو أخلاقها مع رسول الله ﷺ بتلبية حاجاته منها، وذلك في تأخيرها قضاء ما عليها من رمضان إلى أن يدخل شعبان من العام المقبل(١).

ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين **جويرية بنت الحارث** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- صواب رأيها بعدم ذكرها للرؤيا التي رأت قبل مقدم رسول الله ﷺ إلى ديارهم في بني المصطلق.

٢- حسن تفكيرها في مكاتبتها لثابت بن قيس -رضي الله عنه- وإتيانها النبي ﷺ تستعينه في أداء ما كاتبت عليه، ثم موافقتها لرسول الله ﷺ بأن يعتقها ويكون عتقها صداقها(٢).

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٤٦) (ص٤٤٢) كتاب الصيام، باب: قضاء رمضان في شعبان. ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ حتى يأتي شعبان).

(٢) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٩٣١) (٢٢/٤) كتاب العتق، باب: في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة. ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: وقعت جويرية بنت الحارث ابن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له، فكاتبت نفسها، وكانت امرأة ملاحة تأخذها العين، قالت عائشة -رضي الله عنها-: فجاءت تسأل رسول الله ﷺ في كتابتها، فلما قامت على الباب، فرأيتها كرهت مكانها، وعرفت أن رسول الله ﷺ سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي؟ فقال رسول الله ﷺ: فهل لك إلى ما هو خير منه؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: قد فعلت، قالت: فتسامع -تعني الناس- أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ...) الحديث. حسنه الألباني -رحمه الله-، في: صحيح سنن أبي داود، برقم: (٣٩٣١) (٢/٤٨٠).

٣- صواب رأيها باختيارها لله ولرسوله ﷺ عندما خيَّرها رسول الله ﷺ في البقاء عنده أو الرجوع إلى أهلها[1].

٤- حسن تفكيرها بتحكيمها له ﷺ في شأنها لما افتخر عليها بعض أزواجه ﷺ بقولهم: إنما أنت ملك يمين[2].

٥- حسن تفكيرها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ والدار الآخرة عندما خيرها رسول الله ﷺ مثل سائر أزواجه -رضوان الله تعالى عنهن-[3].

ومما ورد في دعوة **أم المؤمنين أم حبيبة** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من كريم الأخلاق وجميل الصفات ما يلي:

١- من كريم أخلاقها وحميد صفاتها، إكرامها للجارية الحبشية التي بشرتها برغبة رسول الله ﷺ بالزواج منها، فأعطتها -رضي الله عنها-

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٨/٨). ونصه: (عن أبي قلابة أن النبي ﷺ سبي جويرية بنت الحارث فجاء أبوها إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابنتي لا يسبي مثلها فأنا أكرم من ذاك فخلِّ سبيلها. قال: أرأيت إن خيَّرناها أليس قد أحسنا؟ قال: بلى وأديت ما عليك. قال: فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا. فقالت: فإني قد اخترت رسول الله ﷺ. قال: قد والله فضحتنا).

(٢) انظر: المستدرك للحاكم (٢٦/٤) ونصه: (عن مجاهد قال: قالت جويرية بنت الحارث لرسول الله ﷺ إن أزواجك يفخرن عَليَّ يقلن لم يتزوجك رسول الله ﷺ إنما أنت ملك يمين، فقال رسول الله ﷺ: ألم أعظم صداقك، ألم أعتق أربعين رقبة من قومك).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب: **﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾**. ونصه: (عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي....الحديث، وفيه أن عائشة قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت).

ما قدرت عليه مكافأة لها على هذه البشرى، وأبلغت سلامها لرسول الله ﷺ فتبسم ﷺ ورد عليها السلام[1].

٢- من كرم أخلاقها تعليمها الأمة لدعوات صالحة عَلّمها إياها رسول الله ﷺ لتنفع بها المسلمين[2].

٣- من جميل صفاتها نقلها البشرى لأمة نبينا محمد ﷺ بأنه قد ادخر لها الشفاعة يوم القيامة[3].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٨/٨)، والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (٧٥٩/٢)، ونصه: (قالت أم حبيبة: لما وصل المال وهو مهري من النجاشي، أرسلت إلى الجارية أبرهة التي بشرتني، فأتت، فقلت لها: يا أبرهة، إني كنت قد أعطيتك ما أعطيتك بالأمس، ولا مال بيدي، فهذه الخمسون مثقالاً، فخذيها فاستعيني واستغني بها، ولكن الجارية أبت ذلك، وأخرجت حُقاً فيه كل ما كنت أعطيتها، فردته عَليَّ وقالت: عزم عَليَّ الملك ألا أرزأك شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله عزَّ وجلَّ -ثم قالت- يا أم حبيبة إن حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه أني قد اتبعت دينه...، فلما قدمت -أم حبيبة على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ، وأقرأته منها السلام، فقال ﷺ: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته).

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٣٨١/٢) كتاب التفسير، باب: تفسير سورة طه، ونصه: (عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قالت أم حبيبة بنت أبي سفيان: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: "إنك دعوت الله لآجال معلومة وأرزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجل شيء منها قبل حِلّه ولا يؤخر شيء منها بعد حِلّه، فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عذاب النار أو عذاب القبر لكان خيراً أو لكان أفضل"). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٣) انظر: المصدر السابق (٦٨/١) كتاب الإيمان، ونصه: (عن أنس بن مالك عن أم حبيبة عن النبي ﷺ أنه قال: أُريت ما يلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني يوم القيامة شفاعةً فيهم ففعل). صححه الحاكم وسكت عنه الذهبي.

٤- عظيم أدبها مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنها- بغسلها الطيب عن أخيها معاوية -رضي الله عنه- وهو محرم لَّما أمره عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بذلك مع أن لكلٍ دليله من السنة[1].

ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين أم **حبيبة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- من حسن تفكيرها وتوفيق الله لها دخولها في الإسلام مبكراً، فلم تبال بسخط والدها ولا أهلها، وهجرتها إلى الحبشة مع زوجها فراراً بدينها، ثم ثباتها على دينها في أرض الحبشة حتى بعد ارتداد زوجها

---

(١) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٧٢٧) (ص١٧٠) كتاب الحج، باب: ما جاء في الطيب في الحج. ونصه: (عن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، أن عمر بن الخطاب وجد ريح طيب وهو بالشجرة فقال: ممن ريح هذا الطيب؟ فقال معاوية بن أبي سفيان: مني يا أمير المؤمنين، فقال: منك لعَمْر الله، فقال معاوية، إن أم حبيبة طيبتني يا أمير المؤمنين. فقال عمر: عزمت عليك لترجعن فلتغسلنه). وفي رواية عبد الرزاق: أقسمت عليك لترجعن إلى أم حبيبة فلتغسلنه عنك كما طيبتك، وزاد في رواية أيوب عن نافع عن أسلم، قال: فرجع معاوية إليها حتى لحقهم ببعض الطريق. قال الزرقاني في شرح الموطأ: «قال الأئمة الثلاثة باستحباب الطيب عند إرادة الإحرام وجواز استدامته بعده ولا يضر بقاء لونه ورائحته وإنما يحرم ابتداؤه في الإحرام، وقال مالك والزهري وجماعة من الصحابة والتابعين بحرم التطيب عند الإحرام بطيب يبقى له رائحة بعده.» انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٣٥-٢٣٧).

قلت: ولعل قول الجمهور هو الأصح في هذه المسألة، خاصة أن معهم نص صحيح من رسول الله ﷺ بوضعه الطيب قبل التلبس بالإحرام، وكل ما خالف ذلك مبني على الاجتهاد والاستنباط والتأويل والحيطة والحذر، وهذا كله لا يقوى على معارضة النص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

عن الإسلام[1].

٢- من حسن تفكيرها رغبتها في أن تُدخل أختها معها في الخير لتكون تحت مسمى أمهات المؤمنين، فتحظى بشرف الدنيا والآخرة[2].

٣- من دلائل حسن التفكير استعمالها للطيب حين توفي والدها لتوضيح هديه ﷺ بأنه لا تحد المرأة على ميت أكثر من ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً[3].

٤- استسماحها من نساء النبي ﷺ عند موتها حتى تلقى الله بدون

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٩٦). ونصه: (تزوجها عبيد الله بن جحش بن رياب، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥١٠١) (ص١١٢٢) كتاب النكاح، باب: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم...﴾. ونصه: (عن عروة بن الزبير: أن زينب ابنة أبي سلمة أخبرته: أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها: أنها قالت: يا رسول الله، أنكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: "أو تحبين ذلك"؟ فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: "إن ذلك لا يحل لي". قلت: فإنا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة؟ قال: "بنت أم سلمة" قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن عَليَّ بناتكن ولا أخواتكن).

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٥٣٣٤) (ص١١٧١) كتاب الطلاق، باب: تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا. ونصه: (قالت زينب بنت أبي سلمة: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيبٍ فيه صُفْرةٌ خَلُوقٌ أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً).

أن تكون لأحد تبعة عليها[1].

ومما ورد في دعوة **أم المؤمنين صفية** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من كريم الأخلاق وجميل الصفات ما يلي:

١- حياؤها من رسول الله ﷺ حين قَرَّب لها البعير لتركب، ووضع ﷺ رجله لصفية لتضع قدمها على فخذه، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه، احتراماً له ﷺ[2].

٢- كريم خلقها بعدم رَدِّها على بعض نساء النبي ﷺ عندما عبنها ونسبنها إلى النقص، فأبلغته ﷺ بالذي كان منهن فعلمها كيف ترد عليهم[3].

---

(١) انظر: المستدرك للحاكم النيسابوري (٢٢/٤) كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان -رضي الله عنها-، ونصه: (عن عوف بن الحارث قال سمعت عائشة -رضي الله عنها- تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله ذلك كله وتجاوز وحللتك من ذلك كله، فقالت عائشة: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، وتوفيت سنة أربع وأربعين في إمارة معاوية -رضي الله تعالى عنهما-).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢١/٨). ونصه: (ولم يخرج رسول الله ﷺ من خيبر حتى طهرت من حيضتها، فخرج رسول الله ﷺ من خيبر ولم يعرّس بها، فلما قُرِّب البعير لرسول الله ليخرج وضع رسول الله رجله لصفية لتضع قدمها على فخذه فأبت ووضعت ركبتها على فخذه وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه).

(٣) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٨٩٤) (٧٠٩/٥) كتاب المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ. ونصه: (عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: جامع الترمذي (ص٦٠١)، ط. بيت الأفكار الدولية.

٣- أدبها في حرصها على زيارته ﷺ وهو في معتكفه وفاءً لحقه ﷺ[١].

٤- أدبها مع رسول الله ﷺ حين حجت معه، ثم عرض لها ما يعرض للنساء، فتأدبت في ذكر عذرها بقولها: ما أراني إلا حابستكم[٢].

ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- حسن تفكيرها حين اختارت الله ورسوله ﷺ واعتنقت دين الإسلام، ولم تقبل بالرجوع إلى قومها[٣].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٠٣٩) (ص٤٢٣) كتاب الاعتكاف، باب: هل يدرأ المعتكف عن نفسه، ونصه: (عن علي بن الحسين -رضي الله عنهما-: أن صفية -رضي الله عنها- أتت النبي ﷺ وهو معتكف، فلما رجعت مشى معها، فأبصره رجل من الأنصار، فلما أبصره دعاه، فقال: "تعال، هي صفية"، وربما قال سفيان: "هذه صفية، فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم").

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٧٧١) (ص٣٧٠) كتاب الحج، باب: الإدلاج من المحصب، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أُراني إلا حابستكم، قال النبي ﷺ : عَقْرى حَلْقى، أطافت يوم النحر؟ قيل: نعم، قال: فانفري). وقيل في معنى قوله ﷺ: "عقرى حلقى"، معناه الدعاء بالعقر والحلق، وحكى القرطبي أنها كلمة تقولها اليهود للحائض، ثم اتسع العرب في قولهما بغير إرادة حقيقتهما، كما قالوا: قاتله الله وتربت يداه، ونحو ذلك. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٥٨٩/٣).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٣/٨) ونصه: (لمّا دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها: اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك. فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدَّقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحبّ إليَّ من العتق وأن أرجع إلى قومي. فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه).

٢- اجتهادها بعدم رغبتها في النزول مع رسول الله ﷺ بالقرب من خيبر وعللت ذلك بخوفها عليه ﷺ من اليهود، فزادها ذلك منزلة ومكانة عنده ﷺ[(١)].

٣- سلامة تفكيرها بهبتها بعض حُلِيِّها لفاطمة بنت رسول الله ﷺ حيث كسبت بذلك وُدَّها وَوُدَّ أبيها ﷺ[(٢)].

٤- حرصها على تعلم الخير وطلب العلم، فسألته ﷺ أن يعلمها كيف تُسَبِّح[(٣)].

٥- حسن تصرفها بهبتها يومها **لعائشة** -رضي الله عنها- في سبيل

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٣٨/٤). ونصه: (ولم يخرج -ﷺ- من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه، فلما صار إلى منزلٍ على ستة أميال من خيبر مال، يريد أن يعرس بها، فأبت عليه فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر، نزل بها هناك فمشطتها أم سليم وعطرتها، قالت أم سنان الأسلمية: وكانت من أضوأ ما يكون من النساء، فدخل -ﷺ- على أهله، فلما أصبح سألتها عما قال لها، فقالت: قال لي ما حملك على الامتناع من النزول أولاً، فقلت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٧/٨). ونصه: (عن سعيد بن المسيب قال: قدمت صفية بنت حيي في أذنيها خرصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة ولنساء معها).

(٣) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٥٤٧/١) كتاب الدعاء، ونصه: (عن كنانة -مولى صفية- عن صفية -رضي الله عنها- قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة اسبح بهن، فقال: يا بنت حيي ما هذا؟ قلت: أسبح بهن، قال: قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا، قلت: عَلِّمني يا رسول الله، قال: قولي: سبحان الله عدد ما خلق من شيء). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

أن تُرْضِي عنها رسول الله ﷺ[1].

ومما ورد في دعوة أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- ويدل على ما وهبها الله من كريم الأخلاق وجميل الصفات ما يلي:

١- كمال أدبها وجميل خلقها في تفقدها لحاله ﷺ وسؤالها له عندما لاحظت عليه يوماً الوجوم وعدم الاستقرار[2].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٧٤٠٣) (ص١٩٩٧). حديث صفية أم المؤمنين. ونصه: (عن صفية بنت حيي -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ حج بنسائه. فلما كان في بعض الطريق: نزل رجل فساق بهن، فأسرع، فقال النبي ﷺ: كذلك سوقك بالقوارير؟ -يعني النساء- فبيناهم يسيرون برك بصفية بنت حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهراً. فبكت، وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك. فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء، وهو ينهاها، فلما أكثرت زبرها وانتهرها، وأمر الناس بالنزول فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل. قالت: فنزلوا، وكان يومي، فلما نزلوا ضُرب خباء النبي ﷺ، ودخل فيه. قالت: فلم أدر علامَ أُهجُم من رسول الله ﷺ؟ وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني، فانطلقت إلى عائشة، فقلت لها: تعلمين أني لم أكن أبيع يومي من رسول الله ﷺ بشيء أبداً، وإني قد وهبت يومي لك، على أن تُرضي رسول الله ﷺ عني. قالت: نعم، قال: فأخذت عائشة خماراً لها قد ثردته بزعفران، فرشته بالماء ليذكي ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله ﷺ، فرفعت طرف الخباء، فقال لها: ما لك يا عائشة؟ إن هذا ليس بيومك، قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال مع أهله...) الحديث. والحديث درجته حسن. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٤٤/٢٢). باب: ما ورد في فضل صفية بنت حيي وأنها من أمهات المؤمنين -رضي الله عنها-.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٠٥) (ص٨٧٢) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان. ونصه: (عن ابن عباس قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً، فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم، قال رسول الله ﷺ: "إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقني، أمَا والله ما أخلفني، قال: فظل رسول الله يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ

=

٢- أدبها -رضي الله عنها- في قيامها بواجب ضيوفه ﷺ حسب القدرة والجهد[1].

٣- رغبتها في استجلاب محبته ﷺ بتركها الأكل من الضب موافقة لـه ﷺ، مع أنه قد أفتى بحله[2].

٤- كمال أدبها في حسن اعتذارها منه ﷺ حين أعتقت وليدةً دون إذنـه، فوجهها ﷺ للأفضل والأكمل[3].

= بيده ماءً فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل، فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقـاني البارحـة، قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، فأصبح رسول الله ﷺ يومئـذ فـأمر بقتـل الكلاب، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير، ويترك كلب الحائط الكبير).

(١) انظر: سنن الترمذي، حديـث رقـم: (٣٤٥٥) (٥/٥٠٦) كتـاب الدعـوات، بـاب: مـا يقـول إذا أكل طعاماً، ونصه: (عن ابن عباس قال: دخلت مع رسـول الله ﷺ أنـا وخـالد بـن الوليـد على ميمونة فجاءتنا بإناء فيه لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه وخالد على شمالـه فقـال لي الشربة لك، فإن شئت آثرت بهـا خـالداً، فقلـت: مـا كنـت أوثـر علـى سـورك أحـداً...) الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وكذا حسنه الألباني -رحمه الله-. انظر: المصدر نفسه (٥٤٦)، ط. بيت الأفكار الدولية.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٩٤٨) (ص٨٠٧) كتاب الصيد والذبائح، بـاب: إباحـة الضب، ونصه: (عن يزيد بن الأصم، قال: دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشـر ضباً، فآكل وتارك، فلقيت ابن عباس من الغد، فأخبرته، فأكثر القوم حوله، حتى قال بعضهـم: قـال رسول الله ﷺ: لا آكله، ولا أنهى عنه، ولا أحرمه، فقال ابن عباس: بئس مـا قلتـم، مـا بعـث نبي الله ﷺ إلا محلاً ومحرماً، إن رسول الله ﷺ بينما هو عند ميمونة، وعنده الفضل ابن عبـاس وخالد بن الوليد وامرأة أخرى، إذ قُرِّب إليه خـوان عليـه لحـم، فلمـا أراد النبي ﷺ أن يـأكل قـالت ميمونة، إنه لحم ضب، فكف يده، وقال: هذا لحم لم آكله قط، وقال لهم: كلوا، فأكل منـه الفضـل وخالد بن الوليد والمرأة. وقالت ميمونة: لا آكل من شيء إلا شيء يأكل منه رسول الله ﷺ).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٩٢) (ص٥٣٨) كتاب الهبة، باب: هبـة المـرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهـو جـائز إذا لم تكـن سـفيهة، فـإذا كـانت سـفيهة لم يجـز. =

٥- أدبها معه ﷺ في حياته وبعد وفاته، فعندما مرضت في مكة طلبت الخروج منها لعلمها السابق منه ﷺ بأنها لن تموت بها، فماتت في خارج مكة في الموضع الذي بنى بها رسول الله ﷺ فيه[1].

هذا ومن دلائل حسن التفكير في دعوة أم المؤمنين **ميمونة بنت الحارث** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- حسن تفكيرها في أن تكون أمًّا للمؤمنين، وقد كان لها ما تحب وتطلب[2].

= ونصه: (عن كريب مولى ابن عباس: أن ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- أخبرته: أنها أعتقت وليدة، ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله ﷺ أني أعتقت وليدتي؟ قال: أوفعلت. قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك).

(١) انظر: مسند أبي يعلى، حديث رقم: (٧١١٠) (١٣/٢٧-٢٨). ونصه: (عن يزيد بن الأصم قال: ثقلت ميمونة زوج النبي ﷺ بمكة، وليس عندها من بني أخيها، فقالت: أخرجوني من مكة، فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة، قال: فحملوها حتى أتوا بها سرف إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة. قال: فماتت؛ فلما وضعناها في لحدها أخذت ردائي فوضعته تحت خدها في اللحد، فأخذه ابن عباس فرمى به). مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين أسد. الطبعة الأولى:١٩٨٤م، ط. دار المأمون للتراث، دمشق.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٤/٢٠٩). ونصه: (وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها، فقيل هي أم شريك، وقيل ليلى بنت حكيم، وقيل: هي ميمونة بنت الحارث حين خطبها النبي ﷺ فجاءها الخاطب وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ). وروى الطبراني برجال ثقات عن الزهري -رحمه الله-: (أن ميمونة بنت الحارث هي التي وهبت نفسها). أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/٤٢١-٤٢٢) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله ثقات. انظر: أزواج النبي ﷺ للصالحي (ص٢٠٢).

٢- من حسن تفكيرها تمكينها لابن أختها عبد الله بن عباس من المبيت في بيتها ليلة وجوده ﷺ عندها ليستفيد ويفيد[1].

٣- حسن تفكيرها في معرفة حاله ﷺ يوم عرفة، هل كان مفطراً أم صائماً بإرسالها اللبن إليه[2].

٤- دقة ملاحظتها له ﷺ وقت غسله من الجنابة فنقلت ذلك للأمة نقلاً كاملاً من مبتدأه إلى منتهاه، فنفع الله بذلك[3].

٥- تعليمها الأمة فضل الاجتماع على صلاة الجنازة وأن ذلك من أسباب قبول الشفاعة في الميت بإذن الله[4].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٧) (ص٤٣) كتاب العلم، باب: السمر في العلم، ونصه: (عن ابن عباس قال: بِتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله، فصلى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام، ثم قال: نام الغُلَيِّم؟ أو كلمة تشبهها، ثم قام، فقمت عن يساره، فجعلني عن يمينه...) الحديث.

(٢) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (١٩٨٩) (ص٤١٥) كتاب الصوم، باب: صوم يوم عرفة، ونصه: (عن كريب، عن ميمونة -رضي الله عنها- أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بحلاب، وهو واقف في الموقف، فشرب منه والناس ينظرون).

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٣١٧) (ص١٤٦) كتاب الحيض، باب: صفة غسل الجنابة، ونصه: (عن ابن عباس قال: حدثتني خالتي ميمونة قالت: أدنيت لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ به على فرجه، وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض، فدلكها دلكاً شديداً، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملء كفه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك، فغسل رجليه، ثم أتيته بالمنديل فرده).

(٤) انظر: سنن النسائي، حديث رقم: (١٩٩٣) (ص٢٢٤) كتاب الجنائز، باب: فضل من صلى عليه مائة. ونصه: (أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال أنبأنا محمد بن سواء أبو الخطاب قال حدثنا أبو بكار الحكم بن فروخ قال: صلى بنا أبو المليح على جنازة فظننا أن قد كبر فأقبل علينا =

٦- تعليمها للمرأة أن تنتفع بجلود الميتة بعد دبغها، واستدلالها على صحة ذلك بحديث رسول الله ﷺ في هذا الشأن[1].

٧- سلامة تفكيرها ودقة استنباطها في أن الحق كان مع علي -رضي الله عنه- وقت قتاله في صفين وغيرها[2].

بوجهه فقال: أقيموا صفوفكم ولتحسن شفاعتكم، قال أبو المليح حدثني عبد الله وهو ابن سليط عن إحدى أمهات المؤمنين وهي ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: أخبرني النبي ﷺ قال: "ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه" فسألت أبا المليح عن الأمة، فقال: أربعون). قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: حديث حسن صحيح، انظر: المصدر نفسه (ص٢٢٤) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(١) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٤١٢٦) (٦٦/٤) كتاب اللباس، باب: في أهب الميتة، ونصه: (عن كثير بن فرقد عن عبد الله بن مالك بن حذافة حدثه عن أمه العالية بنت سبيع أنها قالت: كان لي غنم بأحد فوقع فيها الموت فدخلت على ميمونة زوج النبي ﷺ فذكرت ذلك لها، فقالت لي ميمونة: لو أخذت جلودها فانتفعت بها، فقالت: أوَ يحل ذلك؟ قالت: نعم، مَرَّ على رسول الله ﷺ رجال من قريش يجرون شاة لهم مثل الحمار فقال لهم رسول الله ﷺ لو أخذتم إهابها، قالوا: إنها ميتة، فقال رسول الله ﷺ: يطهرها الماء والقرظ. والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، في: صحيح سنن أبي داود، برقم: (٤١٢٦) (٥٢٥/٢).

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١٤١/٣) كتاب معرفة الصحابة، ونصه: (عن أبي إسحاق عن جري بن كليب العامري قال: لما سار علي -رضي الله عنه- إلى صفين، كرهت القتال فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-، فقالت: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أيهم؟ قلت: من بني عامر، قالت: رحباً على رحب، وقرباً على قرب تجيء، ما جاء بك؟ قال: قلت: سار عليٌّ إلى صفين، وكرهت القتال فجئنا إلى هاهنا، قالت: أكنت بايعته، قال: قلت: نعم، قالت: فارجع إليه فكن معه، فوالله ما ضَلَّ ولا ضُلَّ به). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

المبحث الثاني

الوسائل الحسية في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-

سبق الحديث عن وسائل الدعوة من حيث تعريفها وأنواعها وضوابطها وغير ذلك، ولما كان الحديث في هذا المبحث عن الوسائل الحسية في دعوة أمهات المؤمنين، تعين التذكير بتحديد المراد بالوسائل الحسية في الدعوة وهي:

(جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة، وذلك كالقول، والحركة، والأدوات، والأعمال...)[1].

وفي الحديث عن الوسائل الحسية في دعوة أمهات المؤمنين ستكون البداية العطرة مع من حازت السبق والفخر والشرف، أم أولاده وبناته ﷺ، أول خلق الله إيماناً به ﷺ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- وأرضاها.

لقد دعت **أم المؤمنين خديجة** -رضي الله عنها- إلى الله بكل ما أوتيت من إيمان وعزم، وسخرت كل ما لديها من وسائل لإنجاح هذه الدعوة، فأقوالها وأعمالها في ميدان الدعوة تجل عن الحصر، ومن ذلك مؤازرتها

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٣).

له ﷺ منذ أول لحظة نزول الوحي بالتخفيف عليه والتأييد له[1]، وأخذها له ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، كل ذلك كان له أبلغ الأثر في نفسه ﷺ، حيث كان في أمسِّ الحاجة إلى ذلك.

وإذا كان المال عصب الحياة وبه تقوم مصالح الناس ومعايشهم، فكيف إذاً بمصالح الدعوة ومشاقها وتبعاتها، فهي من باب أولى تستلزم لهذا العنصر المادي الفاعل لنجاحها وثباتها وإبلاغها إلى الناس.

وهذه أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- السيدة الكريمة، أول أمهات المؤمنين مكاناً ومكانة، تسطر أروع الأمثلة في إبراز هذه الوسيلة الحسية في

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- في حديث (بدء الوحي) أنها قالت: (فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال: "زملوني زملوني"، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي" فقالت: خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)، صحيح البخاري، حديث رقم: (٣)، وفي التعليق على هذه الكلمات الخالدة قال أحد كتاب السيرة: «هذه الكلمات المشرقة بنور الإيمان الفطري، التي تصور مستقبل نبينا محمد ﷺ، تضيف إلى يقين النبي ﷺ ثباته برسالته، بل إن خديجة -رضي الله عنها- تريد بهذه الكلمات المشرقة أنها تستبعد كل الاستبعاد ما هجس في نفسه ﷺ، إشفاقاً أن تضعف قواه البشرية عن تحمل أثقال ما حمل من أعباء الرسالة، وحرصاً منه ﷺ على تمكنه من تبليغ رسالة ربه، وتخطي ما تصوَّره من عقبات في سبيل ذلك التبليغ، وتضيف هذه الكلمات المشرقة إلى ما تحلَّى به ﷺ من قوة اليقين والصبر ضروباً من المصابرة تزيد في شحنة عزيمته على المضي قُدُماً في طريق أداء واجبه نحو هذه الإنسانية المعذبة في الأرض، ليخرجها من ظلمات العبودية والوثنية بصورها وأشكالها الكافرة بتوحيد الله تعالى، وإفراده بالتعبد لله وحده، إلى النور». انظر: كتاب محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، لمحمد الصادق إبراهيم عرجون (٣٠٧/١) بتصرف، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

الدعوة، فقد ساهمت، بل وتكفلت بنصيب كبير من نفقات الدعوة الإسلامية، فأوفت وبذلت بلا منةٍ ولا وجل[1]، فكانت صاحبة السبق الأول في هذا المجال بلا منازع، فقد ذكر علماء السيرة سابقاً ولاحقاً على أنه لم يوجد مثلها قط في هذا المضمار، ويكفيها شهادة رسول الله ﷺ لها بذلك[2].

وفي توفيرها للجو الهادئ له ﷺ في بيته والتخفيف عليه مما يلقى من عناد المشركين وأذاهم، أعظمُ وسيلة في الدعوة إلى الله، لقد كانت -رضي الله عنها- تبذل كل شيء، وقتها، وما لها وجاهها وابتسامتها ونفسها له ﷺ كيما يخرج من بيته ﷺ مرة أخرى داعياً إلى الله بنفس هادئة راضية مطمئنة. (فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق محمداً ﷺ فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له إلا فرج الله عنه بها، تثبته وتصدقه وتخفف عنه، وتهون عليه

---

(١) مما ذكره الشوكاني -رحمه الله- في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ قال: أي وجدك فقيراً لا مال لك فأغناك، وقيل: أي رضاك بما أعطاك من الرزق، وقيل: أغناك بمال خديجة بنت خويلد، انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) (٥/٤٥٨).

(٢) مما جاء عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثني وأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، وقد أبدلك الله خيراً منها، فقال: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس)، انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل للشيخ أحمد البنا (٢٠/٢٤٠)، والحديث في مسلم برقم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين إلى قوله: ((فأبدلك الله خيراً منها))، وكذا علقه البخاري رقم (٣٨٢١)، وانظر: فتح الباري (٧/١٣٤).

ما يلقى من قومه)[1].

لقد كان بيت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- واحة الإيمان في صحراء الكفر والضلالة، ولا عجب أن يستضيء قلب بناتها بنور الإيمان منذ أن أشرقت شمس الإسلام على البيت المحمدي الطاهر. لقد سعت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- سعياً حثيثاً في الدعوة إلى الله بشتى الوسائل، فبدأت بأقرب الناس لها وهن بناتها، فدعتهن إلى الله والإيمان برسوله ﷺ، ومن المُسَلَّمِ والطبيعي أن تكون بنات خديجة وزوجها رسول الله ﷺ من السابقات[2]، لأنهن رضعن لبان الإيمان من أصولها، ونشأن على التمسك بالهدي النبوي والسيرة الحسنة قبل البعثة فضلاً عما بعدها.

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٠/٢). وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: ((وخديجة -رضي الله عنها- مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بله الإدراك والمعونة، وكانت خديجة -رضي الله عنها- سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم))، انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي (ص٨٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ط. دار الدعوة، مصر. ومما ذكره الدكتور السباعي في سيرته عن أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- قوله: ((وموقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنهما- من رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لما تستطيعه الزوجة المؤمنة بدعوة الخير أن تقوم به في نجاح زوجها وثباته، واستمراره في دعوته))، انظر: السيرة النبوية: دروس وعبر، د. مصطفى السباعي (ص٥٦) ط. المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

(٢) أَكَّدَ ابن سعد -رحمه الله- وغيره في تراجمهن سبقهن إلى الإسلام، فقيل في كل واحدة: (وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء)، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١/٨-٣٦-٣٧). وفي التأكيد على دور المرأة المسلمة وأثرها الفاعل في بناء البيت =

وتعتبر الهجرة من أعظم وأهم أبواب إقامة الدين، ووسيلة من وسائل نجاح الدعوة واستمرارها، إذ ينتقل المسلم من بلد إلى بلد تاركاً الأهل والعشيرة، والوطن والخلان، حباً لله ولرسوله ﷺ وامتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ورغبة في إقامة الدين في مكان لا يغلب فيه العبد على إقامة شعائر دينه. ولقد وفق الله أم المؤمنين **سودة بنت زمعة** -رضي الله عنها- لهذه الوسيلة العامة في الدعوة، حيث هاجرت مع زوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة[1]. ثم كتب الله لها شرف الهجرة الثانية إلى

=

المسلم يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: ((إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولابد أن تكون هذه القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد يقف على ثغرة لا يُنفذ إليها، وإلاّ تكن كذلك سهل اقتحام المعسكر من داخل قلاعه، فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم، والأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة، لابد من أب وأم ليقوما على الأبناء والبنات، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال، لابد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء، وهو بذور المستقبل وثماره، ومن ثم كان القرآن يتنزل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت، ويقيمها على المنهج الإسلامي، وكان يحمل المؤمنين تبعة أهليهم كما يحملهم تبعة أنفسهم))، بتصرف من ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب -رحمه الله- (٣٦١٩/٦).

(١) قال ابن إسحاق: ((ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، ثم قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام -ثم ذكر أسماء المهاجرين حتى قال- المهاجرون =

المدينة[1] بعد أن أضحت أُمّاً للمؤمنين.

وحيث يعتبر بذل المال من أهم الوسائل الحسية المعينة على نشر الدعوة، فقد كان لأم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- من ذلك نصيب وافر، فقد كانت من الباذلين في سبيل الله بكل كرم وسخاء، فقد روي في السير أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعث إلى **سودة** -رضي الله عنها- بغرارة[2] دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت في الغرارة مثل التمر، يا جارية: بلغيني القُنْع[3]، ففرقتها)[4].

من بني عامر بن لؤي -وذكر منهم- وسليط ابن عمرو ابن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر، وأخوه السكران بن عمرو، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ابن عبدشمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر))، انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (١/٣٣٩-٣٥٢) بتصرف، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي -رحمه الله- (٢/٣٤٨).

(١) قال ابن سعد في الطبقات يذكر هجرة أم المؤمنين سودة بنت زمعة إلى المدينة: ((ومكثت سودة أم المؤمنين -رضي الله عنها- في مكة إلى أن أذن الله عزَّ وجلَّ لرسوله وللمؤمنين بالهجرة إلى المدينة، ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، بعث رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان الأنصاري -رضي الله عنه-)) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٣٧-٢٣٨). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦٩).

(٢) الغِرارَة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وجمعه غرائر، انظر: المعجم الوسيط (٢/٦٤٨).

(٣) القنع: هو الطبق من عُسُب النخل يؤكل عليه، أو تجعل فيه الفاكهة وغيرها. انظر: المصدر السابق (٢/٧٦٣).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٦٩)، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

ولقد عنيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بتحقيق النجاح للدعوة الإسلامية، باذلة ما في وسعها من وسائل لتحقيق ذلك، فها هي تسلك الطريق إلى العراق بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لا لشيء إلا أن يصلح الله على يديها ما فسد بين المسلمين، وهذه الوسيلة الحسية في الدعوة -وهي سفرها وسعيها للإصلاح- تعتبر من أرقى الوسائل إن لم تكن أرقاها وأعظمها وأنفعها وذلك لعظيم الأجر المترتب على هذا السعي للإصلاح بين المسلمين(١).

وفي تكليف أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لمولاها بأن يصلي بها إماماً في الصلاة(٢)، وسيلة دعوية ناجحة، أدركت بها فضيلة الجماعة، وحققت من خلالها مكسباً عظيماً من الأجر والثواب لها ولغيرها في ختم القرآن الكريم.

وفي رغبتها في الخير سلكت -رضي الله عنها- مسلكاً حسناً وهو أمرها بكتابة مصحف(٣) لها، تستطيع من خلاله مراجعة محفوظها، ويكون

---

(١) قال صاحب التحفة: «المروي عنها أنها خرجت لإصلاح ذات البين وأخذ القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنه- المقتول ظلماً وعدواناً»، انظر: التحفة الاثني عشرية للدهلوي (ص٢٦٩). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨/٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٧/٢)، وروح المعاني للآلوسي (١١/٢١).

(٢) جاء أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كان يؤمها عبدٌ لها يكنى أبا عمرو، وفي رواية عن ابن أبي شيبة والبخاري معلقاً أنه كان يؤمها في المصحف). انظر: التلخيص الحبير، تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٤٣/١).

(٣) روى الترمذي في جامعه (عن أبي يونس مولى عائشة -رضي الله عنها- قال: أمرتني عائشة -رضي الله عنها- أن أكتب لها مصحفاً، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿**حافظوا على**
=

مرجعاً لها إذا أشكل عليها شيء من ذلك، وفي الوقت نفسه نفعه متعدٍ للأمة كلها بضبط كتاب الله وحفظه.

كما حملت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على عاتقها مسؤولية تبليغ العلم الذي ورثته من رسول الله ﷺ فلم تدخر وسعاً في تبليغه للناس، مستخدمة جميع الوسائل الموصلة لذلك. ومن ذلك استخدامها لوسيلة حسية عملية في تعليم المتعلم لم تتقدمها فيها امرأة من النساء -في نظري- ألا وهي توضيحها لهديه ﷺ في الغسل، وهذا تم بالضوابط والمحاذير الشرعية التي لم تكن لتخفي على أم المؤمنين -رضي الله عنها-، وذلك لأن السؤال وقع من بعض محارمها، ونصبت الحجاب بينها وبينهم بحيث لم تُظهر إلا ما يحل

= **الصلوات والصلاة الوسطى (وصلاة العصر) وقوموا لله قانتين﴾**. وقالت: سمعتها من رسول الله ﷺ) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انظر: جامع الترمذي، حديث رقم: (٢٩٨٢) (٥/٢١٧) كتاب تفسير القرآن، وأما العطف الذي أثبتته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فهو تفسيري، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر إجماعاً. قال الباجي -رحمه الله-: «وهذا يقتضي أن يكون بعد جمع القرآن في مصحف وقبل أن تجمع المصاحف على المصاحف التي كتبها عثمان -رضي الله عنه- وأنفذها إلى الأمصار، لأنه لم يكتب بعد ذلك في المصاحف إلا ما أُجمع عليه وثبت بالتواتر أنه قرآن -ثم وضح معنى قولها: سمعتها من رسول الله ﷺ فقال- يحتمل أنها سمعتها على أنها قرآن ثم نسخت، ولعلها لم تعلم بنسخها أو اعتقدت أنها مما نسخ حكمه وبقي رسمه، ويحتمل أنه ذكرها ﷺ على أنها من غير القرآن لتأكيد فضيلتها فظنتها قرآناً فأرادت إثباتها في المصحف لذلك، أو أنها اعتقدت جواز إثبات غير القرآن معه على ما روي عن أبي بن كعب وغيره من الصحابة أنهم جوزوا إثبات القنوت وبعض التفسير في المصحف إن لم يعتقدوه قرآناً». انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/٢٨٣-٢٨٤)، بتصرف.

النظر إليه للمحارم. فمما جاء في ذلك عن أبي بكر بن حفص قال: سمعت أبا سلمة يقول: دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة (فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ، فدعت بإناءٍ نحواً من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب)(١).

وفي حرصها -رضي الله عنها- على نجاح الدعوة وسلامتها من الوقوع في الأخطاء، توجه الأمة إلى العناية بوسيلة هامة وحيَوية في الدعوة، ألا وهي الخطابة والإلقاء. فهاهي تنكر على أبي هريرة -رضي الله عنه- سرعته في سرد الحديث النبوي، وتوجه إلى أن هديه ﷺ كان خلاف ذلك(٢).

ومن وسائلها الحسية في الدعوة، ما جاء عنها -رضي الله عنها- أنها كانت وسيط خير بينه ﷺ وبين النساء في تعليمهن أمور دينهن، وخاصة الأمور الخاصة بهن والتي يستحي الرجال من ذكرها، فها هو ﷺ، يفتي امرأة من المسلمين تسأله عن التطهر من المحيض فيفتيها ﷺ، ولكن يضعف فهم المرأة السائلة عن إدراك المطلوب، فيعرض ﷺ بوجهه الشريف -ﷺ-، حياءً من التفصيل، فتتدخل أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فتجذب المرأة إليها، وتفهمها المراد من ذلك. فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: (أن امرأة سألت النبي ﷺ كيف

---

(١)صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥١) (ص٧٠) كتاب الغسل، باب: الغسل بالصاع ونحوه، وقد تقدمت بعض أحكام هذا الحديث في (ص٢٠٨) من هذا البحث.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٩٣) (ص١٠١١) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة.

تغتسل؟ قال: خُذِي فِرْصَةً[1] من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: سبحان ا لله تطهري، فاجتذبتها إلي، فقلت: تتبعي أثر الدم)[2].

وفي رواية: (أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: خذي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فتوضئي ثلاثاً. ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال: توضئي بها. فأخذتها فجذبتها، فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ)[3].

ومما عنيت به **أم المؤمنين حفصة** -رضي ا لله عنها- لتفيد الأمة من خلال دعوتها إلى ا لله، تعلمها للكتابة لتستفيد وتفيد، إذ تعتبر هذه الوسيلة من أهم الوسائل في الدعوة إن لم تكن أهمها، فبها يُنال شرف العلم والتعلم. فقد جاء في سنن أبي داود (عن الشفاء[4] بنت عبد ا لله، قالت: دخل عليَّ رسول ا لله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية

---

(١) الفِرصة: بالكسر ثم التسكين: هي خرقة أو قطنة تتمسح بها المرأة من المحيض، وجمعها فراص. انظر: القاموس المحيط، مادة (فرص) (ص٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٠٨) كتاب الطهارة، باب: دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها أثر الدم، واللفظ له. وأخرجه مسلم في الحيض، باب: استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، حديث رقم: (٣٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، برقم: (٣٠٩) كتاب الطهارة، باب: غسل المحيض.

(٤) هي الشفاء بنت عبد ا لله بن شمس القرشية العدوية، من المهاجرات الأول. وكانت من عقلاء النساء توفيت نحو سنة ٢٠هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣٣٣/٤). والأعلام للزركلي (١٦٨/٣).

النملة[1] كما علمتيها الكتابة)[2].

وهكذا تكون أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- قد شقت الطريق أمام المؤمنات في تعلم العلم والحرص على تحصيله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وفي الحديث دليل على جواز تعلم النساء الكتابة»[3].

ومما نقلته -رضي الله عنها- للأمة من سنته الفعلية ﷺ داخل بيته، إذ وصفت الهيئة التي كان عليه الصلاة والسلام ينام عليها، وما ذاك إلا لعلمها التام بأهمية ذلك لكل مؤمن ومؤمنة، إذ المؤمن مطالب بالإقتداء به ﷺ في ذلك، فقد جاء عنها في سنن أبي داود: (أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، ثلاث مرار)[4].

وتعتبر وسيلة الخطابة من أمضى الوسائل الدعوية التي لا يستغني عنها الدعاة والمصلحون، كيف لا وهي من الوسائل التي استخدمها نبينا محمد

---

(١) النملة: قروح تخرج في الجنب، وهو داء معروف وسمي نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/١٢٠)، وانظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (٤/١٨٤).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٨٨٧) (٤/١١) كتاب الطب، باب: ما جاء في الرقى، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، برقم: (٣٨٨٧) (٢/٤٦٨).

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (٤/١٨٤).

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم: (٥٠٤٥) (٤/٣١٠) كتاب الأدب، باب: ما يقال عند النوم، والحديث صحيح دون قوله ثلاث مرار. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٥٠٤٥) (٣/٢٤٠).

ﷺ في دعوته، وكان لها عظيم الأثر والنفع على النـاس، ولأهميتها شـرعها الله للمسلمين في كل جمعة، ولقـد كـان لأم المؤمنـين **حفصـة** -رضـي الله عنها- من ذلك أوفـر نصيـب، فقـد أثـر عنهـا في هـذا البـاب نمـاذج رائعـة ومؤثرة، فمن ذلك خطبتها[1] في مرض أبيهـا حيـث ضمنتهـا ذكـر محاسـنه -رضي الله عنه- وبشرته وطمأنته، وخطبتها بعد استشهاده[2] -رضي الله عنه-، إذ ركزت مـن خلالهـا علـى اجتمـاع كلمـة المسـلمين، وقطـع دابـر الشرك والنزاع والفساد.

ولقد كانت **أم سلمة** -رضـي الله عنهـا- وسـيط خـير بينـه ﷺ وبـين النساء في تعليمهن أمور دينهن وخاصة في الأمور الـتي يسـتحي النسـاء مـن ذكرها، فمن ذلك ما جاء عن **أم سلمة** -رضـي الله عنهـا-: (أن الأنصـار كانوا لا يجبون النساء، وكانت اليهود يقولون: إنـه مـن جبـى امرأتـه كـان ولده أحول، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فجبوهـن، فأبت امرأة أن تطيع زوجها، فقـالت لزوجهـا: لـن تفعـل ذلـك حتـى آتـي رسول الله ﷺ، فدخلت على أم سلمة فذكرت ذلك لهـا، فقـالت: اجلسـي حتى يأتي رسول الله ﷺ، فلمـا جـاء رسـول الله ﷺ اسـتحيت الأنصاريـة أن تسـأله فخرجـت، فحدثـت أم سـلمة رسـول الله ﷺ، فقـال: ادعـي الأنصارية، فدعيت فتلا عليهـا هـذه الآيـة: ﴿**نسـاؤكم حـرث لكـم فـأتوا**

(١) انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (١/٢٧٥).

(٢) انظر المصدر السابق (١/٢٧٦-٢٧٧).

حرثكم أنى شئتم﴾ صماماً واحداً)[1].

ويعتبر نشر العلم وبذله للناس من أهم الوسائل الحسية في نجاح الدعوة، وقد كان لأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- من ذلك نصيب وافر، فقد جلست في حجرتها -طيلة حياته وبعد وفاته ﷺ- للإفتاء ونفع المسلمين، باذلة في ذلك ما في وسعها في تبليغ الأمانة الملقاة على عاتقها في نقل سنته ﷺ للأمة. لقد كانت -رضي الله عنها- مرجعاً في كثير من سننه ﷺ خاصة في الأمور المتعلقة بأحكام النساء. فقد روى مسلم في صحيحه بسنده قال: ...أخبرني عبد الملك[2] بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧١٣٦) (ص١٩٧٨) واللفظ له، وانظر: جامع الترمذي، الحديث رقم (٢٩٧٨) (٥/٢١٥). كتاب تفسير القرآن الكريم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وانظر: صحيح مسلم، الحديث رقم: (١٤٣٥) (ص٥٦٩) كتاب النكاح، باب: جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها ومن ورائها، من غير تعرض للدبر. ومما أفاد به النووي في ذلك قوله: ((قال العلماء: وقوله تعالى: ﴿**فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ أي موضع الزرع من المرأة وهو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة، وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع، ومعنى قوله: ﴿**أنى شئتم**﴾ أي كيف شئتم واتفق العلماء الذين يعتد بهم على تحريم وطء المرأة في دبرها حائضاً كانت أو طاهراً لأحاديث كثيرة مشهورة كحديث: ملعون من أتى امرأة في دبرها، قال أصحابنا لا يحل الوطء في الدبر في شيء من الآدميين ولا غيرهم من الحيوان في حال من الأحوال والله أعلم)). انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/١٠).

(٢) هو عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. قال عنه النسائي: ثقة، مات في أول خلافة هشام. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٦/٣٨٧).

أبي بكر[1] قال: (سمعت أبا هريرة -رضي الله عنه- يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، فذكرت ذلك لعبد الرحمن[2] بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك؟ قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم....)[3] الحديث.

وإذ تعتبر التربية الصالحة من الدلالات الواضحة على نجاح الدعوة فقد عنيت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- بتربية أبنائها وبناتها على الخير والاستقامة والهداية والصلاح، إذ الأصل أن يبدأ الداعية بأهل بيته ثم من بعدهم، وهذا هو الذي أمر الله به نبينا محمداً ﷺ في قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[4]، فبدأ ﷺ بأقرب الناس إليه فدعا أهل بيته ومن حوله

---

(١) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، قيل هو أحد فقهاء المدينة السبعة مات سنة: ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤١٦).

(٢) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، كان من نبلاء الرجال، روى عن أبيه وعمر وعثمان -رضي الله عنهما- وغيرهم. انظر: طبقات ابن سعد (٥/٥).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٠٩) (٤٢٩) كتاب الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب. قال النووي -رحمه الله-: «حديث عائشة وأم سلمة أولى بالاعتماد لأنهما أعلم بمثل هذا من غيرهما، ولأنه موافق للقرآن فإن الله تعالى أباح الأكل والمباشرة إلى طلوع الفجر......ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح جنباً ويصح صومه لقوله تعالى: ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾». انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٢٢١). قال العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرح الحديث: «اتفق الفقهاء على العمل بهذا الحديث وصار ذلك إجماعاً أو كالإجماع». انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (٣/٣٣٦-٣٣٧).

(٤) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

ثم الأقرب فالأقرب حتى عَمَّ الخير الأمة كلها، وهذا ما فعلته **أم سلمة** -رضي الله عنها- إذ عنيت بأبنائها وبناتها أيما عناية، فعكفت على رعايتهم وتربيتهم وتغذيتهم بحب الله عزَّ وجلَّ وحب رسوله ﷺ، حتى أثمرت هذه الرعاية والتربية الصالحة في ذريتها، فهذه ابنتها زينب كانت من أفقه نساء أهل زمانها[1].

ولقد عنيت أم المؤمنين **زينب بنت جحش** وأم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنهما- بالدعوة إلى الله أيما عناية، فبذلتا ما في وسعهما من جهد وما تيسر لهما من وسائل، فقد روت زينب بنت أبي سلمة عنهما ما يوضح ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه في باب مراجعة الحائض بسنده عن زينب ابنة أبي سلمة...، قالت: (فدخلت على زينب ابنة جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً)[2].

وعنها عن أم حبيبة ابنة أبي سفيان (لما جاءها نعي أبيها، دعت بطيب فمسحت ذراعيها وقالت: ما لي بالطيب من حاجة، لو لا أني سمعت النبي ﷺ يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً)[3].

---

(١) انظر: السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام الطبري (ص١٤٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٣٣٥) (ص١١٧١) كتاب الطلاق، باب: مراجعة الحائض.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٥٣٤٥) (ص١١٧٢) كتاب الطلاق، باب: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾** -إلى قوله- **﴿بما تعملون خبير﴾**.

هذا ولقد سخرت أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي ا لله عنها- كافة إمكاناتها في رضى زوجها عليه الصلاة والسلام، ضاربة بذلك أروع الأمثلة في عنايتها به وحرصها على إسعاده والاهتمام به في شؤونه الخاصة والعامة، فتباشر ذلك بنفسها طلباً لرضاه، فقد جاء في سنن ابن ماجة (عن **زينب بنت جحش** -رضي ا لله عنها- أنه كان لها مخضب[1] من صفر[2]، قالت: كنت أرجل رأس رسول ا لله ﷺ فيه)[3].

وفي موقف آخر لها، تدعوا المرأة المسلمة بأن تحرص كل الحرص على راحة زوجها في بيته، وتحاول أن تبعد عنه كل ما يعكر صفاءه، فقد روى مسلم في صحيحه في باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة: قال: (...فجاءه -أي النبي ﷺ- بعض آله، وهو يومئذ عند **زينب بنت جحش** -رضي ا لله عنها- وقالوا له: فجئنا لتؤمِّرنا على بعض هذه الصدقات. فسكت رسول ا لله ﷺ طويلاً، وجعلت زينب تُلمع -تشير بيدها- علينا من وراء الحجاب أن لا تكلِّماه، ثم قال: إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد...) الحديث[4].

---

(١) المخضب: بالكسر: شبه المِرْكن، تغسل فيها الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٣٩).

(٢) صفر: معدن من نحاس يعمل منه الأواني. مختار الصحاح للرازي (ص٣٦٤).

(٣) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٧٢) (١/١٦٠) كتاب الطهارة، باب: الوضوء في الصفر. والحديث صححه الألباني -رحمه ا لله- في: صحيح ابن ماجة (١/١٥٤).

(٤) انظر: صحيح مسلم، جزء من الحديث رقم: (١٠٧٢) (ص٤١٤) كتاب الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة.

وعنـد مـا دخلـت **أم حبيبـة** -رضـي ا لله عنهـا- البيـــت النبـــوي أمّــاً للمؤمنـين، لم تدخـر وسـعاً في بـذل طاقتهـا وإمكاناتهـا في إرضـاء زوجهـا رسول ا لله ﷺ وإدخال السرور عليـه، وهـذا مـن أعظـم الـدروس الدعويـة للمرأة المسلمة الصالحة المتحببة لزوجها بأن تقوم بخدمة بيتها بنفسها، وهــذا مما يعلي قدر المرأة ويسمو بمكانتها عند زوجهــا، فقـد جـاء أنـه لما قدمـت **أم حبيبة** -رضي ا لله عنها- أمر رسول ا لله ﷺ بلالاً فأخذ بخطـام بعيرهـا، فأنزلهـا المـنزل الـذي أمـره النـبي ﷺ، فـإذا فيـه كناسـة، فقـالت لمـولاة لهـا: إن شئت كفيتني السقي وكنســتُ، وإن شـئتِ استقيتُ وكنســتِ. قـالت: فكنستُ البيت، ثم بسطتُ فيه بساط شَعْر، ثم بسطت عليه شـيئاً، ثـم أَذِنَ رسول ا لله ﷺ بالدخول على أهله [1].

وفي ميدان التضحيـة والفـداء تسـطر أم المؤمنـين **أم حبيبـة** -رضـي ا لله عنها- نماذج رائعة في ذلك، فهاهي تغامر بالدخول عند الخليفة عثمـان بـن عفـان -رضي ا لله عنه- وقـت محاصرتـه مـن لـدن رؤوس الفتنـة والشـقاق، لتزوره وتخفف عنه وتهون عليه، وفي أثناء تلك الزيارة جاء رجل فـاطلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: ما له قطع ا لله يـده، وأبـدي عورتـه، فدخل عليه داخل فضربه بالسـيف فـاتقى بيمينـه فقطعهـا، وانطلـق هاربـاً، آخذاً إزاره بفيه، أو بشماله بادياً عورته[2].

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء- لابن عسـاكر (ص٨٧)، تحقيـق: سـكينة الشـهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٩١).

وفي ميدان التضحية والفداء بذلت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- كل الوسائل الممكنة في نصرة الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وقت محاصرته من لدن رؤوس الفتنة والشقاق، وهذا من المواقف النادرة في نصرة الدعوة والحق والتي حُمدت عليها وبرهنت من خلالها على صدق ولائها لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين. (فقد ورد عن كنانة مولى أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- أنه قال: كنت أقود بصفية لِتَرُدَّ عن عثمان، فلقيها الأشتر، فضرب وجه بغلتها حتى مالت. فقالت: رُدَّني لا يفضحني هذا. قال: ثم وضعت خشباً بين منزلها، ومنزل عثمان -رضي الله عنه- تنقل عليه الماء والطعام)[1].

ويعتبر الإنفاق في سبيل الله من أقوى الأدلة على صدق الإيمان بالله واليقين به سبحانه وتعالى وبموعوده، كما يعتبر من أنجع الوسائل الدعوية في كسب القلوب واستمالة النفوس، الأمر الذي يحتاجه الدعاة إلى الله لتستقيم لهم أمور الدعوة ويكتب لها القبول. وقد عُرفت أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- بأنها من أهل البذل والإنفاق في سبيل الله.

ومن توفيق الله **لأم المؤمنين ميمونة** -رضي الله عنها- في ميدان الدعوة إلى الله، استخدامها للوسيلة الدعوية المناسبة في الوقت المناسب، فها هي -رضي الله عنها- تُجلّي عن الناس أمراً مهماً من أمور الدين يتعلق

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٧/٨). وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٧/٢). وقال الذهبي: أخرجه ابن سعد ورجاله ثقات.

ولو شاءت بهمة -وهي الشاة الصغيرة- أن تمر تحتهما لمرت. وكان يضع يديه حذو ومنكبيه وأذنيه»[1].

كما تستخدم -رضي الله عنها- وسيلة هامة من وسائل الدعوة في بذل العلم ونشره بين الناس، تلكم هي وسيلة المراسلة، فها هي -رضي الله عنها- يبلغها أن ابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- يعتزل فراش امرأته بسبب عذرها من الحيض، فعندما علمت بذلك أرسلت له ونصحته ووجهته إلى سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام في ذلك[2].

وهكذا يظهر استخدام أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- لوسائل الدعوة من خلال الروايات السابقة، وأنهن لم يدخرن وسعاً في إنجاح الدعوة وتبليغها للناس بشتى الإمكانات والوسائل المتاحة، فرضي الله تعالى عنهن أجمعين.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (٢٣٢/١) فصل في كيفية سجوده ﷺ والقيام منه.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٧٣٥٦) (ص١٩٩٣). والحديث إسناده جيد. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني للشيخ أحمد البنا (١٦١/٢).

المبحث الثالث

الدروس المستفادة للواقع المعاصر

تعتبر هذه الدروس روافد خير تحوي الخطوط العامة لما ورد في ثنايا هذا الفصل، وتعظم فائدتها في التوجيه إلى المفيد النافع.

وتنظيماً لمادتها فقد أتى تقسيمها إلى أربعة مجالات هي:

١- مجال الدعوة الإسلامية.

٢- مجال التربية والتعليم.

٣- مجال الإصلاح الاجتماعي (الأسرة والمجتمع).

٤- مجال المصلحة العامة متمثلة في وحدة الصف واجتماع الكلمة.

أولاً: في مجال الدعوة الإسلامية:

١- تعددت التعاريف الواردة للوسيلة الدعوية، ومن أجمع تلك التعاريف من وجهة نظر الباحث أنها: (ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية).

٢- قسمت الوسائل الدعوية إلى وسائل معنوية، ووسائل مادية.

٣- يُعنى بالوسائل المعنوية كل ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة كالتواضع والصبر والإخلاص وغير ذلك.

٤- يُعنى بالوسائل المادية كل ما يعين الداعية على دعوته من أمور محسوسة أو ملموسة كالقول والحركة والأدوات والأعمال.

٥- لكي تكون الوسيلة مشروعة ومستمدة من الكتاب والسنة، يتعين أن تكون منضبطة بأحكام الإسلام.

٦- لا يعرف الإسلام فصلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل، ولا يقر الدعوى القائلة (أن الغاية تبرر الوسيلة) كما هو الحال في المبادئ البشرية، بل إن للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج...وهكذا.

٧- لا يُعنى بالانضباط في الوسائل الدعوية، تحتم السلامة من جميع العيوب والأخطاء، فهذا أمر متروك للداعية عند استخدامه للوسيلة الدعوية، مع الأخذ بالقواعد الفقهية المعلومة مثل (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، (ودفع أحد الضررين بأخفهما)، (وما لا يدرك كله لا يترك جله)... وهكذا.

٨- من خلال النظر في دعوة أمهات المؤمنين، اتضحت المثالية في استخدامهن لهذه الوسائل المشروعة في دعوتهن، ومن ذلك تثبيت الدعاة إلى الله والمصابرة معهم ونصرتهم، ومد يد العون لهم بالكلمة الطيبة المعينة والمثبتة، حتى يظهر الحق ويعز أهله، ويخمد الباطل ويذل أهله، أُخِذَ ذلك من تثبيت أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- له ﷺ عند بدء نزول الوحي بأقوالها السديدة وأفعالها الرشيدة طيلة مكثها معه وإلى وفاتها -رضي الله عنها-.

٩- بذل المال في سبيل الله -للقيام بأعباء الدعوة وتحمل تبعاتها- له أثره الفاعل في نجاح الدعوة واستمراريتها.

١٠- توجيه الدعاة والمصلحين إلى غرس الإيمان با لله وتصحيح المعتقد ثم العناية بالأحكام التفصيلية والفرعية من الدين، تمثل ذلك في حسن جواب أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- للسائل لما سألها عن المسائل الفرعية في الدين فوجهته للأهم من ذلك.

١١- كما وَجَّهت -رضي ا لله عنها- إلى العناية بوسيلة هامة في الدعوة وهي الخطابة وحسن الإلقاء، فحذرت من السرعة في سرد الحديث وبينت هديه ﷺ وهو التأني في الحديث حتى يفهم عنه الناس.

١٢- حَثَّت **أم سلمة** -رضي ا لله عنها- على مكرمة عالية ومنقبة عظيمة، وهي الشفاعة الحسنة، وذلك من خلال شفاعتها لاثنين من قومها عند رسول ا لله ﷺ، حتى أكرمهما ا لله بالدخول على رسول ا لله ﷺ والإسلام على يديه.

١٣- سطرت أم المؤمنين سودة وأم سلمة وأم حبيبة -رضوان ا لله تعالى عنهن- أروع الأمثلة في التضحية والفداء لدين ا لله بهجرتهن إلى الحبشة، وفي ذلك أعظم درس للدعاة والمصلحين في فضل الهجرة وعلو درجة أهلها عند ا لله إذا دعت الحاجة إليها.

ثانياً: في مجال التربية والتعليم:

١- اجتهدت أم المؤمنين **خديجة** -رضي ا لله عنها- في تربية بناتها التربية الصالحة فتربين على الإيمان با لله وبرسوله ﷺ فكن من السابقات في ذلك.

٢- ضربت أمهات المؤمنين -رضوان ا لله تعالى عنهن- أروع الأمثلة في التربية على الصبر وشظف العيش في حياتهن مع رسول ا لله ﷺ ابتغاء

مرضات الله ورسوله ﷺ.

٣- من الدروس المستفادة في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أدبها وتواضعها مع ربها عزَّ وجلَّ في قصة الإفك حين استبعدت نزول قرآن يتلى في شأنها.

٤- ومن ذلك أدبها مع ربها عزَّ وجلَّ حين رفضت دخول ابن عباس -رضي الله عنهما- عليها عند موتها حتى لا يزكيها فتعظم عليها نفسها في تلك اللحظات الأخيرة من عمرها.

٥- وفي حفظ العلم والعناية به اهتمت -رضي الله عنها- أيما اهتمام، فها هي تتثبت من حديث رواه أحد الصحابة فتعيد السؤال عليه بعد عام لتطمئن من قوة حفظه وصحة نقله.

٦- ضربت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- مثلاً أعلى في حسن التربية وكفالة اليتيم وذلك بعنايتها بأيتام أخيها محمد فكان من ذلك النفع والخير للمسلمين حيث انتفع الناس بعلمهم وأدبهم.

٧- عنيت أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- بتعلم الكتابة فأفادت بذلك في دعوتها إلى الله، كما شقت الطريق أمام المؤمنات لتعلم العلم والحرص على تحصيله.

٨- مما يدل على تبصر أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- وأدبها وحيائها استخدامها لوسيلة الإشارة دون القول في إجابتها لأبيها عندما سألها عن المدة التي تستطيع أن تصبر فيها المرأة عن زوجها عند سفره.

٩- مما نقلته -رضي الله عنها- للأمة من سنته ﷺ داخل حجراته،

وصفها لهيئته ﷺ عند نومه بوضعه يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم دعائه المأثور في ذلك.

١٠- استخدمت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- أكثر من وسيلة مادية في الدعوة من خلال حديث واحد، وهو صلاته ﷺ للركعتين بعد العصر في بيتها، فاستخدمت وسيلة المراسلة ببعث الجارية له ﷺ ثم علمتها أين تقف وكيف تتحدث معه وهو يصلي، وإن أشار إليها بيده ماذا تفعل، فكان لذلك عظيم النفع والفائدة للأمة في تعلم العلم.

١١- كانت **أم سلمة** -رضي الله عنها- وسيط خير بين النبي ﷺ وبين النساء في تعليمهن أمور دينهن فمن ذلك حديث المرأة التي كانت تهراق الدماء والتي سألت عن إتيان المرأة مجبوبة في القبل وغير ذلك.

١٢- جلست أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- للإفتاء ونفع المسلمين حتى كانت مقصد كبار علماء الصحابة وطلاب العلم، خاصة فيما يتعلق بالأمور الخاصة بأحكام النساء، فمن ذلك فتواها في قضية عدة الحامل المتوفى عنها زوجها، وفتواها في صحة صوم الجنب إذا أدركه الفجر.

١٣- عنيت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- بتربية أبنائها وبناتها على الدين والاستقامة حتى غدت ابنتها زينب من أفقه نساء أهل زمانها.

١٤- استخدمت أم المؤمنين زينب بنت جحش وأم حبيبة -رضي الله عنهما- الطِّيبَ وسيلة لتصحيح فهم الناس بأنه لا يجوز الإحداد فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً.

١٥- نقلت أم المؤمنين **زينب بنت جحش** -رضي الله عنها- حركته ﷺ عند روايته للحديث الذي فيه ذكر يأجوج ومأجوج فوصفت دخوله ﷺ وخروجه وفزعه حرصاً منها على نقل الحديث كما رأته وسمعته.

١٦- من توفيق الله لأم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- في ميدان العلم، استخدامها للوسيلة الدعوية المناسبة في الوقت المناسب، فقد جَلَّت عن الناس أمراً مهماً يتعلق بمعرفة صومه من فطره عليه الصلاة والسلام يوم عرفة، وذلك عن طريق إرسالها بحلاب له ﷺ فشرب منه.

١٧- استخدمت أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- وسيلة الزيارة في نشر العلم وبثه بين المسلمين، وقد أثمرت تلك الزيارات منافع للأمة، فها هي تروي حديثاً عن النبي ﷺ في فضل مسجد المدينة عن المسجد الأقصى من خلال توجيهها لإحدى المؤمنات التي كانت قد عزمت على السفر إلى بيت المقدس للصلاة فيه.

١٨- حرصت أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- على نقل سنته القولية والفعلية من داخل حجراته ﷺ لتستفيد منها الأمة فها هي تلاحظ غسله ﷺ فتنقل ذلك للأمة مضبوطاً محفوظاً من مبدأ الغسل إلى منتهاه، كما نقلت كيفية سجوده ﷺ ووصفت ذلك وصفاً دقيقاً من خلال الأحاديث التي روتها للأمة في هذا الشأن.

١٩- استخدمت أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- وسيلة المراسلة في نشر العلم وبثه بين المسلمين، فعندما بلغها أن ابن أختها يعتزل فراش امرأته وقت الحيض أرسلت إليه وعلمته سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام في ذلك.

ثالثاً: في مجال الإصلاح الاجتماعي (الأسرة والمجتمع):

١- أهمية اختيار الزوج الصالح في بناء الأسرة المسلمة، تمثل ذلك في اختيار أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- له ﷺ ليكون زوجاً لها.

٢- تكرر هذا الدرس الاجتماعي في سيرة أمهات المؤمنين جميعاً، ذلكم عندما خُيِّرن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

٣- أهمية تبادل الحب الصادق بين الزوجين لضمان استمرار الحياة الزوجية السعيدة، تمثل ذلك من خلال محبة أم المؤمنين **خديجة** -رضي الله عنها- له ﷺ وحبها لمن يحب فقد أحبت علياً -رضي الله عنه-، كما وهبت غلامها زيد بن حارثة له ﷺ لما رأت محبته ﷺ له.

٤- برهنت أم المؤمنين **سودة** -رضي الله عنها- بتقديمها لمحبته ﷺ على نفسها بتنازلها عن ليلتها لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لما رأت مكانتها ومنزلتها عنده ﷺ، ورغبة منها في البقاء في مسمى أمهات المؤمنين.

٥- تعتبر طاعة الزوج وتلبية رغباته واحتياجاته من أهم الأسس في استمرار الحياة الزوجية السعيدة، وقد سطرت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- لنساء الأمة درساً عظيماً في هذا الشأن، وذلك بتأخيرهن قضاء ما عليهن من رمضان حتى يدركهن شعبان من العام المقبل لمكان رسول الله ﷺ منهن.

٦- مما يزيد المرأة مكانة عند زوجها، قيامها بواجب الإكرام لضيوف زوجها لحين مجيئه، وقد وفقت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لذلك، فَسُرَّ ﷺ بصنيعها حيث كفته القيام بواجبهم.

٧- نقلت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للأمة عامة وللأسرة المسلمة خاصة درساً مثالياً في كيفية معاملته ﷺ لها بالرفق واللين، وذلك من خلال مواقف متعددة منها، استتارها به ﷺ وهي تنظر إلى لعب الحبشة في المسجد، ومسابقته ﷺ لها في السفر، وإدخاله ﷺ للبنات عندها ليلعبن معها، ومؤانسته ﷺ لها بالحديث معها قبيل الفجر إن كانت مستيقظة، ووضعه ﷺ فمه مكان فمها بعد شربها وبعد تَعَرُّقِهَا للعظم.

٨- قَدَّمت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- منهجاً صحيحاً أساسه الصدق والمصارحة عند إرادة الخطوبة، فها هي توضح لرسول الله ﷺ المبررات التي تحول بينها وبين قبول خطبته ﷺ لها، لتكون الأمور واضحة أمامه ﷺ في هذا الشأن، وكم تداعى بنيان كثير من الأسر بسبب فقدان هذا المبدأ.

٩- اهتمت أم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- بسلامة الحياة الخاصة للمرأة المسلمة، وذلك عندما سئلت أتغتسل المرأة مع زوجها، قالت: نعم، إذا كانت كيِّسه، وهذا فيه من الدروس الكثيرة والعظيمة الشيء الكثير، وأهم ذلك هو اللباقة والكياسة وحسن التصرف مع الزوج.

١٠- الأدب مع الزوج وعدم الإثقال عليه بالطلبات والرغبات من أول وهله، تمثل ذلك في أدب أم المؤمنين **جويرية** -رضي الله عنها- حين تزوجها رسول الله ﷺ فلم تثقل كاهله بفكاك رقاب قومها من الأسر، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم.

١١- تعتبر خدمة المرأة في بيت زوجها من أسباب المودة والمحبة المبرهنة على حسن تبعل المرأة الصالحة لزوجها، إذ لها في أم المؤمنين **أم حبيبة** -رضي الله عنها- أسوة حسنة، حيث قامت بخدمة بيتها بنفسها منذ دخولها عروساً في بيته ﷺ.

١٢- سطرت أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- درساً رائعاً في القيام بحق الزوج من زيارته والسؤال عنه حال غيبته، تمثل ذلك من خلال زيارتهن له ﷺ وهو في معتكفه في رمضان، وفاء لحق الزوجية.

١٣- وُفِّقَتْ أم المؤمنين **صفية** -رضي الله عنها- بهبتها بعض حُلِيِّها لفاطمة بنت رسول الله ﷺ حيث كسبت بذلك وُدَّها وَوُدَّ أبيها ﷺ ومهدت لحياة زوجية وأسرية سعيدة.

١٤- كمال أدب أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- في تفقدها لزوجها رسول الله ﷺ وسؤالها له عندما لاحظت عليه يوماً الوجوم وعدم الاستقرار.

١٥- من أدب أم المؤمنين **ميمونة** -رضي الله عنها- وحرصها على استجلاب حب زوجها رسول الله ﷺ، تركها الأكل من الضب موافقة له ﷺ مع أنه ﷺ قد أفتى بحله، وفي ذلك أعظم درس للمرأة المسلمة المعاصرة بأن تُعنى بما يقربها ويحببها لزوجها، ولها في أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- أعظم قدوة وأجل أسوة.

رابعاً: في مجال المصلحة العامة (وحدة الصف واجتماع الكلمة):

١- أهمية الحكمة في النصح لولاة الأمور وعدم الإكثار عليهم، تمثل ذلك في نصح أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين طلب منها معاوية -رضي الله عنه- الوصاية، فأوجزت ونصحت بما فيه الخير له وللمسلمين.

٢- ضرورة الاستجابة للرأي الرشيد والنصح السديد، خاصة في الأمور العامة المتعلقة بوحدة الصف وجمع كلمة المسلمين، تمثل ذلك في استجابة أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- لأخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- حين وجهها إلى ترك الخروج للعراق للمطالبة بدم عثمان -رضي الله عنه- وكان في ذلك الخير والرشد.

٣- من الدروس المستفادة في الحرص على جمع الكلمة ووحدة الصف اهتمام أم المؤمنين **حفصة** -رضي الله عنها- بمصالح الأمة حيث وجهت أخاها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- لأن ينصح لوالده بأن يستخلف للمسلمين ولا يدعهم بدون راع.

٤- كما نصحت لأخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- بعدم التعرض لابن صياد بالأذى، حتى لا يفتح باب شر وفتنة على المسلمين من ذلك.

٥- وكذلك حملها لأخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- على أن يكون مع المسلمين لما افترق الناس أيام علي ومعاوية -رضي الله عنهما-.

٦- فضل مشورة العقلاء والأخذ برأيهم، تمثل ذلك من خلال مشورته ﷺ لأم المؤمنين **أم سلمة** -رضي الله عنها- يوم الحديبية، فكان في ذلك الخير العميم للمسلمين، إذ جمع الله قلوب المؤمنين على الخير وجنبهم الوقوع في معصية الله ورسوله ﷺ بفضل تلك المشورة، وذلك الرأي السديد من أم المؤمنين -رضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين-.

٧- من الدروس المستفادة في طاعة ولاة الأمور، امتثال **أم حبيبة** -رضي الله عنها- بِغَسْلِها الطيب الذي طيبت به أخاها معاوية -رضي الله عنه- عند إحرامه مع أن لها دليلها من السنة.

٨- يعتبر السعي في إصلاح ذات البين وجمع كلمة المسلمين من أعظم القربات الموصلة إلى عظيم الأجر من الله عزَّ وجلَّ وقد كان هذا هو الهدف من خروج أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى العراق، فهي مأجورة بإذن الله على هذه النية وذلك القصد.

٩- من دلائل الحرص على وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين في دعوة أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- استعمال بعض الخطب فقد أثر ذلك عن أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة -رضي الله تعالى عنهن- عند موت الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق -رضي الله عنهم أجمعين-.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تصلح الأحوال وبإعانته تكتمل الأمور وتستقيم.

اللهم كما وفقتني بابتداء البحث فقد تم فضلك وإنعامك عليَّ بإتمامه. فلك الحمد في الابتداء والانتهاء، حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. أما بعد:

فها أنا أصل إلى نهاية هذا البحث، بعد رحلة مضنية وسعيدة، مضنية لما فيها من عناء البحث والسهر، وسعيدة لما وجدت فيها من لذة وسعادة غامرة، وأنا أقف على أحداث وروايات وسير أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- وما فيها من دروس وعبر تشحذ الهمم وتزيد الإيمان.

إن هذا الجهد المتواضع يحتاج من العلماء العاملين، والأساتذة المخلصين، والدعاة المتخصصين المصلحين تتبعاً أكثر فأكثر، حتى تعظم الفائدة، ويزداد المنهج في دعوة أمهات المؤمنين تفصيلاً ودقة وإحكاماً، وما ذاك إلا لأن كل واحدة منهن أمة وحدها، فلو أفردت كل واحدة منهن بالكتابة والتأليف، لكان ذلك في حقهن قليل، ولكن فضل الله على الباحث عظيم، إذ حقق له شرف الكتابة عنهن أجمعين، فله سبحانه الحمد والمنّة. هذا وقد انتهى

الباحث إلى استخلاص أهم النتائج من بحثه لتكون نبراساً للدعاة إلى الله ولاسيَّما الداعية المسلمة، وذلك على النحو التالي:

١- أبان البحث عن تعريف مناهج الدعوة وأنواعها المتعددة وأساليبها والعلاقة بينها.

٢- أوضح أهمية دراسة الصدر الأول من هذه الأمة بدءاً من العهد المكي وعهد الخلفاء الراشدين وصدراً من دولة بني أمية، وهذه هي الفترة التي عاشت فيها أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، وهي خير القرون.

٣- ورد التنبيه على بعض الشبهات التي ألحقت بأمهات المؤمنين من لدن أعداء الدين سابقاً ولاحقاً، وتم الرد على تلك الشبهات بما يسمح به البحث لبيان الحق من الباطل.

٤- أبان البحث عن تعريف العقيدة وبيان مكانتها في الدين، كما ظهرت عناية أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- بالعقيدة الإسلامية تعلماً وتعليماً والاستدلال على ذلك بمروياتهن الصحيحة الواردة في هذا الشأن.

٥- تم النظر في كتب السنة مثل الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات، وجرى تصنيف الأحاديث الواردة عن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- والتي تعنى بمناهج الدعوة في دعوتهن، مع ذكر الأحكام والفوائد المستنبطة من تلك الأحاديث.

٦- تم الربط بين الدعوة -تعليماً وتزكية- عند أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في ضوء المنهج العقلي من خلال الأحاديث الواردة عنهن ومن سيرتهن العطرة وأقوالهن ومواقفهن، وأثمرت تلك الروايات

والمواقف والأقوال قطوفاً دانية ودروساً نافعة للدعاة إلى الله عموماً والمرأة الداعية إلى الله خصوصاً.

٧- أبان البحث عن أثر المنهج العاطفي في الدعوة والتربية عند أمهات المؤمنين وذلك من خلال الروايات الواردة عنهن ومن خلال حياتهن الكريمة مع رسول الله ﷺ وبعد وفاته، فأثمر ذلك دروساً مفيدة للأمة عموماً والدعاة والداعيات إلى الله خصوصاً.

٨- كشف البحث عن أساليب الدعوة عند أمهات المؤمنين، أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الطيبة في دعوتهن، فآتت أكلها طيباً للواقع المعاصر ليصل المسلمون حاضرهم بماضيهم، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٩- تم النظر في الروايات الواردة عن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- من خلال كتب السنة والسير والتراجم، فأثمر ذلك تصنيفاً مفيداً في حصر وتحديد الوسائل المعنوية والوسائل الحسية في دعوتهن، وكان لذلك أثرٌ نافعٌ في استخلاص دروس مفيدة للواقع المعاصر من خلال تلك الوسائل.

١٠- أبان البحث عن أهمية الأسلوب التربوي في الدعوة إلى الله، وقوة تأثيره في إصلاح الأفراد والمجتمعات.

١١- عدم الإفراط في التفريق بين مجال الدعوة والتربية، بل يجب ترسيخ مفهوم أن كلاً من الداعية والمربي يكمل عمل الآخر، وأن الدين الإسلامي يشتمل على أهداف التربية والدعوة معاً.

١٢- إن التربية الصحيحة والدعوة الإسلامية الحقة لا تعني صلاح الإنسان في نفسه فقط، بل يجب أن يتحرك لإصلاح وتغيير الوسط الذي يعيش فيه، كما فعلت ذلك أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- في دعوتهن بعد وفاته ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين وفي الصدر الأول من دولة بني أمية.

١٣- من أولويات التربية والدعوة إلى الله ترسيخ مبادئ العقيدة والإيمان في الأفراد والمجتمعات.

١٤- التوجيه إلى بعض التحديات والمعوقات للتربية والدعوة الإسلامية في العصر الحاضر وكيفية مواجهتها وحلها.

١٥- إن فقه الدعوة الإسلامية يقتضي القراءة والعلم والفهم والتطبيق لكل ذلك.

١٦- إن تاريخ الأمة المسلمة لا يمكن المحافظة عليه إلا من خلال دراسة سيرة المعنيين بالتربية والدعوة فيها، كما ورد في ثنايا هذا البحث الذي عني بسيرة ومنهج أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن- في الدعوة والتربية.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــة	رقمـها	الصـفـحة
١٧	﴿...فاعتزلوا النساء في المحيض...﴾	٢٢٢	٢٩٢، ٤٩٤
١٨	﴿...وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف...﴾	٢٣٣	١٨٩
١٩	﴿...وعلى الوارث مثل ذلك...﴾	٢٣٣	١٨٩
٢٠	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً...﴾	٢٣٤	١٤٦،١٤٧،٢٥٦
٢١	﴿حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى...﴾	٢٣٨	١٤١
٢٢	﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...﴾	٢٦١	٤٢٢
٢٣	﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة...﴾	٢٦٩	٥٤٩،٥٥١،٦٦٢
	(سورة آل عمران)		
١	﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه...﴾	٧	١١٨، ١٥٥
٢	﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا...﴾	٥١	<٩٩
٣	﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب...﴾	٧٩	٦٢٨، ٦٤٨
٤	﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾	١٠١	٦٠٨
٥	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...﴾	١٠٢	ج
٦	﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا...﴾	١١٧	٢٧١
٧	﴿فبما رحمة من الله لنت لهم...﴾	١٥٩	١٨٣
٨	﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم...﴾	١٦٤	١٦٥، ٣٧٧
٩	﴿الذين استجابوا لله والرسول...﴾	١٧٢	١٢٩
١٠	﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة...﴾	١٨٠	٤٩٥
١١	﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم...﴾	١٩٥	١٥٨
	(سورة النساء)		
١	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم...﴾	١	ج
٢	﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى...﴾	٣	١٣١
٣	﴿...وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن...﴾	١٩	٥٢١
٤	﴿...وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة...﴾	٢٣	١٧١

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
٢	﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾	٩٤	١٨
	(سورة النحل)		
١	﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة...﴾	٣٠	٤٢٢
٢	﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس...﴾	٤٤	١٦٥
٣	﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى...﴾	٥٨	٤٥٧
٤	﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن...﴾	٩٧	٢٦٤، ٤٢١
٥	﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾	١٢٥	١٣، ١٤، ١٥، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٩٢
	(سورة الإسراء)		
١	﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾	٩	٤٢٠
٢	﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن...﴾	١٩	٢٦٤
٣	﴿ويسألونك عن الروح...﴾	٨٥	١٠٧
٤	﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن...﴾	٨٨	١٠١، ١١٠
	(سورة الكهف)		
١	﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى...﴾	٥٦	١٦٢
٢	﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي...﴾	١٠٩	١٠٢
٣	﴿فمن كان يرجو لقاء ربه...﴾	١١٠	٢٧٠
	(سورة مريم)		
١	﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر...﴾	٤٢	٥٩٤
٢	﴿وإن منكم إلا واردها...﴾	٧١-٧٢	١١٦، ١١٨، ١٢١، ٣٤٦
	(سورة طه)		
١	﴿...لا نسألك رزقاً نحن نرزقك...﴾	١٣٢	١٠٦

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
٢٥	أصمت أمس	٢٤٨	صحيح البخاري
٢٦	اصنعوا كل شيء إلا النكاح...)	٤٠٦	صحيح مسلم
٢٧	أعتم رسول الله ﷺ ليلة بالعشاء...)	٢٣٦	صحيح البخاري
٢٨	اغزوا باسم الله في سبيل الله	١٢	صحيح مسلم
٢٩	أفعمياوان أنتما	٣٦٥	الترمذي، حسن صحيح
٣٠	أفلح إن صدق	٥٠٩	صحيح البخاري
٣١	أقبل أبو بكر على فرسه من مسكنه بالسنح...)	٤٨٣	صحيح مسلم
٣٢	اكتني بابنك	٤٦	أبوداود صححه الألباني
٣٣	الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر...)	٦١٧	صحيح البخاري
٣٤	ألقوها وما حولها	٢٤٥	صحيح البخاري
٣٥	ألم تري أن قومك	١٨١	صحيح مسلم
٣٦	اللهم أجرني في مصيبتي	٥٥	صحيح مسلم
٣٧	اللهم ارزقني شهادة في سبيلك...)	٢٧	صحيح البخاري
٣٨	اللهم اغفر لأبي سلمة	٤٥٨	صحيح مسلم
٣٩	اللهم إني أسألك علماً نافعاً	٦١٥	ابن ماجة، صحيح
٤٠	اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ	٣٠٣	صحيح مسلم
٤١	اللهم من ولي من أمر أمتي	٦٠٦	صحيح مسلم
٤٢	إلى أقربهما منك باباً	١٧٦	صحيح البخاري
٤٣	ألا يعجبك أبو فلان...)	٢٢٣	صحيح البخاري
٤٤	أما أنك لو أعطيتها أخوالك	١٩٦	صحيح البخاري
٤٥	أما إنها كانت من أتقانا لله...)	١٤٤	المستدرك، صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
٤٦	أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد	٦٠١	الحاكم وصححه
٤٧	أما ما ذكرت أنك غيرى...)	٥٥	مسند الإمام أحمد، ورجاله ثقات
٤٨	أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً...)	١٣٩	صحيح مسلم
٤٩	أن أبا سفيان بن سعيد بن المغيرة دخل على أم حبيبة...)	٤٦٣	سنن أبي داود، صححه الألباني

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
١٥٢	حرم رسول الله ﷺ نبيذ الجر	٦٢٢	مسند أحمد، رجاله رجال الصحيح
١٥٣	حسبك من صفية كذا وكذا...)	٣٨٨	سنن أبي داود، صححه الألباني
١٥٤	حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات...)	٢٤٢	صحيح البخاري
١٥٥	الحلال بين و الحرام بين...)	١٥٦	متفق عليه
١٥٦	الحياء خير كله)	٥١١	صحيح مسلم
١٥٧	الحياء لا يأتي إلا بخير)	٥١١	صحيح مسلم
١٥٨	الحياء من الإيمان)	٥١١	صحيح مسلم
١٥٩	خبرني بهن جبريل آنفاً..	١٠	صحيح البخاري
١٦٠	خذوا عني مناسككم...)	١٢٧	صحيح مسلم
١٦١	خرج النبي ﷺ من عندي وهو قرير العين...)	٤٩٧	جامع الترمذي، حسن صحيح
١٦٢	خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر...)	١١١	سنن أبي داود، حسنه الألباني
١٦٣	خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن...)	٢٤٤	صحيح البخاري
١٦٤	خير نسائها مريم ابنة عمران وخير...)	٤٢٦	صحيح البخاري
١٦٥	خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة...)	٤٣	صحيح البخاري
١٦٦	الخيل معقود في نواصيها الخير...)	٢٥٤	صحيح البخاري
١٦٧	دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها...) ..	٢٠٧	صحيح البخاري
١٦٨	دخلت على أم سلمة زوج النبي ﷺ...)	٤٥٥	مسند أحمد، مقبول وله شواهد في الصحيحين
١٦٩	دخلت على عائشة زوج النبي ﷺ يوم توفي سعد...)	٤٣٠	صحيح مسلم
١٧٠	دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره...)	٤٥٨	صحيح مسلم
١٧١	دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ...)	٣٨٢	صحيح البخاري
١٧٢	دخل علي رسول الله وأنا عند حفصة...)	٧١١	سنن أبي داود، صححه الألباني
١٧٣	دخل النبي ﷺ على عائشة فقال:...)	٢٧٤	صحيح البخاري
١٧٤	دخل نسوة من أهل الشام على عائشة...)	٤٣٨	سنن أبي داود، صححه الألباني
١٧٥	ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ...)	٦٠١	المستدرك، صحيح على شرط الشيخين
١٧٦	ذكر عمر لرسول الله ﷺ أنه يصيبه الجنابة...)	٣٢٨	صحيح البخاري
١٧٧	رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون...)	٤٨٢	سنن أبي داود، صححه الألباني

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
٢٥٦	كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر...)	٤٧٩	صحيح مسلم
٢٥٧	كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم...)	٢١٥	صحيح مسلم
٢٥٨	كان يؤتى بالصبيان	٤٨٧	صحيح مسلم
٢٥٩	كان يجعل يمينه لطعامه...)	٣٩٣	سنن أبي داود، صححه الألباني
٢٦٠	كان يحمل ماء زمزم في الأداوي...)	٤٤٩	السنن الكبرى للبيهقي، صححه الألباني
٢٦١	كانت لي جارية فأعتقتها...)	٥٣١	صحيح البخاري
٢٦٢	كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره...)	٣٩٣	سنن أبي داود، صححه الألباني
٢٦٣	كذب، قد علم أني من أتقاهم لله	٣٣٥	الترمذي، صححه الألباني
٢٦٤	كلا أبشر فوالله لا يخزيك...)	٣١٦	صحيح البخاري
٢٦٥	كلا والله لا يخزيك الله أبداً...)	٢٠	صحيح البخاري
٢٦٦	كلا والله ما يخزيك الله أبداً...)	٣١٦	صحيح البخاري
٢٦٧	كل مولود يولد على الفطرة...)	٢٦٥	صحيح البخاري
٢٦٨	كنت أجر ذيلي فأمر بالمكان...)	٣٤٩	سنن أبي داود، صححه الألباني
٢٦٩	كنت أسمع الناس يذكرون الحوض...)	٢٦٧	صحيح مسلم
٢٧٠	كنت أشرب وأنا حائض...)	٤٩٣	صحيح مسلم
٢٧١	كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ...)	٤٣١	صحيح البخاري
٢٧٢	كنت رديف النبي ﷺ فقال لي: يا معاذ...)	١٠٩	صحيح البخاري
٢٧٣	كنت متكئاً عند عائشة، فقالت:...)	٥٥٨	صحيح مسلم
٢٧٤	كنت نهيتكم عن زيارة القبور...)	٣٤١	صحيح مسلم
٢٧٥	لا تؤذيني في عائشة	٣٦٣	صحيح البخاري
٢٧٦	لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام...)	٣٨٣	صحيح مسلم
٢٧٧	لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب...)	٦٢٤	صحيح مسلم
٢٧٨	لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض...)	٣٩٨	سنن أبي داود، صححه الألباني
٢٧٩	لا يا بنت الصديق	١٢٥	الترمذي، صححه الألباني
٢٨٠	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على...)	١٤٧	صحيح البخاري
٢٨١	لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة...)	١١٦	صحيح مسلم

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
٢٨٢	لا يشكر الله من لا يشكر الناس...)	أ	سنن أبي داود، صححه الألباني
٢٨٣	لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله...)	٢٤٨	صحيح البخاري
٢٨٤	لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة	٥٥	مسند أحمد، رجاله ثقات
٢٨٥	لا ينبغي هذا للمتقين	٦١٩	صحيح مسلم
٢٨٦	لتنظر عدة الليالي والأيام	٣٥٧	أبوداود، صححه الألباني
٢٨٧	لعن الله زوارات القبور...)	٣٣٩	جامع الترمذي، حسنه الألباني
٢٨٨	لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي...)	٤٢٧	صحيح البخاري
٢٨٩	لقد قلت بعدك أربع كلمات	٦٢١	صحيح مسلم
٢٩٠	لقد قلت كلمة لو مزجت	٣٨٨	أبوداود، صحيح
٢٩١	لكم كذا وكذا	٤٤٤	أبوداود، صححه الألباني
٢٩٢	لم أر رسول الله ﷺ يصلي في...)	٦١٢	موطأ مالك
٢٩٣	لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين	٣٢٣	صحيح البخاري
٢٩٤	لما أفاء الله على رسوله ﷺ...)	٤٧٤	صحيح البخاري
٢٩٥	لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه...)	٢٨٢	صحيح البخاري
٢٩٦	لما انقضت عدة زينب...)	٦٢	صحيح مسلم
٢٩٧	لما جاءها نعي أبيها...)	١٤٦	صحيح البخاري
٢٩٨	لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق...)	٥٨	مسند أحمد وسنن أبي داود، حسنه الألباني
٢٩٩	لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي	٣٣٧	صحيح مسلم
٣٠٠	لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين...﴾	١٨	صحيح البخاري
٣٠١	لما نزلت: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن...﴾	١٥١	سنن أبي داود، صححه الألباني
٣٠٢	لو كان أسامة جارية لحليتها	٤٩٨	ابن ماجة، صحيح
٣٠٣	لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً...)	٦٣	صحيح البخاري
٣٠٤	لو لا أن أشق على أمتي...)	٤٩٧	صحيح مسلم
٣٠٥	ليتني أرى نبي الله ﷺ حين ينزل عليه...)	٥٠٢	صحيح مسلم
٣٠٦	ليس أحد يحاسب إلا هلك...)	١١١	صحيح البخاري
٣٠٧	ليس بك على أهلك هوان	٥٢٠	صحيح مسلم

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
٣٠٨	ما أعددت لها	١١٥	صحيح البخاري
٣٠٩	ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا	٢٧٩	صحيح مسلم
٣١٠	ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها...)	٢٥٠	صحيح البخاري
٣١١	ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً...)	٦٠٢	سنن ابن ماجة، صححه الألباني
٣١٢	ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين...)	٥٠٤	صحيح البخاري
٣١٣	ما رأيت امرأة أحب إلى أن أكون في مسلاخها...)	١٤٤	صحيح مسلم
٣١٤	ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى...)	٤٣٤	صحيح مسلم
٣١٥	مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له...)	٦٠٤	صحيح البخاري
٣١٦	ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط...)	٤٣٤	سنن أبي داود، صححه الألباني
٣١٧	ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط...)	٥٠٤	صحيح مسلم
٣١٨	ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت...)	٤٣	صحيح البخاري
٣١٩	ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت...)	٤٣	صحيح البخاري
٣٢٠	ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ...)	٣٩٥	جامع الترمذي، صححه الألباني
٣٢١	ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب...)	٣٨٠	جامع الترمذي، حسنه الألباني
٣٢٢	ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال...)	٥٦٤	المستدرك، صححه الحاكم ووافقه الذهبي
٣٢٣	ما لك يا عائشة	٦٠١	صحيح مسلم
٣٢٤	ما من امرأة تخلع ثيابها	٤٣٨	أبوداود، صحيح
٣٢٥	ما من امرأة تضع ثيابها	٤٣٨	الترمذي، حسن
٣٢٦	ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم...)	٢٤١	صحيح مسلم
٣٢٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة...)	٥	متفق عليه
٣٢٨	الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام	٦٠٤	صحيح مسلم
٣٢٩	مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء	٣٨٥	الترمذي، صححه الألباني
٣٣٠	مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر...)	٦٠٧	سنن ابن ماجة، حسنه الألباني
٣٣١	من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة...)	٤٢٤	صحيح البخاري
٣٣٢	من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له...)	٢٦٢	صحيح مسلم
٣٣٣	من أحدث في أمرنا هذا	٢٨٩	صحيح البخاري
٣٣٤	من جر ثوبه خيلاء...)	٣٦١	جامع الترمذي، حسن صحيح

م	طرف الحديث	الصفحة	المصدر
٣٨٧	يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان...)	٢٠٣	صحيح البخاري
٣٨٨	يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء...)	١٥٨	جامع الترمذي والمستدرك، صحيح
٣٨٩	يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد...)	١٨٢	صحيح مسلم
٣٩٠	يا رسول الله هل لي من أجر في بني أبي سلمة...)	١٨٨	صحيح البخاري
٣٩١	يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال...)	٥٠٩	سنن ابن ماجة، صححه الألباني
٣٩٢	يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر...)	٥٥٧	صحيح البخاري
٣٩٣	يا عثمان أرغبة عن سنتي	٣٩١	أبوداود، صححه الألباني
٣٩٤	يا معاذ أتدري ما حق الله	١٠٩	صحيح البخاري
٣٩٥	يطهره ما بعده ...)	٣٤٩	أبوداود، صححه الألباني
٣٩٦	يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه	٢٧٨	صحيح مسلم

فهرس الأعلام

م	العلم	رقم الصفحة
	(أ)	
١	إبراهيم بن محمد بن المنتشر الكوفي	٥٠٠
٢	إبراهيم بن يزيد النخعي	٢١٢
٣	أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث	٢١٥، ٧١٥
٤	أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة	٤٦٣
٥	أبو سلمة هو ابن عبد الأسد بن هلال المخزومي	٢٠٣
٦	أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف	٢٠٧
٧	أبو يونس مولى عائشة	١٣٩
٨	أزهر بن سعيد الحرازي	٤٦٩
٩	الأسود بن يزيد النخعي	٢٠٩
١٠	أفلح بن أبي القعيس	١٧٠
١١	أنس بن مالك	٣٤
	(ب)	
١٢	بدية مولاة ميمونة بنت الحارث	٤٠٤
١٣	بريرة مولاة عائشة أم المؤمنين	١٧٣
	(ث)	
١٤	ثويبة مولاة أبي لهب	٢٠٣
	(ج)	
١٥	جبير بن نفير بن مالك الحضرمي	٥٦٢
	(ح)	
١٦	حارثة بن وهب الخزاعي	٣٩٣
١٧	حذيفة بن اليمان العبسي	١٤١

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(أ)

١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، الطبعة الخامسة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٣- الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٤- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق: علي بن محمد الهندي، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

٥- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام سيف الدين أبي الحسن علي الآمدي، ط. صبيح، مصر.

٦- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ١٤٠٧هـ، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٧- أحكام القرآن، لعماد الدين الطبري المعروف بالكيا الهراسي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- أخبار القضاة، لوكيع محمد بن خلف بن حيان، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٩- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر، (مخطوط)، قسم المخطوطات في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة، رقم الفلم (٣٤٠). عدد الأوراق: ٥٤ ورقة.

١١- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد إبراهيم دسوقي.

١٢- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

١٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، ط. رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.
١٤- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، الطبعة الرابعة: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
١٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق.
١٦- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، (مخطوط) مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، فلم رقم: (٣٧٦٢)، عدد الأوراق: (٢٥) ورقة.
١٧- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
١٨- أزواج النبي ﷺ، د. موسى شاهين لاشين، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
١٩- أزواج النبي ﷺ وأولاده، أمير مهنا الخيامي، الطبعة الأولى: (١٤١١هـ-١٩٩٠م) ط. مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت - لبنان.
٢٠- أسباب النزول، لأبي الحسن الواحدي النيسابوري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢١- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ط. مطبعة النهضة مصر - القاهرة.
٢٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢٣- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تنسيق ومراجعة: فاروق سعد، الطبعة الثالثة: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان.
٢٤- الإسلام في الفكر الأوروبي، د. محمد شامه، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.
٢٥- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، الطبعة الأولى: (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ط. دار عمار، عمان - الأردن.

٢٦- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشائب، الطبعة السابعة: ١٤٩٦هـ، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر.
٢٧- الأشباه والنظائر، لمقاتل البلخي، طبعة عام (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٨- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
٢٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الفكر، دمشق، سوريا.
٣٠- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، الطبعة الثالثة: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٣١- أصول الفقه لمحمد أبو زهرة، ط. دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٢- أصول الفقه لمحمد الخضري، الطبعة السادسة: ١٣٨٩هـ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٣٣- الأصول الفنية للأدب، لعبد الحميد حسن، الطبعة الثانية.
٣٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط. عالم الكتب، بيروت.
٣٥- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م، ط. دار العلم للملايين، بيروت.
٣٦- الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م، ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٣٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.
٣٨- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة، الطبعة الخامسة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
٣٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. دار الوفاء، المنصورة - مصر.

٤٠- أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق: د. إحسان صدقي، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م، ط. مؤسسة الشراع العربي، الكويت.

٤١- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق وتصحيح جماعة من العلماء، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(ب)

٤٢- بدائع الفوائد، للإمام أبي عبد الله محمد أبي بكر الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤٣- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن رشد القرطبي، الطبعة الرابعة: ١٣٩٥هـ، ط. مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر.

٤٤- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤٥- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (١٣٩١هـ-١٩٧٢م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٤٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٤٧- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد موسى الخولي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(ت)

٤٨- تاج العروس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٩- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، ط. روائع التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥٠- تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء-: لابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

٥١- التاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري، تحقيق: محمد حميد الله، ط. دار المعارف، مصر.
٥٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح: عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثالثة: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٥٣- تذكرة الدعاة، للبهي الخولي، الطبعة الخامسة: (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، ط. دار القلم، بيروت - لبنان.
٥٤- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الطبعة الثالثة: (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، ط. دار الإيمان، دمشق - بيروت.
٥٥- تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
٥٦- تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة، للباحث محمد بن عبد الله العثمان، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير لقسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي بالمدينة عام ١٤٠٩هـ.
٥٧- التعريف، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.
٥٨- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان التوحيدي، ط. مطبعة السعادة.
٥٩- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ الطاهر بن عاشور، ط. الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.
٦٠- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، لمحمد الرازي، الطبعة الثالثة: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
٦١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط. دار إحياء الكتب العربية.
٦٢- تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦٣- تفسير مجاهد، للإمام مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ط. مطابع الدوحة.

٦٤- التفكير فريضة إسلامية، لعباس محمود العقاد، ط. المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

٦٥- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية: (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٦٦- تقنين الدعوة، د. محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. دار المجتمع، جدة – المملكة العربية السعودية.

٦٧- تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط. مكتبة الآداب، مصر.

٦٨- التلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط. هاشم اليماني، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.

٦٩- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٠- تهذيب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد – الهند.

٧١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين بن الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٧٢- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، ط. الدار المصرية للتأليف.

٧٣- توجيه النظر إلى علوم الأثر، للشيخ طاهر الجزائري، طبعة عام ١٣٢٨هـ، مصر.

٧٤- التوشيح شرح الجامع الصحيح، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط. مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٧٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

(ج)

٧٦- جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ، للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٧٧- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٧٩- الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٨٠- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط. دار الشام للتراث، بيروت - لبنان.

٨٢- الجانب العاطفي من الإسلام، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى: (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

٨٣- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى: (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند.

٨٤- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محيي الدين مستو، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار ابن كثير - سوريا.

٨٥- جمل فتوح الإسلام، لابن حزم، الرسالة الرابعة المطبوعة مع كتاب (جوامع السيرة)، ط. دار المعارف، مصر.

٨٦- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المعروف بابن دريد، ط. مؤسسة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة - مصر.

٨٧- جوامع السيرة، لابن حزم، ط. دار المعارف، مصر.

(ح)

٨٨- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيرة الشاطبي، ضبط وتصحيح: محمد تميم الزعبي، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، ط. دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.

٨٩- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق: د. مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين مستو، الطبعة الثامنة: (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٩٠- الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الثانية: (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ط. مطبعة سفير، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٩١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(خ)

٩٢- خصائص القرآن، د. فهد الرومي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٩هـ.

(د)

٩٣- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، تحقيق: د. مصطفى البغا، الطبعة الرابعة: ١٩٨٤م، ط. مؤسسة علوم القرآن، دمشق – سوريا.

٩٤- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. حسن العمري، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م، ط. دار الفكر، دمشق – سوريا.

٩٥- الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير يوسف، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، ط. دار طويق للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٩٦- دعوة الرسل، د. محمد العدوي، ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٩٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، وهو شرح كتاب رياض الصالحين، للشيخ محمد بن علان الصديق الشافعي، ط. دار الفكر، بيروت – لبنان.

٩٨- ديوان الإمام الشافعي، جمع وتحقيق: زهدي يكن، ١٩٦١م، ط. دار الثقافة، بيروت – لبنان.

(ر)

٩٩- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ مكة المكرمة.

١٠٠- الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط. المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

١٠١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٠٢- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للإمام عبد الرحمن السهلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل.

١٠٣- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تعليق: مصطفى السقا، الطبعة الأولى: (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)، ط. مطبعة مصطفى البابي، مصر.

١٠٤- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(ز)

١٠٥- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، للشيخ أحمد الجكني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٠٦- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

١٠٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثامنة: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

١٠٨- زواج السيدة عائشة ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكري ذلك، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة – المملكة العربية السعودية.

١٠٩- زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، للشيخ محمد محمود الصواف، الطبعة الثانية: ١٣٨٣هـ، ط. مطبعة الحرية، عمان – الأردن.

١١٠- الزواج الإسلامي سعادة وحصانة، للشيخ محمد علي الصابوني، ط. دار القلم، دمشق – سوريا.

(س)

١١١- السؤال والجواب في آيات الكتاب، للشيخ عطية محمد سالم، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ط. مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

١١٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للعلامة الصنعاني، ١٣٥٧هـ، ط. مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر.

١١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١١٤- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للإمام الطبري، تحقيق: محمد علي قطب، ط. دار الحديث، القاهرة، مصر.

١١٥- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

١١٦- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١١٧- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١١٨- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى: ١٣٥٥هـ، ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند.

١١٩- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢٠- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور: مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

١٢١- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٢٢- سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الفكر.

١٢٣- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(ش)

١٢٤- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجاته ﷺ، للشيخ محمد علي الصابوني، عام: (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ط. على نفقة السيد حسن شربتلي.

١٢٥- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، للشيخ محمد متولي الشعراوي، جمع وإعداد: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية: (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

١٢٦- شذرات الذهب، لابن العماد، طبعة عام: ١٣٥١هـ، مصر.

١٢٧- شرح الزرقاني على الموطأ، للإمام سيدي محمد الزرقاني، العام (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. دار الفكر.

١٢٨- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٢٩- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، الطبعة السادسة: ١٤٠٠هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٣٠- شرح العقيدة الواسطية، للأستاذ محمد خليل هراس، الطبعة الخامسة، ط. مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٣١- شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

١٣٢- شرح لمعة الاعتقاد، للشيخ محمد الصالح العثيمين، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٣٣- شرح معاني الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، الطبعة الأولى: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

١٣٤- شرح منتهى الإرادات، المسمى دقائق أولى النهى بشرح المنتهى، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

١٣٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: كمال بسيوني، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

(ص)

١٣٦- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٣٧- صب العذاب على من سب الأصحاب، لأبي المعالي محمود الآلوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، الطبعة الأولى: (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ط. أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٣٨- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

١٣٩- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.

١٤٠- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٤١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٤٢- صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٤٣- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبعة عام (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٤٤- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٤٥- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، ط. دار الصفا، القاهرة - مصر.

(ط)

١٤٦- طبقات الشافعية، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، الطبعة الأولى: (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ط. دار البشائر، بيروت - لبنان.

١٤٧- الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

(ع)

١٤٨- العدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للعلامة الصنعاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٤٩- عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر الجزائري، الطبعة الثالثة: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. دار الشروق، جدة - المملكة العربية السعودية.

١٥٠- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود أحمد العيني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٥١- عناصر القوة في الإسلام، للشيخ السيد سابق، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٥٢- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، للقاضي أبي بكر ابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت - لبنان.

١٥٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(ف)

١٥٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٥٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. دار الفكر.

١٥٧- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، للشيخ محمد بن علان الشافعي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٥٨- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة السابعة: ١٤١٦هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

١٥٩- فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ، ط. دار الوفاء، مصر.

١٦٠- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ط. دار الدعوة، مصر.

١٦١- الفهرست، لابن النديم، تعليق: الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٦٢- الفوائد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا.

١٦٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية: (١٣٩١هـ-١٩٧٢م)، ط. دار الفكر.

١٦٤- في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة الثانية عشرة: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية.

(ق)

١٦٥- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.

١٦٦- قواعد الأحكام، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٦٧- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمي، ١٣٨٠هـ، ط. مصطفى البابي الحلبي.

١٦٨- القواعد والأصول الجامعة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة عام: ١٤١١هـ، ط. مركز صالح بن صالح للثقافة، عنيزة - المملكة العربية السعودية.

(ك)

١٦٩- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ط. دار القبلة، جدة.

١٧٠- الكامل في التاريخ، لأبي الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الطبعة السادسة: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٧١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٧٢- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوري، الطبعة الثانية: ١٩٨١م، ط. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - سوريا.

(ل)

١٧٣- اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، للإمام أبي محمد علي زكريا المنجي، تحقيق: د. محمد فضل عبد العزيز المراد، الطبعة الثانية: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. دار القلم، دمشق.

١٧٤- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

(م)

١٧٥- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د. ناصر ابن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ط. دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٧٦- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، الطبعة الرابعة عشرة: ١٩٨٢م، ط. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

١٧٧- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع خليل القطان، الطبعة الثامنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ط. موسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٧٨- المجتبى من المجتنى، لابن الجوزي، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار الفرقان، عمان - الأردن.

١٧٩- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي، ط. موسسة المعارف، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٨١- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: د. محمود مطرجي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٨٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم، ط. المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

١٨٣- محاضرات في مناهج الدعوة، د. محمد عبد العليم العدوي (غير مطبوعة)، ملقاة على طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة، عام ١٤٠٣هـ.

١٨٤- محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، لمحمد الصادق إبراهيم عرجون، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

١٨٥- مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحرازي، ترتيب: محمود خاطر، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٨٦- مختصر التحفة الاثني عشرية، لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصار وتهذيب: السيد محمود شكري الآلوسي، عام: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. إيشيق، إستانبول - تركيا.

١٨٧- مختصر سيرة الرسول ﷺ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٨٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٨٩- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبـو الفتـح البيـانوني، الطبعـة الثانيـة: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٩٠- المدخل إلى فقه الإمام أحمد، للشيخ عبد القادر الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، الطبعة الثانية: (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
١٩١- مرويات غزوة بني المصطلق، جمع وترتيب ودراسـة: إبراهيـم بـن إبراهيـم قريبي، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٩٢- المستدرك على الصحيحين في الحديث، لأبـي عبـد الله محمـد بـن عبـد الله المعـروف بالحاكم النيسـابوري، طبعـة عـام (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ط. دار الفكـر، بـيروت - لبنان.
١٩٣- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسـين أسـد، الطبعـة الأولى: ١٩٨٤م، ط. دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا.
١٩٤- مسـند الإمـام أحمـد الحـافظ أبـي عبـد الله أحمـد بـن حنبـل الشـيباني (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض.
١٩٥- مشكاة المصابيح، للشيخ محمد بن عبد الله الخطيـب التبريزي، تحقيـق: الشيـخ محمـد ناصر الدين الألبـاني، الطبعـة الثالثـة (١٤٠٥هـ-١٩٨٩م)، ط. المكتـب الإسـلامي، بيروت - لبنان.
١٩٦- مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر الطحاوي، الطبعة الأولى، ط. مؤسسة قرطبة السلفية.
١٩٧- المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تصحيح: مصطفى السقا، ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
١٩٨- المصنف، لعبد الـرزاق الصنعـاني، تحقيـق: حبيـب الرحمـن الأعظمـي، الطبعـة الأولى: ١٩٧٢م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
١٩٩- معارج القبـول بشـرح سـلم الوصـول إلى علـم الأصـول في التوحيـد، للشـيخ حـافظ الحكمي، الطبعة الثانية: (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ط. دار ابن القيم، الدمـام - المملكـة العربية السعودية.
٢٠٠- المعارف، لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، ط. دار المعارف، مصر.

٢٠١- معالم التنزيل، للإمام أبي محمد بن الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الأولى: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٠٢- معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، د. خليفة حسين العسال، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٢٠٣- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٠٤- مع الله -دراسات في الدعوة والدعاة- للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الخامسة: (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر.

٢٠٥- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش (دراسة تحليلية)، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٠٦- معجم البلدان، لياقوت الحموي: ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

٢٠٧- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط. دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت - لبنان.

٢٠٨- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.

٢٠٩- معجم المناهي اللفظية، د. بكر عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، ط. دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية.

٢١٠- المعجم الوسيط، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢١١- المغني، للإمام العلامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢١٢- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، ط. مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٢١٣- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢١٤- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، لابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم القاروط، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢١٥- منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢١٦- مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ، ط. دار الوفاء، مصر.

٢١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢١٨- منهج التربية الإسلامية، للشيخ محمد قطب، الطبعة الرابعة عشرة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. دار الشروق، القاهرة - مصر.

٢١٩- الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد، مشاركة مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٢٠- الموطأ للإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٢١- الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تعليق: محمد حسنين مخلوف، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٢٢- المواقف في علم الكلام، لعبد الله بن أحمد الإيجي، ط. دار عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٢٢٣- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: صالح أحمد الشامي، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٢٢٤- ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى: (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(ن)

٢٢٥- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر، للشيخ عبد القادر بن أحمد الدمشقي، الطبعة الثانية: (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٢٢٦- نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث، لأحمد خليل جمعة، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. اليمامة، دمشق، بيروت.

٢٢٧- نساء حول الرسول ﷺ، لمحمود الإستانبولي ومصطفى أبو النصر شلبي، الطبعة السادسة: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. مكتبة السوداي، جدة - المملكة العربية السعودية.

٢٢٨- نساء النبي ﷺ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) عام: (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، ط. دار الكتب العربي، بيروت - لبنان.

٢٢٩- نشر البنود على مراقي السعود، للشيخ سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، الطبعة الأولى: (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٣٠- النشر في القراءات العشر، للحافظ محمد بن الجزري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٢٣١- نظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) للشيخ عبد الحي الكتاني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٣٢- النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق: خضر محمد خضر.

٢٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٣٤- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(هـ)

٢٣٥- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(و)

٢٣٦- واقعنا المعاصر، للشيخ محمد قطب، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ط. مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة، جدة - المملكة العربية السعودية.

٢٣٧- وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها-	٤٧٧-٤٧٨
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-	٤٧٨-٥١١
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها-	٥١١-٥١٤
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها-	٥١٤-٥١٧
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-	٥١٧-٥٢٧
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها-	٥٢٧-٥٢٩
المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-	٥٢٩-٥٣١
المبحث الثالث: الدروس المستفادة للواقع المعاصر	٥٣٢
أولاً: الدروس المستفادة من المنهج العاطفي في دعوة أمهات المؤمنين	٥٣٢-٥٣٨
ثانياً: الدروس المستفادة من المنهج العاطفي في التربية عند أمهات المؤمنين	٥٣٨-٥٤٥
الفصل الثالث: أساليب الدعوة عند أمهات المؤمنين	٥٤٦
المبحث الأول: أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين	٥٤٦
أولاً: الأسلوب	٥٤٦-٥٤٧
ثانياً: الحكمة	٥٤٧-٥٥٠
ثالثاً: أثر أسلوب الحكمة في دعوة أمهات المؤمنين	٥٥٠-٥٩٠
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-	٥٥١-٥٥٣
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها-	٥٥٣-٥٥٦
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-	٥٥٦-٥٦٥
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها-	٥٦٥-٥٦٩
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها-	٥٦٩-٥٧٠
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-	٥٧١-٥٧٧
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-	٥٧٧-٥٨٠
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-	٥٨٠-٥٨٣
أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها-	٥٨٣-٥٨٦

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

نبذة عن المؤلف

- الاسم: خالد بن محمد الحافظ بن عبد المالك العلمي.
- من مواليد المدينة عام ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م.
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في المدينة.
- حصل على درجة البكالوريوس من جامعة الملك عبد العزيز كلية التربية بالمدينة المنورة عام ١٤٠١هـ.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة من المعهد العالي للدعوة الإسلامية (سابقاً) -والذي وسم بكلية الدعوة حالياً- من قسم الدعوة والاحتساب، وذلك عام ١٤٠٥هـ.
- وفّقه الله لحفظ القرآن الكريم كاملاً، ثم أتم القراءات السبع وقرأ بها على أئمة هذا العلم في المدينة ومنهم الشيخ عبد الفتاح المرصفي، وشيخه أعلى القراء سنداً في مصر فضيلة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الزيات، وأجيز بذلك.
  - له مشاركة في إثراء المكتبة الإسلامية بالمفيد النافع، ومن ذلك: مشاركته في تأليف كتاب "تقريب المعاني في شرح الشاطبية في القراءات السبع" مع فضيلة الشيخ سيد لاشين أبو الفرج.
  - وله: كتاب المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية يقع في مجلدين.
  - له: تحقيق مخطوط: (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر) لمحمد بن محمد البلبيسي من علماء القرن التاسع الهجري -تحت الطبع-.
- عمل في تدريس القرآن الكريم والقراءات في مدارس التحفيظ حتى عام ١٤٠٩هـ.
- يعمل حالياً أميناً للتوعية الإسلامية ومشرفاً على مدارس تحفيظ القرآن الكريم بإدارة تعليم المدينة.
- يقوم بتدريس القرآن الكريم والقراءات في المسجد النبوي الشريف.
- قام بالإمامة والخطابة لعدة سنوات في بعض المساجد في المدينة.
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة، من قسم الدعوة والاحتساب بمرتبة الشرف الثانية، وكان ذلك بتاريخ: ١٤٢٣/١/٦هـ.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه. والحمد لله ربِّ العالمين.